

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي
١٠٣٠ — ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الثامن

الناشر
مكتبة الخانجي بمصر

١٤٠٠ هـ = ١٩٨١ م



بسم الله الرحمن الرحيم

باب المجموع

(أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الخمسمائة) :

٥٧٨ (لنا جاملٌ لا يَهدأُ اللَّيلَ سامِرُه)

على أن (جاملاً) ليس بجمع ، بدليل عود الضمير عليه من (سامرُه) مفرداً .

قال صاحب الكشاف فى (سورة الأعراف) : الأُناس اسم جمع غير مكسَّر ، بدليل عود الضمير المفرد إليه ، وتصغيرِه على لفظه .

والسابق إلى هذا أبو على ، قال (فى البغداديات) : فإن قال قائلٌ : فهلاَّ جاز تكسيره ، **أى اسم الجمع** ، كما جاز تحقيره ، فيما حكاه سيبويه من قولهم : رَجْل(١) ورُجَيل ؟ قيل له : لا ينبغى أن يجوز . وذلك أنَّ هذا الاسم على بناء الآحاد ، والمراد به الكثرة ، فلو كسِّر كما صغِّر لكان فى ذلك إجراؤه مُجرى الآحاد ، وإزالتُه عمَّا وضع له من الدلالة على الكثرة ، إذ كان يكون فى ذلك مساواتُه له من جهة البناءِ والتكسير والتحقير ، والحديث عنه كالحديث عن الآحاد ، نحو ما أنشد أبو الحسن :

---

(١) رجل هنا ، بالفتح وسكون الجيم : اسم جمع للراجلين الذين يمشون على أرجلهم لا يركبون . وانظر سيبويه ٢ : ١٤٢ .

* لهم جاملٌ لا يهدأُ الليلَ سامِرُه *

وهذا كلٌّ جهاته أو عامَّته ، فيجب إذا صغِّر أن لا يكسَّر ، فيكون بترك تكسيره منفصلا مما يراد به الآحاد دون الكثرة . انتهى .

صاحب الشاهد

والمصراع من قصيدة للحطيئة هجا بها الزِّبرقانَ بن بدرٍ الصَّحابى التميمى ، ومدح فيها ابن عمه بَغِيض بن شَمَّاسٍ ، وفضَّله عليه .

وتقدَّم السببُ فى هذا مفصَّلاً فى باب ما لا ينصرف[1] . والروايةُ : « ذَوُو جامل » بدلَ : « لنا جامل » .

وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

فدعْ آلَ شَمَّاسِ بن لأْيٍ فإنَّهم مَوالِيكَ أو كاثِرْ بهم من تُكاثِره

أَتحصُرُ أَقـواماً يجودوا بمالِهم فلولا قَبيلَ الْهُرمُزان تحاصِرُه[2]

فلا المالُ إن جادوا به أنت مانعٌ ولا العزُّ من بنيـانهم أنت عاقِرُه

فإن تكُ ذا عزٍّ حـديثٍ فإنهم لهم إرثُ مجدٍ لم تخُنْه زوافِرُه[3]

فإن تكُ ذا شـاءٍ كثيرٍ فإنَّهـم ذُوو جاملٍ لا يهدأُ الليلَ سامرُه

---

(١) هذا سهو منه ، والصواب أنه تقدم فى باب التمييز فى الشاهد الرابع عشر بعد المائتين ، عند قول الحطيئة :

سيرى أمام فإن الأكثرين حصى والأكرمين إذا ما ينسبون أبا

انظر الخزانة ٣ : ٢٩٠ — ٢٩٢ .

(٢) وكذا فيما سيأتى فى الشرح . والوجه مافى الديوان ١١ : « أتحصر قوماً أن يجودوا » . وفى الديوان أيضاً : « فهلا قتيل الهرمزان » . قال السكرى : « يقوم : أتمنع الناس أن يجودوا بأموالهم فى الحقوق ، فهلا منعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين يعطى الأموال فى وجوهها . والهرمزان : دهقان تستر . وإنما نسب الهرمزان إلى قتل عمر لأنهم رأوا أبا لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة وهو يعرض على الهرمزان السكين التى قتل بها عمر . فلذلك السبب وثب عبيد الله بن عمر على الهرمزان فقتله ، متهماً له أن يكون مالأ أبا لؤلؤة على أبيه عمر بن الخطاب » .

(٣) فى الديوان : « فإنهم ذوو إرث مجد لم تخنهم زواخره » .

وقوله : «مَواليكَ »أى أبناءُ عمك . والمكاثرة :المفاخرة . أى فاخِرْ بهم إذا لم يكن عندك من الفخر ماتفاخر به .

وقوله : « أتَحْصر أقواماً »إلخ، أى أتمنع وتحبس ؟! يقول : دع هؤلاء الذين يجودون بمالهم ، وعليك بالهرمزان فامنعْه . أى إنَّك لا تقدر إلا على العجم[١] . ولولا بمعنى هَلَّا . والهرمزان كان والىَ مَدينةِ تُستَر ، فلما فتحت جاءُوا به إلى عمر بن الخطاب .

وقوله : « فإنْ تكُ ذا عزٍّ » إلخ الحديث : الحادث . يريد أَنَّ عزَّه حادث بتوليته النبيُّ صلى الله عليه وسلم صدقاتِ بنى تَميم[٢] . والإرث بالكسر : الأَصل والمجدُ والشرف . وزوافره : موادُّه وروافده، يقال: هو زافرتهم عند السُّلطان ، أى يقوم بأَمرهم ويُعينهم . ويقال : هو فى زافرة قومه ، أى فى عددهم وكثْرتهم . ويقال : زوافره : معظمه .

وقوله : « فَإن تكُ ذا شاءٍ كثيرٍ » إلخ، الشاء : جمع شاة . قال صاحب المصباح : الشاة من الغنم يقع على الذكر والأُنثى، فيقال: هذا شاةٌ للمذكر ، وهذه شاة للأُنثى ، وشاة ذكر وشاة أُنثى ، وتصغيرهما شُويهة . والجمع شاءٌ وشَاهٌ بالهاءِ رجوعاً إلى الأَصل ، كما قيل شفة وشِفاه . ويقال أَصلها شاهَة مثل عاهة . انتهى .

والجامل : اسم جمع بمعنى جماعة الإبل مع رُعاتها . والهُدءُ مهموز الآخر : السُّكون . والليل ظرف ، وسامره : فاعله ، والضمير للجامل . أى لا يسكن ولا ينام الذى يحفظ الإبل ، وهو السامر . يعنى أَنَّ الرُّعاة يسهَرون ليلَهم لحفظ إبلهم . قال صاحب الصحاح : السَّمَر : المسامرة،

---

(١) كذا . وانظر ما أسلفت من الرواية والتحقيق فى الحاشية .

(٢) إضافة المصدر إلى مفعوله ثم الإتيان بالفاعل قليل . الأشمونى ٢ : ٢٨٩ .

وهو الحديث بالليل، وقد سَمَرِيسمُر، فهو سامرٌ. والسَّامر أيضاً: السُّمَّار، وهم القوم يَسمُرون. انتهى.

وترجمة الحطيئة تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة[1].

* * *

وأنشد بعده :

(مع الصُّبح ركبٌ من أُحاظةَ مُجْفِلُ)

على أنَّ (ركباً) ليس جمعاً بدليل عود الضمير إليه من صفته بالإفراد، ولو كان جمعاً لقيل مجفلون.

والمصراع من لاميَّة العرب للشنفرَى، تقدَّم الكلام عليه قبل باب المثنى، فى الشاهد السابع والخمسين وبعد الخمسمائة[2].

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الخمسمائة[3]:

٥٧٩ (عَرَفْنَا جعفراً وبنى أَبيه وأنكرنا زعانفَ آخرِينِ)

على أنَّ نون الجمع قد تُكسَرُ فى ضرورة الشعر كما فى آخرين.

وقد يمكن أن تكون كسرة النون كسرة إعراب كما تقدَّم النَّقل عن أبى على فى باب التثنية. وسيأْتى فى آخر هذا الباب، فلا ضرورة حينئذ.

قال الشارح المحقق فيما سيأْتى: إذا كسرت النون فلا يكون ما قبلها إلاَّ الياء.

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٠٦ – ٤١٣ .

(٢) انظر الخزانة ٧ : ٤٤٧ – ٤٥١ .

(٣) طبقات ابن سلام ٥٩ والعينى ١ : ١٨٧ والتصريح ١ : ٧٩ والهمع ١ : ٧٩ والأشمونى ١ : ٨٩ وديوان جرير ٥٧٧ .

وكذلك نصّ ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) أنّ كسرنون الجمع لا يكون إلاَّ فى حال النصب والخفض ، كما أنَّ فتح نون التثنية لايكون إلا كذلك . فلكسرِها شرطان : أحدهما الشعر ، وثانيهما الياء .

وبهذا يعرف سقوط قول ابن هشام (فى شرح الشواهد): إنَّ الشَّرط الثانى قد أهمله النحويُّون ، وإنَّ الشرط الأوَّل أهمله ابنُ مالك (فى منظومته) دون التسهيل .

قال ابن عصفور : ووجه كسر النون تحريكها على أصل التقاء الساكنين . وقال العينى : ويقال إن كسر نون الجمع ليس بضرورة ، وإنَّما هو لغةٌ لقوم بنَى الشاعر كلامَه على هذه اللغة . ٣٩١

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبياتٍ أربعة لجرير ، خاطب بها فَضَالة العُرَنىَّ[1] أوردها محمد بن حبيب (فى المناقضات) ، وهى :

(أتوعدنى وراءَ بنى رياح ... كذبتَ لتقصُرَنَّ يداك دُونى
فنِعم الوفدُ وفدُ بنى رياح ... ونعم فوارسُ الفزَع اليقينِ
عَرينٌ من عُرَينة ليس منَّا ... برئتُ إلى عُرينة من عَرينِ
عَرَفنا جعفرًا وبنى عُبيدٍ ... وأنكرنا زعانف آخرينِ)

وزاد العينىُّ فى روايته بعد هذا بيتاً ، وهو :

(قُبيِّلةٌ أَناخَ اللـؤمُ فيها ... فليس اللؤمُ تاركَهم لحينِ)

وسبب هذا، على[2] ماحكاه محمدبن حبيب : أنَّ جريراً لمَّا هجا

---

(١) فى حاشية ش : « قوله العرنى هكذا وجد بخط المؤلف ، وصوابه العرينى » . ولا وجه له فإن حذف الياء فى مثل هذا قياس . انظر سيبويه ٣ : ٣٣٩ والأشمونى ٤ : ١٨٦ .

(٢) على ، ساقطة من ش .

غسَّان السَّلِيطِيَّ ، وهو سَليط بن الحارث بن يربوع ، وكان خالَ فضالة[١] أَحدِ بنى عَرين بن ثعلبة بن يربوع ، قال فَضَالةُ لجرير : أَتهجُو خالى ، أَمَا والله لأَقتلنَّك ! فقال جريرٌ هذه الأَبيات .

وقوله : « أَتُوعِدُنى » الخ ، الهمزة للإنكار ، ووراءَ بمعنى ، خَلْفَ . ورِياح بكسر الراءِ بعدها مثناة تحتيَّة ، هو رياح بن يربوع بن حَنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تَميم . وبنوهُ هم : همَّام ، وهَرْمىٌّ[٢] ، وحِميرىّ ، وزيد ، وعبد الله ، ومُنقِذ ، وجابر .

وقولهُ :«فنعم الوفدُ» إلخ . الوفد: الجماعة. والفزع : الخوف ، وإنَّما وصفه باليقين لأَنَّ المدح إنما يكون لمن يُغيثُ عند الخوف المتيقَّن ، لا الخوفِ المتوهَّمِ أَو المظنون .

وقوله : « عَرين من عُرينة » الخ ، عَرين بفتح العين وكسر الراءِ :هو عَرين ابن ثعلبة بن يربوع ، وهو مبتدأ وخبرُه من عُرينة . وهو بضم العين وفتح الراءِ ، وهو بطن من بَجيلة ، من قبائل اليمن ، وهو عُرينة بن قَسْر بن عَبقَر بن أَنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن زيد ابن كَهْلان . وبجيلة هى أُمُّ عبقر ، وهى بجيلة بنت سَعد العشيرة ، وهى أُمُّ جماعةٍ كلٌّ منهم بطن، بها يعرفون . وجملة ليس منا ، خبر ثان ، أَو مستأْنفة . يريد إنَّ عَريناً قحطانى لا عدنانى ، وإنَّما نفاه عن نسبه وجعله قحطانيًّا نكاية فى فَضالة ، فإنَّه من ولد عرين .

وقوله : « برئت إلى عُرينةَ » إلخ . قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) :

---

(١) ش : « وكان خاله » فقط .

(٢) ضبطه فى الاشتقاق ٢٢١ بقوله : « منسوب إلى الهرم ، والواحدة هرمة ، وهو ضروب من الحمض » .

الأَصل برئت إليه منه ، فأَناب الظاهرَين عن الضميرين لإيضاح المتبرَّأ منه من المتبرَّأ إليه ، ولأَنّ إيقاع البراءة على صريح اسم عرين أَبلغ .

وقال العينى : يقال برئ إليه بمعنى برئ له ، لأَنَّ إلى تجيء مرادفة للاَّم . ويجوز أن تكون إلى للغاية ، والمعنى برئت من عَرين منتهياً إلى عُرينة ، فيكون إلى عرينة حال . هذا كلامه .

وقوله : «عرفنا جعفراً وبنى أَبيه» أَى إخوته ، وهم جعفر وجَهْوَر وعبيد . وكذا عرين أَخوهم لكنَّه نفاه منهم ، وجميعهم أَولاد ثعلبة بن يربوع . وثعلبة[1] هو أَخو كليب بن يربوع . وجرير من أَولاد كليب ، فرياح وثعلبة وكليب إخوة . وروى :

* عرفنا جعفراً وبنى عُبيد *

وقوله : « وأَنكرنا زعانف » إلخ . نا فاعل ، وزعانف مفعوله . وهذا تعريض بفضالة من بنى عرين بأَنه من الملحَقِين والأَتباع ، لا من الصَّريح الخالص النَّسب . وزعانف : جمع زِعنِفة بكسر الزاى والنون وسكون العين بينهما . قال محمد بن حبيب : الزَّعانف: الأَتباع ، واحده زِعنِفة ، وهو من زعانف الثوب : أَهدابه التى تَنُوس منه . وكذلك لئام الناس ورُذَالهم إنَّما هم من أَطراف الأَديم وأَخبثِه . وآخرين : صفة لموصوف محذوف ، أَى قوم آخرين ، كذا قال الشارح المحقق . ٣٩٢

وترجمة جرير تقدَّمت فى الشاهد الرابع من أَوّل الكتاب[2] .

* * *

---

(١) ط : « وثعلب » ، صوابه فى ش .
(٢) الخزانة ١ : ٧٥ - ٧٧ .

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الخمسمائة [١] :

٥٨٠ (نَضَّر اللهُ أعظُماً دَفَنوهـا بسجستانَ طلحةَ الطَّلَحَاتِ)

على أنَّ السماع والاستعمال فى نحو طلحة ، وهو كلُّ علم مذكَّر مختوم بالهاء ، جمعُه بالألف والتاء ، ولم يسمع جمعُه بالواو والنون .

وقد بسط ابنُ الأنبارىِّ الكلامَ على هذه المسأَلة (فى مسائل الخلاف) فلا بـأْس بـإيراده ، قال :

ذهب الكوفيُّون إلى أنَّ الاسم الذى آخره تاءُ التـأْنيث إذا سمِّى به رجلٌ يجوز أن يجمَع بالواو والنون، نحو : طلحة وطلْحُون. وإليه ذهب ابن كيسان إلَّا أنَّه يفتَحُ اللام [٢] فيقول : طَلَحون بالفتح ، كما قالوا أَرَضون حملاً على أَرضات . واحتجَّ الكُوفيُّون بـأَنَّه فى تقدير جمع طلح ، لأنَّ الجمع قد تستعمله العرب على تقدير حذف حرفٍ من الكلمة ، قال الشاعر :

* وعقبة الأَعقابِ فى الشهر الأَصمّْ *

فكَسَّره على مالا هاء فيه . وإذا كانت الهاءُ [٣] فى تقدير الإسقاط جاز جمعه بالواو والنون . ويدلّ لنا أَنَّا أَجمعنا على أَنَّه لو سمِّى رجل بحمراء أَو حُبلى جمع بالواو والنون . ولا خلافَ أَنَّ مافى آخره أَلفُ التـأْنيث أَشدُّ تمكناً فى التـأْنيث مما فى آخره تاءُ التـأْنيث ، لأَنَّ أَلف التـأْنيث صِيغت الكلمة عليها ولم تُخرج الكلمةَ من التذكير إلى التـأْنيث ، وتاءُ

---

(١) الإنصاف ٤١ ، وابن يعيش ١ : ٤٧ ، والهمع ٢ : ١٢٧ ، وديوان ابن قيس الرقيات ٢٠ .
(٢) ش : « بفتح اللام » ، وأثبت مافى ط والإنصاف .
(٣) ط : « وإذا كان » ، وأثبت مافى ش والإنصاف .

التأْنيث ما صِيغت الكلمة عليها وأَخرجَت الكلمةَ من التذكير إلى التأْنيث. ولهذا المعنى قام التأْنيث بالأَلف فى منع الصرف مقام شيئين، بخلاف التأْنيث بالتاء. فإذا جاز أَن يُجمع بالواو والنون ما فى آخره أَلف التأْنيث، وهى أَوكد من التاء، فلأَنْ يجوز فيما آخره التاء كان ذلك من طريق الأَولى.

وأَمَّا ابن كيسان فاحتجَّ على ذلك بأَنَّه إنَّما جوَّزنا جمعه بالواو والنون لأَنَّ التاءَ تسقط فى الطلحات، فإذا سقطَتْ وبقى الاسم بلا تاء جاز جمعه بالواو والنون كقولهم: أَرض وأَرضون. وكما حرِّكت العين فى أَرَضُون بالفتح حملاً على أَرَضات، فكذلك حركت العين من الطَّلَحون حملاً على الطَّلَحَات، لأَنَّهمْ يجمعون ما كان على فعْلة من الأَسماءِ دون الصفات، على فَعَلات بالتحريك.

وقال البصريون: لا يجوز هذا الجمع. والدليل على امتناعه أَنَّ نحو طلحة فيه علامة التأْنيث، والواوُ والنونُ علامة التذكير، فلو قلنا إنَّه يجوز الجمع بالواو والنون لأَدَّى إلى أَن يُجمَع فى اسم علامتان متضادَّتان، وذلك لايجوز. ولهذا إذا وصفُوا المذكَّر بالمؤنَّث فقالوا رجل رَبْعة جمعوه رَبَعاتٍ بلا خلاف، ولم يقولوا رَبْعون. والذى يدلُّ على صِحَّة هذا القياس أَنَّه لم يسمع من العرب فى جمع هذا الاسم[1] إلاَّ بالأَلف والتاء كقولهم فى طلحة: طَلَحات، وهُبيرة: هبيرات[2]. ولم يسمع عن أَحدٍ من العرب أَنَّهم قالوا الطَّلَحون. فإذا كان هذا الجمع

---

(١) فى جمع هذا الاسم، ساقط من ش. وبعده فى الإنصاف: «أو نحوه».

(٢) ط فقط: «وهبيرات».

مدفوعاً[١] من جهة القياس ، معدوماً من جهة النقل ، وجب أن لايجوز .

وأمَّا قولهم إنَّه فى التقدير جمع طَلْح ففاسد ، لأَنَّ الجمع إنَّما وقع على جميع حروف الاسم ، وتاءُ التأْنيث من جملته ، فلم ننزعها عنه قبل الجمع وإنْ كان اسماً لمذكر ، لئلَّا يكون بمنزلة ما سمِّى به ولا علامة فيه . فالتاءُ فى جمعه مكانَ التاءِ فى واحدِه .

وأَما ما استشهدُوا به من قولهم :

* وعُقبة الأَعقاب فى الشهر الأَصَمّ *

فهو مع شذوذه وقلَّته لا تعلُّق له بما وقع الخلاف فيه ، لأَنَّ جمع التصحيح ليس على قياسِ جمع التكسير ليُحمَل عليه .

وأَمَّا قولهم : إذا أَجمعنا على جمع نحو حمراءَ وحُبلى علمين بالواو والنون . قلنا : إنَّما جاز لأَن أَلف التأْنيث يجب قلبها إلى بدل ، لأَنَّها صيغت الكلمة عليها ، فتنزَّلتْ منزلة بعضِها ، فلم يفتقر لعلامة تأْنيث الجمع[٢] بخلاف التاءِ فإنَّه يجب حذفها إلى غير بدل ، لأَنَّها ماصيغت عليها الكلمة ، وإنَّما هى بمنزلة اسمٍ ضُمّ إلى اسم ، فجعلت علامة تأْنيث الجمع عوضاً منها .

وأَمَّا قولُ ابن كَيسان : إنّ التاءَ تسقط فى الطلحات فإذا سقطت جاز الجمع ، ففاسد ، لأَن التاءَ وإن كانت محذوفَةً لفظاً إلَّا أَنَّها ثابتة تقديراً ، لأَنَّهم لمَّا أَدخلوا تاءَ التأْنيث فى الجمع حذفوا هذه التاءَ التى كانت فى الواحد ، لأَنَّهم كرهوا أَن يجمعوا بين علامتَىْ تأْنيث . وكان

---

(١) ط فقط : « مرفوعاً » بالراء .

(٢) ش : « فلم يفتقر بعلامة تأنيث الجمع » ، والذى فى الإنصاف : « فلم تفتقر إلى أن تعوض بعلامة تأنيث الجمع » .

حذف الأُولى أَوْلَى لأَنَّ فى الثانية زيادةَ معنى ، فإِنَّ الأُولى تدلُّ على التأْنيث فقط ، والثانية تدلُّ على التأْنيث والجمع ، وهى حرف إعراب ، فحذف الأُولى بمنزلةِ ماحُــذف لالتقاءِ الساكنين ، فإِنَّه وإن كان محذوفاً لفظاً إِلَّا أَنَّه ثابت تقديراً .

والذى يدلُّ على فساد ما ذهب إليه من فتح العين من الطَّلَحون أَنَّ هذا الجمع يسلم فيه نظم الواحد فى حروفه وحركاته ، والفتحُ يُدْخِل فى جمع التصحيح تكسيراً .

فأَمَّا قوله : إنَّ العين حرِّكت من أَرَضون بالفتح حملاً على أَرَضات. قلنا : لا نسلم ، وإنَّما غُيِّر فيه لفظ الواحد ، لأَنَّه جمعٌ على خلاف الأَصل ، لأَنَّ الأَصل فى هذا الجمع أن يكون لمن يعقل ، ولكنَّهم لمَّا جمعوه بالواو والنون غيَّرُوا فيه نظمَ الواحد تعويضاً عن حذف تاءِ التأْنيث فيه ، تخصيصاً له بشىء لا يكون فى سائر أَخَواته ، مع أَنَّ هذا التعويض تعويضُ جواز لا تعويضُ وجوب . أَلَا ترى أَنَّهم لايقولون فى جمع شمس شَمْسون ولا فى جمعَ قِدْر قِدْرون ؟ فلمَّا كان هذا الجمع فى أَرض على خلاف القياس أُدخِل فيه ضربٌ من التغيير[١] ، فأَما إذا جُمع من يعقل بالواو والنون فلا يجوز أن يجعل بهذه المثابة ، لأَنَّ جمعه بحكم الأَصل ، فلا يجوز أَن يدخله تغيير .

ويخرج على هذا حذف التاءِ وفتح العين من طلحات . أَمَّا حذف التاءِ فلأَنَّ التاءَ الثانية صارت عوضاً عنها لأَنَّها للتأْنيث . وأَمَّا أَنتم فحذفتم من غير عوض ، فبان الفرق .

وأَمَّا فتح العين فلأَجل الفصل بين الاسم والصِّفة ، فإِنَّ ما كان

(١) ش فقط : « فإذا جمع » .

على فَعْلة من الأَسماء فإِنَّه يفتح منه العين ، نحو : جَفَنات وقَصَعات . وما كان صفةً فإنَّه لا يُحرَّك منه العين نحو صَعْبات . وأَما جمع التصحيح فلا يدخله [شيءٌ[١]] من هذا التغيير ، سواءٌ كان اسماً أَو صفة . فبان الفرق بينهما . والله أَعلم .

انتهى كلام ابن الأَنبارىّ مختصراً .

واعلم أَنَّ فتح عين فعلة الاسمىِّ فى الجمع واجبٌ ، ويجوز تسكينه فى الضرورة كما يأْتى فى بابه . ومنه قول البحترىّ[٢] :

٣٩٤ وكيف يَسوغُ لكم جَحدُه وطلحتُكم بعض طَلْحاته[٣]

خلافاً لأَبى العلاءِ المعرّى (فى شرحه) فإِنَّه زعم أَنَّه غير ضرورة .

وقوله : (طلحة الطلحات) روى بالجرِّ والنصب . قال أَبو حيان (فى تذكرته) : حكى الكسائىُّ والفراءُ عن العرب هذا البيتَ بخفض طلحة على تكرير الأَعظَم ، أَى أَعظُم طَلْحةِ الطلحات . وما اختلفوا فى جواز نصب طلحة بالردِّ على الأَعظُم والحمل على إعرابها . انتهى .

وجعل ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) الجرَّ من الضرورة . قال : ومنه حذف المضاف من غير أَن يُقام المضافُ إليه مُقامه ، نحو قوله :

* بسجستان طلحة الطلحات *

فى رواية من خفض طلحة ، يريد أَعْظُمَ طلحة الطلحات ، فحذف

---

(١) التكملة من ش ، والإنصاف ٤٤

(٢) ديوان البحترى ١ : ٩٨ هندية و ١ : ٤٧٥ الصيرفى . يقوله فى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

(٣) يريد بطلحة الأول طلحة بن طاهر بن الحسين الخزاعى أمير خراسان . ويشير بالطلحات إلى طلحة الطلحات ، وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى .

المضاف الذى هو أعظُم، لدلالة أعظُم المتقدِّم الذكر عليه ، ولم يُقِم المضافَ إليه وهو طلحة مقامه ، بل أبقاه على خفضه . انتهى .

وقال ابن برِّىٍّ (فى شرح أبيات الإيضاح) : والأشبه عندى أن تخفضه[١] بإضافة سجستان إليه ، لأنَّه كان أميرها . انتهى .

وقول أبى حيان : نَصب طلحة بالرّد على الأعظُمَ يعنى البدليَّة . وزعم بعضُهم أنَّه بدل كلٍّ من بعض ، وزاد هذا القسم فى الأبدال . والصحيح أنَّه بدلُ كلٍّ من كلّ ، بِجعل أعظُم من قبيل ذكر البعض وإرادة الكلّ ، بدليل المعنى .

وقال ابن السيد البطليوسى (فى أبيات المعانى) : من نصب طلحة فَعلى إضمار أعنى ، لأنَّه نبَّه عليه بضرب من المدح لما تقدَّم من الترحُّم عليه . وذهب آخرون فى نصبه إلى حذف حرف الجر ، كأنَّه أراد رحم الله أعظماً دفنوها لطلحة[٢] ، فلمَّا حذف الجار نصب . وقد دَفع[٣] قومٌ النصب، وأنشدوه بالجر على تقدير مضاف ، كأنه فى التقدير : أعظم طلحة الطلحات، ثم حذف الثانى لدلالة الأول عليه . وهذا شاذٌّ ، يقلُّ فى كلامهم حذف الجار مع بقاءِ عمله . انتهى .

طلحة الطلحات

وطلحة الطلحات هو أحد الأجواد المشهورين فى الإسلام ، واسمه طلحة بن عبد الله بن خَلَف الخُزاعى . وأُضيف إلى الطلحات لأنَّه فاق فى الجود خمسة أجواد اسم كلٍّ واحدٍ منهم طلحة ، وهم طلحة الخير ،

(١) ط : « يخفضه » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) ط : « بطلحة » ، صوابه فى ش .
(٣) ط : « رفع » بالراء ، صوابه من ش .

وطلحةُ الفياضُ ، وطلحةُ الجودِ ، وطلحة الدَّراهم ، وطلحة النَّدى . وقيل كان فى أَجداده جماعةٌ اسمُ كلٍّ طلحة . كذا قال ابن الحاجب (فى شرح المفصل) .

وقال إبراهيمُ الوَطواط (فى كتاب الغرر والخصائص الواضحة[(١)]) : قيل سمِّى بذلك لأَنَّه كان أَجودَهم ، وقيل لأَنَّه وهب فى عامٍ واحدٍ أَلفَ جارية ، فكانت كلُّ جارية منهن إذا ولدت غلاماً تسمِّيه طلحة على اسم سيِّدها . وذكر الطَّلحَات الخمسة ، وهم طَلْحة بن عبيد الله التميمى، وهو طلحة الفياض ، وطلحة بن عُمر بن عبيد[(٢)] الله بنَ مَعْمَر التميمىّ أَيضاً ، وهو طلحة الجود . وطلحة بن عبد الله بن عَوف الزُّهرى ، أَخى عبد الرحمن بن عوف ، وهو طلحة النَّدى . وطلحة بن الحسن بن على ابن أَبى طالب ، وهو طلحة الخير . وطلحة بن عبد الرحمن بن أَبى بكر الصديق ، ويسمى طلحة الدَّراهم . وطلحة بن عبد الله بن خلَف الخُزاعى وهو سادسهم المشهور بطلحة الطَّلحَات . انتهى .

وقال ابن بَرّىّ (فى شرح أَبيات الإيضاح) : سُمِّى طلحةَ الطلحات بسبب أُمه ، وهى صفية بنت الحارث بن طَلحة بن أَبى طلحة ، وأَخوها طلحة بن الحارث ، فقد تكنَّفه الطلحات كما ترى ، ففُصل بهذه الإضافة من غيره من الطَّلحات . وكانوا ستَّة . انتهى .

---

(١) كذا فى النسختين ، وإنما هو « غرر الخصائص الواضحة ، وعرر النقائص الفاضحة » .

(٢) ط : « طلحة بن عمرو بن عبد الله » . وفى غرر الخصائص ١٦٨ : « طلحة بن عمر ابن عبد الله ». وأثبت مافى جمهرة أنساب العرب ١٢٧ والأغانى ٤ : ١٠٧ / ١٠ : ٥٦ . وبه صحح فى نسخة ش . وفى الأغانى ١٠ : ٥٥ أن رملة بنت عبد اللهبن خلف كانت تحت عمربن عبيد الله ابن معمر وولدت منه ابنه طلحة الجود . وانظر نوادر المخطوطات ١ : ٧٨ وجمهرة أنساب العرب ١٤٠ .

وكان والى سجستان ، وبها مات .

قال الزمخشرى (فى أمثاله) : قال سحبان بن وائل البليغ المشهورُ فى طلحة الطلحات :

ياطلحَ أكرمَ من مَشَى حسباً وأعطاهُ لتالدْ[١]
منك العطاءُ فأعطِنى وعلىَّ حمدُك فى المشاهدْ[٢]

فحكَّمه فقال : فرسُك الوَرْد ، وقصرُك بزَرَنْج ، وغلامك الخبّاز[٣] وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة : أُفٍّ لك ، لمْ تسأَلْنى على قدرى وإنَّما سأَلتنى على قدْرك ، وقدْرِ قبيلتك باهلة ! والله لو سأَلتَنى كلَّ فرسٍ وقصرٍ وغُلامٍ لى لأَعطيتك ! ثم أَمر له بما سأَل وقال : والله مارأَيتُ مسأَلةَ محكَّمٍ أَلأَمَ منها .

قال ياقوت (فى معجم البلدان) : سجستان : ناحيةٌ كبيرة وولايةٌ واسعة . ذهب بعضُهم إلى أَنّ سجستان اسمٌ للنَّاحية ، وأَنَّ اسم مدينتها زَرَنج ، بتقديم المعجمة على المهملة ، وبينها وبين هَراة عشرة أيام ، ثمانون فرسخاً[٤] وهى جنوبىّ هراة . وأَرضُها كلُّها رملة سَبِخة ، والرِّياح فيها لا تسكُن أَبداً ، ولا تزال شديدة تُديرُ رُحِيِّهم ، وطحنُهم كلُّه على تلك الرُّحِيِّ . وهِى من الإقليم الثالث ، وفيها نخلٌ كثير وتمر .

---

(١) فى بعض نسخ الزمخشرى : « وأعطاهم » . المستقصى ١ : ٢٨ .

(٢) فى بعض نسخ المستقصى : « وعلى مدحك » .

(٣) المراد بالخباز : الطاهى الذى يجمع بين الخبز والطهو . وانظر حواشى الحيوان ٥ : ٤٥٧ — ٤٥٨ من الطبعة الثانية .

(٤) ط فقط : « وثمانون فرسخاً » ، وما أثبت من ش يطابق ما فى معجم البلدان .

(ونضَّر) بمعنى حسَّن . والمشهور : (رحم الله أعظما) .

صاحب الشاهد

والبيت أوّل قصيدةٍ عدَّتُها أربعة عشرَ بيتاً لِقيس الرُّقيات[١] ، رثى بها طلحة الطلحات وبعده :

(كانَ لا يحرِمِ الخليلَ ولا يَعْـ ـتلُّ بالبخْل ، طيِّبَ العَذِراتِ
سَبِط الكفِّ بالنوال إذا ما كانَ جودُ البخيل حَبْسَ العِداتِ)

(فى الزاهر) لابن الأنبارى ، قال الأصمعى : العَذِرة : فناءُ الدَّار. والعَذِرات : أفنية الدور . وكانوا فيما مضى يطرحون النَّجاساتِ فى أفنية دورهم ، فسمَّوها باسم الموضع ، وكذلك الغائط هو عند العرب ما اطمأَنَّ من الأَرض ، وكانوا فيما مضى إذا أَراد الرجلُ قضاءَ حاجته طلبَ الموضعَ المطمئنَّ من الأَرض ، فكثُر هذا ، حتَّى سمَّوا الحدثَ باسم الموضع . وكذلك الكنيف فى كلام العرب : الحظيرة التى تُعمل للإبل فتكنُفُها من البرد ، فسمَّوا ما حظروه وجعلوه موضعاً للحدث بذلك الاسم ، تشبيهاً به . انتهى .

وقد تقدَّمت ترجمة قيس الرقيات[٢] فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد الخمسمائة[٣] .

* * *

وأنشد بعده :

(فما وجَدَتْ بناتُ ابنَىْ نزار حَلائلَ أَسودينَ وأَحمرينا)

(١) فى حواشى ش بخط ناسخها : « هكذا بخط المؤلف ، وصوابه ابن قيس الرقيات » .
(٢) كذا فى ط . وفى ش : « ترجمة الرقيات » . وانظر الحاشية السابقة .
(٣) الخزانة ٧ : ٢٨٤ — ٢٩٠

على أنَّ ابن كيسان استدَّل بهذا البيت على جواز جمع أحمر وأسود بالواو والنون ، وهو عند غيره شاذ .

والبيت قد تقدَّم شرحُه مفصَّلاً فى الشاهد الرابع والعشرين من أوائل الكتاب[(١)] .

* * *

وأنشد بعده :

* (وقائلةٍ خَولانُ فانكِحْ فتاتَهُمْ) *

على أنّ (فانكح) عند الأخفش خبر المبتدأ الذى هو خولان ، والفاءُ زائدة فى الخبر ، وعند سيبويه غير زائدة ، والأصل عنده : هذه خولان فانكح فتاتهم .

والمصراع صدرٌ وعجزُه :

* وأُكرومة الحيَّيْن خِلوٌ كماها * ٣٩٦

وتقدَّم الكلام عليه مستوفًى فى الشاهد السابع والسبعين من باب المبتدأ[(٢)] .

وخولان : حىٌّ من أحياء اليمن .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س[(٣)] :

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٨ – ١٨١ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥٥ – ٤٥٧ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٦ . وانظر سيرة ابن هشام ٥٠ والمقتضب ٢ : ٧٢ وابن الشجرى ١ : ٧٤ والإنصاف ٦٢٣ وابن يعيش ٨ : ١٥٧ والمقرب ٥٩ والمغنى ٥٣٣ والعينى ٤ : ٤٣ ، والتصريح ٢ : ٣٤٩ والهمع ١ : ٧٢ / ٢ : ٦١ والأشمونى ٤ : ١٨

٥٨١ (إنَّكَ إنْ يُصْرَعْ أخوك تُصرَعُ)

على أنَّ إلغاءَ الشَّرطِ المتوسِّط بين المبتدإ والخبر ضرورة ، فإنَّ جملة (تصرع) خبر إنَّ ، والجملة دليلُ جزاءِ الشرط ، وجملة الشرط معترضةٌ بين المبتدإ والخبر .

ويأتى الكلام عليه إن شاءَ الله تعالى فى الجوازم[1] .

صاحب الشاهد

والبيت من رجز لعمرو بن خُثارِمٍ البَجَلىّ ، وهو :

أشعار الشاهد

(ياأَقرع بنَ حابِسٍ ياأَقرعُ ... إنِّى أَخوك فانظُرَنْ ماتصنعُ

إنَّك إن يصرعْ أَخوك تصرعُ ... إنِّى أنا الداعى نزاراً فاسمعُوا

فى باذخ من عزٍّ مجدٍ يَفْرَعُ ... به يَضُرُّ قادرٌ وينفعُ

وأَدفعُ الضَّيمَ غداً وأَمنعُ ... عزٌّ أَلدُّ شامخٌ لا يُقمَعُ

يتبعُه النَّاس ولا يُستتبَعُ ... هل هو إلاَّ ذَنبٌ وأَكرُعُ

وزَمَعٌ مُؤْتَشَبٌ مجمَّعُ ... وحسبٌ وَغْلٌ وأَنفٌ أَجدعُ)

قال ابن الأَعرابى (فى نوادزه) : كان جرير بن عبد الله البَجَلىُّ تنافَرَ هو وخالدُ بن أَرطاةَ الكلبىُّ إلى الأَقرع بن حابس ، وكان عالِمَ العرب فى زمانه .

والمنافرة : المحاكمة ، من النَّفَر ، لأَنَّ العرب كانوا إذا تنازعَ الرجُلان منهم وادَّعى كلٌّ واحدٍ أَنَّه أَعزٌّ من صاحبه تحاكما إلى عالم ، فمن فضَّل منهما قَدَّم نفَرَهُ عليه ، أَى فضَّل نفرَه على نفره .

---

(١) الخزانة ٣ : ٦٤٣ بولاق بعد الشاهد ٦٩٠ .

فقال الأقرع : ما عندك ياخالد ؟ فقال : ننزل البَرَاح ، ونَطعُن بالرِّماح ، ونحن فتيان الصَّباح[١] .

فقال : ما عندك ياجرير ؟ فقال : نحن أهل الذَّهب الأصفر ، والأحمر المعتَصَر[٢] ، نُخيف ولا نَخافُ ، ونُطعِم ولا نَستطعِم . ونحن حىٌّ لَقَاحٌ ، نُطعم ما هبَّت الرِّياح . نُطعِم الدَّهر ، ونصوم الشهر[٣] ونحن ملوك القَسْر[٤] .

فقال الأقرع : واللاتِ والعُزَّى ، لو نافرتُ قيصرَ ملكَ الرُّوم ، وكِسرى عظيمَ الفرس ، والنُّعمانَ ملكَ العرب ، لنُفِّرتُ عليهم . وروى : « لنُصِرتُ عليهم » .

فقال عمرو بن خُثارم البَجَلىُّ هذه الأُرجوزة فى تلك المنافرة .

وقوله : (ياأقرع بن حابس) هو من الصَّحابة رضى الله عنهم ، وكانت هذه المنافرة فى الجاهليَّةِ قبل إسلامه . والصَّرْع : الهلاك .

ونزار هو أبو قبيلة ، وهو نزار بن معدِّ بن عدنان .

والباذخ : العالى ، يقال جبلٌ باذخ بمعجمتين . والمجد : العظَمة والشَّرف . ويَفْرَع ، أى يعلو كلَّ عزٍّ ومجد . يقال :فرعت قومى ، أى علوتهم بالشَّرف ونحوه . وهو بالفاءِ ومهملتين .

---

(١) الصباح ، بالباء الموحدة : الغارة . وهى أكثر ماتكون فى الصباح . وفى النسختين : « الصياح » بالياء ، تصحيف . وهم ينسبون فرسانهم إلى الصباح ، ومنه قول لبيد فى رثاء عمه :

يا عامراً ياعامر الصبـــــاح ومـــدره الكتيبة الرداح

(٢) فى النسختين هنا : « المعتصر » . ، وسيأتى بعد قليل بلفظ « المعصفر » . والأحمر : النبيذ ، والخمر . وفى تفسير البغدادى التالى : « والأحمر المعتصر هو الخمر » .

(٣) فى رواية أخرى ستأتى : « نطعم الشهر ، ونضمن الدهر » . انظر ٣٦٨ بولاق .

(٤) القسر : القهر والغلبة . ط : « ونحن الملوك لقسر » . والوجه من ش .

والألدُّ: الأشدّ . ولدّه يلُدُّه : غلبه فى الخصومة . والشامخُ : المرتفِع . ويُقمَع : أى يُقهَر ويُذَلّ ، يقال قمعه بالقاف والميم فانقمع .

وقوله : « هل هو » الضمير لخالد بن أرطاة الكلبى . والأكرُع : جمع كُراع بالضم ، وهو مُستدَقُّ الساق ، استعاره لأسفل الناس ، كالذّنَب .

والزَّمَع بفتح الزاى والميم ، هو رُذال الناس . يقال هو من زَمَع الناس ، أى مآخير . هم والمؤتشَب ، بفتح الشين ، قال (فى الصحاح) : وفلان مؤتشَبٌ ، أى مخلوط غير صريح فى نسَبه .

٣٩٧

والوَغْل بفتح الواو وسكون المعجمة . قال (فى الصحاح) : والوغل : النَّذْل من الرجال . وأجدع بالجيم والدال المهملة : مقطوع الأنف .

وقوله : « ننزل البَراح » بفتح الموحَّدة والحاء المهملة : المكان الذى لا سُترة فيه من شجر وغيره ، وهو منزل الكرماء .

وقوله : « والأحمر المعتصَر » هوالخمر .

وقوله : « حىٌّ لَقَاح » بفتح اللام بعدها قاف ، قال (فى الصحاح) : يقال حىٌّ لَقَاح للذين لايَدِينون لِلملوك ، أو لم يصبْهم فى الجاهلية سِباء .

جرير بن عبد الله البجلى

وجرير بن عبدالله البجلى صحابى ، وكان جميلاً . قال عمر [رضى الله عنه] : هو يوسف هذه الأمّة . وقدَّمه عمر فى حروب العِراق على جميع بَجيلة ، وكان لهم أثرٌ عظيم فى فتح القادسيَّة . ثم سكن جريرٌ الكوفةَ ، وأرسله علىٌّ [رضى الله عنه] رسولاً إلى معاوية ، ، ثم اعتزل الفريقين وسكن قرقِيساءَ حتّى مات ، سنة إحدى ، وقيل أربع وخمسين.

وفى الصحيح أنَّه صلى الله عليه وسلم بعثه إلى ذى الخَلَصة فهدَمها .

وفيه قال: «ما حَجَبنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منذُ أسلمت ، ولا رآنى إلاَّ تبسَّم» . كذا (فى الإصابة) لابن حجر .

وخالد بن أرطاةَ الكلبىُّ جاهلى .

والأَقرع بن حابسٍ صحابىٌّ . قال ابن حجر (فى الإصابة) : هو الأَقرع بن حابس بن عِقال بن محمد بن سُفيان التَّميمىُّ المُجاشِعى الدَّارِمى . قال ابن إسحاق : وفد على النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مكَّةَ وحُنيناً والطائِفَ ، وهو من المؤلَّفة قلُوبهم . وقد حَسُن إسلامه .

الأقرع بن حابس

وقال الزُّبير (فى النسب) : كان الأَقرع حَكَماً فى الجاهليَّة ، وفيه يقول جرير ، وقيل غيره ، لمَّا تنافرَ إليه[1] هو والفُرافصة أَو خالدُ بن أرطاة :

يا أَقرعَ بن حابس ياأَقرع إنَّك إنْ يُصرعْ أخوك تُصرعُ

قال ابن دُريد : اسم الأَقرع بن حابس فِراس ، وإنَّما قيل له الأَقرع لِقَرَع كان برأْسه . وكان شريفاً فى الجاهلية والإِسلام .

وروى ابن شاهين أنَّه لما أَصاب عُيينةُ بنُ حصنٍ بنى العنبر ، قدِم وفدُهم . فذكر القصة وفيها : فكلَّم الأَقرع بن حابس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى السَّبْى . وكان بالمدينة قبلَ قدوم السَّبْى . وفى ذلك يقول الفرزدق يفخر بعمِّه الأَقرع :

وعندَ رسول الله قام ابنُ حابس بخُطَّة أُسوار إلى المجد حازمِ[2]

---

(١) فى الإصابة : «لما سافر إليه» ، وما هنا صوابه .

(٢) وكذا فى الإصابة . والأسوار ، بكسر الهمزة وضمها : الجيد للرمى بالسهام ، ولاوجه له هنا ولا يستقيم مع قوله «إلى المجد» والوجه : «سوار إلى المجد» كما فى ديوان الفرزدق ٨٦٢ أى متوثب إليه .

له أطلق الأَسرى التى فى قيودها مُغلَّلةً أعناقُهـا فى الشكائمِ[(١)]

عمرو بن خثارم

وأما عمرو بن خثارم البجلى فهو جاهلى ، والله أعلم .

هذا على وجه الاختصار ، وأمَّا على وجه البسط فهو ماأورده أبو محمد الأَعرابى (فى فُرحة الأَديب) قال : أَملى علينا أبو الندى قال :

منافرة جرير البجلى وخالد بن أرطاة

كان سبب المنافرة بين جرير بن عبد الله البَجَلى وبين خالد بن أَرطاة بن خُشَين بنَ شَبَث الكلبىّ ، أَنَّ كلباً أصابت فى الجاهلية رجلاً من بَجيلة يقال له مالك بنُ عتبة ، من بنى عاديةَ بن عامر بن قُداد[(٢)] ، فوافَوْا به عُكاظ ، فمرَّ العَادىُّ بابن عَمٍّ له يقال له القاسم بنُ عَقيل بن أَبى عمرو بن كعب بنُ عُرَيج بن الحويْرث بن عبد الله بن مالك بن هلال بن عادية بن عامر بن قُداد ، يأْكل تمراً ، فتناول من ذلك التمر شيئاً ليتحرَّم به ، فجذبه الكلبى ، فقال له القاسم : إنَّه رجلٌ من عشيرتى ! فقال : لو كانت له عشيرةٌ منعته ! فانطلق القاسم إلى بنى عمِّه بنى زيد بن الغوث ، فاستتبعَهُم ، فقالوا : نحنُ منقطِعون فى العرب ؛

٣٩٨

وليست لنا جماعة نقوَى بها ، فانطلَقَ إلى أَحمَسَ[(٣)] فاستتبعَهُم . فقالوا: كلَّما طارت وَبَرة من بنى زيد فى أَيدى العرب أَردنا أَن نتبعَها !

---

(١) ش « مغلغلة » ، وصححها الشنقيطى « مغللة » كما فى الإصابة والديوان . ورواية الديوان :

له أطلق الأسرى التى فى حباله مغللة أعناقها فى الأداهم

والأداهم : القيود ، لسوادها . أما الشكائم فهى لجم الحديد المعترضة فى أفواه الخيل .

(٢) هو عامر بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار . جمهرة أنساب العرب ٤٧٤ ، والاشتقاق ٥١٩ .

(٣) فى النسختين : « إلى آخر » ، والصواب ماأثبت ، وهم بنو أحمس بن الغوث بن أنمار ، من بطون بجيلة . الجمهرة ٤٧٤ . وسيأتى ذكرهم فى الخبر . وفى حواشى ش : « هكذا بخط المؤلف : آخر ، والصواب أحمس » .

فانطلقَ عند ذلك إلى جرير بن عبد الله البجلى فكلَّمه ، فكان القاسم يقول : إنَّ أوَّلَ يوم أُرِيتُ فيه الثيابَ المصبَّغة والقبابَ الحُمر ، اليومُ الذى جئتُ فيه جريراً فى قَسْر ، وكان سيِّدَ بنى مالك بن سعد بن زيد ابن قَسر ، وهم بنو أبيه . فدعاهم فى انتزاع العادىِّ من كلب ، فتَبعوه فخرج يمشى بهم ، حتَّى هجم على مَنازلِ كلبٍ بعكاظ ، فانتزع منهم مالكَ بنَ عُتبة العادىّ ، وقامت كلبٌ دونه ، فقال جرير : زعمتم أنَّ قومه لايمنعونه . فقالت كلب : إنَّ رجالنا خُلوفٌ : فقال جرير : لو كانوا لم يدفعوا عنكم شيئاً . فقالوا : كأنَّك تستطيل على قُضاعة ، إنْ شئت قايسناكُم المجدَ ! وزعيم قضاعة يومئذ خالد بن أرطاة بن خُشَين ابن شَبَث . قال : ميعادنا من قابلٍ سوقُ عكاظ .

فجمَعت كلبٌ وجمعت قَسرٌ ووافَوْا عكاظ من قابل ، وصاحبُ أمر كلب خالدُ بن أَرطاة، فحكَّموا الأَقرعَ بنَ حابس بن عِقال بن محمّد بن سفيان بن مُجاشع ، حكَّمه جميعُ الحيَّين، ووضعوا الرُّهون على يدَىْ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فى أَشرافٍ من قريش. وكان فى الرُّهُنِ من قسرٍ :الأَصرمُ بن عوفِ بن عُويف بن مالك بن ذُبيان بن ثعلبة بن عمرو بن يَشكر بن علىّ بن مالك بنِ سَعد بن نَذير بن قسر . ومن أَحمس[1] :حازمُ ابن أبى حازم ، وصخر بن العُلبة . ومن بنى زيد بن الغوث بن أنمار رجلٌ . ثم قام خالد بن أرطاةَ فقال لجرير : ما تجعل ؟ قال : الخطَر فى يدِك . قال : ألف ناقة حمراءَ فى ألف ناقة حمراءَ . فقال جرير : ألف قينة عذراءَ فى ألف قينة عذراءَ، وإنْ شئت فألف أُوقيَّة صفراءَ لألف أُوقيَّة صفراءَ . قال: من لى بالوفاء ؟ قال : كفيلك اللاتُ والعُزَّى،

(١) ط : «أحمر» ، صوابه فى ش . وانظر الحاشية السابقة .

وإسافٌ ونائلة ، ويَعوقُ وذو الخَلَصة ونَسْر ، فَمنْ عليك بالوفاءِ ؟ قالَ: وَدٌّ ومَناة ،وقَلْس ورُضَا . قال جرير : لك بالوفاءِ سبعون غلاماً مُعِمًّا مُخوِلاً ، يوضعون على أيدى الأكْفاءِ من أهل الله[١] . فوضعوا الرُّهن من بَجيلة ومن كلب على أيدى مَنْ سمَّينا من قريش ، وحكَّموا الأَقرعَ بن حابس ، وكان عالِمَ العرب فى زمانه ، فقال الأَقرع : ماعندك ياخالد ؟ فقال : ننزل البَرَاح ، ونطعُن بالرماح ، ونحن فتيان الصَّباح[٢] ! فقال الأَقرع : ماعندك ياجرير ؟ قال : نحن أهلُ الذهَب الأَصفر ، والأَحمر المعْتَصَر[٣] ، نخيف ولا نخاف ، ونُطعِم ولانستطعم . ونحن حيٌّ لَقاح ، نُطعِم ما هبَّت الرِّياح ، نُطعم الشَّهر ، ونضمن الدَّهر ، ونحن ملوك القَسْر[٤] ! فقال الأَقرع : واللاتِ والعزَّى لو فاخرتَ قيصر ملكَ الروم ، وكسرى عظيمَ فارس ، والنُّعمان ملكَ العرب ، لنفَّرتُك عليهم ! وأَقبل نُعيم بن حجبة النمرى ، وقد كانت قَسرٌ ولدته ، بفرسٍ إلى جرير ، فركبه جرير من قِبَل وحشيِّهِ ، فقيل : لم يحسن أن يركب الفرس ! فقال جرير : الخَيلُ مَيامن ، وإنَّا لا نركبُها[٥] إلاَّ من وجوهها .

وقد كان نادى عَمْرُو بنُ خُثارم أحد بنى جُشَمَ بن عامر بن قُداد فقال :

---

(١) أهل الله ، هم قريش ، كانوا يسمون بذلك فى الجاهلية . انظر أول ثمار القلوب للثعالبى .

(٢) ش : « الصياح » صوابه بالباء ، كما فى ط .

(٣) ش : « المعصفر » ، صوابه فى ط . وانظر ماسيأتى من تفسير البغدادى .

(٤) ط : « الملوك لقسر » ش : « الملوك قسر » ،والوجه ما أثبت . وانظر ماسبق فى ص ٢١ .

(٥) ط : « لانركب » ، وأثبت ما فى ش .

لا يُغلَبُ اليومَ فتًى وَالاَكُما ... يابنَىْ نزار انصُرا أخاكُما
إنَّ أبى وجدتُه أباكمـا ... ولم أجد لى نسباً سواكُما
غَيثُ ربيعٍ سَبِط نداكمـا ... حتَّى يحُلّ الناسُ فى مَرعاكُما
أنتم سرورُ عَينِ من رآكمـا ... قد مُلئتْ فماترى سواكُمـا

٣٩٩

قد فاز يومَ الفخر من دعاكما ... ولا يعُـدُّ أحدٌ حَصاكُما
وإنْ بنَوْا لم يدركوا بناكُما ... مجـدًا بناهُ لكما أباكُما
ذاك ومَنْ ينصرُهُ مِثْلاكمـا ... يوماً إذا ماسُعِّرت نارَاكُمـا

وقال أيضاً :

يا لنَزار قد نَمَى فى الأَخشَبِ ... دعـوةُ داعٍ دعوةَ المثوِّب[١]
يا لَنزارِ ثَمّ فاسعَىْ واركـبى ... يا لنَزار ليْس عنكمْ مذهبى
إن أباكمْ هو جدِّى وأبى ... لم يُنصَرِ المولى إذا لم تغضبى
يا لنزار إنَّنى لم أكـذب ... أحسابكم أخطرتُها وحَسَبى[٢]
ومن تكونوا عِزَّه لا يغلبِ ... ينمى إلى عزٍّ هِجانٍ مُصعَبِ

كأنَّه فى البُرْج عند الكوْكبِ[٣]

وقال أيضاً :

يا أقرعَبنَ حَابس يا أقــرعُ ... إنِّى أخوكَ فانظُرَن ماتصنعُ

(١) الأخشبان : الجبلان المطيفان بمكة ، وهما أبو قبيس والأحمر ، وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان . قال ياقوت : « وقد تفرد هذه التثنية فيقال لكل واحد منهما : الأخشب ».

(٢) أخطرنى فلان : صار مثلى فى الخطر والشرف .

(٣) بعده فى ش مع علامة إلحاق ، حاشية نصها : « هذان الشطران مما أورده أبو محمد الأعرابى ، ولم يوردهما المؤلف » . والعبارة الملحقة هى :

«وقال أيضاً :

يالنزار دعـــوةً صبـــاحاً ... قد فاضح الأمرُ بنا فِضاحا »

إنَّك إن يُصرع أخوك تصرعُ ... إنى أنا الدَّاعى نزارًا فاسمعوا
لى باذخٌ من عزِّهِ ومَفرَعُ[(١)] ... به يضـرُّ قـادر ويَنفـعُ
وأدفعُ الضيمَ غـدًا وأمنـع ... عـزٌّ ألدُّ شـامخ لا يُقمَـع
يتْبعه النَّاسُ ولا يُستتبَـعُ ... هـل هـو إلَّا ذَنَبٌ وأكرُعُ
وزَمَـع مُـؤْتشَبٌ مجمَّـعُ ... وحسَبٌ وغلٌ وأنفٌ أجـدعُ

وقال أيضاً :

يا أقرع بن حابس يا أقـرعُ ... إنك إنْ تَصْرَع أخاك تصرعُ[(٢)]
إنى أنا الداعى نزاراً فاسمعوا ... فى باذخ من عزه ومَفْـرَعِ[(٣)]
قمْ قائِماً ثُمَّتَ قلْ فى المجمعِ ... للمرءِ أرطَاةِ أيَا ابنَ الأفدعِ[(٤)]
ها إنَّ ذا يومُ علاً ومجمَعُ ... ومنظـرٌ لمن رأى ومسـمعُ

فنفَّره الأقرع بمضَر وربيعةُ ، ولولاهم[(٥)] نفَّر الكلبىُّ .

وكانت القرابةُ بين بجيلةَ وولدِ نزار : أنَّ إراش بن عمرو بن الغَوث ابن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، خرج حاجًّا ، فتزوَّج سلاَمة بنتَ أنمار بن نزار ، وأقام معها فى الدار بغَور تِهامة ، فأَوْلدها أنمارَ بنَ إراشٍ ورجالا ، فلما توفِّىَ إراش وقَع بين أنمار بن إراش وإخوته اختلافٌ فى القسمة ، فتنحَّى عن إخوتِهِ ، وأقام إخوتُه[(٦)] فى الدار مع أخوالهم . وتزوج أنمار بن إراش بهند

---

(١) المفرع بالراء ، من فرع فلان فلاناً : علاه : ط : « ومفزع » صوابه فى ش .
(٢) رسمت هذه الكلمة فى ش لتقرأ بالياء والتاء معاً فى الموضعين .
(٣) ط : « ومفزع » . وانظر ما سبق من تحقيق . وفى الشطر وما بعده إقواء .
(٤) ش : « الأقرع » ، وأثبت ما فى ط . وقد سبق فى الخبر أن صاحب أمر كلب هو خالد بن أرطاة .
(٥) ط : « ولولاه » .
(٦) ط : « عن أخويه وأقام أخويه » ، تحريف ما أثبت من ش .

بنت مالك بن غافق بن الشاهد ، فولدت أَفتَل وهو خثعم ، ثم توفِّيت فتزوَّج بَجيلةَ بنت صَعب بن سعد العشيرة ، فولدت له عبقراً[(١)] ، فسمَّته باسم جدِّها وهو سعد ولقِّب بعبقر ، لأَنَّه ولد على جبل يقال له عبقر . وولدت أَيضاً الغَوث ، ووادِعة ، وصُهَيبَة ، وحَزِيمة ، وأشهل ، وشَهلاء ، وسُنَيَّة ، وطَرِيفاً ، وفَهْماً ، وخُدَعة ، والحارث . انتهى ما أَورده أَبو محمد الأَعرابىّ . ٤٠٠

وظهر أَنَّهما أُرجوزتان على قافية العين ، أُولاهما مرفوعة والثانية مجرورة .

والشاهد إنَّما يتأَتَّى على الأُولى . وقد روى أَيضاً :

* إنَّك إن تصرع أَخاك تُصْرَعوا *

بالجمع ، يريد الأَقرع وقومَه . وعلى هذا لاشاهد فيه كالرجز الثانى .

* * *

وأنشد بعده :

(الحافظو عورةَ العَشيرةِ لا يأْتِيهمُ مِنْ ورائنا وكَفُ)

على أَنَّه تحذف نون الجمع للضَّرورة كما هنا ، والأَصل : الحافظون عورة العشيرة .

وهذا على رواية نصب عورة . أَمَّا على رواية خفضها فالنُّون حذفتْ للإِضافة .

وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلاً فى الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين[(٢)] .

---

(١) ط : « عبقر » .
(٢) الخزانة ٤ : ٢٧٢ - ٢٨٣ .

والوكف ، بفتح الواو والكاف ، وروى بدله : « نَطَفُ » بفتح النون والطاء المهملة ، وكلاهما بمعنى العَيْبِ .

* * *

وأنشد بعده :

(وحاتمُ الطائىُّ وهَّابُ المئى)

على أَنَّه حذف تنوين (حاتم) لالتقاء الساكنين . والمئى أَصله المئين حذفت النون لضرورة الشعر ، كحذف التنوين .

وقد تقدَّم الكلام عليه مستوفىً فى الشاهد الرابع والأَربعين بعد الخمسمائة[١] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثَّمانون بعد الخمسمائة[٢] .

٥٨٢(زعمَتْ تُماضِرُ أَنَّنى إمّا أَمُتْ يَسدُدْ أُبَينُوها الأَصاغرُ خَلَّتى)

على أَنَّ جمع (أُبينوها) شاذٌّ ، كما بيَّنَه الشارح المحقق .

وملخَّصه : أَنَّه إِمَّا جمعُ أُبَيْنٍ مصغر أَبْنَى كأَعمى[٣] .

وإما جمع أُبَين مصغَّر أَبْنٍ بفتح الهمزة[٤] ، وهو جمع ابنٍ بكسرها .

وإمّا جمع أُبَينٍ مصغر ابن ، بجعْل همزة الوصل قطعاً .

وإما مصغَّر بَنيينَ على غير قياس . فهذه أَقوال أَربعة.

---

(١) الخزانة ٧ : ٣٧٥ — ٣٧٩ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٤٣ : ٦٩ والقالى ١ : ٨١ وابن يعيش ٩ : ٥ ، ٤١ والهمع ٢ : ٦٣ والحماسةبشرح المرزوقى ٥٤٧ ، وبشرح التبريزى ٢ : ١٢١ والأصمعيات : ١٦ .

(٣) ابن الشجرى : « فهو اسم سموا به الجمع ولم ينطقوا به ، ولكن لما سمع تصغيره دل على أن المكبر أفضل » .

(٤) فى الرضى ٢ : ١٧٠ : « كأدل جمع دلو » .

قال أبو على (فى بابٌ من الجمع بالواوِ[١] والنون، من كتاب الشعر):
قال الشاعر[٢] :

إنْ يك لا ساءَ فقد ساءَنى   تركُ أُبَيْنِيكَ إلى غير راعْ[٣]

لا يخلو قولهم أُبينون فى تحقير أبناءٍ من أن يكون مقصوراً من أفعال، أو يكون تحقير أفعُل ، أو يكون اسماً صيغ فى التحقير .

ولا يجوز أن يكون مقصوراً من أفعال ، لأنَّ أفعالاً لم يُقْصَر فى موضعٍ غير هذا ، فلا يستقيم أن يدَّعى فيه شىء ولا نظير له وقد خولف فيه . ولم يجىء فى شىء كما جاءَ أسد وأُسد ونحوه .

ولا يستقيم أن يكون تحقير أفعُل ، وإن كان أفعُل مثل أفعال فى أنَّ كلَّ واحدٍ منهما للعدد القليل .

فإن قلت : أوَ ليس قد قالوا: صبىٌّ وصِبْية ، وغلام وغِلمَة ، وقالوا فى التصغير: أُصيبِيَة وأُغيلمة ، وأفعلة من فِعلة كأفعُل من أفعال فى أنَّ كلَّ واحدٍ جمع أدنى العدد، جاءَ التكبير على أحدهما ووقع التحقير على الآخر. وكذلك أُبينون ، وإلى هذا يذهب بعض البغداديين .

فالجواب : لا يستقيم أن يكون هذا على أفعُل وإنْ كان ما ذكرتَ من أدنى العدد يقوم مقام الآخر لدخول الواو والنون وهماً فى أنَّه للعدد القليل، مثل البناءِ المبنىِّ له، فلا يستقيم ، إذ لم يُنقَل لحاق الواو والنون له ، كما لا يجتمع الحرفان لمعنًى واحد فى الكلمة . ألا ترى أنَّك إذا جمعتَ ٤٠١

(١) ط : « من الجمع الواو » ، صوابه فى ش .
(٢) هو السفاح بن بكير اليربوعى . المفضليات ٣٢٣ ، ٣٢٤ .
(٣) فى المفضليات : « من يك لا ساء » .

اسماً فيه علامة التأنيث بالألف والتاء أزلتَها بالحذف أو القلب . فكما أزلتَ العلامة فلم تجمعْ بينهما ، كذلك لا يستقيم أنْ تجمع بين الواو والنون وبين بناء أدنى العدد ، لاجتماع شيئين لمعنًى واحد فى الكلمة . فإذا لم يستقم ذلك علمتَ أنَّه صيغ فى التحقير ، كما قال ، كأنَّك حقَّرت أَبْنَى[١] مثل أَعمَى .

فإن قلت فمن أبيات الكتاب :

قد شَربَتْ إلاَّ دهيدِهينا قُلَيِّصاتٍ وأُبَيْكرينا[٢]

فالقول فى ذلك أنَّه ضرورة . وكأَنَّ الذى استهواه أَنّ أَفعُل جمعٌ من أَبنية الجموع القليلة ، وقد جاء ضربان منه بالتاء فهو أَفعِلة وفِعلة ، فلمَّا وافقتها أَفعُل فى القلة وكان تأْنيث الجمع قائماً فيه قدِّر أَنَّ التاءَ فيه تلزم ، فقدِّر فيها التأْنيثُ كما جاءَ فى البناءَين الآخرين[٣] ،فلمَّا لم تثبت عوِّض منها كما عوِّض من العلامة التى ينبغى أن تثبت فيها ، فقال أُبَيْكِرين كما قيل أَرَضُون . فإذا كان كذلك لم تجتمع علامتان لمعنىً . أَلاَ ترى أَنَّ الياءَ كأَنَّها عوض من علامة التأْنيث ، كما أَنَّها فى أَرضين كذلك . وأَمَّا أَبينون فإذا لم تكن فيه ضرورةٌ وكان التصغير قد يصاغ فيه الأَسماءُ التى لا تكون فى التكبير نحو عُشَيْشَة وأُنيسَان[٤] كذلك تحمل أَبنَى[٥] على هذا النحو دون أَفعُل ، فيلزم فيه اجتماع

(١) فى النسختين : « ابنا » . وانظر سيبويه ٢ : ١٢٥ بولاق و ٣ : ٤٥٦ هارون .

(٢) سيبويه ٢ : ١٤٢ بولاق و ٣ : ٤٩٤ هارون .

(٣) ش : « أن التاء فيه تلزم الآخرين » فقط .

(٤) إذ أن المكبر إنما هو عشية وإنسان ، والمصغر منهما عشيشية وأنيسيان .

(٥) فى النسختين : « ابنا » كما سبق .

شيئين بمعنًى . وأمّا الدُّهيدهينا فيشبه أن يكون لمّا حذف حرف اللين الذى كان يجب إثباته شُبِّه ذلك بعلامة التأْنيث من حيث الحذف ، فجعَل الواو والنون عوضاً من ذلك كما جعلها عوضاً من علامة التأْنيث . انتهى كلامُ أبى علىّ .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : ذهب سيبويه إلى أنَّ الواحد المكبَّر من هذا الجمع أبنَى على وزن أفعَل مفتوح العين ، بوزن أعمى ، ثم حقِّر أيضاً[1] فصار أُبَينٍ كأُعيمٍ ، ثم جمع بالواو والنون فصار أُبينون، ثم حذفت[2] النون للإضافة فصارت أُبينوها .

وذهب الفراءُ إلى أنَّه كُسِّر ابناً[3] على أفعُل مضموم العين ، ككلب وأكلُب .

ويذهب البغداديون فى هذه المحذوفات إلى أنّها كلَّها سواكنُ العين. فأُبينٍ عندهم كأُدَيلٍ ، كما أنَّ أبنٍ ذلك المقدَّرَ عندهم كأَدْلٍ . وكأنَّ سيبويه إنّما عدل إلى أن جعل الواحد من ذلك أفعَل اسماً واحداً مفرداً غير مكسَّر لأمرين :

أحدهما : أنَّ مذهبه فى ابنٍ أنَّه فِعْل ، بدلالة تكسيرهم إيّاها على أفعال ، وليس من باب فَعْل أو فُعْل .

والآخر : أنَّه لو كانَ أفعُل لكان لمثال القلَّة ، ولو كان له لقبح جمعه بالواو والنون . وذلك أنَّ هذا الجمع موضوعٌ للقلَّة فلا يُجمَع بينه

---

(١) أيضاً ، ليست فى ش ولا فى تنبيه ابن جنى .
(٢) فى التنبيه : « ثم حذف » .
(٣) هذا ما فى التنبيه لابن جنى . وفى النسختين : « ابنى » ، تحريف .

وبين مثال القلّة ، لئلاّ يكون ذلك كاجتماع شيئين لمعنًى واحد ، وذلك مرفوضٌ فى كلامهم . ورأى مع هذا أنّه قد جاءَ فى أَسماء الجموع المفردة غير المكسَّرة ما هو على أَفعَل مفتوح العين ، وهو ما أنشده أبو زيد من قوله :

ثم رآنِى لا أَكـونَنْ ذبيحـةً وقد كثُرت بين الأَعَمِّ المضائضُ[1]

كذا رواه الأَعَمّ بفتح العين، ومثله أَثـأَبة وأَثـأَب، وأَضحاة وأَضحَى . وهذه أَسماءٌ مفردة غير مكسَّرة . وكذلك أَرْوَى ، وله نظائر . واعتصَمَ الفراءُ فيما ذهب إليه بقول الشّاعر :

قـد رَوِيتْ إلاَّ دُهيـدِهينـا قليِّصـاتٍ وأُبيكـرينا

٤٠٢ فهذا تحقير أَبكُر ، وهو مثال القلّة كما ترى، وقد جمع بالواو والنون . وكان يروى « الأَعُمّ » بضم العين ، فهذا عنده كصَكٍّ وأَصُكّ ، وضبٍّ وأُضُبٌّ . وكيف تصرَّفت الحال فرواية أَبى زيد فى النفوس بحيث لا ريب[2] .

وأَمَّا قوله :

مَن بك لا ساءَ فَقد ساءَنى تَركُ أُبينيكَ إلى غير رَاعْ[3]

فيحتمل أمرين : أَحدهما أَن يكون الياء فيه علمَ الجمع ، كالواو

(١) فى النسختين : « ثم وافى » ، تصحيحه من النوادر ٦٢ . وقبله :

فـإن أبـاها مقسم بيمينـه لئن نبضت كفى وإنى لنابض

(٢) بين هذا الكلام وتاليه كلام طويل فى تنبيه ابن جنى .

(٣) انظر نسبة البيت والكلام عليه فيما سبق . وفى ط : « راعى » . صوابه فى ش . والبيت من قصيدة مقيدة بالسكون ، مطلعها :

صلى عـلى يحـيى وأشـياعه رب غفـور وشفيـع مطاع

فى قوله أُبينوها . والآخر : أنّه واحدُ الأَبْنَيْنَ[١] على ماتقدَّم من الخلاف فيكون على قول صاحب الكتاب تحقير ابنَى كأعمى ، وعلى قياس قول الفرّاء تحقير أَبنٍ كأَدلٍ ، فيكون اللام ياء[٢] . انتهى .

واقتصر ابن الشجرى (فى أماليه) على مذهب سيبويه ، قال : وأَشكلُ ما فى هذا الاسم وهو أَبنٍ قولهم فى جمعِ مصغَّره أُبينون فى هذا البيت . لا يجوز أن يكون أُبينون جمعاً لمصغَّر ابن ، لأَنَّه لو كان كذلك لقيل بُنيُّون . ولا يجوز أن يكون جمعاً لمصغَّر أَبناءٍ ، لأَنَّه لو كان كذلك لقيل أُبَيناءونَ . ولو أرادوا هذا لاستغنَوْا بقولهم أُبَيْنَاءُ عن جمعه بالواو والنون . وإذا بطل الأَول والثانى فإنَّ قولهم : أُبينون جمعٌ لتصغير اسم للجمع ، وليس بجمع ، ولكنَّه كنَفَرٍ ورَهْط ، وهو مما قدَّروه ولم ينطقوا به . ومثاله أَبنَى مقصور بوزن أعشى ، ثم حقِّر فصار إلى أُبينٍ مثل أُعيش، ثم جمع فقيل أُبينون ، وأصله أُبينيون، ففُعل به ما فُعل فى القاضون . انتهى .

وبقى مذهبٌ خامسٌ نقله الخطيب التَّبريزى (فى شرح هذا البيت من الحماسة) عن أَبى العلاء المعرى قال : زعَم أبو العلاء أنَّ أُبينوها تصغير أبناءٍ . ولمَّا ذكر سيبويه هذا الجمَع عبَّر بعبارةٍ تُوهم أنَّه جمع أَبنَى على أفعَل ثم صُغِّر، كما يقال أعشى وأُعيشٍ والجمع أُعيشون . وإنَّما أراد أن الأَلف التى فى أَبناءٍ وبعدها الهمزة تحذف ، فيصير تصغيرُه كتصغير أَفعل . كأَنَّ أبا العلاء يريد أنَّ مكبَّر هذا الجمع أَبنَى على وزن أَفعَل مفتوح العين بوزن أَعمى ، ثم حقِّر فصار أُبينٍ كأُعيمٍ ، ثم جمع بالواو

---

(١) هذا ما فى التنبيه . وفى ط : « الأبينيين » ، وفى ش : « الأبينين » .
(٢) فى التنبيه : « فتكون الياء لاماً » .

والنون فصار أُبينون ، ثم حذفت النُّون للإضافة . وكان الأَصل أبناءً على أَفعال ، فالهمزة لام الكلمة ، وهى منقلبةٌ مِن واو ، فلمَّا حذفت الأَلف من أَفعال رجعت اللام إلى ما كانت فصارت ألفاً فى آخر الكلمة ، فصار أَبنَى كأَعمى ، ثم صغِّر على ما تقدَّم .

قال : ويحسن أن يقال : جمع ابناً على أفعُل ، لأَنَّ أَصله فَعَل كما يقال زَمَنٌ وأَزمن ، ثم صغَّره وجمعه . وقال قوم : إنَّما أَراد بنَيُّون ، وابن من ذوات الواو ، فنقلها إلى أَوّل الاسم ، ثم همزها للضمّة ، كما قالوا وجوه وأُجوه . فقوله أُبينُوها على هذا تصغير أَبنَى مقصوراً عند البصريين ، وهو اسمٌ صيغ للجمع كأَروى وأَضحًى ، فهو على أَفعَل بفتح العين . انتهى .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ عدَّتها أَحدَ عشر بيتاً لسُلمىّ بن ربيعة[1] من بنى السِّيد بن ضَبَّة ، أوردها أَبو تمام (فى الحماسة) وهى :

أبيات الشاهد

(حَلَّت تُماضِرُ غَربةً فاحتلَّتِ … فَلْجاً وأَهلُك باللِّوى فالْحِلَّةِ
وكأَنَّ فى العينين حبَّ قَرنفُل … أَو سُنبلاً كُحِلَت به فانهلَّتِ
زعمتْ تماضرُ أَنَّنى إمَّا أَمُتْ … يَسدُد أُبينوها الأَصاغرُ خَلَّتى
تربتْ يداكِ وهل رأَيتِ لقومه … مثلى علَى يُسرى وحينَ تَعلَّتى[2]
رجلاً إذا ما النائباتُ غشِينَه … أَكفَى لمعضلةٍ وإنْ هى جلَّتِ
ومُناخ نازلةٍ كَفَيتُ ، وفارسٍ … نهِلَتْ قناتى من مَطَاه وعلَّتِ
وإذا العذارَى بالدُّخَان تقنَّعتْ … واستعجلَتْ نصبَ القدورفمَلَّتِ

٤٠٣

(١) انظر ما كتبت فى تحقيق اسمه وفى نسبة هذه الأبيات فى حواشى شرح الحماسة للمرزوق ٥٤٦ .

(٢) ش : « تعلت » ، صوابه فى ط والحماسة .

دارت بأَرزاق العُفاة مَغالقٌ بيدىّ من قَمع العِشار الجِلّةِ
ولقد رأَبْت ثأْى العشيرةِ بينَها وكفيت جانيَهَا اللّتيا والّتى[١]
وصفحتُ عن ذى جهلِها ورَفدتها
نُضْحِى ولم تُصِبِ العشيرَةَ زَلّتى[٢]
وكفيتُ مولاىَ الأَحمَّ جريرتى وحَبست سائمتى على ذى الخَلّة)

وقد روى هذه القصيدةَ القالىُّ (فى أماليه) ، وأبو الحسن الأخفش (فى شرح نوادر أبى زيد) كما نقلناها .

قوله : «حلّت تُماضر غَربَةً» الخ . قال الإمام المرزوقى : تماضر : امرأته ، وكانت فارقتْه عاتبةً عليه فى استهلاكه المالَ ، وتعريضِه النفسَ للمَعاطب ، فلحقتْ بقومها ، فأَخذ هو يتلهّف عليها ويتحسّر فى أثرها وأثر أولاده منها ، فيقول : نزلَتْ هذه المرأَةُ بعيدةً منك فاحتلّت فلْجًا وأهلُكَ نازلون بين الموضعين . وهذا الكلام توجُّعٌ . وفَلْجٌ : على طريق البصرة . والْحِلّة : موضع من الحزن ببلاد ضَبّة . واللّوى : رمل متّصل به رقيق[٣] . وبين المواضع التى ذكرها تباعد . فإنْ قيل : لم قال حلّت ثم قال احتلّت[٤] ؟ قلت : نبّه بالأَوّل أَنّها اختارت البعد مِنه والتغرُّب عنه ، وبالثانى الاستقرار ، فكأَنّه قال : نزلَتْ فى الْغَربة[٥] فاستوطنت فَلْجا . وفلج بفتح اللام : بلد ، وفلج بسكون اللام : ماء . انتهى .

---

(١) سيأتى فى الشرح ص ٤٦ جواز ضبط « جانيها » بفتح الياء وإسكانها .
(٢) تضحى ، كذا وردت ، وسيتكلم فيها البغدادى . وقد جعلت فى ش « نصحى » . ومع أنه تصحيح لكنه ليس يريده البغدادى . والبغدادى سينص فى ص ٦ على أنها رواية القالى ، لكن الثابت فى الأمالى : « نصحى » بالنون ، وأراه تغييراً لرواية القالى لتساير الرواية المعروفة .
(٣) كذا بالراء فى النسختين وشرح المرزوقى .
(٤) بعده فى المرزوقى : « وهلا اكتفى بأحدهما » .
(٥) المرزوقى : « نزلت فى هذه الغربة » .

وقال الأسود أبو محمد الأعرابيّ (فى شرح الحماسة) : هذه المرأة فارقته إمّا بطلاق وإمّا مغاضبة ، فأسِف عليها . والحَلَّة بفتح المهملة وكسرها : موضعٌ حزن وصخورٌ ببلاد ضبّة . واللّوى هنا : موضعٌ بعينه . والغَرْبة ، بفتح الغين المعجمة : الأرض البعيدة . وفَلْج بالفتح والسكون : وادٍ بطريق البَصرة إلى مكّةَ ، ببطنه منازلُ للحاجّ ، وبينه وبين فَلَج ، زعموا ، مسيرةُ عشرٍ . انتهى .

وقال التّبريزيّ: قوله غَربة أى دار بعيدة[١] . والحَلّة : موضعٌ فى بلاد بنى ضبّة . وقالوا : هى حَزْنٌ ببلاد ضبة . انتهى .

وتماضر من أسماء النّساء ، قال ابن جِنّى (فى إعراب الحماسة) : التاءُ فى تماضر عندنا فاءٌ ، وإنّما لم يصرف عندنا هذا الاسم لما فيه من التعريف والتأنيث ، [لا] لأنّه بوزن فُعاعِل[٢] . فتماضر إذًا كقُراقر وعُذافر . وكذا القياس فى تاء جَمَل تُرامِز[٣] . انتهى .

والظاهر أنّ تماضر تُفاعل ، والتاءُ زائدة لا أصلٌ ، إذ هو من مَضَر . وإليه ذهب أبو العلاء المعرى (فى شرح ديوان البحترى) قال : تماضر بضم التاء وكسر الضاد ، وهو منقول من فعل مضارع ، كما سُميت المرأة تُكتَم وتُكنَى . وكان فى النسخة (أى من ديوان البحترى) قال :

---

(١) التبريزى : « أى داراً بعيدة » .

(٢) سقطت كلمة « لا » من النسختين ، وإثباتها من إعراب الحماسة الورقة ٩٣ . وفى ط : « فعاعل » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة . وابن جنى ينفى أن يكون الوزن « تفاعل » بالتاء فتمنع الكلمة من الصرف للعلمية ووزن الفعل ، ويعنى أن منعها الصرف للعلمية والتأنيث .

(٣) فى اللسان (ترمز) : « الترامز من الإبل : الذى إذا مضغ رأيت دماغه يرتفع ويسفل ، وقيل هو القوى الشديد » .

تَمَاضُر بفتح التاء وضم الضاد . وهذا غلط ، والمعروف فى أسماء النساء ما ذكرنا .

وذكر ابن السَّراجِ عن قومٍ من النحويِّين أنَّهم جعلوا تُماضر فى الأَبنية التى أغفلها سيبويه . وهذا وهم ، لأنَّ تُماضر تُفاعل من قولك ماضرتَ تُماضِر. فإمَّا أن يكون مأْخوذًا من اللبن الماضر ، وهو الحامض[1] وقيل الأَبيض، فكأَنَّه من ماضرت الرجلَ، إذا سقيته وسقاك اللبن . وإمَّا أن يكون من مُضَر ، كأَنَّه من ماضرته إذا ناسبتَه إلى مضر . انتهى.

٤٠٤

وقد تبعه تلميذُه الخطيب التّبريزى هنا ، وقال : تماضر من أَسماء النِّساء . وقد ذكرها بعض الناس فيما أغفله سيبويه من الأَبنية . وليس الأَمر كذلك ، لأَنَّ تماضر مسمَّاة بالفعل المضارع الذى هو مأْخوذ من اللبن الماضر ، وهو الحامض[2] ؛ أَوْ من قولهم: عيش مَضِر أى ناعم؛ وقيل: المضر : الأَبيض . انتهى .

وقوله : « وكأَنَّ فى العينين » إلخ ، قال المرزوقى : يقول : أَلفتُ البكاءَ لتباعُدها[3] ، فجادت العينان بإسالة دمعهما غزيراً متحلِّباً منهمَا ، فَكأَنَّ فى عينىَّ أَحدَ هذين المهيِّجين الحالبَينِ للعُيون . وقوله : « كحلت » إخبارٌ عن إحدى العينين ، وساغ ذلك لمافى العلم من أَنَّ حالتيهما لاتفترقان[4] [ومتى اجتمع شيئان فى أمر لايفترقان فيه] اجتُزِئَ بذكر أَحدِهما عن الآخر . انتهى .

---

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الحامض » التالية ، ساقط من ش .

(٢) إلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ من موضع التنبيه السابق .

(٣) وكذا فى شرح المرزوقى . وفى ط : « وتبعادها » .

(٤) هذا ما فى المرزوقى ، وفى النسختين : « من أن حالتيهما لا يفترقان فيه » ، تحريف . والكلام بعده إلى « فيه » التالية ساقط من ش .

والقَرَنفُل والسُّنْبُل من أَخلاط الأَدوية التى تُحرِق العين وتُسيل الدُّموع . وانهلَّ واستهلَّ ، إذا سال .

وقوله : « زعمت تماضر أنَّنى » إلخ . قال المرزوقى فى زعمت[١] : يتردَّد بين الشك واليقين ، وههُنا يريد به الظَّنّ . وأَنَّنى مع معموليها[٢] نائب عن مفعوليه . يقول : ظنَّت هذه المرأة أنَّه إن نزلَ بى حادثُ قضاءِ الله تعالى ، سَدَّ مكانى ورمَّ ما يتشعَّث من حالها بزوالى ، أَبناؤُها الأَصاغر . ويريد بهذا الكلام التوصُّلَ إلى الإبانة عن محلِّه ، وأنَّه لايغنى غناءه من النَّاس إلَّا القليل . يقال سدَّ فلانٌ مسَدَّ فلان وسَدَّ خَلَّته ، وناب مَنابه ، وشغل مكانه ، بمعنًى واحد[٣] . فإن قيل : كيف ساغ أن يقول يسدُدْ خَلَّتى وإذا مات لم تكن له خَلَّةٌ ؟ قلت : أضافها إلى نفسه لمَّا كان يسدُّها أيامَ حياته ، فكأَنه قال : الخَلَّة التى كنت أَسدُّها . وهذا من إضافة الشىء إلى الشىء [على[٤]] المعتاد فيهما . ومثله قولهم : شِهاب القَذْف ، فأُضيف الشهاب إلى القذف لمَّا كان من رمى الرامى . ووجوهُ الإضافات واسعةٌ كثيرة ، وكذلك متعلَّقاتها . انتهى .

وقال الأَسود : أَرتْه الاستغناء عنه بأَطفالها . وهذا يدلُّ على أنَّها غاضبةٌ وهى فى حِباله . والخَلَّة بفتح المعجمة : الفُرْجة ، والثُّلمة التى يتركها بموته . والخَلَّة : الضعف والوَهن ، والخَلَّة : الفقر . والخليل : الفقير ، والخَلَّة : الخَصْلة .

---

(١) كلمة « فى » ليست فى ش ولا فى المرزوق . وفى المرزوق : « زعم » .
(٢) المرزوق : « وأنى مع الجزاء والجواب » .
(٣) كلمة « واحد » ليست فى المرزوق .
(٤) التكلة من شرح المرزوق .

وقوله : « تربت يداكِ » إلخ هذا التفاتٌ من الغيبة إلى خطابها .قال المرزوقى فى ترب : يستعمَل فى الفقر والخيبة لا غير. وأترب يستعمل فى الغِنى والفقر جميعاً، فإذا أُريد به الغنى فالمعنى صار له من المال بعدد التراب ، وإذا أُريد به الفقر فالمعنى : صار فى التراب ، كما يقال : أسهلَ إذا صار فى السهل . وقد يجوز أن يكون مثل أَقلَّ، والمعنى صار مالكِ قليلًا من المال . وقوله : « حين تَعِلَّتى[1] » : المعنى : وحين اعتمدتُ على إقامة العلَّة لحصول الفقر[2] . وعلى هذا قوله :

* قليل ادِّخار الزادِ إلَّا تعِلَّة[3] *

أَى قـدرَ ما يقام به العِلَّة . أقبل عليها يوبِّخها ويخطِّئُ رأْيَها ، ويكذِّب ظنَّها ، ويقبِّح اختيارها ، فى إفاتة نفسِها الحظَّ منه ، ويدعو عليها بالفقر[4] والخيبة فى الرَّجَاءِ[5] فقال : صار فى يدك التراب ، وهل رأيت لقومه من يماثلنى فى حالتَى السرَّاءِ والضرَّاءِ حتَّى تُعَلِّقى مثل رجائك فىّ بغيرى إذا أخليتُ مكانى . انتهى .

وقال الأسود: أى خاب رجاؤك حين تعدلين بى أطفالا ، وقد رأيتِ الرّجال أعياهم مكانى . وتربت يداك معناه صار فى يدك التراب ، أى لك الخيبة مما أَمَّلتِ . وهى كلمةٌ تقال للمخطئ وجهَ القصد . وقوله « حين تعِلَّتى »: يريد العسر ، تعتلُّ حاله وتختلّ . وقال التِّبريزى : التعلَّة من علَّلت ، كأنَّه أَراد حين أفتقِر فأحتاج إلى العلل ، أى الحُجج ، أو إلى أن أُعلِّل

٤٠٥

(١) ط : « تعلت » ، صوابه فى ش والمرزوقى .
(٢) المرزوقى : « بحصول الفقر » .
(٣) لتأبط شراً فى الحماسة بشرح المرزوقى ٤٩٤ . وعجزه :
* فقد نشز الشرسوف والتصق المعا *
(٤) المرزوقى : « بالفقر والبأساء » كما هو عادته فى السجع .
(٥) ط : « الرخاء » ، صوابه فى ش والمرزوقى .

نفسى كما يعلّل العليل . قال ابن جنى : قوله « وحين تعلّتى » معطوف على موضع قوله يُسرِى ، أى على وقت يُسرى وحين تعلّتى .

ومثلى يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون مفعول رأيت ، فينتصب رجلًا فى البيت بعده على التمييز ، كقولك : لى مثله عبداً أى من العبيد، فيكون تقديره : مثلى من الرِّجال الذين إذا غُشُوا كَفَوْا . والآخر : أن يكون أراد هل رأيت رجلاً مثلى ؟ فلمَّا قدَّم مثلى وهو وصفٌ نكرة نصبه على الحال منها . واللام فى قوله لقومه متعلِّقة بنفس رأيت ، كقولك : رأيت لبنى فلانَ نَعماً وعبيداً . وإن جعلت مثلى مفعولَ رأيت كانت الهاءُ فى قومه له . وإن جعلته حالًا مقدَّمة فالهاءُ ارجل .

وقوله : « رجلاً إذا ما النائبات » إلخ، قال المرزوقى : رجلًا بدل من مثلى، كأنَّه قال :هل رأيتِ لقومه رجلًا أكفى للشَّدائد وإن عظُمت عند طروق النوائب وغِشيان الحوادث منِّى؟ فحذف منِّى لأنَّ المراد مفهوم . والمعضلة : الداهية الشديدة . يقال أعضلَ الأمر، إذا اشتدَّ. ويروى : « لمضْلِعة » وهى التى تضم[1] الأضلاع بالزَّفراتِ وتنفُّسِ الصُّعَداء، حتى تكاد تحْطِمها[2] .

وقوله : « ومُناخ نازلةٍ » إلخ. قال المرزوقى : أخذ يعدِّد ماكانت كِفايتُه مقسومةً فيه ، ومصروفةً إليه . ومُناخ : مصدر أنْخت . وكفَيت يتعدَّى إلى مفعولين ، وقد حذفَهما ، كأنَّه قال : كفيته العشيرةَ . يقول : رُبَّ نازلةٍ أناخت ، أنا دفعت شرَّها ، وكفيتُ قَومى الاهتمامَ بها، وربَّ فارسٍ سقيت رمحى من دمِ ظهرِهِ ، العَلَلَ بعد النَّهَل . وخصَّ الظَّهر ليُعلمَ أنَّه أدبر عنه وولَّى .

(١) فى النسختين : « تقيم » ، صوابه فى المرزوقى .
(٢) ط : « تخطمها » ، صوابه فى ش والمرزوقى .

وقوله: « وإذا العذارَى بالدّخَان » إلخ . قال المرزوقىّ : أَقبلَ يعدّد الخصال المجموعة فيه من الخير [١] بعد أن نبَّه على أَنَّه لايقوم مقامه أَحد ، فكيف من طمِعت[٢] فى نيابته عنه . يقول : وإذا أَبكارُ النِّساءِ صَبَرت على دُخان النار حتَّى صار كالقِناع لوجْهها ، لِتأثيرِ البرد فيها ، ولم تصبر لإدراك القدور[٣] بعد تهيئتها ونصبها ، فَشَوتْ فى الملَّة قَدرَ ماتعلِّل به نفسَها من اللحم ، لتمكُّن الحاجة والضُّرِّ منها ، ولإجداب الزمان واشتداد السَّنة على أَهلها — أَحسنتُ [٤] . وجواب إذا فى البيت بعده . وخصَّ العذارى بالذكر لفرط حيائهنَّ ، ولتصوُّنهنَّ عن كثيرٍ مما يَتَبذَّل فيه غيرهنّ[٥] . وجعل نصبَ القُدورِ مفعولَ استعجلت على المجاز والسعة . ويجوز أَن يكون المراد به : استعجلتْ غيرَها بنصب القدور ، أَو فى نصب القدور ، فحذف الجارّ . انتهى .

وقال الأَسود : ويروى « تلفَّعت » . واللِّفاع : المِلْحَفة . والقِناع : المِقْنَعَة . أَى غَشِين الدخان حتَّى صار لهنَّ كاللِّفاع أَو القِناع من شدَّة البرد . واستعجلت نصبَ القُدور فملَّت ، أَى أَلقت اللحم فى المَلَّة جُوعاً وضَرًا [٦] ، لم تصبِر إلى إدراك القِدر . قال التبريزى : وعلى هذا يكون وملَّت بالواو ، وغير أَبى تمام يرويه :

---

(١) من الخير ، ليست فى المرزوقى .

(٢) المرزوقى « طمع » ، وتقرأ بالبناء للمجهول .

(٣) المرزوقى : « ولم تصبر على إدراك القدور » .

(٤) هو جواب « إذا » السابقة فى السطر الثالث .

(٥) ش : « فيهن غيرهن » ، صوابه فى ط والمرزوقى .

(٦) فى النسختين : « وضر أَلم » والوجه ما أثبت . والضرى ، بفتحتين : مصدر ضرى بالشىء ضراً وضراوة : لهج به واعتاده ولم يكد يصبر عنه .

* واستبطأت نصبَ القـــدور فملَّتِ *

وقال ابن جنى : ملَّت هنا من مَلَّة النار [١] لامن الملالة ، أى بادرَتْ للضرورة الخَبْزَ قَبل القَدْر .

٤٠٦ وهذا البيت أورده البيضاوى عند قوله تعالى : ﴿ ولهم فيها أزواجٌ مطهَّرة[٢] ﴾ ، واستشهد به على جواز جمع الصفة وإفرادها فى مطهَّرة . وقرأ زيد بن على : ﴿ مطهَّراتٌ ﴾ ، وهما لغتان فصيحتان .

وقوله : « دارت بأَرزاق العُفاة » إلخ هو جمع عافٍ [٣] ، وهو كل طالب رِزق من النَّاس وغيرهم . ومغالقٌ : فاعل دارت ، وهى قِداح الميسر جمع مِغْلق ومِغلاقَ بكسرهما ، مأْخوذ من غَلِق الرَّهنُ ، لأَنَّه مَن فاز سهمه غَلِق نصيبُه فذهب به غير منازِعٍ فيه . قاله الأَسود . وقال المرزوقى : وإنَّما سُمِّيت القداح مغالق لأَنَّ الجزُر تغلَق عندها وتَهلِكُ بها . والقَمَع ، بفتحتين : قِطع السَّنام ، الواحدة قَمَعة . والعِشار : جمع عُشَراء ، وهى الناقة التى قد أَتى عليها من حملها عشرةُ أَشهر ، وتستصحب هذا الاسمَ فتسمَّى به بعد وضعها الحملَ بأَشهر . والجِلَّة بكسر الجيم : المَسَانُّ ، الواحدة جليلة . ومنه : « ماله دقيقةٌ ولا جَليلة » أى شاة ولاناقة .

قال المرزوقى : قوله أَرزاق العُفاة كلامٌ شريف ، يقول : وإذا صار الزمان كذا ، دارت القِداح فى الميسر بيدىّ ، لإقامة أَرزاق الطُّلَّاب من أَسنمة النوق المسانِّ الكبارِ الحوامل ، التى قُرب عهدُها بوضع الحمل . وكلٌّ ذلك يُضَنُّ به ويُتنافس فيه .

(١) ط : « من ملت » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة الورقة ٩٧ .
(٢) الآية ٢٥ من سورة البقرة .
(٣) ش : « عافى » .

وقال الأَسود : قوله « بيدىَّ » فيه قولان : أَحدهما : أَنَّ ذَواتِ الأَنصباءِ من القداح سبعة ، وعدد الأَيسار سبعة ، فإِذا نقص منهم واحدٌ أَخذ أَحدُ الستة قِدحَه وأَخرج من ثمن الجزور نصيبَه ، ثم جعل إِحدى يديه ضاربةً بقدح نفسه ، والأُخرى بقدح صاحبه . وإِنما أَراد بذلك التمدُّح بأَنَّه يضرب بقِدحين ، لا أَنَّه(١) يفرد لهذا يدًا ولهذا أُخرى . وإِيَّاه أَراد متمِّم بن نويرة بقوله :

بمثْنَى الأَيادى ثم لم تُلْفِ مالكا من القوم ذَا قاذورةٍ متزبِّعا(٢)

والآخر : أَنَّه أَراد : يَقرع بين إِبله أَيَّها ينحر ؟ فقال : بيدىَّ ليعلم أَنه لم يرد مقارعة إِنسان غيرِه . انتهى .

وقال بعضهم : فى البيت مبالغات : إِحداها قوله دارت ، فإِنَّه يدل على أَنَّه أَمر متكرر مرّة بعد أُخرى . ثانيها : جمعُ الرزق والعافى . ثالثها : الدَّلالة على أَنَّه غارم لا فائز . رابعها : قوله يدىّ بالتثنية . خامسها : إِيثار السَّنام الذى هو أَطيب ما فى الإِبل . سادسها : العِشَار ، وهى أَنفَسُ الإِبل عند العرب . سابعها : قمعها وتعريفها(٣) . ثامنها : أَنَّ العفاة ما لَهُم مَوئل غيره . وفيه غير ذلك .

وقوله : « ولقد رأَبْت ثَأَى العشيرة » إِلخ . قال الأَسود : رأَبْت رأْبًا : أُصلحت . والثَّأَى كالعصَا : الصَّدْع . وقد ثأَى الخرْزُ ، إِذا انخرمت خُرزتان فصارتا واحدة(٤) ، أَى ما كان بينها من نائرة أَطفأْتُ ، أَوجنايةٍ

---

(١) ط : « إلا أن » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « لم يلف » ، تحريف . ورواية المفضليات ٢٦٦ :

وإن تلقه فى الشرب لا تلق فاحشا على الكأس ذا قاذورة متزبعا

(٣) ش : « جمعها وتعريفها » .

(٤) فى اللسان : « ثأى الخرز يثأى ، وذلك أن يتخرم حتى تصير خرزتان فى موضع » .

غَرِمتْ ، وكفيت جانيها اللتيا والتى ، وهما من أسماءِ الدواهى ، واللَّتيَّا أصغر من التى ، وهى فى الأَصل تصغيرها ، ثم هما من الأَسماءِ الموصولة وحذفت صلتها . وذلك فى عِظَمِ الأَمر وشدَّته ، كأَنه قال[1] : كفيتُه التى عظُمَتْ شدَّتُها ، وتناهتْ بليَّتها . وكأَنه يريد باللَّتيا صِغارَ المغارم . أى غُرمُها فى ماله . وبالتى عظامَها ، كالدم يعقله عن القاتل ونحوه . انتهى .

وقال المرزوقى : يقول : وكما ظهر غَنائى فى تلك الأَبواب فلقد سعيت فى إصلاح ذات البين من العشيرة ، وكفيت مَن جَنَى منها الجناية الصغيرة والكبيرة ، بالمال والنفس ، والجاه والعزّ . وقوله «جانيها» إن فتحت الياءَ كان واحداً وإنْ أَدَّى معنى الجمع . وإن سكَّنت الياءَ جاز أَن يكون جمعًا سالماً ، وأَن يكون واحداً حذف فتحتها[2] .

٤٠٧

وقال ابن جنى : بينها متعلِّق بنفس الثَّأَى ، أى أَصلحت الفساد بينها . والهاءُ فى جانيها ضمير العشيرة ، أَى كفيت جانىَ العشيرةِ الداهيةَ التى جناها على نفسه . ولا يجوز أَن يكون ها ضمير اللتيا أَى جانى الداهية ، وذلك أَنَّ الجانى هو المفعول الأَوّل وهو مقدَّم فى موضعه ، فلا يجوز أَن يتعلَّق به ضمير المفعول الثانى؛ لأَنَّه إنما يتقدَّم ضمير الشىء عليه إذا كان رتبته أَن يكون بعده ، فأَمَّا أَن يتقدم ضمير الشىء عليه متعلقاً بما رتبته التقديم على صاحب الضمير فذلك تقديم الضمير على مُظهَره لفظاً ومعنًى ، وهذا عندنا غير جائز البتَّة ، وإنَّما المتجوَّز من ذلك أَن يتقدَّم الضمير على مُظهَره لفظاً على أَن يكون متـأَخِّراً عنه معنى .

(١) قال ، ساقطة من ش .
(٢) المرزوقى : «قد حذف فتحتها» .

فأمَّا تقدُّمه عليه لفظاً ومعنى فلا . ألا تُرَى : لاتقول ضرب غلامُها هنداً ، ولكن تقول ضربت غلامَها هند ، فكذلك لا يكون « ها » من جانيها ضميراً للتيا ، كما لاتجيز أعطيت مالكه درهماً » ولا كسوتُ صاحبهَا جبة ، ولكن تقول : أعطيت درهمه زيداً ، وكسوت ثوبه عَمراً . وقد يجوز مع هذا كلِّه أن تكون ها من جانيها ضميراً للَّتيَّا على حدِّما يجيزه مِنْ : أُعطِى الدرهمُ زيداً ، وأُدخل القَبرُ عَمْرًا على القلب . وعلى هذا أجازوا : مررت بالمكسوَّته جبةٌ ، ولقِيت المعطاهُ درهمٌ . فكأَنَّ اللتيا والتى على هذا هى المكفيَّة جانيها ، كما أَنَّ الجبَّة هى المكسوَّة زيداً فهو على قولك : كفيت اللتيا جانيها . فاعرفْه . انتهى ، ولنفاسته سُقناه برمَّته .

وقوله : « وصفحت عن ذى جهلها » إلخ ، قال الأَسود : أكملَ مكرمةَ صلاحِ ذات البين بما أردفه من الإغضاء على ما بدَرَ من جاهلها . أى من جَهِل منهم علىَّ صفحت عنه ولم أَجْهل عليه . وقوله : « تُضحِى » أراد تُضحى وتُمسى[1] ، فاكتفى بذكر أحدهما من الآخر . ووجهٌ آخر : خصَّ الغداة بالذِّكر لأَنَّ جُناة الشرِّ يتوخَّون به ظلام الليل إرادةَ أَن يخفى ذلك . انتهى .

وقد صحَّف هذه الكلمة وحرَّفها ، وإنَّما هى نُصحِى بالصاد المهملة[2] . قال المرزوق : يصف نفسه بالحلم معهم ومع سفهائهم[3] ، يقول : عفوت عن

---

(١) ش : « نضحى ، أراد نضحى ونمسى » .

(٢) يشير بذلك إلى رواية القالى . انظر تعقيب البغدادى على الأبيات السابقة ص ٣٧ .

(٣) ط : « سفاهتهم » ، صوابه فى ش . وفى المرزوق : « يصف نفسه بالحلم معهم ، وكظم الغيظ فيهم ، ومنع سفهائهم » .

جاهلها فلم أُؤاخذه بما بدر منه من هفوة أو زلَّة ، ثم بذلتُ نصحى لعشيرتى بمقدار جهدى ، ولم أَجرَّ عليه جريرتى[١].

وقال الأَسود : المعنى أَنَّه ليس من أَهل السَّفَه وجُناة الشر .

وقوله : «ولم تصب العشيرة زلتى» ، أَى إِنْ زلَّ ، ولا عصمةَ ، كفى نفسَه ولم يشتدَّ عليه الأَمر فيفتقرَ إلى من يَكفيه أَو يُعينه .

وقوله : « وكفيت مولاى الأَحمّ » إلخ . قال الأَسود : الأَحمّ بالمهملة هو الأَخصُّ الأَدنى ، من الحميم . وهو تفسيرٌ لقوله : « ولم تصب العشيرة زلّتى » وتـأْكيدٌ للإِكمال . يقول : إن جررت جريرةً أَغنيت فيها نفسى عن ابن عمِّى الأَدنى ، فضلًا عن الأَبعد ، وحبستُ سائمتى ، يريد السَّوام ، وهو المال الراعى . وقد سامت الماشية : دخل بعضُها فى بعض فى الرِّعْى . وهذا إغراقٌ بعد التـأْكيد، أَى حبستُها عن المرعى على ذى الخَلَّة بالفتح ، أَى الفقر ، ليختار منها على عينه ، كما قال :

* يخيَّر منها فى البوازل والسُّدْسِ[٢] * انتهى .

قال ابن جنِّى :اعلمْ أَنَّ هذا الشاعر لزم اللام قبل هذه التاء فى هذه الأَبيات، وليست بواجبةٍ من حيث كان الرَّوىُّ إنَّما هو التاء . ووجه ذلك فيما ذهب إليه قطرب: أَنَّ هذه التاء فى الفعل نظيرة الهاء فى الاسم، فكما يلزم ماقبلها فى نحو قائمة وسائمة[٣] فكذلك التُزِم[٤] ماقبلها فى

٤٠٨

(١) المرزوقى : « ولم أجر عليهم جريرتى » .
(٢) لمنصور بن مسجاح الضبى فى الحماسة ١٦٧٥ بشرح المرزوقى . وصدره :
* فطاف كما طاف المصدق وسطها *
(٣) فى إعراب الحماسة : « وسالمة » .
(٤) فى النسختين : « ألزم » ، وأثبت ما فى إعراب الحماسة .

نحو : ضَنَّتِ وحنَّتِ . نَعَمْ ، وقد يلتزم الشاعر المدلُّ مالا يجب عليه ، ثقةً بنفسه ، وشجاعةً فى لفظه . وقد ذكرت مِنْ هذا الطرز (فى كتاب المعْرِب[١]) مايتجاوز قدر الكفاية .

وسلمى بن ربيعة روى بوجهين : أحدهما : بضم السين وتشديد الياء التحتية ، قال ابن جنى (فى المبهج) : هو اسمٌ مرتجل .

وثانيهما : سَلْمَى بفتح السين والقصر ، قال أبو الحسن الأخفش : وقع فى نسختى من نوادر أبى زيد بهذا الضبط ، وحفظى[٢] بالوجه الأوَّل .

والسِّيد بكسر السين ، قال ابن جنى : السِّيد : الذئب ، الأُنثى سِيدانة بزيادة الألف والنون .

وضبة أيضاً : اسم منقول من ضبَّة الحديد ، ومن أُنثى الضب ونحوه .

سلمى بن ربيعة وسلميٌّ شاعرٌ جاهلى ، وهذه نسبته (من جمهرة ابن الكلبى) : سُلميٌّ بن ربيعة بن زبَّان ، بفتح الزاى وتشديد الموحدة ، ابن عامر ابن ثعلبة بن ذئب بن السِّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة ابن أُدٍّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان .

ومن ولد سُلميّ فى الإسلام : يعلى بن عامر بن سالم بن أبى سامىّ بن ابن ربيعة ، كان على خراج الرّىّ وهَمَذان .

ومن ولده أيضاً : المفضَّل الرواية بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم المذكور .

* * *

(١) فى إعراب الحماسة : « المعرب فى تفسير قوافى أبى الحسن » .

(٢) ط : « وحفظ » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، وكذلك نوادر أبى زيد ١٢١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه[(١)] :

٥٨٣ (قد شرِبَتْ إلَّا الدُّهيدِهِينا قُلَيِّصــــاتٍ وأُبيكرِينا)

على أَنَّ جمعَ مصغَّر (دهداه) وجمعَ مصغَّر (بكر) على ما فى البيت ، شاذٌّ.

أَنشد سيبويه هذا الرجز وقال : والدَّهداه : حاشية الإبل ، فكأَنه حقَّر دَهادِه[(٢)] فردَّه إلى الواحد وهو دهداه ، وأدخل الياءَ والنون كما تُدخَل فى أَرَضين وسنين ، وذلك حيث اضطُرَّ فى الكلام إلى أن يُدخل ياءَ التصغير . وأما أُبيكرينا فإنه جمع الأَبكُر ، ولكنَّه أَدخل الياءَ والنون كما أَدخلها على الدُّهيدِهين . انتهى .

وقد تقدم عن أَبى على فى البيت قبله مايتعلَّق به .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : وأَمَّا أُبيكرين فقد يمكن على قول سيبويه أن يقال إنَّ واحدها أَبكر ، بفتح العين فى هذا الموضع . أَلا ترى أَنَّك لم تسمع العين فى هذا البيت مفتوحة ولا مضمومة . فإن قلت : فقد سمعت فى غير هذا الموضع أَبكُر بضم العين ؟ قيل : أَجل قد سُمع هذا بضم عينه ، وغير منكَر أَنْ يكون الخروج عن الواحد مرَّةً إلى جمع مكسَّر ، وأُخرى إلى اسمٍ للجمع[(٣)] مفرد غير مكسَّر . أَلا تراهم قالوا : رجُل ورجال فكسَّروه ، ثم قالوا رَجْلة فصاغوا للجمع اسماً مفرداً . وكذلك الجمال والأَجمال ، هذا مع قولهم الجامل . فكذلك لا ينكر أن

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٤٢ والمخصص ٧ : ٦١ ، ١٣٧ واللسان (بكر ١٤٦ ومن ٣٥٢ دهده ٣٥٣) .

(٢) هذا الصواب فى ط وكتاب سيبويه . وفى ش : « دهداه » ، تحريف .

(٣) ش : « اسم الجمع » صوابه فى ط وإعراب الحماسة ٩٥ .

يكون أبكُر بضم العين جمعًا مكسَّرًا ، أو يكون واحد أُبيكرين المكبّر أبكَر بفتح العين وإن لم يسمع مكبّراً ، لكن يدلُّ عليه ما انحرف عند سيبويه[١] من اعتقاد جمع أمرين لمعنًى واحد . وهذا واضحٌ . وكذلك ينبغى أن يقال فى قول الآخر :

أَشكو إلى مولاىَ من مَولاتى   تَربِط بالحبل أُكيرِعَاتِى

وذلك أنَّ الألف والتاء موضوعان للقلَّة وضعَ الواو والنون لها ، فلايحسن أن يكون الواحد المكبّر من أُكيْرِعات أَكرِعَة ولا أَكرُعًا[٢] بِضمّ العين لانَّهما مثالا قلَّة . فعلى قياس قوله فى أُبينون[٣] ما يجب أن يقال فى الواحد المكبَّر من أُكيرعات إنَّه أكرَع ، على وزن أفعَل بفتح العين ، كالأعمى والأروى . انتهى . ٤٠٩

وقال (فى سر الصناعة) أيضاً ، عند سرد ما جمع بالواو والنون من كل مؤنَّث معنوى كأَرض ، أو مؤنَّث بالتاء محذوف اللام كثُبَة ، ما نصه :

فإن قلت : فما بالهم قالوا :

* قد رَوِيتْ إلاَّ الدُّهيدِهينا * إلخ

فجمعوا تصغير دَهداهٍ ، وهو الحاشية من الإبل ؛ وأُبيكرًا وهو جمع بَكر ، بالواو والنون ، وليسا من جنس ماذكرت ؟

(١) فى إعراب الحماسة : « ما انحرف سيبويه عنه » .

(٢) ط : « والأكرعة » ش : « ولا كرعة » ، صوابهما ما أثبت من إعراب الحماسة لابن جنى ٩٥ .

(٣) كلمة « قوله » ساقطة من ش ثابتة فى إعراب الحماسة . وما بعد هذا إلى نهاية نص ابن جنى ساقط من ش .

فالجواب : أنّ أبكرًا جمع بَكر ، وكلُّ جمع فتأْنيثه سائغٌ مستمِرّ ، لأَنَّه جماعةٌ فى المعنى . وكأَنَّه قد كان ينبغى أَن يكون فى أَبكر وأَكلب وأَعبُدٍ هاءٌ ، فيكون تقديرها أَكلُبة وأَبكُرة وأَعبُدة ، كما قالوا فى غير هذا : فِحالةٌ : جمع فحل، وذِكارة : جمع ذَكَر . فكما جاز أَن تأْتِىَ الهاءُ فى هذه الجموع كذلك جاز أَيضاً أَنْ تقدَّر[1] فى أَبكر الهاءُ، فيصير كأَنَّه أَبكرة . وقد جاءت الهاءُ فى أَفعُلٍ نفسها . قال :

بأَجريةٍ بُقعٍ عظام رءُوسها   لهنَّ إذا حرّكن فى البطن أَزمَلُ[2]

فهذا جمع جَرْو . وأَجريةٌ أَفعُلة ، فأَلحق الهاءَ فى أَفعُل .

ويدلُّك على أَنَّه أَراد أَفعُل قولُ الآخر[3] :

وتجسرُ مُجرِيةٌ لها   لَحْمى إلى أَجرٍ حَوَاشبْ

وجاز أَن تجمع فِعْلاً على أَفعُل ، وأَفْعلة[4] ، وأَفعُل لفَعْل مفتوحة الفاءِ ، من حيث كان فَعل وفِعْل ثلاثيَّين ساكنَى العينين .وقد اعتَقَبا أَيضاً على المعنى الواحد ، نحو حَجّ وحِجّ، وفَصّ وفِصّ، ونَفط ونِفط . وإذا ثبتَ أَنَّ أَفعُل من أَمثلة الجموع يجوز فى الاستعمال والقياسِ تأْنيثه ، لم يُنكَر أَن يعتقد فى أَنَّ أَبكُرًا قد كان ينبغى أَن يكون فيها هاءُ تأْنيث الجماعة، فصار إذن جمعُهم إيَّاها بالواو والنون فى قوله « أُبيكرونا » إنَّما هو عِوض من الهاءِ المقدَّرة فى أَبكُر ، فجرى ذلك مجرى أَرض فى جمعهم إيَّاها بالواو والنون فى قولهم : أَرَضون .

---

(١) ش : « يقدر » .

(٢) الأزمل : الصوت .

(٣) هو حبيب بن عبد الله ، المعروف بالأعلم الهذلى . ديوان الهذليين ٢ : ٨ وشرح السكرى ٣١٤ ، واللسان (جرا ١٥١) .

(٤) فى النسختين : « على أفعل ، وأفعل » ، وأرى الصواب فيما أثبت .

فأمَّا دُهيدِهينا فإنّ واحده دَهداه ، وهو القطعة من حاشية الإبل ، فهو نظير الصِّرمة والْهَجْمة ، فكأنَّ الهاءَ فيها لتأْنيث الفِرقة والقِطعة ، كما أنَّ الهاءَ فى عُصْبة وطائفة لتأْنيث الجماعة ، فكأنَّه كان فى التقدير : دهداهة ، فلمَّا حذفت الهاءُ فصار دهداهًا جمع تصغيره بالواو والنون تعويضاً من الهاءِ المقدَّرة . قال أبو على : وحسَّنَ أيضاً جمعَه بالواو والنون أنَّه قد حذفت ألف دهداه فى التحقير ، ولو جاءَ على أصله لقيل دهيديه[1] بوزن صلصال وصليصيل ، فواحد دهيدهينا إنَّما هو دهيدِه ، وقد حذفت الأَلف من مكبَّره[2] فكان ذلك أيضاً مسهِّلاً للواو والنون ، وداعياً إلى التعويض بهما . انتهى كلامه .

وهذا مخالفٌ لكلامه السابق تبعاً لأَبى على وغيره ، من أنَّ أُبيكرينا جمع أبكَر بفتح الكاف . وإليه ذهب يوسف[3] بنُ السِّيرافى (فى شرح شواهد الغريب المصنف) ، قال : أُبيكرينا جمع أُبيكر ، وأُبيكر تصغير أبكَر ، وأبكَر جمع بَكر ، وهو فى الإبل بمنزلة الشابّ فى الناس . وهذه العلامة لا تكون إلَّا لجمع المذكر العاقل فى الكلام ، وربَّما أدخلها الشاعرُ إذا احتاج . وتدخُل على كثير من الأَسماءِ النواقص.

٤١٠ والبيتان من رجز أورده أبو عبيدٍ القاسم بن سلام (فى الغريب المصنَّف) قال : الحاشية صغار الإبل ، والدَّهداه مثل ذلك . قال الراجز :

---

(١) ش : « دهيده » ، صوابه فى ط .

(٢) ش : « إنما هو دهيدهة ، وقد حذف الألف من مكبره » .

(٣) ش : « أبو يوسف » ، وإنما هو أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله ، المتوفى سنة ٣٨٥ . وأبوه الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيرافى ، المتوفى سنة ٣٦٨ . والذى شرح شواهد الغريب المصنف هو ولده أبو محمد ، كما فى البغية .

(ياوهبُ فابدَأْ ببنى أَبينا　　ثُمَّتَ ثنِّ ببنى أَخينا

وجِيرةِ البيت المجاورِينا　　قد رَوِيَت إلَّا الدُّهيدهينا

إلَّا ثلاثين وأَربعينا　　قُلَيِّصات وأُبيكرينا)

قال ابنُ السيرافى : نَصَبَ الدُّهيدهينا على الاستثناء . وقوله :«إلَّا ثلاثين» بدلٌ من الدهيدهينا . وقليِّصات بدل من ثلاثين . انتهى .

وجعلُهُ قليِّصات بدلاً من البدل جائز مشهور ، ولم يجعله بدلاً من الدهيدهينا لأَنَّه لم يُعرَف تعدُّدُ البدل فى غير بدل البَداء ، كما قاله أَبو حيّان وابن هشام (فى بحث إذ من المغنى) .

وكذا أَعرب شيخنا ياسينُ الحمصىُّ قولَ ابن مالك أَوّلَ الأَلفية :

* أَحمد ربى اللهَ خيرَ مالك *

فجعل خير بدلاً من الجلالة لا من الرَّبّ[١] قال : وأَمَّا دعوى الدَّمامينى الجوازَ، أَخذاً من كلام ابن الحاجب (فى الأَمالى) فاشتباه؛ لأَنَّ ابن الحاجب قال فى الكلام على آية غافر : الأَحسن أَنَّ ﴿ ذى الطَّوْل[٢] ﴾ بدل ثان من المبدل الأَوّل . فقال الدَّمامينىُّ : فيه دليل بيِّنٌ على جواز تعدُّد المبدل منه . انتهى .

وابن الحاجب لم يقل من المبدل منه ، بل قال من المبدل، يعنى البدل . انتهى .

---

(١) ط : « رب » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) فى الآية الثالثة من سورة غافر .

وقوله : « يا وهب » هو اسم راعٍ يسقى الإبل . وأبينا وأخينا كلاهما جمع أب وأخ . (وقليِّصات) بكسر الياء المشددة جمع مصغَّر قلوص، وهى الناقة الشابَّة . وقد روى بدل « شربَتْ»: « رَوِيَتْ » ، و« نَهِلَتْ » .

وهذا الرجز مع كثرة الاستشهاد به لم يعرف قائلُه . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الخمسمائة[(١)] :

٥٨٤ (ولى دُونَكمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَملَّسٌ
وأَرقَطُ زُهلولٌ وعَرفاءُ جَيْأَلُ)

على أنَّ أهلاً وإن كان غير علمٍ لمذكَّر عاقل ولا صفةٌ له ، لكنَّه جمعه هذا الجمع لتنزيله هذه الوحوشَ الثلاثةَ ، منزلةَ الأَهْلِ الحقيقى . وكذلك ما بعده ، وهو :

(هم الأَهلُ لا مُستودَعُ السرِّ ذائعٌ لديهمْ ولا الجانى بما جَرَّ يُخذَلُ)

وقبلهما :

(لعمرُكَ ما بالأَرضِ ضِيقٌ على امرئٍ سَرَى راغباً أو راهباً وهو يَعقِلُ)

والأَبيات من قصيدة الشنفرَى ، المشهورة بلاميّة العرب ، وقد تقدم صاحب الشاهد شرح أَبياتٍ منها[(٢)] .

وقوله : « لعمرك » الخ اللام لام الابتداء للتأْكيد . وعمرك بفتح العين مبتدأٌ مضاف إلى الكاف، وخبره محذوف تقديره : قسمى . والعمر، بضم العين وفتحها : مدَّة الحياة ،خُصّ المفتوح بالقسم . وقوله : «مابالأَرض»

---

(١) المنصف ٣:٦، والمحتسب ١ : ٢١٨ وابن يعيش ٥ : ٣١ . وهو البيت الخامس من لامية العرب للشنفرى .
(٢) انظر الخزانة ٣ : ٣٤٠ - ٣٤٤ .

ما نافية وبالأَرض خبر مقدم ، وضِيق مبتدأٌ مؤخر ، والجملة جواب القسم(١) وجملة « سرى » إلخ صفة لامرئ . وراغباً: حال من ضمير سرى ، وجملة « وهو يعقل » حال ثانية . يعنى أن من فارق أهله وسافر رغبةً فى أمرٍ يطلبه ، أو خوفاً من شئ يجتنبه ، يرى سعةً فى حاله إن كان ممن يعقل ، فإنّه يدبّر نفسه بعقله ، ولا يضيع فى الغربة .

٤١١ وقوله : (ولى دونكم أهلون) الخ ، التفات من الغيبة إلى الخطاب ، خاطب به أهله . وأهلون مبتدأ ، ودونكم ظرف كان فى الأَصل صفة لأَهلون فلما قدِّم عليه صار حالاً منه . ودون هنا بمعنى غير ، ولى خبر مقدَّم لأَهلون . وقوله: (سِيدٌ عملّس) خبر لمبتدأ محذوف ، أى هم سِيد وأَرقطُ وعرفاءُ . يقول : اتَّخذتُ هذه الوحوشَ أَهلاً بدلاً منكم ، لأَنَّها تحمينى من الأَعداء ، ولا تخذُلنى فى حالة الضِّيق . وهذا تعريضٌ بعشيرته ، فى أنَّهم لا حماية لهم كهذه الحيوانات ، ولا غَيرة لهم على مَن جاورهم فضلاً عن الحميم القريب ، مثلُ هذه الوحوش . والسِّيد : بكسر السين المهملة : مشترك بين الأَسد والذئب ، ومراده الثانى ، ولهذا عيَّنه بالوصف . وكذلك فعل بأَرقط وعرفاء . والعملَّس ، بفتح العين المهملة والميم واللام المشددة ، القوىُّ على السَّير السريع . وأَرقط : مافيه نقط بياضٍ وسواد ، مشترك بين حيوانات ، منها النمر والحيَّة . وأَراد الأَوّل ، ولهذا وصفه بزهلول بضم الزاى ، وهو الأَملس ، وقيل الخفيف وهو من أَوصاف النمر . والعرفاءُ: مؤنَّث الأَعرف . قال صاحب العباب : يقال للضبع عرفاءُ لكثرة شعر رقبتها . وأَنشد هذا البيت .

وقال الخطيب التِّبريزى (فى شرح القصيدة) : العرفاءُ: الضبع التى

---

(١) كلمة « القسم » ساقطة من ش .

تكون طويلة العُرف، ليست ههنا بنعت ، ولكنَّها فى الأَصل نعت، فغلب فصار بمنزلة الأَسماء غير النُّعوت[١] حتى إنَّه يقال : «جاءتكم العَرْفاء» فيفهم من هذا القول أَنَّ الضبع جاءت . وجيأَل بفتح الجيم وسكون المثناة التحتية بعدها همزة مفتوحة ، بدل من عرفاء . قال صاحب العباب : جيأَل على وزن فَيعَل: اسمٌ للضبع وهى مَعرفة بلا ألف ولام. وأنشد هذا البيت .

وقوله : « هم الأَهل » إلخ لمَّا نزَّل هذه الوحوشَ منزلة الأَهل ذكرَهم بضمير العقلاء ، وعرَّف الخبَرَ لإفادة الحصر ، أَى هم الأَهل لا غيرهم . وبيَّن وجهه بقوله « لا مستودع السر » إلخ يعنى أَنَّ السر المستودع عندهم غير ذائع بل مصون . « ولا الجانى بما جرَّ يُخذَل » عندهم ، بل يُحمَى . والجانى : الذى فَعَل جناية من قتل أَو نهب ونحوهما . وجرَّ: أَى فعل جريرة بفتح الجيم، وهى التَّبعة والذَّنب . ويُخذَل: يُترك نصره ، يقال خذلته وخذلت عنه من باب قتل ، والاسم الخِذلان ، إذا تركتَ نصره وإعانتَه وتأَخَّرتَ عنه .

وقد تقدَّمت ترجمة الشنفرى ، وهو شاعرٌ لصٌ جاهلى ، فى الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين[٢] .

* * *

وأَنشد بعده :

* ولكنِّى أُريدُ به الذَّوينا *

تقدَّم شرحه مفصلاً فى الشاهد السادس عشر من أَوائل الكتاب[٣] .

---

(١) حورت فى ش إلى « المنعوتة » ، والوجه ما فى ط .
(٢) الخزانة ٣ : ٣٤٣ – ٣٤٨ .
(٣) الخزانة ١ : ١٣٩ – ١٤٦ .

وأراد بالذَّوين ملوكَ اليمن ، كذى نُواسٍ ، وذى رُعَين ، وذى أصبح .

وهو عجزٌ وصدره :

* فلا أعنى بذلك أسفليكُم *

والمشار إليه بذلك ، هو الهجو .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الخمسمائة[1] :

٥٨٥ (ذَرانِىَ من نجدٍ فإنَّ سِنينَه لَعِبْنَ بنا شِيباً وشَيَّبْنَنا مُرْدَا)

على أن نون الجمع الذى جاء على خلاف القياس قد يجعلُ مُعتَقَبَ الإعراب ، أى محلَّ تعاقبه ، أى تجرى عليها الحركات واحداً بعد واحدٍ ، ولا تحذف للإضافة كما فى قوله (سِنِينه) ، فالنون لمّا جرى عليها الإعراب لم تحذف مع إضافة الكلمة إلى ضمير نجد . ٤١٢

وفى كلامه شيئان : أحدهما أنَّه غيرُ خاصٍّ بالضرورة .

والثانى : أنَّه لا يجوز هذا فيما حقُّه هذا الجمع .

والأَوَّل موافقٌ لكلام أبى على (فى إيضاح الشعر) دون الثانى . قال فى باب ماجُعلت فيه النون المفتوحة اللاحقةُ بعد الواو والياء فى الجمع حرفَ إعراب ، بعد أنْ أنشد جميع الأبيات الآتية :

اعلم أنَّ هذه النون إذا جُعلت حرفَ الإعراب صارت ثابتة فى الكلمة فلم تُحذف فى الإضافة ، كما لا تحذف نون فِرْسِنٍ ورَعْشَن

(١) معانى الفراء ٢ : ٩١ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٥٣ وابن يعيش ٥ : ١١ والعينى ١ : ١٦٩ والتصريح ١ : ٧٧ والأشمونى ١ : ٨٦ واللسان (سنه ٣٩٥) .

ونحوه وإن كانت زائدة ، ويكون حرف اللين قبلها الياءَ ولا يكون الواوَ ، لأَنَّ الواو تدلُّ على إعراب بعينه ، فلم يجزْ ثباتها من حيث لم يجز ثباتُ إعرابَين فى الكلمة . فامَّا من أَجاز ثَبات الواو فى هذا الضَّرب من الجمع وزعمَ أَنَّ ذلك يجوز فيه قياساً على قولهم زيتون ، فقوله بعيد(١) من جهة القياس ، مع أَنَّا لا نعلمه جاءَ فى شئْ منهم . وذلك أَنَّ هذه الواو لم تكن قطُّ إعراباً كما فى مسلمون . وعلى ما ذهب إليه جاءَ التنزيل : ﴿ فى عِلِّيِّين(٢) ﴾ . انتهى .

وما ذهب إليه الشارح المحقق هو ظاهر كلام الفرّاء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين جَعلوا القُرآنَ عِضِينَ(٣) ﴾ قال : العضون فى كلام العرب : السِّحر . ويقال عضَّوْه أَى فَرَّقوه كما تُعضَّى الشاة والجزور ، وواحد العِضون عِضَة ، ورفعُها عضون ، ونصبُها وخفضُها عِضِين . ومن العرب من يجعلها بالياءِ على كلِّ حالٍ ويُعرب نونها ، فيقال هذه عِضينُك ومررت بِعضِينك وسنينك . وهى كثيرةٌ فى أَسد وتميم وعامر ، أَنشدنِى بعضُهم من بنى عامر :

ذرانى من نجدٍ فإنَّ سنينه ... البيت

ثم قال بعد أَبيات مثلِها : وإنَّما جاز ذلك فى هذا المنقوص الذى كان على ثلاثة أَحرف فنقصت لامه ، فلمَّا جمعوه بالنون وتوهَّموا أَنَّه فِعُول إذْ جاءَت الواو وهى واو جمع ، فوقعت فى موقع الناقص، فتوهَّموا أَنَّها الواو الأَصلية وأَنَّ الحرف على فِعُول . أَلا ترى أَنَّهم لا يقولون ذلك

(١) ط : « يبعد » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) من الآية ١٨ فى سورة المطففين . ونصها : « لفى عليين » ، وحذف هذه الأحرف عند الاقتباس من القرآن جائز . انظر ما كتبت فى حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ وتحقيق النصوص ٤٩ .
(٣) الآية ٩١ من سورة الحجر .

فى الصـــالحين والمسلمين وما أشبهه . وما كان من حـرفٍ نقص من أوّله ، مثل زنة ودية ولِدِة، فإنَّه لا يقاس على هذا . فما كان منه مؤنثاً أو مذكراً فاجرِه على التَّمام مثل الصالحين . انتهى كلامه .

وكذلك قال ابنُ الشجرى (فى أماليه) قال : ومنهم من جعل النون فى جمع سَنة حرف الإعراب وألزمَها الياءَ وأثبت النون فى الإضافة ، ورفعَها وخَفَضها ونوَّنها، تشبيهاً لها بنون غِسلين، فقالوا : أقمت عنده سنيناً ، وعجبت من سِنينٍ زيد ، وأعجبتنى سنينُك . وأنشد البيت .

وهذا مخالف لصنيع ابن جنى (فى سرالصِّناعة) فإنَّه خَصَّه بالضرورة وجوَّزه فى الجمع الحقيقى .

وتبعه ابن عصفور فى (كتاب الضرائر) قال : ومن العرب من يجعل الإعراب فى النون من جمع المذكر السالم . وذلك كلُّه لا يحفَظ إلَّا فى الشعر ، نحو قول الفرزدق :

ما سدَّ حىٌّ ولا ميْتٌ مسدَّهما إلَّا الخلائفُ من بعد النَّبِيِّينِ[1]

وقوله :

وإنْ أتمَّ ثَمَانيناً رأيتَ له شخصاً ضئيلاوكلَّ السَّمعُ والبصرُ

وقوله :

٤١٣ وأنَّ لنا أبا حَسَنٍ عليًّا أبٌ برٌّ ونحن له بنينُ[2]

(١) الكامل ٢٩٢ ، وابن يعيش ٥ : ١٤ ؛ والهمع ١ : ٤٩ . وليس فى ديوان الفرزدق .

(٢) لسعيد بن قيس الهمدانى كما سيأتى فى الشاهد ٥٨٨ . و « أن » تقرأ بفتح الهمزة ، كما سيأتى .

وقوله :

وماذا يدَّرى الشعراءُ منِّى .... البيت[1]

ووجْه ذلك إجراءُ جمع السلامة وما يجرى مجراه مجرى المفرد ، ولذلك ثبتت النون فى حال الإضافة ، كقوله :

ولقد ولدتَ بنينَ صدق سادةً ولأنتَ بعد الله كنتَ السَّيدا[2]

وقول الآخر[3] :

سِنِينِى كلُّها لاقيتُ حَرْباً أُعدُّ مع الصَّلادمة الذُّكورِ

وقوله :

ذرانىَ من نجد فإنَّ سنِينه . . . البيت . انتهى

ومن إعراب الجمع بالحركة قولُ الشاعر :

ربَّ حىٍّ عَرَندس ذى طَلالٍ لا يزالون ضاربين القِبابِ[4]

فضاربينَ منصوبٌ بالفَتحة على أنَّه خبر يزالون ، وهو مضاف للقباب . والحىّ : القبيلة . والعرندس ، كسفرجل : الشَّديد . والطَّلال بفتح المهملة : الحالة الحسنَة ، والهيئةُ الجميلة .

---

(١) لسحيم بن وثيل الرياحى فى الأصمعيات ١٩ . وعجزه :
* وقد جاوزت حد الأربعين *

(٢) ابن يعيش ٥ : ١٢ .

(٣) هو قطيب بن سنان الهجيمى. وانظر نوادر أبى زيد ١٦٢ ، ومجالس ثعلب ٣٢١ ، وابن يعيش ٥ : ١٢ .

(٤) ش : « القبابا » ، تحريف . وانظر المغنى ٦٤٣ والعينى ١ : ١٧٦ والهمع ١ : ٤٧ والتصريح ١ : ١٧ والأشمونى ١ : ٨٧ والهمع ١ : ٦١ .

ومثله قول الزمخشرى (فى المفصَّل) : وقد يجعل إعراب ما يجمع بالواو والنون فى النون ، وأكثر ما يجىءُ ذلك فى الشعر ، ويلزم الياءَ إذْ ذلك ، قالوا : أتت عليه سنين . وقال الشاعر :

دعانىَ من نجد فإن سنينه . . . البيت

وقال سحيم :

وماذا تدَّرى الشُّعراءُ منِّى ... البيت . انتهى .

قال شارحه ابن يعيش : اعلم أَنَّ من العرب من يجعل إعرابَ هذا الجمع فى النون بشرط أن يلحقه نقصٌ كسنين . والشيخ قد أطلقَ هنا ، والحقُّ ماذكرته . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للصِّمّة بن عبد الله القُشَيرى ، وبعده :

أبيات الشاهد

(لحَا الله نجداً كيف يتركُ ذا النَّدى
بخيلاً وحُرَّ الناس تحسَبُه عَبْدا[1]
على أَنَّ نجداً قد كسانىَ حُلَّةً
إذا مارآنى جاهلٌ ظنَّنى عَبدا
سَواداً وأخلاقاً من الصُّوف بعدما
أُرانِى بنجدٍ ناعماً لابساً بُردا
على أَنَّه قد كان للعين قُرَّةً
وللبيضِ والفتيانِ منزلهُ حَمْدا
سقى الله نجداً من ربيع وصَيِّف
وجَوْدٍ وتَسْكاب سقَى مزنُهُ نجدا)

---

(١) الأبيات برواية أوفى عند العينى ١ : ١٧٠ — ١٧١ .

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : وكان من خبره ، أى الصمة ، أنّه خطب ابنة عمِّه ، فاشتطَّ عمُّه فى المهر عليه ، وبخِل عليه أبوه بالجمال ، فَزُوِّجت من غيره ، فغضب من عمه وأبيه ، وخرج إلى طَبَرستان ، وهى مقَرُّ الديلم ، فأَقَام به[1] مدّةَ حياته إلى أن مات فيها . فلهذا تارةً يحنُّ إلى نجد ، وتارة يذمُّه . انتهى .

وقوله : (ذرانىَ من نجد) ويروى أيضاً : (دعانىَ من نجد) وهما بمعنى ، أى اتركانى من ذكر نجد . ونجد من بلاد العرب ، وهو خلاف الغور ، والغور هو تهامة . وكلُّ ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . وهو مذكَّر ، كذا فى الصحاح .

والسنين : جمع سنة ، وهى هنا إمّا بمعنى العام وإمّا بمعنى القحط . ويقال : أرض بنى فلان سنة ، إذا كانت مجدْبة . (وشيباً) حال من نا فى « بنا » ، وهو بالكسر جمع أَشيب ، وهو الذى ابيضَّ شعره . (ومُردا) : حالٌ أيضاً من نا فى شيَّبْننا ، وهو جمعُ أمردَ وهو الذى لا شعر بعارضيه .

وقوله : « لحا الله نجدًا » إلخ فى الصحاح لحاه الله ، أى قبَحه ولعنه . والنَّدى : الجود . وروى بدله : « الغنى » . « وحُرٌّ » معطوف على ذا الندى ، وجملة تحسبه فى موضع المفعول الثانى . وهذا البيت تعريضٌ بأبيه وعمِّه. ٤١٤

ونقل ابن المستوفِى عن ثعلب ، أنَّ المراد من هذا البيت أنَّ عيش نجدٍ عيشٌ شديد ، لابدَّ أن يقوم بالمال فيه وإلَّا ضاع . وَنقَل عن ابن الأَعرابىِّ أيضاً أنَّه ذمَّ نجْدًا لِشتائه وقيظِهِ . وهذا إنَّما يصحُّ مع قطع النظر عن

---

(١) الوجه « بها » ، كما عند العينى .

سَبَب الشعر . ونقل أيضاً عن أبى زيد البيتين المذكورين ، وأنّه قال : ذمَّ نجْدًا لشدّة شِتائه وقيظه .

ولم أر فى ديوان أبى زيد[1] إلّا البيتَ الشاهد غير مشروح بهذا الشرح ، ونقله أبو على عن أبى زيد (فى التذكرة القصرية) ثم قال : [قال[2]] ابن الهيصم ، هذا الشيخُ الكوفىُّ الذى يجالس إلى أبى حاتم ، قال : أنشدنى أعرابىٌّ بالشام هذا البيت وقبله بيتاً آخر ، وهو :

(لحا الله نجدًا كَيف يتركُ ذا الغنى فقيراً وحُرَّ القَوم ِ تحسَبُه عَبْدَا)

وهذا إنشاد طريف[3] . وسمعت أيضاً هذا البيت بقصر ابنُ هُبيرة من أعرابىّ . انتهى .

وكأنَّه لم يقف على هذه القصيدة ولا على شىءٍ من خبرها .

وقوله : « على أنَّ نجدًا »إلخ ، على هنا للاستدراك والإضراب ، وكذلك « على » الآتية . يريد أنّه لمَّا تغرَّبَ وفارق نجدًا افتقر ، ولبِسَ الثِّيابَ الأَخلاقَ السُّودَ من الصُّوف[4] . وناعماً : متنعِّماً مترفِّهاً .

وقوله : « وللبيض والفتيان » الجارّ والمجرور خبر مقدم ، ومنزله مبتدأٌ مؤخر ، وهو مضاف لضمير نجد . والبيض : النساءُ الحِسان . والفتيان : جمع الفتى ، وهو الشابُّ . والحمد هنا بمعنى المحمود . وهذا تشوُّقٌ منه إلى وطنه وتحزُّنٌ على مفارقته منه . ثم دعا له على طريقة

(١) قد يكون عنى نوادر أبى زيد . على أن الشاهد لم يرد فى نوادر أبى زيد .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « ظريف » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تغيير .

(٤) كلمة « من » ساقطة من ش .

العرب بقوله : « سقى الله نجداً »إلخ ، وقوله : « من ربيع»أى من مطرِ ربيع ، وجَوْد معطوف عليه ، وهو بفتح الجيم : المطر الغزير . والمُزْن : السحاب .

والصِّمَّة شاعرٌ إسلامىٌّ فى الدولة المروانية ، وهو بدوىٌّ ، ولجدِّه مُرّة بن هبيرة صحبة مع النبى صلى الله عليه وسلم . وتقدَّم الكلام عليه وعلى نسبه فى الشاهد الخامس والستين بعد المائة[1] .

من اسمه الصمة

وذكره الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) فقال : هو الصِّمَّة بن عبدالله إلى آخر نسبه ، ثم أورد له ثلاثة أبيات من شعره ، وأوردَ صِمَّتينِ من الشعراء لبنى جُشَم : أحدهما صِمَّةُ الأكبر ، وهو مالك بن الحارث . وثانيهما : صِمَّةُ الأصغر ، وهو معاوية بن الحارث ، أخو مالك بن الحارث ابن الصمة الأكبر . وهذا الأصغر هو أبو دريد بن الصِّمَّة ، وكلاهما شاعر فارسٌ جاهلى .

والصِّمَّة بالكسرِ للصَّاد المهملة وتشديد الميم .

وقد أورد ابن الأعرابى (فى نوادره) البيت الشاهد فقط ، ونسبه إلى محجن بن مزاحم الغنوى . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الخمسمائة[2] :

٥٨٦ (وماذَا يدَّرِى الشُّعراءُ مِنِّى وقدْ جاوزْتُ حدَّ الأربعينِ)

لما تقدَّم قبله من أنَّه معرب بالحركة على النون .

قال المبرد (فى الكامل) عند قول الفرزدق :

---

(١) الخزانة ٣ : ٦٢ .

(٢) ابن سلام ٥٩ ، والمقتضب ٣ : ٣٣٢/٤ : ٣٧ والكامل ٢٩٣ وابن يعيش ٥ : ١١ ، ١٣ ، والعينى ١ : ١٩١ والتصريح ١ : ٧٧ ٧٩ والهمع ١ : ٤٩ والأشمونى ١ : ٨٩ والأصمعيات ١٩ .

إنِّى لباكٍ على ابنَىْ يوسفٍ جزعاً ومثلُ فقدهما للدِّين يُبكينى
ما سدَّ حىٌّ ولا ميْتٌ مَسَدَّهما إلَّا الخلائفُ من بعدِ النَّبِيِّينِ[(١)]

٤١٥ وابنا يوسف هما محمد أخو الحجاج السفَّاك ، ومحمد ابنه ، فإنَّه جاءهُ نعْىُ أخيه يوم مات ابنه .

قال : أمّا قوله : « من بعد النبيِّينِ » فخفضَ هذه النونَ وهى نونُ الجمع ، وإنَّما فعل ذلك لأنَّه جعل الإعراب فيها لا فيما قبلها ، وجعل هذا الجمعَ كسائرِ الجمع ، نحو أَفْلُسٍ ومساجدَ وكلاب ، فإنَّ إعراب هذا كإعراب الواحد . وإنَّما جاز ذلك لأنَّ الجمع يكون على أبنية شتَّى ، وإنَّما تلحق منه منهاج التثنية[(٢)] ما كان على حدِّ التثنية ، لايكسَّر الواحد عن بنائه[(٣)] ، وإلا فإنَّ الجمع كالواحد لاختلاف معانيه ، كما تختلف معانى الواحد ، والتثنية ليست كذلك ، لأنَّها ضرب واحد لا يكون اثنان أكثر من اثنين عدداً كما يكون الجمع أكثر من الجمع .

فممَّا جاء على هذا المذهب قولهم: هذه سنينٌ فاعلم ، وهذه عشرينٌ فاعلمْ ، قال العَدْوانى[(٤)] :

إنِّى أَبِىٌّ أَبِىٌّ ذو محافظة وابن أَبِىٍّ أَبِىٍّ من أَبِيِّينِ
وأَنتُم معشرٌ زَيدٌ على مائة فأَجمعُوا كيدكم كُلًّا فكيدونى[(٥)]

وقال سُحيم بن وَثيل :

(١) رواية الكامل : « بعد النبيئين » بالهمز .
(٢) الكامل : « وإنما يلحق منه بمنهاج التثنية » .
(٣) ش : « على بنائه » ، صوابه فى ط والكامل .
(٤) ذو الإصبع . وانظر المفضليات ١٦٠ ، ١٦٣ .
(٥) الذى فى الكامل والمفضليات : « طرا فكيدونى » .

(وماذا يدّرى الشُّعراءُ منِّى وقد جاوزتُ رأسَ الأَربعينِ
أَخو خمسينَ مجتمِعٌ أَشُدِّى ونجَّذنى مداورةُ الشئُونِ)

وفى كتاب الله [تعالى(١)] : ﴿ إِلَّا من غِسْلينٍ(٢) ﴾. فإنْ قال قائل: فإنَّ غسلين واحد. فجوابه أَنَّ كلَّ ماكان على بناء الجمع فإعرابه إعراب الجمع. ألا ترى أَنَّ عشرين ليس لها واحدٌ من لفظها، فإعرابها(٣) كإعراب مسلمين، وواحدهم مسلم . وكذلك جميع الإعراب .

ويقولون : هذه فِلسطُونَ يافتى ، ورأَيت فلسطينَ يافتى ، وهذا القولُ الأَجود . وكذلك يبرين ويبرُون يافتى . وكلُّ ما أَشبه هذا فهو بمنزلته ، تقول : هذهِ قِنَّسرون ، ورأَيت قِنَّسرين . والأَجود فى هذا البيت :

وشاهدُنا الجُـــلُّ والياسَمو نَ والمُسمِعاتُ بقصَّابِها(٤)

وفى القرآن مايصدِّق ذلك ، قول الله عز وجل : ﴿ كلا إنَّ كتابَ الأَبرارِ لَفِى عِلِّيِّينَ . وما أدراكَ ماعِلِّيُّون(٥) ﴾ . انتهى .

وذهب ابن جنى إلى أَنَّ تلك الكسرة للضرورة ، والإعرابُ إنَّما هو بالياء . قال (فى سر الصناعة) : فأَمَّا قول سُحيم بن وَثيل :

* وقد جاوزت حـدَّ الأَربعينِ *

فليست النون حرف إعراب ، ولا الكسرة فيها علامة جرِّ الاسم ،

---

(١) هذه من ش . وفى الكامل : « عز وجل » .
(٢) من الآية ٣٦ من الحاقة .
(٣) فى الكامل : « وإعرابها » .
(٤) للأعشى فى ديوانه ١٢١ واللسان (قصب ١٦٩ جلل ١٢٨) .
(٥) الآية ١٨ ، ١٩ من سورة المطففين .

وإنَّما هى حركةُ التقاءِ الساكنين ، وهما الياءُ والنون ، وكسرت على أصل حركة التقاءِ الساكنين، ولم يفتح كما يفتح[١] نون الجمع ، لأَنَّ الشاعر اضطُرَّ إلى ذلك لئلاَّ تختلف حركة الرويِّ فى سائر الأَبيات .
ويدلك على أَنَّ الحركة التى هى الكسرة ليست جرًّا قولُ الشاعر :

* وابنُ أَبىٍّ أَبىٍّ من أَبيِّينِ *

فأَبيُّون جمع أَبىّ ، مثل ظريفون من ظريف . فكما لا شَكَّ[٢] أَنَّ كسر نون أبيِّين إنَّما هى لالتقاءِ الساكنين ، لأَنَّه جمع تصحيح ، فكذلك ينبغى أن تكون كسرة نون الأَربعين . وكذلك قول الفرزدق :

* إلاَّ الخلائفُ من بعد النبيينِ *

وهذا أيضاً جمع نبىّ على الصحة لا محالة ، فكسرة نون الجمع فى هذه الأَشياءِ ضرورة ، وأُجريت فى ذلك مجرى نون التثنية . انتهى .

وكذلك قال (فى إعراب الحماسة) ، عند قول الشاعر[٣] :

٤١٦ أَقول لمَّا أَرى كعباً ولحيتَهُ ... لا باركَ اللهُ فى بضعٍ وستِّينِ[٤]
مِنَ السِّنينَ تملَّاها بلا حسب ... ولا حياءٍ ولا عقلٍ ولا دينِ

قال : كان أَبو العباس يذهب فى قول سُحيم :

* وقد جاوزت حَدَّ الأَربعينِ *

إلى أَنَّه أَخرجَه على أَصل التقاءِ الساكنين ، وهو الكسرة ضرورة. ويؤكِّد ذلك ههنا أَيضاً قوله بعده: « مِن السنين » فجاءَ بِمِن المرادة فى

(١) ش : « كما تفتح » .
(٢) ش : « كما لا شك » .
(٣) الشاعر مجهول . وانظر إعراب الحماسة لابن جنى الورقة ٢١٤ — ٢١٥ .
(٤) فى الحماسة وإعراب الحماسة : « أقول حين أرى » . وش : « أقول أنى » .

جميع التفاسير من أحد عشر إلى تسعة وتسعين . ألا تَرى أنَّ أصل حركة عشرين درهماً [(١)] إنَّمَا هو عشرون من الدَّراهم ، فمجيئه بالتمييز على أصله يؤنسك بأنَّ كسر نون السنين من قبلها هو أيضاً خروجٌ فيها عن الأصل [(٢)] ، غير أنَّ النون فى السنين الثانية مفتوحة على الاستعمال ولم يضطر إلى كسرها ، كما يضطرُّ فى القافية قبلها [(٣)] . انتهى .

وأراد بأبى العباس المبرِّدَ، وقد نقلنا كلامه ، وليس فيه مانقله عنه ، وكلامه بعده غير واضح . انتهى أيضاً فتأمَّلْه .

وسحيم بن وثيل شاعرٌ إسلامى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين من أوائل الكتاب [(٤)] مع شرح عدّة أبياتٍ من هذه القصيدة .
وهذا البيت قبلَ البيتين اللذين أوردهما المبرد :

(عذرتُ البُزْلَ إنْ هى خاطرَتْنى فما بالى وبالُ ابنَىْ لبونِ)

البُزل : جمع بازل، وهو المسنُّ من الإبل . وضربه مثلًا . يقول: عذَرت المسانَّ من الشعراءِ إذا تعرَّضُوا لِي وهاجَوْنى ، فكيف بغلامين حديثين ؟ ! يعنى الأُبيرِد [(٥)] والأَخْوَصَ [(٦)] ، وكانا تعرَّضا له .

---

(١) فى إعراب الحماسة : « أن أصل عشرين درهماً » .
(٢) إعراب الحماسة : « على الأصل » .
(٣) إعراب الحماسة : « ولم يضطر فى كسرها كما اضطر فى القافية قبلها » .
(٤) الخزانة ١ : ٢٥٥ – ٢٧٠ .
(٥) ط : « الأبرد » ، صوابه فى ش والأصمعيات والأغانى ١٠ : ١٣ : ١٧ . والأبيرد ، بهيئة التصغير ،وهو الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع بن حنظلة . الأغانى والمؤتلف ٢٤ .
(٦) الأخوص هذا بالخاء المعجمة كما فى ش . وجاء فى ط « الأحوص » بحاء مهملة خطأ . والأخوص لقب له، واسمه زيد بن عمرو بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع . وقد سبقت ترجمته فى ٤ : ١٦٤ .

وقوله : (وماذا يَدَّرِى الشعراءُ) إلخ ، يَدَّرى بالدال المهملة ، يقال ادَّراه يدَّريه ، إذا ختله وخدعه . يقول : كيف يطمع الشعراءُ فى خديعتى وقد جاوزت أربعين سنة وقاربت الخمسين ، وقد اجتمع أَشُدِّى وجَرَّبت وعرفت الخديعة والمكر ، فلا يتم علىّ شىءٌ . و «الشئون»: جمع شأْن . ومداورتها: التقلُّب فيها والتصرُّف . و«نجَّذ» بالذال المعجمة ، أى أحكم ، يقال رجل منجَّذٌ ، إذا كان قد جرَّب الأُمور ، ونجَّذته الأُمورُ ، إذا أحكمته ، كما يقال حنَّكته التجارب . والناجذ : آخر الأَضراس ، ويقال له ضِرس الحُلم . ومن ذلك قولهم : ضحك حتَّى بدت نواجذه .

واجتماع الأَشُدِّ عبارةٌ عن كمال القُوَى وتمامِ العقل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الخمسمائة[١] :

٥٨٧ (غِراثُ الوُشْح صامِتةُ البُرِينِ)

لما تقدَّم قبله ، من أنَّه معرب بالحركة على النون .

وهو جمعُ بُرة بضم الباء ، قال فى الصحاح : كلُّ حلْقةٍ من سِوار وقُرط ، وخَلخال ، وماأشبهها بُرَة . قال :

* وقعقعن الخلاخلَ والبُرينا[٢] *

والبُرَة أيضاً : حلْقة من صُفْر تجعل فى لحم أَنف البعير . وقال الأَصمعى : تُجعل فى أحد جانبى المنخرين . قال : وربَّما كانت البرة من شَعَر ، فهى الخِزامة .

---

(١) ديوان الطرماح ١٧٧ .
(٢) ش : «والبرين» ، صوابه فى الصحاح واللسان (برا) .

قال أبو على : أصل البرة بَرْوة لأنَّها جمعت على بُرًى مثل قرية وقُرًى ، ويجمع بُراتٍ وبُرين . انتهى .

والصواب أَنَّ أصلها بُروة بضم الباءِ لا بفتحها ، نحو غرفة وغرف، وخُصلةٍ وخُصَل .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(حسانُ مواضعِ النُّقَبِ الأَعالى)

وقد أورده أبو على (فى كتاب الشعر) مع أَبياتٍ أُخَر على طرْز البُرِينِ ، من قصيدة هذا البيتِ وغيرها ، ثم قال : وقد كثُر هذا الضرب من الجمع ، حتَّى لو جُعِل قياساً مستمرًّا كان مذهباً . انتهى . ٤١٧

والبيت من قصيدةٍ للطِّرمَّاح ، عدّتُها سبعون بيتاً كلُّها غزلٌ ونسيب . وقبله : صاحب الشاهد

(ظعائنُ كنتُ أَعهَدُهُنَّ قِدْماً   وهنّ لدى الأَمانةِ غيرُ خُونِ)

وبعده :

(طِوالٌ مثل أَعناق الهـوادى   نواعمُ بين أَبكار وعُونِ[1])

والظعائن : جمع ظعينة ، وهى المرأة مادامت فى الهودج . والعَهد : الحفظ بالبال . وقِدماً بكسر القاف وسكون الدال ، قال فى الصحاح : يقال قِدماً كان كذا وكذا ، وهو اسم من القِدَم جُعل اسماً من أسماءِ الزمان . وخُون : جمع خائنة . وجملة « وهنَّ لدى الأَمانة » إلخ حال من مفعول أعهدهنّ .

(١) فى الديوان : « مشك أعناق الهوادى » ، وصوابهما جميعاً « متل » بالميم المكسورة بعدها تاء مثناة فوقية فلام مشددة . وانظر ما سيأتى من تحقيق .

وقوله : « حِسانُ مواضع » إلخ ، جمع امرأة حَسَنة بمعنى حسناء . والنُّقَب ، بضم ففتح : جمع نُقبة بسكون الثانى ، هو اللون والوجه . كذا فى الصحاح[(١)] . وأراد بالأعالى مايظهر للشمس من الوجه والعنق وأطرافِه فإنَّها مع ظهورها للشمس والهواءِ والحرِّ والبرد ، إذا كانت فى غاية الحسْن والصفاء ونهاية اللُّطف ، فغيرها يكون أحسنَ . وغِراث : جمع غَرثان ، بمعنى الجوعان ، وأراد لازِمَه وهو الهزيل ، اللازم من الجوع . والوُشْح بالضم : جمع وِشاح بالكسر والضم ، وهو شئٌ ينسج عريضاً من أديم ويرصَّع بالجواهر ، وتشدُّه المرأة بين عاتقيها وكشحيها . قال فى الصحاح : وامرأة غرثَى الوشاح ، أى دقيقة الخصر لا يملأُ وِشاحَها ، فكأنَّه غَرثان .

وصامته أى ساكتة . وسكوت البرة كناية عن امتلاءِ ساقيها لحماً ، بحيث لا يتحرَّك ليسمع له صوت . والبرة هنا : الخلخال .

وقوله :« طوال مثل» إلخ ، هو جمع طويل وطويلة . والمثل[(٢)] :الشِّبه . أرادتشبيه أعناقهنَّ بأعناق الظباء . ورواه المولى خُسرو (فى حاشيته على البيضاوى) بفتح الميم والشين المعجمة وتشديد اللام ، على إضافة طِوال إليه . قال : والمشَلّ : مَفعَل من شللت الثوب ، أى خِطته ، والمراد به مايستر الأعناق . هذا كلامه ، وتبعه خَضرٌ الموصلىّ (فى شرح شواهد

---

(١) تفسير الجوهرى هذا لا علاقة له بالبيت ، وإنما هو تفسير عام . ولا يصح هنا . وأراه يعنى بمواضع النقب ما يقابل الوشح والبرين فى عجز البيت ، أى ما يلتى عليه النقاب والوشاح والبرة . فالنقب : هنا بضمتين جمع نقاب ، وهو قناع المرأة تنتقب به ، ولكن هكذا قيده البغدادى وفسره بهذا القيد .

(٢) ش : « ومثل » .

التفسيرين) ، ولا يخفى أن هذا تعسُّفٌ من تصحيف[١] . والهوادى : الظِّباءُ وبقر الوحش المتقدِّمة . والنواعم : جمع ناعمة ، وهى اللَّيِّنة فى اللَّمْس . والعُون : جمع عَوان ، قال الجوهرى : العوان : النَّصَف فى سنِّها من كل شىءٍ ، أى المتوسِّطة .

وقد أورد هذا البيت (فى التفسيرين) شاهداً على أنَّ العوان فى قوله تعالى : ﴿عَوانٌ بين ذلك[٢]﴾ بمعنى النَّصَف ، بينَ الحديثة والمسنّة . قال خضرٌ الموصلى : وتوقَّف بعضهم فى الاستشهاد ، لأنَّ بين يوصف بها الوسط وتضاف إلى متعدِّدٍ ، هما الطرفانِ لذلك الوسط ، وفى البيت الموصوفُ ببينَ هو النواعم ، والمتعدِّد الذى أُضيفت هى إليه الأَبكار والعُون فلزم[٣] أن يكونا طَرَفاً ، والنَّواعمُ وسطاً ، فلم يدلَّ على أن العوان النَّصَف ، بل على ضدِّه وهو الطَّرَف .

وأجاب عنه بعض الفضلاء بأَن بين هنا مستعملةٌ للتنويع ، كما يقال : مركوبُ فلانٍ مابين البَغْل والفرس ، أى مركوبه نوعان : بغل وفرس ، فيكون المعنى أَنَّ الممدوحاتِ نواعمُ بعضُها أَبكارٌ وبعضها عُونٌ . ولاشكَّ ٤١٨

(١) أقول : هاتان الصورتان « مثل » و « مشل » والصورة الثالثة التى وردت فى الديوان « مشك » من العسير قبولها . والذى أرى أن توجه إليه الرواية والتفسير هو « طوال متل » بكسر الميم بعدها تاء مثناة فوقية كما أسلفت فى الحاشية رقم (١) وبإضافة طوال إلى « متل » . ونظيره من الشعر القديم قول عمرو بن عمار النهدى ، وأنشده سيبويه فى كتابه ١ : ٨١ بولاق و ١ : ١٦٢ من نسختى :

طويل متل العنق أشرف كاهــــلا أشــق رحيب الجــوف معتدل الجرم

قال ابن منظور : « عنى ما انتصب منه » . وقال الشنتمرى بعد أن ذكر أن البيت فى وصف فرس : « والمتل : العنق الطويل ، الغليظ المغرز . وأضافه إلى العنق لتبيين نوع المتل ، فكأنه قال : طويل الشىء المتل الذى هو العنق » .

(٢) من الآية ٦٨ من سورة البقرة .

(٣) ش : « فلزما » ، والوجه ما أثبت من ط .

أنَّها هى المتوسطات فى السِّنِّ ، وأما الصِّغَار اللاتى فى سنِّ الطُّفوليَّة فلا يميل الطبعُ إليهنَّ ، وكذا المسنَّات . فالتوسُّطُ معلومٌ من المقام .

أقول : إنَّما يتمُّ الجوابأَنْ لو استعملَ بين التى للتنويع بغير ما ، والاستعمال يشهد أنَّه لابدَّ منها ، فيقال مركوب فلان مابين بغل وفرس ، وثيابه مابين خَزٍّ وحرير ، ولا يقال بين ،كما صرَّح به النحاس .انتهى .

الطرماح بن حكيم

والطرمَّاحُ هو الطِّرِمَّاح بن حَكيم الطائى ، شاعر إسلامى فى الدولة المَرْوانيّة ، ومولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع مَنْ وردها من جيوش أهل الشام ، فاعتقد مذهب الشُّراة الأزارقةِ ، وذلك إنه لما قدمها نزل على تَيْم اللات بن ثعلبة ، وفيهم شيخٌ من الشُّرَاةِ له سِمةٌ وهيئة ، فكان يجالسُه ويسمع منه ، فدعاه إلى مذهبه فقبِله منه ، واعتقدَهُ أشَدَّ اعتقادٍ حتَّى مات عليه .

قال ابن قتيبة[١] : كان الكميت بن زيد صديقاً للطرماح لايتفارقان فى حال من الأحوال ، فقيل للكميت : لاشىء أعجبُ من صفاءِ ما بينكما على تباعُد ما بينكما من النسب والمذهب والبلاد ، وهو شامىٌّ قحطانىٌّ خارجىٌّ ، وأنت كوفىٌّ نِزارىٌّ شِيعى[٢] ، فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدَّة العصبية ؟! فقال : اتفقنا على بُغضِ العامَّة .

والطِّرِمّاح بكسر الطاء والراء المهملتين وتشديد الميم ، وآخره حاءٌ مهملة ووزنة فِعِمّال ، فالميم زائدة[٣] .

---

(١) لم أجد النص التالى فى الشعر والشعراء ، فلعله من كتاب له آخر .

(٢) ط : « وأنت نزارى كوفى شيعى » .

(٣) أقول : مع زيادة الميم لم لا يكون وزنه فعلال ؟ من قولهم : طرمح البناء وغيره : علاه ورفعه .

ولم نذكر بقية نسبه لأنَّ فى ألفاظها غرابة وغموضاً يحتاج إلى ضبط يطول به الكلام ، ولا فائدة فيه .

والشُّراة بضم الشين : الخوارج ، الواحد شارٍ ، كقضاة جمع قاض ، سمُّوا بذلك لقولهم : إنَّا شَرَيْنا أنفسنا فى طاعة الله ، أى بعناها بالجنَّة ، حين فَارقْنا الأئمَّةَ الجائرة . يقال منه تشَرَّى الرجل . كذا فى الصحاح .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الخمسمائة[١] :

٥٨٨ (وأنَّ لنا أَبا حسنَ عَليًّا أَبٌ برٌّ ونحن له بنينُ)

لما تقدّم قبله ، فإنه رفع (بنينُ) بالضمة على النون مع لزوم الياء .

وأورده ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) وقال : إنّه ضرورة لايُحفظ إلّا فى الشعر .

وجعله خطأً أبو العباس المبرد (فى كتاب الرَّوضة) ، وخطَّأً قول أبى نواس :

شَمولٌ تخطَّاها المنونُ فقد أَتَتْ سنينٌ لها فى دنِّها وسِنينُ[٢]

ولحنَّه فى قوله بعد هذا :

* تخيّرها بعد البنينَ بنونُ[٣] *

---

(١) الضرائر ٢١٩ العينى ١ : ١٥٦ ، والتصريح ١ : ٧٧ .

(٢) ديوان أبى نواس ٣٣٨ من قصيدة مطلعها :

لمن طلل عارى المحل دفين عفا عهده إلا خوالد جون

(٣) البيت بتمامه فى الديوان :

تراث أناس عن أناس تخرموا توارثها بعد البنين بنون

لأنَّه جمع فى الكلمة إعرابين: إعراباً بالحرف ، وإعراباً بالحركة. وهو غير مسموع فى كلام العرب .

وتقدَّم الكلام على مثله قريباً ، وهو قوله :

ذرانىَ من نجد فإنّ سنينه . . . البيت

وقوله : (وأنَّ لنا) بفتح الهمزة ، لأَنَّه معطوف على قوله :

* بأَنَّا لا نزال لكم عدوّا *

فى بيت قبله كما سيأْتى .

ورواه ابن عقيل وابن هشام فى شرح الأَلفية :

(وكان لنا أَبوحسن علىٌّ أَباً بَرّا ونحن له بنينُ)

ولنا كان فى الأَصل نعتاً لقوله أَب ، فلما قدِّم عليه صار حالاً منه . ونحن مبتدأ وبنين خبره ، وصفته محذوفة بدليل ماقبله ، والتقدير : ونحن له بنين أَبرار ، ولولا هذا التقدير لخلا الحَمْلُ من فائدة . وروى أَيضاً :

أَلم تر أَنَّ والينَا عليًّا أَبٌ بَرٌّ . . . إلخ

٤١٩ والوالى: مِنْ ولىَ الأَمرَ يليه ولاية ، بكسر اللام فيهما وكسر الواو[١] . والبَرُّ بالفتح، قال صاحب المصباح : برَّ الرجلُ يَبَرُّ بِرًّا وزان عِلم يعلَم علماً فهو بَرٌّ بالفتح ، وبارٌّ أَيضاً، أَى صادق أَوْ تقىٌّ، وهو خلاف الفاجر، وجمع الأَوّل أَبرار ، وجمع الثانى بررة، مثل كافر وكفرة[٢] . وبَرِرْت

(١) وقيل الولاية ، بالفتح : المصدر . وبالكسر : الاسم مثل الإمارة والنقابة، وقيل بكسر الواو وفتحها فى الولاية مصدرا .

(٢) بعده فى المصباح : « ومنه قوله للمؤذن : صدقت وبررت ، أى صدقت فى دعواك إلى الطاعات ، وصرت باراً . دعاء له بذلك ، ودعاء له بالقبول . والأصل: بر عملك » .

والدى أَبَرُّه بِرًّا وبُروراً : أَحسنت الطاعة إِليه ، ورفقت به ، وتحرَّيت محابَّه وتوقَّيت مكَارهه . وبرَّ الحَجُّ واليمينُ والقولُ بِرًّا أَيضاً فهو برٌّ وبارٌّ أَيضاً . ويستعمل متعدِّياً أَيضاً بنفسه فى الحج ، وبالحرف فى اليمين والقول ، فيقال بر الله الحجَّ يبرُّهُ بروراً أى قبله . وبررتُ فى القول واليمين أَبَرُّ فيهما بُروراً أَيضاً ، إِذا صدقتَ فيهما ، فأَنا برٌّ وبارٌّ . وفى لغة يتعدَّى بالهمزة فيقال أَبرَّ الله الحجَّ ، وأَبررت القولَ واليمينَ . والبِرّ بالكسر : الخير والفضل ، والمبرَّة مثلُه . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من أَبيات لسعيد بن قيس الْهَمْدانى قَالها فى أَحد أَيّام صفِّين وذلك أَنَّ معاوية دعا أَهلَ الشام فقال : إِنَّ عَليًّا يخرج فى سَرَعان الخيل فمن ينتدبُ له ؟ فقام عبد الرحمن بن خالد فقال : أَنا له . فقال له معاوية : اقعُدْ فلم أَعهدْك خفيفاً . فقال عبد الرحمن العكِّىُّ : أَنا له . فقال له معاوية : أَنت له لولا عَجَلَتُك فى الحرب . فقال عمرو بن الحُصين السَّكونى : أَنا له . فقال : أَنت له حقًّا ! فخرج فى علكّ والصَّدِفِ ، وخرج علىٌّ رضى الله عنه كعادته ، فترقَّبه السَّكونىُّ وحمل عليه من خلفِه ، فلمَّا كاد أَن يطعنه اعترضه سعيدُ بن قيسٍ الهمْدانى فطعنه طعنةً قصَم بها صُلبه ، فالتفت علىٌّ رضى الله عنه فرأَى السَّكونىَّ صريعاً . ثم قتل سعيدُ بن قيس رجلاً من ذى رُعَين ، فجزِع عليهما معاوية جزعاً شديداً ، فقال سعيدُ بن قيس هذه الأَبيات (١) :

(لقد فُجعتْ بفارسها رُعينٌ ... كما فُجعت بفارسها السَّكونُ

غداةَ أَتى أَبا حسَن عليًّـــا ... وأُمُّ النَّقعِ مُشبِلةٌ طَحُونُ

(١) الأبيات لم ترد فى وقعة صفين .

ليطعُنَه فقلت له خُذَنْها … مُسوَّمةً يخِفُّ لها القَطينُ
أَقول له ورُمحى فى صَلاهُ … وقد قرَّت بمصرعه العيونُ
أَلا ياعَمرو عمرَو بنى حُصَين … وكلُّ فَتًى ستدركه المنونُ
أَترجو أنْ تنال إمامِ صِدق … أَبا حسن، وذا ما لا يكونُ
لقد بكت السَّكونُ عليك حتّى … وهَتْ منها النَّواظرُ والجفونُ
أَلا أَبلغْ معاويةَ بنَ حرب … ورَجمُ الغيب يكشِفهُ اليقينُ
بأَنَّا لا نزال لكم عدوًّا … طَوَالَ الدّهر ماسُمِع الحنينُ
أَلم تر أنَّ والِيَنا عليًّا … أَبٌ برٌّ ونحن له بنينُ
وأَنَّا لا نريد سواه يومًا … وذاك الرُّشدُ والحقُّ المبينُ
وأنَّ له العراقَ، وكلُّ كبش … حديد القَرْن ترهبُه القُرونُ)

والعكِّى : نسبةٌ إلى علكٍّ بفتح المهملة : أَبو قبيلة من اليمن، وهو عَكُّ بن عدنان بن عبد الله بن الأَزد .

والسَّكونى: نسبة إلى السَّكون بفتح السين المهملة، أَبو قبيلة عظيمة من اليمن ، وهو السَّكون بن أَشرسَ بن ثور . ويقال لثَور : كِندة ، وإليه ينتسب امرؤ القيس .

٤٢٠ والصَّدِف ، بفتح المهملة وكسر الدال : بطنٌ من كندة ينسبون اليوم إلى حضرموت . وإذا نسبت إليه فقلت صَدَفىٌّ فتحت الدال .

وهمْدان ، بسكون الميم : أَبو قبيلة عظيمة باليمن .

وذو رُعين بالتصغير : بطن من حمير، وهو ذو رعين بن سهل بن زيد . كذا فى الجمهرة[1] . وقد تجوّز الشاعر فى حذف ذى منه

(١) يعنى جمهرة ابن الكلبى . الكن فى جمهرة ابن حزم ٤٣٣ : « بن زيد بن سهل بن عمرو ابن قيس » .

وفُجِعت فى الموضعين بالبناء للمفعول ، من فجعه ، فى ماله وأهله ، أى أصابه بالرزيَّة . والفجيعة : الرزيَّة ، وفعله من باب نفع . وأُمُّ النَّقْع أراد بها الحرب . والنقْع بالنون والقاف : الغُبار . ومُشْبلة : اسم فاعل من أشبل عليه أى عطف . وأشبلت المرأة بعد بَعْلها : صبرت على أولادها فلم تتزوَّج. ولَبوةٌ مشبلٌ ، إذا مشى معها أولادُها . والشِّبل بالكسر : ولد الأَسد . وطحون : مبالغة طاحنة ، أى مهلكة .

والضمير فى « خُذْنَها » راجعٌ إلى الطعنة المفهومة من قوله ليطعُنه . والمسوَّمة : المرسلة ، من قولهم : سوَّم فيها الخيل ، إذا أرسلها . ومنه السائمة . ويخِفّ : يرحل ويُسافر . والقطين : جمع قاطن ، وهو المقيم .

والصَّلا ، بفتح الصاد والقصر : العجزُ ، وفى الأَصل هو مَغرس الذنَب من الفرس ، ومنه ، قيل : أُخِذت الصلاة . والمَصْرَع[١] : المَهْلك . ووهت : ضعفت . وقوله : ﴿ رَجْماً بالغيب[٢] ﴾ ، أى ظنًّا من غير دليل ولا برهان .

وقوله :« بأَنَّا » ، متعلق بأَبلغْ . والعدوُّ : خلاف الصديق ، يقع على الواحد المذكر والمؤنث والمجموع . وطَوَال الدَّهر بفتح الطاء ، أى طُولَه . والحنين هنا : حنين الناقة ، وهو صوتها فى نزاعها إلى ولدها . والقَرن فى الموضعين ، بفتح القاف[٣] . وجملة ترهبه حاليَّة .

---

(١) ط : « المسرع » ، صوابه فى ش .

(٢) كذا فى النسختين ، ولعله أراد أن يفسر الشعر على ضوء تفسير الآية الكريمة ، وما ورد فى نص الشعر فى البيت الثامن « ورجم الغيب » . وهى الآية ٢٢ من سورة الكهف .

(٣) القرن الأول : روق الكبش ونحوه . وواحد القرون ، بالضم ، قرن أيضاً بفتح القاف ، وهو سيد القوم ورئيسهم . فهذا ما أراده ولم يفسره .

سعيد بن قيس الهمدانى

وسعيد بن قيس الهمدانى من أَصحاب علىّ رضى الله عنه ، ولم أَر له ذكراً فى كُتب الصحابة[١] ، وإِنَّما هو تابعى .

قال ابن الكلبى : السَّبيع : بطنٌ من همْدان . ومن السَّبيع : سَعيد[٢] ابن قيس بن زيد بن مرِب بن معديكرب بن أَسيف بن عمرو بن سَبُع بن السَّبيع . انتهى .

وهمدان بسكون الميم : قبيلةٌ عظيمة باليمن ، وهو لقب ، واسمه أَوسَلة .

والسَّبيع بفتح السين المهملة وكسر الموحَّدة .

ومَرِب بفتح الميم وكسر الراءِ المهملة بعدها موحّدة .

ولمَّا لم يقف العينىُّ على ماقبل البيت الشاهد ولا على ما بعده ظنَّ أَنَّ البيت لأَحدِ أَولادِ علىٍّ رضى الله عنه .

* * *

وأَنشد بعده :

(متَى كنَّا لأُمِّكَ مقتوينا)

على أَنَّه حُكى عن أَبى عبيدة وأَبى زيد جعلُ نون مقتوينا محلَّ تعاقب الإِعراب بالحركة . فالأَلف هنا بدل من التنوين .

وهذه عبارة أَبى زيد(فى نوادرِه) : رجل مقتوَينٌ ورجال مقتوينُ[٣] ، وكذلك المرأَة والنساءُ ، وهو الذى يخدم القومَ بطعام بطنه . وقال عمرو ابن كلثوم :

---

(١) ط : « فى كتاب الصحابة » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « سعد » ، صوابه فى ش وجمهرة ابن حزم ٤٣٦ .

(٣) فى نوادر أبى زيد ١٨٨ : « رجل مقتوين ورجلان مقتوين ورجال مقتوين » .

تهدَّدْنا وأَوعِدنا رويدًا متى كنَّا لأُمِّك مقتوَينا

الواو مفتوحة وبعضهم يكسرها ، أى متى كنَّا خدماً لأُمِّك . هذا كلا ه .

وقد شرحه(١) أَبو على (فى كتاب الشعر)(٢) وقال : النون حرف الإعراب . ونقله عنه وعن أَبى عبيدة . وضبط الميم بالفتح والضمّ . وتقدم كلامه منقولاً بتمامه فى الشاهد الثالث والخمسين بعد الخمسمائة من باب المذكر والمؤنث(٣) .

وقال أَبو الحسن الأَخفش فى شرحه لها : هذا القياس(٤) وهو مسموع من العرب أَيضاً ، فتح الواو من مُقتوَين، فتقولُ مُقتوَينَ ، فيكون الواحدُ مُقتَوًى ، فاعلمْ(٥) ، مثل مصطفًى فاعلم(٦) ، ومصطفين ٤٢١ إذا جمعت . ومن قال مُقتوِين فكسر الواو فإنَّه يفرده فى الواحد والتثنية والجمع والمؤنَّث ، لأَنَّه عنده مصدر ، فيصير بمنزلة قولهم : رجل عدلٌ وفِطر وصَوم ورضًا(٧) وما أَشبهه . ويقال مقَتَ الرجُلُ ، إذا خدَم . فهذا بيِّنٌ فى هذا الحرف . انتهى .

وهذا مبنىٌّ على أَنَّ الميم مضمومة ، إلاَّ أَنَّ قوله مقَت الرجلُ ، فجعل الميم أَصليَّة ، لا وجهَ له . فتأَمَّلْ .

---

(١) ش : « وقد جره » ، وأثبت ما فى ط .
(٢) يعنى كتاب إيضاح الشعر ، ويسمى أيضاً : « الإيضاح الشعرى » ، و « إعراب الشعر » .
(٣) الخزانة ٧ : ٤٢٩ .
(٤) ط : « هنا القياس » ، وأثبت ما فى ش .
(٥) ط : « فاعل » صوابه فى ش ونوادر أبى زيد .
(٦) ليست فى النوادر . وفى ش : « فاعلم » .
(٧) رسمت فى ش : « ورضى » بالياء .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٥٨٩ (إذا مابنُو نَعشٍ دنَوْا فتصوَّبُوا)

على أَنَّ الأَخفش حكى : بنو عِرس وبنو نعش ، اعتباراً للفظ ابن وإن كان غير عاقل ، كما فى البيت . كأَنَّه جعلها جمعاً لابن نعش وإن لم يستعمل .

قال سيبويه : وأَمَّا ﴿ كلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ[٢] ﴾ ، و﴿رأيتهمْ لى ساجِدين[٣]﴾ ، و﴿يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ[٤]﴾ ، فزعمْ الخليل أَنَّه جعلهم بمنزلة من يعقل ويسمع ، لمَّا ذكَرهم بالسجود ، وصار النمل بتلك المنزلة حين حدَث عنه ما يحدثُ عن الأَناسىّ[٥] . وكذلك ﴿ فى فلك يسبحون ﴾ ، لأَنَّها جعلت فى طاعتها ؛ وفى أَنَّه لا ينبغى لأَحدٍ أن يقول : مُطرنا بنوءِ كذا ، ولا ينبغى لأَحدٍ أَن يعبد شيئاً منها ، بمنزلة ما يعقل[٦] من المخلوقين ويُبصِر الأُمور . قال النابغة الجعدى :

شربت بها والدِّيكُ يدعُو صَباحَه إذا مابنو نَعشٍ دنَوْا فتصوَّبوا

فجاز هذا حيث صارت هذه الأَشياءُ عندهم تُؤمَر وتطيع ، وتفهم الكلام ، وتعبُد ، بمنزلة الآدميِّين . انتهى .

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٤٠ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٦٦ والعمدة ٢ : ٢١٧ ودلائل الإعجاز ١ : ٦١ وابن يعيش ٥ : ١٠٥ والمغنى ٣٦٥ وشرح شواهده للسيوطى ٢٦٥ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٧٣ وديوان النابغة الجعدى ٤ .

(٢) الآية ٣٣ من سورة الأنبياء . وفى سورة يس ٤٠ : « وكل فى فلك يسبحون » بالواو .

(٣) الآية ٤ من سورة يوسف .

(٤) الآية ١٨ من سورة النمل .

(٥) فى سيبويه : « حين حدثت عنه كما تحدث عن الأناسى » .

(٦) فى سيبويه : « من يعقل » .

قال الأعلم : الشاهد فيه تذكير بنات نعش لإخباره عنها بالدنوِّ والتصوُّب كما يُخبَر عن الآدميين . على ما بيَّنه سيبويه . وصف خمراً باكرها بالشُّرب عند صِياح الديك . وتصوُّبُ بناتِ نعشٍ : دنُوُّها من الأُفق للغروب . والباءُ في قوله « بها » زائدة مؤكدة . وكثيراً ماتزيدُها العرب في مثل هذا . قال تعالى : ﴿ عيناً يشرَبُ بها المقرَّبون[1] ﴾ . انتهى .

أقول : الباءُ في البيت والآية للتبعيض . وقال (ابن خلف) : الشاهد أنَّه جمع ابناً من غير ما يعقل جمعَ العقلاءِ المذكَّرين ، وكان ينبغي أن يقول : بنات نعش ، وواحدها ابن نعش . وحمَل بنو نعش على ما يعقل لمَّا كان دورُها على مقدارٍ لا يتغيَّر ذلك الدورُ ، وتَعقله . وقال : « دنوا فتصوَّبوا » وكان ينبغي أَن يقال دنونَ فتصوَّبْن . انتهى .

وقال ابن هشام (في المغني) : والذى جرَّأه على استعمال الواو في غير العقلاءِ قوله بنو لابنات . والذى سوَّغ ذلك أَنَّ مافيه من تغيير نظم الواحد شبَّهه بجمع التكسير ، فسهُل مجيئه لغير العاقل . ولهذا جاز تأْنيث فعله ، نحو : ﴿ إلاَّ الذى آمنَتْ به بنو إسرائيل[2] ﴾ ،مع امتناع قامت الزيدون . انتهى .

وبنات نعش من منازل القمر الثَّمانية والعشرين ، قال صاحب الصحاح : اتَّفق سيبويه والفرَّاءُ على ترك صرف نعشٍ ، للمعرفة والتأْنيث .

قال الدمامينيُّ (في الحاشية الهندية) : الظاهر أَنَّه جائز لا واجب ، لأَنَّه ساكن الوسط

---

(١) الآية ٢٨ من المطففين .

(٢) الآية ٩٠ من سورة يونس .

وقال صاحب العباب : بنات نعش الكبرى : سبعة كواكب ، أربعة منها نعش ، وثلاثٌ بنات . وكذلك بنات نعشٍ الصغرى . وذكر أبو عمر الزاهد (فى فائت الجمهرة) عن الفرَّاء أنَّه يقال بنات نُعَشَ فى ميزانُ عُمر ، لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة . قال : وليس بينهم خلاف ، تقول : هذه بناتُ نعش مقبلةً ، ومعها بناتُ نعشٍ أخرى مقبلة . وقد جاء فى الشعر بنو نعش ، وأنشد أبو عُبيدة للنَّابغة الجعدى :

٤٢٢

(وصَهباءَ لا تُخفِى القَذَى وهى دونَه تُصفَّق فى رَاوُوقها ثم تُقْطَبُ

تمزَّزْتها والدِّيك يدعو صَباحه إذا ما بنو نَعشٍ دنَوْا فتصوَّبوا)

وقال ابن دريد : سمِّيت بنات نعش تشبيهاً بحَمَلة النعش[1] فى تربيعها . وقال الليث : يقال للواحد منها ابن نعش ، لأَنَّ الكواكب مذكَّرة ، فيذكِّرونه على تذكيره . وإذا قالوا ثلاث وأربع ذهبوا إلى مذهب التأْنيث ، لأَنَّ البنين إنَّما يقال للآدميين . وعلى هذا القياس يقولون : ابن آوى ، وابنُ عِرس ، فإذا جَمَعوا قالوا : بنات آوى وبناتُ عِرْس ، قال الخليل : هذا شيءٌ لم يسمَّ بالابن لحال الأَب والأُمّ كما قيل بنون وبنات . وإذا ذكَروا ابن لَبُون وابن مَخاض قالوا : هذا ابن لبون وابن مَخاض . وإذا ثنوَّا قالوا : ابنا لبون وابنا مخاض . وإذا جمعوا تركوا القياس ولم يقولوا بنون ، ولكنهم يقولون بنات مخاض ذكوراً . هذا كلام العرب . ولو حمله النحوىُّ على القياس فذكَّر المذكر وأنَّث

---

(١) ط : « بجملة النعش » بالجيم ، وصوابها بالحاء كما فى ش ، واللسان (نعش ٢٤٨) ، وجمهرة ابن دريد ٣ : ٦٢ .

المؤنث لكان صواباً . وبعضهم يقول : لا يجوز لِمَا كان من غير الآدميين[١] أن يقال فى جمعه إلَّا بالتأنيث، إلَّا أن يُضطرَّ شاعر فيخرجه مخرج الآدميين . إذا حمل على غير الآدميين ، على مثال مايجمعون عليه . قال تعالى : ﴿ والشَّمْسَ والقَمرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ[٢] ﴾ لمَّا فعلوا فعل الآدميِّين جمعهُم كما يُجمَعون ،وخاطبهم بمايخاطَبون . انتهى كلام العباب.

وقال القالى (فى المقصور والممدود) : قال أبو حاتم : يقال ابن آوى لهذا السبُع ، وللاثنين : ابنا آوى[٣] ، وللجمع : بنات آوى وإنْ كنَّ ذكوراً ، ولا يصرف آوى . ويجمعون كلَّ جماعة من غير الإنس على بنات ، كما قالوا بنات نعش لهذه الكواكب ، ولم يقولوا بنو نعش ، فإن اضطُرَّ شاعرٌ قاله مستكرَهاً . قال الشاعر :

فباكرتها والدِّيك يدعو صباحَه . . . البيت

والصواب : بنات نعش دَنَت فتصوَّبت ، أو دنون فتصوَّبن . فهذا على الاضطرار . وأمَّا ما لايعرف ذكُوره من إناثه فمحمولٌ على اللفظ، يقال للذكر والأُنثى ابن عِرس وابنُ قِتْرة[٤] لضربٍ من الحيات، وابن دأية غير معروف للغراب . فإذا جمعت على هذا النحو قلت : بنات آوى ، وبنات عرس ، وبناتُ قِتْرة، وبناتُ دأية، للذكور والإناث. وكُلّ جمع من غير الإنس والجن والشياطين والملائكة فيقال فيه بنات . انتهى .

---

(١) الكلام بعده إلى « غير الآدميين » ساقط من ش .

(٢) من الآية ٤ فى سورة يوسف .

(٣) ش : « أبناء آوى » ، صوابه فى ش .

(٤) ابن قترة ، بكسر القاف : ضرب من الحيات خبيث إلى الصغر ما هو ، لا يسلم من لدغها ، وهو نحو من الشبر ، ينزو ثم يقع .

صاحب الشاهد

والبيتان من قصيدة للنابغة الجعدى أورد أبياتاً منها السيوطىُّ (فى شرح شواهد المغنى)[١] .

وقوله : و« وصهباء » إلخ ، أى ربَّ صهباء ، وهى الخمر. لا تُخفى : لا تستُر. والقذى : ما يقع فى الماء والشراب والعين إذا هبتَّ الريح . ودون هنا بمعنى قُدَّامٍ . يقول : إنَّ القذى إذا حصل فى أسفل الزجاجة رآه الرائى فى الموضـع الذى هو فيه ، لصفائها . والخمر أقرب إلى الرائى من القذَى ، وهى فيما بين الرائى وبين القذى، يريد أنَّها يُرى ماوراءها لصفائها . وتصفَّق بالبناء للمفعول . والتصفيق : إدارتها من إناءٍ إلى إناءٍ لتصفو . والراووق : المصفاة . وتُقطَب : تمزج .

وقوله :(شربت بها) إلخ روى أيضاً :(تمزَّزتها والدِّيكُ) . والتمزُّز : تمصُّص الشراب قليلاً قليلاً . ومزَّه يمزّه أى مصَّه . وقوله (يدعو صَبَاحَه) أى فى وقت صَباحه[٢] .

٤٢٣

قال ابن رشيق (فى باب السرقات الشعرية من العمدة):

قد اجتلب الفرزدقُ هذا البيت واستلحقه بشعره ، فقال :

وإجَّانة ريَّــا السُّرور كأنَّها إذا غُمست فيها الزجاجةُ كوكبُ[٣]

تمزَّزْتُها والديكُ يدعو صباحَه . . . البيت

والنابغة الجعدى شاعر صحابى تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة[٤] .

* * *

(١) وهى فى ديوان النابغة الجعدى ٣ - ١١ فى ٣٢ بيتاً .

(٢) ش : « أى وقت صباحه » بإسقاط « فى » . وفى ط : « فى أى فى وقت صباحه » ، و « فى » الأولى مقحمة .

(٣) الخزانة ٣ : ١٦٧ - ١٧٣ .

(٤) فى ديوان الفرزدق ١٥ : « ريا السروب » ، و« إذا اغتمست » .

جمع المؤنث السالم

أنشد فيه ، وهو الشاهد التسعون بعد الخمسمائة(١) :

٥٩٠ (أتتْ ذِكَرٌ عوَّدْنَ أحشاءَ قلبه
خُفوقاً ورَفْضَاتُ الْهَوَى فى المفاصِلِ)

على أنَّ (رَفْضات) كان يستحقّ أن يفتح فاؤه ، فسكَّن للضرورة ، لأنَّ رفضات جمع رَفْضَة ، وفعلة بفتح الفاءِ وسكون العين إذا كان اسماً لا صفة كصَعْبة ، يجب فتحُها إذا جمعت بالألف والتاءِ . ورفضة هنا اسمٌ لأنَّه مصدر محض ليس فيه من معنى الوصفيَّة شيء، ولو كان مؤوَّلاً بالوصف كرجل عَدْل لكان للتسكين وجه .

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : حُكم لرفضات وهو اسمٌ بحكم الصفة . ألا ترى أنَّ رفضات جمع رَفْضة ، ورَفْضة اسم ، والاسم إذا كان على وزن فعلة وكان صحيح العين فإنَّه إذا جمع بالألف والتاءِ لم يكن بدٌّ من تحريك عينه إتباعاً لحركة فائه ، نحو جفنة وجفنات . وإن كان صفةً بقيت العين على سكونها ، نحو ضخمة وضخمات . وإنَّما فعلوا ذلك فرقاً بين الاسم والصفة ، وكان الاسم أولى بالتحريك لخفَّته ، فاحتمل لذلك ثِقل الحركة ، فكان ينبغى أن يقول رَفَضات بالتحريك ، إلاَّ أنَّه لما اضطُرَّ إلى التسكين حَكم لها بحكم الصفة فسكّن. ومما يبيِّن لك صحة ماذكرتُه من الحمل على الصِّفة أنَّ أكثر ماجاءَ من

(١) المقتضب ٢ : ١٩٢ وإصلاح المنطق ١٥٤ والمحتسب ١ : ٥٦ / ٢ : ١٧١ وابن يعيش ٥ : ٢٨ واللسان (سنب ٤٥٧) وديوان ذى الرمة ٤٩٤ .

ذلك فى الشعر إنَّما هو مصدر ، لقوَّة شبه المصدر باسم الفاعل الذى هو صفة . أَلا ترى أَنَّ كل واحد منهما يقع موقع صَاحِبه . والمعتلُّ اللامِ من فَعْلة بمنزلة الصحيح اللام ، فى أَنَّ العين لا تسكن فى جمع الاسم منه إلَّا فى ضرورة ، حكى أَبو الفتح عن بعضِ قيس : ثلاث ظَبْيات بإسكان الباء . وروى أَيضاً عن أَبى زيد عنهم : شَرْية وشَرْيات . انتهى باختصار .

وقد تكلَّم ابن جنى (فى موضعين من المحتسب) على هذا الجمع فى أوّل سورة البقرة ، وفى سورة لقمان . ولمَّا كان الأَوَّل أَجمَع للفوائد اقتصرنا عليه .

قال : وقد سكَّنو المفتوح ، وهو ضرورة . قال لبيد :

رحَلْن لِشُقَّة ونَصَبْن نصبـاً لوغْرات الهـواجر والسَّمومِ[1]

وقال ذو الرمة :

أَبت ذكر عوَّدن أَحشاءَ قلبهِ . . . البيت

وروينا أَيضاً أَنَّ بعض قيس قال : ثلاث ظبْيات ، فأَسكن موضع العين . وروينا عن أَبى زيد أَيضاً عنهم شَرْية وشَرْيات ، وهو الحنظل . والتسكين عندى فى هذا أَسوغ منه فى نحو : رفضات ووغرات ، من قِبل أَنَّ قبل الأَلف ياءً محرَّكة مفتوحاً ماقبلها . وهذا شرط اعتلالها بانقلابها أَلفاً . ويحتاج أَن نعتذر من ذلك فنقول : لو قلبت أَلفاً لوجب حذفُها لسكونها وسكون الأَلف بعدها ، وليس فى نحو رفضات ما يوجب الاعتذار

---

(١) ديوان لبيد ١٠٢ . والوغرة : شدة حر النهار . والسموم ، بالفتح : الريح الحارة .

٤٢٤ من الحركة . وكانَ رفضات أَقربَ مأْخذًا من تمرات ، من قبَلَ أَنَّ رفضة حدَثٌ ومصدر ، والمصدر قويُّ الشبه باسم الفاعل الذى هو صفة ، والصفة لا تُحَرَّك فى نحو هذا[١] . ويدلُّك على قوَّة شبه المصدر بالصِّفة وقوعُ كلٍّ واحدٍ منهما موقع صاحبه . فكذلك سهَّل شيئاً إِسكانَ نحو رَفْضة وغَزْرة ، لسكونهما حدَثين ومصدرين ، لشبههما بالصفة . ويزيد فى أُنسك تسكينَ عينٍ ما لامُه حرف عِلَّة [٢] ، لما يعقب من الاعتذار من تحريك [عينِه[٣]] ، امتناعُهم من تحريك العين فى فعلة إِذا كانت حرفَ علَّة ، وذلك نحو جَوْزات ، أَلا ترى لو حرِّك لوجب أَن يعتذر من صحة العين مع حركتها وانفتاح ماقبلها ، بأَن يقولوا لو أُعلَّت لوجب القلب ، فيلتبس بما عينُه فى الواحد أَلفٌ منقلبة نحو قارة وقارات[٤] . وإِذا جاز إِسكان العينِ الصَّحيحة نحو تمرات صار المعتلُّ أَحرى بالصحة . انتهى باختصار .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة طويلة لذى الرمَّة كلُّها غزلٌ ونسيب . وقبله :

(إِذا قلتودِّعْ وصلَ خرقاءَواجتنِبْ زيارتَها تُخلِقْ حبالُ الوسائلِ)

يخاطب نفسه . ويقول : إِذا قلت ودِّع يا ذا الرمة وصل خرقاء ، وخرقاءُ لقب محبوبته ميّة ، وتُخلِقْ مجزوم فى جواب أَحد الأَمرين المتقدِّمين ، وفاعله ضمير المخاطب ، وهو من أَخلقت الثوبَ، إِذا أَبليتَه

---

(١) بعده فى المحتسب : « نحو صعبة وصعبات ، وخدلة وخدلات » .

(٢) أى فى نحو ظبية وغزوة .

(٣) التكملة من المحتسب ١ : ٥٧ .

(٤) فى النسختين : « فارة وفارات » بالفاء ، وصوابهما بالقاف ، كما فى المحتسب وما سيأتى فى الشاهد ٥٩٣ . والقارة، بتخفيف الراء : الحرة ، وهى أرض ذات حجارة سود ، والجمع قارات ، وقار ، وقور ، وقيران ، كما فى اللسان (قور) .

والحبال : جمع حَبْل بمعنى السَّبب ، استُعير لكلِّ شيء يُتوصَّل به إلى أَمر من الأُمور . والوسائل : جمع وسيلة . قال شارح ديوانه : الوسيلة القُربة والمنزلة .

وقوله : (أَبت ذِكر) إلخ ، هذا جوابُ إذا فى البيت قبله . (وأَبت) بمعنى امتنعت . وفى بعض نسخ الشرح (أَتت) بالمثناة على أَنَّه من الإتيان . ولم أَره فى نسخ الديوان ، وعندى منه ولله الحمد أربع نسخ ، وذكر بكسر الذال وفتح الكاف : جمع ذكر ، والذكر بالكسر والضم : اسمٌ لذكرتُه بلسانى وبقلبى ذِكرَى بالكسر والقصر ، نص عليه جماعةٌ منهم أَبو عبيدة ، وابن قتيبة . وأَنكر الفراء الكسر فى القلب وقال : اجعلنى على ذُكرٍ منك بالضم لا غير . ولهذا اقتصر عليه جماعة . والنون من (عوَّدْن) ضمير الذِّكَر . وعودته كذا فاعتاده وتعوَّده ، أَى صيَّرته له عادة . و (الأَحشاءَ) : جمع حَشًى بالقصر ، وهو ما فى البطن من مِعًى وكرش[1] ، وغيرهما . والخفوق مفعول ثان لعوَّد ، وهو مصدر خَفَق ، وخفَقاناً أَيضاً إذا اضطرب . و(رفضات) بالرفع معطوف على ذِكر . قال شارح ديوانه : رفضاتُه : تفَرُّقه وتفتُّحه فى المفاصل ، وهو بالفاء والضاد المعجمة . وهذا من قولهم : رفضت الإبل ترفِض كضرب يضرب ، رُفوضاً ، إذا تبدَّدت فى المرعى حيث أَحبَّت . ورفضات الهوى من إضافة المصدر إلى فاعله .

وقال ابن برى : يقول : إن تجتنب زيارتَها تُخلق حبالُ الوسائل لبعد العهد بها ، وتقادُم الوصل الذى يشوِّق إليها . يريد أَن يهوِّن على

---

(١) المِعى والمَعى ، بكسر الميم وفتحها مع فتح العين فيهما : واحد الأمعاء . وفى ش : « من أمعاء » .

نفسِه السلوَّ عنها ، ثم أجاب نفسه فقال : أبت ذكر جمع ذكرة . وأحشاءُ قلبه : جمع حَشًى ، كأنَّه أراد مابين الجنبين، لاشتمال الخفقان على جميع ذلك . ورفضات: جمع رَفْضة ، يعنى الكسر والحطم . انتهى .

وترجمة ذى الرمَّة تقدَّمت فى الشاهد الثامن [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الخمسمائة [٢] :

٥٩١ (وأهلةِ وُدٍّ قد تبرَّيْتُ ودَّهمْ
وأبليتُهم فى الحمد جَهدِى ونائلى)

٤٢٥

على أنّ أهلاً الوصف يؤنَّث بالتاء كما فى البيت .

وقوله: (وأهلة وُدٍّ) صفة لموصوف محذوف،أى جماعة مستأهلة للودِّ ، أى مستحقَّة له .

وفى البيت ردٌّ على الخليل فى زعمه أنَّه لا يقال أهلة . قال سيبويه : قلتُ للخليل : هلَّا قالوا أَرْضُون أى بسكون الراء ، كما قالوا أهلون ، قال : إنَّها لمَّا كانت تدخلها التاءُ أرادُوا أن يجمعوها بالواو والنون كما جمعوها بالتاءِ . وأهل مذكر لاتدخله التاءُ ولا تغيِّره الواو والنون كما لا تغيِّر غيره من المذكَّر نحو صعب . انتهى .

وقد أنكر بعضهُم استأْهل بمعنى استحقّ . نقل صاحبُ العباب عن تهذيب الأزهرى أنه قال [٣] : خطَّأ بعضُهم قولَ من يقول فلان يستأْهل أن يكرم أو يهان ، بمعنى يستحقّ . قال : ولا يكون الاستئهال إلَّا من

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ – ١١٠ .

(٢) المحتسب ١ : ٢١٧ ، واللسان (أهل ٢٨) .

(٣) النص فى تهذيب الأزهرى ٦ : ٤١٨ مقارب لما هنا ، وليس مطابقاً له ،وهو: « وقد سمعت أعرابياً فصيحاً من بنى أسد يقول لرجل أولى كرامة : أنت تستأهل ماأوليت » .

الإهالة ، وهو أخذ الإهالة أو أكلها ، وهى الألية المذابة . قال الأزهرى : وأمَّا أنا فلا أنكره ولا أُخطِّئ من قاله ؛ لأنِّى سمعت أعرابيًّا فصيحاً من بنى أسد يقول لرجلٍ شكَر عنده يداً أُولِيَهَا : « تستأْهل يا أبا حازم ما أُوليت[١] ». وحضر ذلك جماعةٌ من الأعراب ، فما أنكروا قوله . قال : ويحقِّق ذلك قولُه تعالى : ﴿ هو أهلُ التَّقوَى وأهل المغفرة[٢] ﴾ . انتهى .

وقول الشارح المحقق « وأهلٌ فى الأصل اسمٌ دخله معنى الوصف » قال الراغب (فى مفردات القرآن) : أهل الرجل : من يجمعه وإيَّاهم نسبٌ أو دين أو نحوُ ذلك ، من صناعةٍ وبيتٍ وبلد . فأهل الرَّجل فى الأصل : من جَمَعَه وإيّاهم مسكن واحد ، ثم تجوَّز به فقيل أهل بيته من يجمعه وإيَّاهم نسبٌ أو ما ذُكر . وعبَّر عن أهله بامرأته[٣] . وفلانٌ أهلٌ لكذا ، أى خليقٌ به . والآل ، قيل مقلوبٌ منه لكنْ خصَّ بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النَّكرات والأزمنةِ والأمكنة ، فيقال : آل فلان ولا يقال آل رجل ، ولا آل زمنٍ كذا ، ولا آل موضع كذا ، كما يقال أهل بلد كذا وموضعِ كذا . انتهى .

وقال صاحب العباب : الأهل : أهل الرجل ، وأهل الدار ، وكذلك الأَهْلَة . قال أبو الطَّمَحان القَينى :

وأهلةِ وُدٍّ قد تبرَّيتُ ودَّهم وأبليتهم فى الجَهْد بذلى ونائلى

أى ربَّ من هو أهلٌ للودّ ، وقد تعرَّضتُ له ، وبذلت له فى ذلك طاقتى

---

(١) انظر الحاشية السابقة .
(٢) من الآية ٥٦ فى سورة المدثر .
(٣) الوجه ما فى مفردات الراغب ٢٨ : « وعبر بأهل الرجل عن امرأته » .

من نائل . والجمع أَهَلات وأَهْلات وأَهْلون . وكذلك الأَهالى زادوا فيه الياءَ على غير قياس ، كما جمعوا ليلًا على ليال . وقد جاءَ فى الشعر آهال ، مثل فرخ وأَفراخ . وأَنشد الأَخفش :

* وبلدة ما الإِنسُ من آهالِهَا[١] *

وقال ابن عبّاد : يقولون هو أَهلهٌ لكلِّ خير ، بالهاء . وفلان أَهلٌ لكذا ، أَى مستحقٌّ له . انتهى .

والواو فى «وأَهلَة» واو ربَّ ، وصفة مجرورها محذوف ، أَى رب أَهلِ وُدٍّ ملتبس ومُبْهَم . وتبرَّيت جوابُها العاملُ فى محلِّ مجرورها . قال ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) : قد تبرَّيت لمعروفه تبرِّياً ، إذا تعرَّضت له . أَنشد الفراءُ :

وأَهلة ود . . . . . البيت

يقال أَهل وأَهلة . انتهى .

ورواية البيت للشارح المحقق هى رواية ابن السكيت (فى إصلاح المنطق[٢] ، وفى كتاب المذكر والمؤنث) . وكذا رواه السخاوىّ (فى سفر السعادة) وقال[٣] : ومعنى تبرَّيت تعرَّضت له واوُدِّه ، وبذلت له فى ذلك طاقتى .

---

(١) ابن يعيش ٥ : ٧٣ ، واللسان (بلا ٩٦) وفى اللسان :

* بلْ بلدة ما الإنس من آهالها *

شاهداً على استعمال « بل » فى استئناف الكلام . ونظيره أيضاً :

* بل ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا *

(٢) ش : « فى الإصلاح » .

(٣) ط : « قال » بدون واو .

وقال ابن السِّيرافى (فى شرح أبيات الإصلاح) : ويروى : « فى الجهد بذلى ونائلى » أى ربَّ أهل وُدٍّ قد تعرَّضت لأن يعلموا أنِّى أَودّهم وبذلت لهم مالى فى العسر واليسر . ولم أَبخل عليهم بشىء . يصف نفسَه بالوفاء والبذل . وتفسير تبرَّيت : كشفت وفتَّشت . يريد أنَّه فتَّش عن صحَّةِ وُدِّهم له ليعلمه فيجيزهم به . وأَبليتهم : أَوصلتُهم ومنحتهم . والبليَّة بمعنى المنحة تارة والمِحْنة[١] أخرى . ومنح يتعدَّى إلى مفعولين. قال زهير :

جَزى الله بالإحسان ما فعلا بكم   وأبلاهما خير البلاء الذى يبلُو[٢]

أى خير الصنيع الذى يختبر به عباده . والجُهد بالضم فى لغة الحجاز ، وبالفتح عند غيرهم : الوُسع والطاقة . والنائل : النَّوال ، كلاهما بمعنى العطاء .

صاحب الشاهد

والبيت نسبه ابن السيرافى وصاحب العباب إلى أبى الطمحان القَينى ، وهو شاعرٌ إسلامى .

أبو الطمحان القينى

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو حنظلة بن الشَّرْقى . وكان فاسقاً . وقيل له : ما أدنى ذنوبك ؟ قال : ليلة الدَّير . قيل : وماليلة الدير ؟ قال : نزلت بدَيرِ نصرانيّةٍ فأَكلتُ عندها طَفَيشلًا بلحم خِنزير[٣] وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كأْسها ومضيت .

---

(١) فى النسختين : « والمحبة » ، والوجه ما أثبت . يقال بلى فلان وابتلى ، إذا امتحن بمنحة .
(٢) ديوان زهير ١٠٩ .
(٣) ضبطه صاحب القاموس بوزن سميدع ، وذكر أنه نوع من المرق . وجعله البغدادى فى كتاب الطبيخ ٥٥ ضرباً من التنوريات ، أى الأطعمة التى تنضج فى التنور . وجاء فى كتاب منهاج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل : كل طعام يعمل من القطانى ، أعنى الحبوب ، كالعدس والجلبان وما أشبه ذلك » . وفسره استينجاس فى المعجم الفارسى الإنجليزى ٣١٣ بأنه ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل . وانظر الحيوان ٣ : ٢٤/٥ : ٢٢٦ . ويقال له أيضاً طفشيل بكسر الطاء والشين كما فى كتاب الطبيخ وحواشيه . وهومعرب « تفشله » أو « نفشيله » الفارسية .

وكان نازلاً على الزُّبير بن عبد المطلب ، وكان ينزل عليه الخلعاءُ .

وهو القائل لقوم أغاروا على إبله وكانوا شربوا من ألبانها :

وإنِّى لأَرجو مِلحَها فى بطونكم   وما بسطَتْ من جلدِ أَشعثَ أَغبرا[١]

يقول : أرجو أن يعطِفَكم[٢] علىّ ذلك اللبنُ أنْ تردُّوها . والمِلح : اللبن . انتهى .

وقال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : إنَّه كان نديماً للزُّبير بن عبد المطلب فى الجاهليَّة ، ثم أدرك الإسلام .

وقال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) : أبو الطمحان القَيْنى اسمه حَنظلة بن الشرق . كذا وجدته فى كتاب بنى القَين بن جَسْر . ووجدت نسبه (فى ديوانه المفرد) : أَبو الطمَحان ربيعة بن عوف بن غَنم بن كِنانة بن القَين بن جَسْر ، شاعر محسنٌ مشهور ، وهو القائل :

أضاءَت لهم أَحسابُهم ووجوهُهم
دُجى الليـل حتَّى نظَّم الجزْعَ ثاقبه[٣]

---

(١) وكذا جاءت الرواية فى الحيوان ٤ : ٤٧٣ والكامل ٢٨٤ والغريب المصنف ٤٩٤ والاشتقاق ٢٦٧ والمخصص ١ : ٢٦ واللسان (ملح) . وصوابها : « أغبر » بكسر الروى . كما فى الشعراء ٣٨٩ واللآلى ٤٠٥ ومانبه عليه ابن برى . والقصيدة مخفوضة الروى أولها :

ألا حنت المرقال واشتاق ربها   تذكر أرماما وأذكر معشرى

ومنها أبيات فى الأغانى ١١ : ١٢٨ / ١٦ : ٦٧ . كما أن ابن الأعرابى أنشد هذا البيت فى نوادره برواية :

* ومابسطت من جلد أشعث مقتر *

وبعد البيت كما فى السمط :

جزاء سنمار جزوها وربهـــا   وباللات والعزى جزاء المكفر

(٢) ط : « يلطفكم » ، صوابه فى ش والشعراء .

(٣) الجزع ، بفتح الجيم وكسرها : ضرب من الخرز فيه سواد وبياض . والبيت فى مصون العسكرى ٢٢ ، ٥٨ والكامل ٣٠٣ والعينى ١ : ٥٦٧ والحماسة بشرح المرزوقى ١٥٩٨ . ونسب فى الحيوان ٣ : ٩٣ إلى لقيط بن زرارة .

ثم أَورد اثنين من الشُّعراءِ يقال لهما أَبو الطمَحان أَحدهما أَبو الطمحان النَّهشلى . ثانيهما : أَبو الطَّمحان الأَسدِىّ .

وقال أَبو حاتم (فى كتاب المعمرين[١]) : هو من بنى كنانة بن القين بن جَسْر بن شَيع الله بن الأَسَد بن وبَرة بن تغلب بن حُلوان ابن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة . عاش مائتى سنة ، وقال فى ذلك :

حَنتنى حانياتُ الدَّهر حتَّى كأَنِّى خاتلٌ يدنو لصيدِ
قريبُ الخطْوِ يحسَب مَن رآنى ولست مقيَّدًا أَنِّى بقيدِ

انتهى .

وأَورده ابن حجر (فى الإصابة) فى قسم المخضرمين الذين أدركوا زمن النبى صلى الله عليه وسلم وأَسلموا ولم يَرَوْه .

وذكره المرزبانى فقال : هو أَحد المعمَّرين ، وهو القائل :

وإنِّى من القوم الذين همُ همُ إذا مات منهم سيِّدٌ قام صاحبُه
أَضاءَت لهم أَحسابُهم ووجوهُهم دجى اللَّيل حتى نظم الجزعَ ثاقبُه

ويقال هو أَمدح بيتٍ قيل فى الجاهلية .

والطَّمَحان بفتح الطاءِ والميم بعدها حاءٌ مهملة .

* * *

٤٢٧ وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س[٢] :

٥٩٢ (وهُمْ أَهَلاتٌ حولَ قيس بن عاصمٍ
إذا أدلجُوا يدْعُونَ باللَّيل كَوْثرا)

(١) كتاب المعمرين ٥٧ . وانظر الأغانى ٢ : ١٢٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ١٩٦ .
(٢) فى كتابه ٢ : ١٩١ . وانظر ابن يعيش ٥ : ٣٣ واللسان (أهل ٢٩) .

على أنَّه جمعُ أَهلة ، جُمِع باعتبار اسميَّته ، ولهذا فتح عينه .

وفيـه ردٌّ على سيبويه فى زعمه أنَّه جمع أَهل . قال : وقد يجمعون المؤنَّث الذى ليست فيه هاءُ التأْنيث بالتاءِ ، كما يجمعون مافيه الهاء ، لأَنَّه مؤنَّثٌ مثله ، وذلك قولهم : عُرُسات وأَرَضَات ، وعِير وعِيَرات ، حرَّكوا الياءَ وأَجمعوا فيها على لغة هذيل ، لأَنَّهم يقولونَ : بَيَضات وجَوَزات . وقد قالوا عِيرات وقالوا أَهْلات فخفَّفوا ، شبَّهوه[١] بصعْبات حيث كان أَهل مذكَّراً تدخله الواو والنون . فلمَّا جاءَ مؤنثاً كمؤنث صَعْب فُعل به كما فعل بمؤنَّث صَعْب . وقد قالوا أَهَلات[٢] كما قالوا أَرَضاتٍ . قال المخبَّل :

وهم أَهَلاتٌ حولَ قيسِ بن عاصمٍ ... البيت . انتهى

قال الأَعلم : الشاهد فيه جمعأَهل على أَهَلات وتحريك الثانى[٣] . ووجه دخول الأَلف والتاءِ فيه حمل أَهل على معنى الجماعة ، لأَنَّه يؤدِّى عن معناها وإن لم تكن فيه الهاء ، فجمع بالأَلف والتاءِ كما تجمع الجماعة . ووجه تحريك الثانى تشبيهُه بأَرَضات ، لأَنَّه فى الجمع مؤنَّثٌ مثلُها ، ولأَنَّ حكم ما يجمع بالأَلف والتاءِ من باب فَعْلة ، وكان من الأَسماءِ ، تحريكُ ثانيه ، كجفنة وجفنات . انتهى .

---

(١) سيبويه : « شبهوها » .

(٢) سيبويه : « وقد قالوا أهلات فثقلوا » .

(٣) الشنتمرى : « بالألف والتاء وتحريك الثانى » .

وقد تبع الزمخشريُّ (فى مفصَّله) سيبويه فقال : وحكم المؤنَّث الذى لا تاءَ فيه كحكم الذى فيه التاءُ ، قالوا : أَرَضات وأَهَلات فى جمع أَرض وأَهل . قال : « فهم أَهلات » البيت .

قال شارحه ابن يعيش : أَهَلات : جمع أَهلة ، وليس بجمع أَهل كما ظنَّه المصنف[١] . أَلا ترى أَنَّ أَهلاً مذكر يجمع بالواو والنون ، لأَنَّهم لمَّا وصفوا به أَجرَوْه مجرى الصِّفات فى دخول تاءِ التأْنيث ، للفرق ، فقالوا : رجل أَهلٌ وامرأَة أَهلة ، كما يقولون ضارب وضاربة . قال الشاعر :

* وأَهلة وُدٍّ قد تبريَّت ودَّهم *

ولمَّا قالوا فى المذكَّر أَهل وأَهلون وفى المؤنث أَهْلَة وأَهَلات ، أَشبَهَ فعلة من الصفات فجمعوه[٢] بالأَلف والتاءِ ، وأَسكنوا الثانىَ منه كما فعلوا ذلك بسائر الصفاتِ . ومن العرب من يقول أَهَلاتٌ ، فيفتح الثانىَ كما فتحوا فى أَرَضات ، لأَنَّه اسمٌ مثله وإِن كان أَشبه الصِّفة . قال المخبل :

فهم أَهَلاتٌ حول قيس بن عاصم ... انتهى

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للمخبَّل السعدىِّ . قال ابن المستوفى (فى شرح أَبيات المفصل) : وقبله :

أبيات الشاهد

(أَلم تعلمى يا أُمَّ عَمـرةَ أَنَّنى — تخـاطَأَنِى رَيبُ الزَّمان لأَكبَرَا
وأَشهدَ من عَوف حُلولاً كثيرة — يَحجُّون سِبَّ الزِّبرقان المُزعفَرا

(١) الذى فى ابن يعيش : «كما ظنه صاحب الكتاب» ، يعنى سيبويه ، لا الزمخشرى كما يتبادر إلى الذهن من عبارة « كما ظنه المصنف » .
(٢) فى النسختين : « جمعوه » والصواب ما أثبت من ابن يعيش .

فهم أَهَلاتٌ حولَ قيس بن عاصم ... البيت)

وقوله : « أَلم تعلمى » إلخ ، قالُ أَبو محمد الأَسود الأَعرابى : معناه أَنَّه كره أَن يعيش ويعمَّر حتَّى يرى الزبرقان من الجلالة والعظمة بحيث يحجُّ بنو سعد عِصابته[1] . انتهى .

وتخاطأَنى بمعنى تخطَّانى وفاتنى . و « ريب الزَّمان » : حوادثه . وكبر فى السِّنِّ ، من باب فرح .

وقوله : « وأَشهدَ » بالنصب عطف على لأَكبَرَ . وعوف : أَبو قبيلة ، وهو عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . والحُلول : القوم النُّزول ، منْ حلَّ بالمكان إذا نزل فيه . ويحجُّون : يقصدون . قال ابن دريد (فى الجمهرة) : الحجُّ : القصد . وأَنشد هذا البيت .

٤٢٨

والسِّبُّ بكسر السين المهملة : العمامة ، قال ابن دريد (فى الجمهرة) : السِّبُّ بالكسر : الشِّقَّة البيضاءُ من الثياب ، وهى السَّبِيبة أَيضاً . وأَنشد هذا البيت وقال : يريد العمامة ههنا . وكانت سادات العرب تصبغ العمائم بالزَّعفران . وقد فسَّر قومٌ هذا البيت بما لا يذكر . انتهى .

أَقول : من جُملة من فسَّره بالقبيح الأَصمعى ، قال (فى كتاب الفَرْق بين ما للإنسان والوحوش) : قالوا فى الدُّبر من الإنسان دون البهائم : اسْتٌ وسِتٌ وسَهٌ بالهاءِ ، ويسمى أَيضاً السُّبَّة بالضم ، والسَّبَّة بالفتح ، والسِّبَّة بالكسر . قال المخبل :

* يحجُّون سِبَّ الزبرقان المزعفرا *

---

(١) العصابة : العمامة ، وكل مايعصب به الرأس .

قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الإصلاح) : قال بعضُ الناس : إنَّ الشاعِر قصد بهذا البيت معنى قبيحاً وكنى بهذا اللفظ عنه . وإنَّما أراد أنَّ الزبرقان كان به داءُ الأُبنة يؤتى من أجله . انتهى .

ويدفعه قوله « يزورون » ، فإنَّ الزيارة لا تستعمل فى مثل هذا ، إلا أن يدَّعىَ التهكم .

وقال أبو محمد الأسود : من زعم أنَّ المخبَّل كنى ههنا عن قبيح فقد أخطأ ، وإنما قصد(١) بسبّ الزبرقان أنّ بنى سعد بن زيد مناة كانوا يحجُّون عصـابته إذا استهلُّوا رجباً فى الجاهلية ، إجلالًا له وإعظاماً لقدره . وذكر ذلك ربيعةُ بن سعد النَّمرى يمدح الزبرقان :

كانت تحجُّ بنو سعدٍ عصابَته ... إذا استهلُّوا على أنصابه رَجَبا
سِبٌّ يزعفـرهُ سعدٌ ويعبده ... فى الجاهلية ينتابُونَه عُصَبا(٢)

والعِصابة : ما يعصب به الرأس . انتهى .

الزبرقان بن بدر

والزبرقان هو ابن بدر الصحابى ، ولاَّه النبى صلى الله عليه وسلم صدقاتِ بنى تميم .

قال صاحب (زهر الآداب) : سمى الزبرقان لجماله . والزِّبرقان : القمر قبل تَمامه ، وقيل لأنَّه كان يزبرق عمَّته فى الحرب ، أى يصفِّرها . انتهى .

واسمه حُصين بن بدر . وإيَّاه عنى المخبَّل بقوله من هذه القصيدة :

---

(١) ش : « أراد » .
(٢) ينتابونه : يقصدونه مرة بعد مرة . وفى ش : « بيتا يومه » . تحريف .

تمنَّى حصينٌ أن يَسُود جِذَاعَهُ فأَمسى حصينٌ قد أذلَّ وأقهرا[١]

والجِذاعُ[٢] ، بكسر الجيم بعدها ذال معجمة : أولاد السَّعْفاء .

قال صاحب جمهرة الأنساب : ولد عوفُ بن كعب بن سعد عُطارِدًا ، وبَهْدَلة ، وجُشَم ، وبِرنيقاً[٣] . وأُمُّهم السعفاءُ بنت غَنْمَ من بنى باهلة ، ويقال لبنيها : الجِذاع . وأنشد هذا البيت .

وقال السَّخاوى (فى سفر السَّعادة) : وإنَّما سمِّى الزبرقان لصفرةِ عمامته . وزبرقت الثَّوب أى صفَّرته. وقال « المزعفَر »لأَنَّ السِّبَّ مذكَّر وإن كان المراد به العمامة .

وقوله : (وهم أهلات) إلخ . الظاهر أَنَّ هذا البيت غير متَّصل بما قبله ، لسقوط أَبياتٍ بينهما . يقول : هم أهلات وأَقاربُ حول قيس بن عاصم. يعنى أَنَّه سيِّدُهم ، وهم قد أحاطوا به . وأدلج القوم إدلاجاً كأكرم إكراماً : ساروا اللَّيل كلَّه. فإنْ ساروا من آخر الليل قِيلَ ادَّلجوا ادِّلاجاً بتشديد الدال . قال الأَعلم : وصف اجتماع أَحياءِ سعد من بنى مِنقر وغيرهم إلى قيس بن عاصم المنقرى سيِّدهم ، وتعويلَهم عليه فى

(١) ط : « جذاعة » ، صوابه فى شمع أثر تصحيح ، واللسان (جذع ، قهر) ، والاقتضاب ٤٠٥ والتهذيب ٥ : ٣٩٥ .

(٢) فى النسختين : « والجذاعة » ، والوجه ما أثبت كما يقتضيه السياق وما تؤيده المراجع السابقة . وفى اللسان (جذع) أن جذاع الرجل قومه ، لاواحد له . ثم قال بعد إنشاد البيت : « وخص أبو عبيد بالجذاع رهط الزبرقان » .

(٣) ط : « وبرنيق » ، صوابه فى ش وجمهرة ابن حزم ٢١٨ والاشتقاق ٢٥٤ واللسان (برنق) . وقال ابن منظور : « وبنو برنيق : بطين من العرب » . وذكروا أن البرنيق : ضرب من الكمأة يكون لها شبيه الأقماع يكون فيها سم قاتل .

أُمورهم . والكوثر : الجواد الكثير العطاء . أى إن أَدلجوا حَدَوْا الإبل بمدحِه وذكرِه . انتهى .

وقيل إنَّ كوثراً كان شعاراً لهم عند نداء بعضهم بعضاً فى اللَّيل وفى الحرب .

٤٢٩

قيس بن عاصم

وقيس بن عاصم صحابى ، وهو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد ابن مِنقر بكسر الميم ، ابن عُبيد بن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

وفدَ قيسُ بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هذا سيِّد أهلِ الوبر » .

وترجمة المخبَّل السعدى تقدَّمت فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الأَربعمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الخمسمائة (٢) :

٥٩٣ (أخو بَيَضاتٍ رائحٌ متاوِّبٌ)

على أنَّ هذيلاً تفتح عين فَعْلة الاسمىِّ فى الجمع بالأَلف والتاء ، كبَيَضات ، بفتحات .

---

(١) الخزانة ٦ : ٩٣ - ٩٥ .

(٢) المحتسب ١ : ٥٨ والخصائص ٣ : ١٨٤ والمنصف ١ : ٣٤٣ وابن يعيش ٥ : ٣٠ وشرح شواهد الشافية ١٣٢ والعينى ٤ : ٥١٧ والتصريح ٢ : ٢٩٩ والهمع ١ : ٢٣ والأشمونى ٤ : ١١٨ .

صرّح به ابن جنى (فى الخصائص) بأنّ فتح حرف العلة فى بَيَضات وجوَزات لغة هذيل ، فلا يكون من قبيل ضرورة الشعر .

ولهذا لم يورده ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) .

قال أبو عُمَر[١] محمد بن عبدالواحد الزاهد (فى كتاب اليواقيت): قال أبو العباس : وأخبرنى سلمة عن الفراء قال : أنشدنى بعض بنى هذيل « أخو بيضات » البيت .

وكذا قال الزمخشرىُّ (فى المفصل) : إذا اعتلّت عين فعلةٍ سكنت إلاّ فى لغة هذيل . فعند غير هذيل يكون الفتح ضرورة .

وقد أطلق ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) فقال : وقد جاءَ فى الشعر تحريك مثل هذا . قال الشاعر : « أخو بيضات » البيت .

وهذا ليس بجيِّد ، ولا بدَّ من التقييد .

قال (فى المحتسب) : امتنعوا من تحريك العين فى فَعْلةٍ إذا كانت حرف علّة ، كجوْزات وبيضات . ولو حرِّك لوجب أن يُعتذر من صحّة العين مع حركتها وانفتاح ماقبلها بأَنْ يقال : لو أُعلّت لوجب القلب فيصير جازات وباضات ، فيلتبس ذلك بما عينُه فى الواحد ألفٌ منقلبة ، نحو قارة وقارات، وجارة وجارات . وإذا جاز إسكان العين الصحيحة نحو تمرات وشفرات صار المعتلُّ أحرى بالصحّة . وربّما جاءَ الفتحُ فى العين ، كما قال الهذلى[٢] :

(١) ش : « أبو عمرو » ، صوابه فى ط ، كما هو معروف فى ترجمته .

(٢) البيت لم يرد فى ديوان الهذليين ولا شرح أشعارهم . وأوله فى رواية ابن جنى فى كتبه كلها : « أبو بيضات » ، لا « أخو بيضات » .

* أَخو بَيَضات رائحٌ مُتأَوِّبٌ *

وعذره فى ذلك أنَّ هذه الحركة إنَّما وجبت فى الجمع ، وقد سبق العلم بكونها فى الواحد ساكنة ، فصارت الحركة فى الجمع عارضة فلم تُحفَل . وفى هذا بعدَ هذا ضعفٌ. ألا ترى أنَّ هذه الأَلف والتاء تبنَى الكلمة عليهما وليستا فى حكم المنفصل . يدلُّك على ذلك صحَّة الواو فى خُطُوات . ولو كانت الأَلف والتاءُ فى حكم المنفصل لوجب إعلال الواو ، لأَنها لام وقبلها ضمة . قال أَبو على : يدلُّك على أَنَّ الكلمة مبنيّةٌ على الأَلف والتاءِ اطَّراد إتْباع الكسر للكسر فى سِدِرات وكِسِرات مع عزّة فِعِل فى الواحد بكسرتين[1] . إلَّا أَنَّ ممَّا يؤنس بكون حركةِ العين غير لازمة ، قولُ يونس فى جِرْوة إذا قلت جِروات . فصحَّة الواو وهى لامٌ بعد كسرة تدلُّك على قلة الاعتداد بها . أو يقال : إنَّ هذا شاذ ، يدلُّ على شذوذه امتناعهم أَن يحرِّكوا عين كُلْيَة ومُدْيَة فى هذا الجمع[2] ، لما كان يعقب ذلك من وجوب قلب الياء إلى الواو . فدلَّنا ذلك على أَنّ نحو جروات شاذّ. فهذه أَشياءُ تراها متكافئة . وعلى كل حال فالاختيار خُطْوات بالإسكان . انتهى .

والمصراع صدرٌ . وعجزه :

(رفيقٌ بمسح المنكبين سبوحُ)

والبيت مع كثرة وجوده فى كتب النحو والصرف لم أَطَّلع على قائله ، ولا على تتمته . قال شارح اللباب : يصف ذكَراً من النَّعام ، أَى هو أَخو بيضات يرجع ويسرع إلى بيضاته .

٤٣٠

(١) الذى فى المحتسب : « مع عزة فعل فى الواحد . وإنما حكى سيبويه منه إبل لاغير » .
(٢) بدله فى المحتسب : « أن يحركوا عين كلية ومدية ، وأن يقولوا : كليات ومديات » .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : الرائح : الذى يسير ليلاً . والمتأَوِّب : الذى يسيرنهاراً . يصف ظليماً وهو ذكرالنعام ، شبَّه به ناقته ، فيقول : ناقتى فى سرعة سيرها كَظليم[١] له بيضات يسير ليلاً ونهاراً ليصل إلى بيضاته . رفيق بمسح المَنكبين : عالم بتحريكهما فى السَّير . سَبوح : حسن الجرى . وإنَّما جعله أخا بيضات ليدلَّ على زيادة سرعته فى السَّير ، لأنَّه موصوفٌ بالسرعة . وإذا قصد بيضاتِه يكون أسرع . انتهى .

وقال الكرمانى (فى شرح أبيات الموشح) : رائح من الرَّواح ، أى راجع . والسَّبوح من السَّبْحِ ، وهو شدَّة الجرى . والمراد برفيق بمسحِ المنكبين : التحرُّكُ يميناً وشِمالاً ، وذلك من عادة الطَّير . والمَنكب : مجتمَع ما بين العَضُد والكتف . وقد خطَّأَ العينىُّ فخر الدين الجارَبردى فى قوله : البيتُ فى صفة النعامة ، بأَنَّ البيت فى مدح جَملِه شبَّهه بالظليم[٢] . والتخطئة لا وجهَ لها ، وكونه فى وصف نعامة أو ظليم أمرٌ سهل مع أنَّه متوقِّف على الوقوف على ماقبل هذا البيت .

قال صاحب المصباح : يتوهَّم بعضُ الناس أنَّ الرَّواح لا يكون إلاَّ فى آخر النهار ، وليس كذلك بل الرَّواح والغدوّ عند العرب يستعملان فى المسير أىَّ وقتٍ كان ، من ليل أونهار . قاله الأزهرىُّ وغيره . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : « من راح إلى الجمعة فى أوَّل النهار فله كذا » ، أى مَن ذهَبَ .

والتأَوُّب : تفعُّل من الأَوْب ، وهو الرُّجوع من السَّفر . والرَّفيق من الرِّفق ، وهو ضِدُّ العنف .

---

(١) ط : « ظليم » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) ش : « يشبهه » ، وأثبت ما فى ط .

جمع التكسير

أنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١] :

٥٩٤ (لنا الجفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ فى الضُّحى وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نجدة دما)

على أنّه إن ثبت اعتراض النابغة على حسّان بقوله : « قلَّلت جِفانَك وسُيوفك » لكان فيه دليلٌ على أنّ المجموع بالألف والتاء جمع قلّة . وهذا طعنٌ منه على هذه الحكاية .

ثمّ استظهر أنّ جمعَى السلامة لمطلقِ الجمع من غير نظر إلى القلّة والكثرة ، فيصلحان لهما . انتهى .

وقد نظمه أبو الحسن الدَّبّاج [٢] ، من نحاة إشبيلية ، ذيلاً لجموع القلة من التكسير فى بيتٍ من المتقدّمين ، وهما :

بأَفعُلٍ وبأَفعالٍ وأَفعلة وفِعلةٍ يُعرفُ الأَدنَى من العدد
وسالم الجمع أيضاً داخلٌ معها فهذه الخمس فاحفظْها ولاتزد

وقد صرح سيبويه بأنّ الجمع بالألف والتاء للقلّة . وأوّلَ بيتَ حسّان على أنّه للكثرة ، وهذا نصُّه :

وأمّا ما كان على فَعلة فإنك إذا أَردت أدنى العدد جمعتَها بالتاءِ وفتحت العين ، وذلك قولك : قَصْعة وقَصَعات ، فإذا جاوزْتَ أدنى العدد كسَّرت الاسم على فِعال ، وذلك قصعة وقِصاع .

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٨١ والمقتضب ٢ : ١٨٨ والمصون ٣ والخصائص ٢ : ٢٠٦ والمحتسب ١ : ١٨٧ ، ١٨٨ والموشح ٦٠ ، والأغانى ٨ : ١٨٨ وابن يعيش ٥ : ١٠ والعينى ٤ : ٥٢٧ والأشمونى ٤ : ١٢١ وديوان حسان ٣٧١ .

(٢) الدباج ، بالدال المهملة المفتوحة والباء المهملة المشددة وآخره جيم . وورد فى النسختين محرفاً « الذباح » ، صوابه من البغية ٢ : ١٥٣ . وهو أبو الحسن على بن جابر بن على الأشبيلى اللخمى النحوى . تصدر لإقراء النحو والقرآن نحو خمسين سنة وتوفى سنة٦٤٦ .

ثم قال : وقد يجمعون بالتاء وهم يريدون الكثير ، قال حسان :

لنا الجَنات الغُرُّ . . . . البيت .

فلم يردْ أدنى العدَد . انتهى .

٤٣١ قال الأعلم : الشاهد فى وضع الجفنات وهى لما قلَّ من العدد فى الأصل، لجريها مجرى الثلاثة ، موضعَ الجفان التى هى للكثير. و(الغُرّ) البيض ، يريد بياضَ الشحم. و(الأَسياف) جمعٌ لأَدنى العدد ، فوضَعَه موضع الكثير . وصف قومَه بالندى والبأْس ، يقول : جفاننا معدَّة للأَضياف ومساكينِ الحىِّ بالغداة ، وسيوفنا يقطرن دماً ، لنجدتنا وكثرة حروبنا . انتهى .

وإلى مذهب سيبويه ذهب الزجاج ، قال فى تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللهَ فِى أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ[١] ﴾ قالوا: هى أيام التشريق . ومعدودات يستعمل كثيراً فى اللغة للشىء القليل . وكلُّ عدد قلّ أو كثر فهو معدود ، ولكن معدودات أُدِّل على القلة ، لأَنَّ كلَّ قليل يجمع بالأَلف والتاء ، نحو دريهمات وحَمّامات . وقد يجوز ، وهو حسن كثير ، أَنْ يقع الأَلف والتاءُ للتكثير. وقد روى أَنَّه عِيب على القائل: « لنا الجفنات الغُرّ » البيت ، فقيل له : قلَّلتَ[٢] الجفنات ولم تقل الجفان! وهذا الخبر عندى مصنوع ، لأَنَّ الأَلف والتاءَ قد تـأْتى للكثرة ، قال الله عز وجلّ : ﴿ إِنَّ المسْلِمينَ والمسْلِمَاتِ والمؤْمنينَ والمؤْمِنَاتِ[٣] ﴾ ، وقال : ﴿ فى جنَّات ﴾

---

(١) الآية ٢٠٣ من سورة البقرة .

(٢) ط : « قلت » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) الآية ٣٥ من الأحزاب .

وقال : ﴿ وَهُمْ فِى الغُرفَاتِ آمِنُونَ[١] ﴾ فالمسلمون ليسوا فى غُرفات قليلة ، ولكن إذا خصَّ القليل فى الجمع بالألف والتاء دلَّ عليه . لأَنَّه يلى التثنية . وجائز حسن أن يراد به الكثير . ويدلُّ المعنى الشاهد على الإرادة . كما أنَّ قولك جمع يدل على القليل والكثير . انتهى .

وكذلك قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة طلحة من سورة النساء : ﴿صَوَالِح قَوَانِت حَوَافظ لِلْغَيْب[٢] ﴾ . قال أبو الفتح : التكسير هنا أشبه لفظاً بالمعنى ، وذلك أنَّه إنَّما يراد هنا معنى الكثرة لا صالحات من الثلاث إلى العشر . ولفظ الكثرة أشبه بمعنى الكثرة من لفظ القلَّة بمعنى الكثرة ، والألف والتاءُ موضوعتان للقلَّة . فهما على حدِّ التثنية بمنزلة الزيدون من الواحد إذا كانوا على حدِّ الزيدان[٣] . هذا موجبُ اللغةِ على أوضاعها . غير أنَّه قد جاءَ لفظ الصحَّة[٤] والمعنى الكثرة كقوله تعالى : ﴿ إنَّ المسْلِمِينَ والمسْلِمَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ والذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ ﴾ والغرض فى جميعه الكثرة لا ما هو لمَا بين الثلاثة إلى العشرة . وكان أبو علىٍّ ينكر الحكاية المرويَّة عن النابغة وقد عَرَض عليه حسَّان شعره ، وأنَّه لما صار إلى قوله لنا الجفنات الغر ، البيت . قال له النابغة « لقد قلَّلت جفانك وسيوفَك ! قال أبو على : هذا خبر مجهول لا أصلَ له ، لأنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَهُمْ فِى الغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ ولا يجوز أن تكون الغرف كلُّها التى فى الجنَّة من الثلاث إلى العشر . وعُذر ذلك عنـدى أنه قد كثر عنهم وقوعُ الواحد على معنى الجمع جنساً . كقولنا : أهلك

---

(١) الآية ٣٧ من سورة سبأ .
(٢) من الآية ٣٤ فى سورة النساء . وقراءة الجماعة : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب » .
(٣) فى المحتسب : « إذا كان على حد الزيدان » .
(٤) أى الجمع الصحيح للمؤنث والمذكر ، وهما للقلة :

الناسَ الدينارُ والدرهم ، وذهب الناسُ بالشاة والبعير . فلمّا كثر ذلك جاءوا فى موضعه بلفظ الجمع الذى هو أدنى إلى الواحد أيضاً ، أعنى جمعَى السَّالم[١] . وعُلم أيضاً أنّه إذا جىء فى هذا الموضع بلفظ جمع الكثرة لا يتدارك معنى الجنسية ، فلهُوا عنه وأقاموا على لفظ الواحد تارة ولفظ الجمع المقارب للواحد تارة أخرى ، إراحة لأنفسهم من طلب ما لا يدرك ويأْساً منه . فيكون هذا كقوله :

رأى الأمرَ يُفضِى إلى آخِرٍ فصيَّر آخــرَه أوّلا[٢]

ومثل هذين الجمعين مجيئهم فى هذا الموضع بتكسير القلة[٣] كقوله تعالى : ﴿ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ[٤] ﴾ ، وقول حسان : وأسيافنا يقطرن ، ولم يقل عيونهم ولا سيوفنا . وقد ذكرنا هذا ونحوَه فى كتاب الخصائص[٥] . انتهى .

٤٣٢

قال شيخنا ياسين الحمصى (فى شرح ألفية ابن مالك) : اعلم أنّهم قالوا : إذا قرن جمع القلة بأل التى للاستغراق ، أو أُضيف إلى ما يدلُّ على الكثرة انصرفَ بذلك إلى الكثرة . وعلى هذا الإيراد ما قاله النابغةُ على حَسَّان ، ويقال إنَّ حسَّان أجاب بذلك ، لكنّ قوله أسيافنا لم يُضَف إلى ما يدلُّ على الكثرة . وعليك بحفظ هذه القاعدة ؛ فكثيراً ما يُغفَل عنها . وممن غَفَل عنها العلاَّمة ، والقاضى ، وصاحب المغنى[٦] فى تفسير قوله

---

(١) لفظ المحتسب : « أعنى الجمع بالواو والنون ، والألف والتاء » .

(٢) فى الخصائص ١ : ٢٠٩ / ٢ : ٣١ ، ١٧٠ وابن يعيش ٥ : ١٢٠ وفى بعض أصول الخصائص : « فصير غايته » .

(٣) ط : « بتكثير القلة » ، صوابه فى ش والمحتسب .

(٤) من الآية ٩٢ فى سورة التوبة .

(٥) انظر الحاشية ١ .

(٦) ط : « وصاحب والمغنى » بزيادة واو ، وفى ش : « والمغنى » فقط . والوجه ما أثبت .

تعالى: ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ[1]﴾ حيث وجَّهوا التعبير بجمع القلة بما ذكروه . وردَّ عليهم الكورانىُّ بأَنَّ الجمع فى الآية مضاف . واعلم أيضاً أن أبا حيان استشكل انصرافَ جمعِ القلة إلى الكثرة بما حاصله أنه وضع للقلة وهى من ثلاثة إلى عشرة فإذا دخل أداة الاستغراق ينبغى أن يكون الاستغراق فيما وضع له ،لا فيما زاد ، لأنه ليس مما وضع له . ثم أجاب بما حاصله أنه وضع بوضع آخر مع أداة الاستغراق للكثرة . انتهى .

وقال أيضاً (فى حاشيته على التصريح للشيخ خالد) : اعلم أنَّ ما ذكره النحاة من أنَّ جموع القلة للعشرة فما دونها لا ينافى تصريحَ أئمة الأُصول بأنَّها من صيغ العموم ، لأَنَّ كلام النحاة ، كما قال إمام الحرمين ، محمولٌ على حالة التجرد عن التعريف . انتهى .

وهذا الجواب فيه نظر ، فإنَّ غالبَ ماوقع فيه النزاع معرَّف بأَل .

وقد نقل جماعةٌ اعتراض النابغة على حسَّان فى هذا البيت ، منهم أبو عبد الله المرزبانى (فى كتاب الموشَّح) من عدَّة طرق ، قال : كتب إلَىَّ أحمد بن عبد العزيز ، أخبرنا عمر بن شبَّة قال : حدَّثنى أبو بكر العُليمى قال : حدَّثنا عبد الملك بن قُريب قال : كان النابغة الذبيانى تُضرَبُ له قبَّةٌ حمراءُ من أَدَم بسوق عُكاظ ، فتأْتيه الشُّعراءُ فتَعرِض عليه أشعارها . قال : فأَوّلُ من أنشده حسَّان بن ثابت الأنصاريّ[2] :

لنا الجفناتُ الغُرُّ يلمَعْنَ فى الضُّحى ... وأَسيافُنا يقطُرْنَ من نجدةٍ دماً
ولدْنا بنى العَنْقاءِ وابنَىْ محرّق ... فأَكرِمْ بناخالاًوأَكرِمْ بنا ابنَما[3]

---

(١) الآية ٢٧ من سورة لقمان .

(٢) الذى فى الموشح ٨٢ : « فأول من أنشده الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير ، ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصارى » ففى الكلام سقط .

(٣) ط : « وابن محرق » صوابه فى ش والحيوان ٧ : ١٤٨ والموشح وديوان حسان ٣٧١ .

فقال له النابغة : « أنت شاعر ، ولكنَّك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدتَ ولم تفخر بمن ولدك » .

وحدثنى على بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن سعيد قال : حدثنا الزُّبير بن بكار قال : حدَّثنى عمِّى مصعب بن عبد الله قال : أنشد حسّان نابغةَ بنى ذبيان قصيدته التى يقول فيها : « لنا الجفنات الغُرّ » فقال له : « ما صنعت شيئاً ، قلَّلت أمركم فقلت : جَفَنات وأسياف » .

وأخبرنى الصُّولى قال : حدَّثنى محمد بن سعيد، ومحمد بن العباس الرِّياشىُّ ،عن الأَصمعى ، عن أبى عمرو بن العلاءِ قال : كان النابغة الذبيانى تُضرب له قبَّةٌ بسوق عكاظ من أَدَم ، فتـأْتيه الشعراءُ فتَعرِض عليه أشعَارَها ، فأَتاه الأَعشى فكان أَوَّلَ من أنشده ، ثم أنشده حسان بن ثابت قصيدتَه التى منها : « لنا الجفنات الغُرُّ » وذكر البيتين ، فقال له النابغة : « أنت شاعرٌ ولكنَّك أَقللت جِفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدتَ ولم تفتخر بمن ولدك » .

قال الصُّولى : فانظر إلى هذا النقد الجليل الذى يدلُّ عليه نقاءُ كلام النابغة وديباجةُ شعره، لأَنَّه قال : وأَسيافنا، وأَسياف جمع لأَدنى العدد ، والكثير سيوف . والجَفَنات لأَدنى العدد ، والكثير جفان . وترك الفخرَ بآبائه وفخرَ بمن ولد نساؤه .

٤٣٣

قال : ويروى أَنَّ النابغة قال له : « أَقللتَ أسيافكَ ولمَّعت جِفَانك[1] » . يريد قوله « لنا الجفنات الغُرّ » والغُرَّة : لمعة ببياضٍ فى الجفنة . فكأَنَّ النابغة

---

(١) فى النسختين : « أجفانك » ، صوابه فى الموشح ٦٠ . وإنما تجمع الجفنة على جفان ، كما تجمع على جفن بكسر ففتح ، كهضبة وهضب .

عابَ هَذه الجفان ، وذهب إلى أنَّه لو قال لنا الجفنات البيض فجعلها بيضاً ، كان أحسنَ . فلعمرى إنَّه حسَنٌ فى الجفان ، إلاَّ أن الغُرّ أجلُّ لفظاً من البيض .

قال أبو عبد الله المرزبانى : وقال قومٌ ممن أنكر هذا البيت : فى قوله يَلمعن بالضُّحى ولم يقل بالدجى . وفى قوله وأسيافنا يقطرن ولم يقل يجرين . لأَنَّ الجرى أكثر من القَطر . وقد رُدَّ هذا القول واحتجَّ فيه قوْمٌ لحسَّان . بما لا وجهَ لذكره فى هذا الموضع .

فأَمَّا قوله : « فخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك » فلا عذر عندى لحسَّان فيه على مذهب نقَّاد الشعر . وقد احترس من مثل هذا الزَّلل رجلٌ من كلب فقال يذكر ولادتَهم لمُصْعَبِ بن الزبير وغيره ممَّن ولده نساؤهم :

وعبدَ العزيز قد ولدْنا ومُصعباً وكلبٌ أبٌ للصَّالحين وَلُودُ

فإنَّه لما فخر بمن ولده نساؤهم فضَّل رجالهم ، وأخبر أنَّهم يلدون الفاضلين ، وجمع ذلك فى بيت وأجاد . انتهى ماأورده المرزبانى .

وممن نقلها أيضاً أبو الفرج الأَصبهانى (فى الأَغانى) قال بعد إيراد سنده : إنّ النابغة كانت تُضرب له قبَّةٌ فى سوق عكاظ ، وتُنشده الشعراءُ أشعارَها . فأَنشده الأَعشى شعراً فاستحسنه ، ثمأَنشدته الخنساءُ قصيدةً حتى انتهت إلى قولها :

وإنَّ صخرًا لَوالينا وسيِّدُنا وإنَّ صخرًا إذا نَشتُو لنحَّارُ
وإنَّ صخرًا لتأْتَمُّ الهداةُ به كأَنَّه علمٌ فى رأسه نارُ

فقال : لولا أنّ أبا بَصيرٍ الأعشى أنشدنى قبلك لقلت إنَّكِ أشعرُ الناس: أنتِ والله أشعَرُ مِن كلِّ ذات مَثانة(١) . فقالت : إى والله ومن كلِّ ذى خُصيين . فقال حسَّان : أنَّا والله أشعر منك ومنها ومن أبيك . قال :حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول : لنا الجفنات الغُرّ . . . البيتين. فقال : إنَّك شاعر لولا أنَّك قلَّلت عدد جفانك، وفخرت بمن ولَدْتَه . وفى رواية أُخرى : قال له : إنَّك قُلت الجفنات فقلَّلت العدد ، ولو قُلت الجفان لكان أكثر ، وقلت يلْمَعْنَ بالضُّحى ، ولو قلت يبرقن بالدُّجَى لكان أبلغ فى المديح ، لأَنَّ الضيف فى الليل أكثر . وقلت يقطُرن من نجدة دماً فدلَّلْت على قلَّة القتل ، ولو قلت يجرين لكانَ أكثر لانصباب الدم . وفخرت بمن ولدْتَ ولم تفتخر بمَن ولدك . فقام حسَّان منكسراً منقطعاً . انتهى مارواه .

وقال أُسامة بن منقذ (فى باب التفريط من كتاب البديع): اعلم أنَّ التَّفريط هو أن يُقدِم على شيء فيأْتِىَ بدُونه ، فيكون تفريطاً منه إذ لم يكمل اللفظ أو يبالغْ فى المعنى . وهو بابٌ واسع يعتمد عليه النقَّاد من الشُّعراءِ ، مثل قول حسّان بن ثابت الأَنصارى : « لنا الجفنات الغُرّ » البيت .

وفرَّط فى قوله الجفنات لأَنَّها دون العشرة ، وهو يقدِر أنْ يقول : «لدينا الجفان » ، لأَنَّ العدد القليل لا يُفتخر به وكذلك قوله « وأَسيافنا» لأَنَّها دون العشرة ، وهو قادرٌ أَن يقول : « وبيضٌ لنا » .

---

(١) أصل المثانة مستقر البول وموضعه من الرجل والمرأة ، لكن المراد بها هنا مهبل المرأة . قال الأزهرى : « والمثانة عند عوام الناس موضع البول ، وهو عنده — يعنى ابن الأعرابى— موضع الولد من الأنثى » .

وفرّط فى قوله « الغُرّ » لأنّ السُّود أمدح من البِيض ، لأجل الدُّهن وكثرةِ القِرى فيهنّ .

٤٣٤ وفرّط فى قوله بالضُّحى وهو قادر على أن يقول فى الدجى ، لأن كلَّ شَىْءٍ يلمع فى الضحى . وفرّط فى قوله يقطرن ، وهو قادرٌ على أن يقول يجرين ، لأنَّ القطر قطرة بعد قطرة . وقال قُدَامة : أراد بقوله الغر المشهورات . وقال بالضُّحى لأنَّه لا يلمع فيه إلاَّ عظيمٌ ساطع الضوء : والدُّجى يلمع فيه يسير النور . وأما أسياف وجفنات فإنَّه قد يوضع القليل موضع الكثير ، كما قال سبحانه : ﴿لهم جَنَّاتٌ[1]﴾ و﴿درجات[2]﴾. وقوله يقطرن دماً هو المعروف والمألوف ، فلو قال يجرين لخرج عن العادة . وينوب قطَر عن جرى . ا هـ .

وقال ابن أبى الإصبع (فى كتابه تحرير التحبير) : فى باب الإفراط فى الصفة ، وهو الذى سمَّاه قدامة المبالغة ، وسمَّاه مَنْ بعده التبليغ : وحَدَّ قدامةُ المبالغةَ بأن قال : هى أن يذكر المتكلِّم حالًا من الأحوال لو وقف عندها لأجزأت ، فلا يقف حتَّى يزيد فى معنى ما ذكره ما يكون أبلغَ فى معنى قَصدِه ، كقوله[3] :

ونكرمُ جارنا ما دام فينا ونُتبعه الكرامةَ حيث مالا

وأنا أقول : قد اختُلف فى المبالغة ، فقوم يرون أجودَ الشعر أكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه ، ويحتجُّون بما جرى بين النابغة الذبيانى وبين

---

(١) فى آيات كثيرة منها الآيتان ٢٥ ، ١٩٨ من البقرة و ١١٩ من المائدة .
(٢) لهم درجات فى الآية ٤ من الأنفال .
(٣) فى تحرير التحبير ١٤٧ : « كقول عمرو بن الأهتم التغلبى » . وانظر معاهد التنصيص ١ : ٢٥٨ .

حسَّان فى استدراك النابغة عليه تلك المواضع ، فى قوله : « لنا الجفنات الغُرّ » .. البيت ؛ فإنَّ النابغة إنَّما عاب على حسان تركَ المبالغة . والقصَّة مشهورة ، وإن رُوى عنه انقطاعه فى يد النابغة . وقومٌ يرون المبالغةَ من عيوب الكلام . والقولان مردودان .

وقد بَيَّنَ وجهَ الردِّ فيهما (١) .

ونقلُ العينىِّ عن ابن يسعون نقدَ هذا البيت من جهة اللفظ ، ساقطٌ ، لأنَّ الجمع فى الجفنات نظير قوله تعالى : ﴿ وهم فى الغُرُفات آمنون (٢) ﴾ وأما الغُرّ هنا فليس جمعَ غُرَّة ، بل البيض المشرِفات من كثرة الشُّحوم وبياضِ اللُّحوم . وهى جمع غرّاء . ويجوز أن يريد بها المشهورة المنصوبة للقِرى . وكذلك « يَلمعن » هو المستعمل فى هذا النَّحو الذى يُدَلُّ به على البياض ، كما تقول : لمع السراب ، ولمع البرق ، وكذلك الضُّحى والضَّحاءُ ، لأنَّهما بمعنًى . على أنَّ الضُّحى أدلُّ على تعجيلهم القِرى . وأَمَّا القول بأَنّ يبرقن فى الدُّجى أبلغ فساقط ، لأَنَّه إنما أراد أن إطعامَهم موصول ، وقِراهم فى كلِّ وقت مبذول ، لأَنَّه قد وصف قبلَ هذا قراهم بالليل حيث قال :

وإنَّا لنقرِى الضَّيفَ إن جـاءَ طـارقاً
من الشَّحم ما أَضحى صحيحاً مسلَّما

ويروى : « ما أَمسى » . وأَمَّا قوله يقطرن فهو المستعمل فى مثل هذا ، يقال سيفه يقطر دماً . ولم تجر العادةُ بأَن يقال : يجرى دماً ، مع أَنَّ

---

(١) انظر تحرير التحبير ١٤٨ – ١٥١ .
(٢) من الآية ٣٧ فى سورة سبأ .

يقطر أمدح ، لأنَّه يدلُّ على مضاء السَّيف وسرعة خروجه عن الضَّريبة حتَّى لا يكاد يَعلق به دم . ا هـ .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ افتخاريَّة لحسان بن ثابتٍ الصحابى ، عدَّتها خمسة وثلاثون بيتاً . وهذه أبياتٌ منها بعد أن ذكر منازل حبيبته :

لنا حـاضرٌ فـعمٌ وبادٍ كأنَّه — شماريخُ رَضْـوَى عزَّةً وتكرُّما
متى ماتَزِنَّا من معـدٍّ بعصبة — وغسَّانَ نمنعْ حوضَـنا أَنْ يهدَّما
بـكلِّ فتى عارى الأَشاجع لاحَه — قِراعُ الكماة يرشح المسكَ والدَّما
٤٣٥ إذا استدبرتنا الشمسُ دَرّت متونُنـا — كأَنَّ عـروق الجـوف ينضَحْنَ عَندمَا
ولدنا بنى العنقاءِ وابنَىْ محرِّقٍ — فأَكرمْ بنا خالاً وأكرم بنا ابنَما
نسوِّد ذا المالِ القليل إذا بَدَتْ — مُروءَته فينا وإن كان مُكرَما
وإنَّا لنقرِى الضَّيفَ إن جاءَ طارقـاً — مِنَ الشحْم ماأمسى صحيحاً مسلَّما
أَلسنا نردُّ الكبشَ عن طِيَّة الهـوى — ونَقلب مُـرَّانَ الـوشيج محطَّمـا
وكائن ترى من سيِّدٍ ذى مهابة — أبوه أَبونا وابنُ أُخت ومَحـرَما
لنا الجفنات الغر ... ... البيت
أَبى فعلُنا المعروفَ أن ننطق الخنـا — وقائلُنـا بالعُـرف إلاَّ تكلمـا
فكلُّ معَدٍّ قد جزينا بصنعـه — فبؤسَىببؤساها وبالنُّعم أنعُما[1]

(١) وكذا فى الديوان ٣٧٢ . وفى ش : « وكل معد » بالواو . وبين هذا البيت وسابقه فى الديوان :

أبى جاهنا عند الملوك ودفعنا — وملء جفان الشيز حتى تهزما

وهذه آخر القصيدة .

وقوله : « لنا حاضر فعم » الخ ، قال فى الصحاح : الحاضر : الحىُّ العظيم . وأنشد البيت . والفَعْم : الكثير الممتلئ . والبادى : النازل بالبادية ، يقال بَدا بَدَاوة ، بالفتح والكسر ، وهى الإقامة بالبادية . والشِّمراخ بالكسر : رأس الجبل . ورَضْوى ، بالفتح : جبلٌ بالمدينة .

وقوله : « متى ماتزِنَّا » إلخ تزِنَّا بالخطاب من الوزن . ومعد : أبوقبيلة . والواو فى قوله « وغسَّان » للقسم وتمنع جواب الشرط . وهذه عبارةٌ عن العزّ والمنعة .

وقوله : « بكلِّ فتًى » إلخ متعلق بنمنع . والأَشاجع : أُصول الأَصابع التى تتَّصل بعصب ظاهر الكف ، الواحد أشجع . وأَراد بعُريها كونَها عاريةً من اللَّحم غير غليظة . ولاحَه بالمهملةِ بمعنى غيَّره . وقراع مصدر قارعَة . ومقارعة الأَبطالِ : قرعُ بعضِهم بعضاً . والكماةُ : الشُّجعان . وقوله : « يرشح المسك » إلخ أراد أَنَّهم ملوك ، فإذا جُرح أَحدهم سال دمُه برائحة المسك .

وقوله : « إذا استدبرتنا الشمس » إلخ . المتون : الظُّهور . والعندَم : البَقَّم ، وقيل دم الأَخوين . قال شارح ديوانه : يريد أَنَّهم إذا عرقوا [عرقوا[1]] برائحة الطِّيب .

وقوله : « ولدنا بنى العنقاء » إلخ ، العنقاءُ : ثعلبة بن عمرٍو مزيقياء

(١) التكملة من ش .

ابن عامر بن ماء السماء . ومحرِّق : هو الحارث بن عمرو مزيقياء[١] وكان أوّلَ من عاقب بالنار . وقوله : « فأُكرم بنا » هو تعجُّب ، أى ما أكرمنا خالاً ، وما أكرمنا ابناً ، وما زائدة .

وقوله : « وإنا لنقرى » إلخ. نقرى : نُضيف . والطروق : المجىء ليلاً . وما مفعول نقرى لتضمُّنه معنى نطعم . يريد أنَّهم يذبحون للضَّيف الإبلَ السالمة من علَّة ومرض .

وقوله : « ألسنا نردُّ الكبش » إلخ . الكبش : سيِّد القوم . والطِّيَّة بالكسر : النية . والهوى : هوى النفس . والمُرَّان بالضم : جمع مارن ، وهو الرُّمح اللين المهَزّ . أى نقاتل بها حتَّى تنكسر .

و« ها » فى البيت الأخير للتَّنبيه .

وترجمة حسَّان تقدَّمَت فى الشاهد الحادى والثلاثين من أوائل الكتاب[٢] .

---

(١) مزيقيا: لقب لعمرو هذا . وهو عمرو بن عامر ماء السماء ، بن حارثة الغطريف ، ابن امرئ القيس البطريق ، بن ثعلبة البهلول ، بن مازن قاتل الجوع ، بن الأزد . الاشتقاق ٤٣٥ والعمدة ٢ : ١٧٨ .

والمحرق هذا ، وهو الحارث بن عمرو ، كان يلقب بالحارث الأكبر ، كما كان يكنى أبا شمر . ويعنى بابنى محرق هنا ولدين من نسله من الغساسنة ، هما ابنه الحارث الأعرج ، وأمه مارية ذات القرطين ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث . وحفيده الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج ، وكان يقال لهذا أبو شمر الأصغر ، واسمه عمرو بن الحارث ، وله يقول النابغة :

على لعمرو نعمة بعد نعمة ... لوالده ليست بذات عقارب

وفى ملوك العرب من ملوك الحيرة من لقب بمحرق : امرؤ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى . وله يقول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محـــرق ... تركوا منازلهم وبعـــد إياد

وفيهم : عمرو بن هند ، وهو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى . وفى اللسان : « قال ابن سيده : محرق لقب ملك ، وهما محرقان : محرق الأكبر وهو امرؤ القيس اللخمى ، ومحرق الثانى وهو عمرو بن هند مضرط الحجارة » . العمدة ٢ : ١٧٧ – ١٧٩ وانظر اللسان والقاموس (حرق ، مزق) والعمدة ٢ : ١٧٧ – ١٧٩ والمحبر لابن حبيب ٢٤٧ ، ٣٠٤ ، ٣٧٢ والأغانى ٢١ : ١٢١ وسرح العيون ٢ : ٢٠٢ .

(٢) الخزانة ١ : ٢٢٧ – ٢٢٨

المصــــدر

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الخمسمائة [(١)] :

٥٩٥ (ومَاالحربُ إلاَّ ماعلمتمْ وذقتمُ   وما هُوَ عنها بالحديثِ المرَجَّمِ)

على أنَّ الظرف والجار والمجرور يعمل فيهما ما هو فى غاية البعد من العمل ، كحرف النفى والضمير كما فى البيت ، فإنَّ قوله عنها متعلق بهو. ٤٣٦
أى ما حديثِى عنها .

صاحب الشاهد

والبيت من معلَّقة زهير بن أبى سُلمى الجاهلى . قال الصاغانى (فى العباب) : الحرب مؤَنَّث ، يقال وقعتْ بينهم حرب. قال الخليل : تصغيرها حريب بلا هاءٍ روايةً عن العرب : قال المازنى : لأَنَّه فى الأَصل مصدر . وقال المبرِّدُ : الحرب قد تذكَّر . وأنشد :

وهو إذا الحرب هفا عقابُه   مِرْجَمُ حربٍ تلتقى حِرابُه

وقد جعل الشارح المحقق الضمير كنايةً عن الحديث الذى هو قولٌ وفاقاً لأَبى الحُسين الزَّوزنى شارحالمعلَّقات ، قال : الضميركناية القول لا العلم ، لأَن العلم لا يكون قولا . وفيه ردٌّ على سائر شرَّاح المعلقات ، فى أَنَّ الضَّمير راجع إلى العلم . قال أَبو جعفر النحاس ، وتبعه التِّبريزى واللفظ لهُ : قوله وما هو عنها ، أَى ما العلم عنها بالحديث ، أَى ما الخبر عنها بحديث يُرجَّم فيه بالظنِّ ، فقوله هو كناية عن العِلم ، لأَنَّه

---

(١) همع الهوامع ٢ : ٩٢ ويس على التصريح ٢ : ٦٢ .

(٢) ش : « ملجم »، صوابه فى ط وشرح شواهد الشافية ٩٨. والروايةفيها وفىاللسان (حرب ٢٩٣) : « تلتظى حرابه » . وفى اللسان أيضاً : «كره اللقاء تلتظى حرابه » .

لمَّا قال : إلاَّ ماعلمتم ، دلَّ على العلم . قال الله تعالى :﴿ ولاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلون بِما آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً[١] ﴾، المعنى : أنَّه لما قال يبخلون دلَّ على البخل ، كقولهم : منْ كذبَ كان شراًّ له ، أى كان الكذبُ شرًّا له . ا ﻫ

وقال الأعلم الشنتمرى : هو كنايةٌ عن العِلم ، يريد : وما علمكم بالحربِ . وعن بدل من الباء . هذا كلامه .

وقال صَعُودا (فى شرح ديوانه) : هو ضميرٌ راجع على ما ، وكأنَّه قال : وما الذى علمتم . ثم كنى عن الذى . ا ﻫ .

والمرجَّم : الذِى يُرجَم بالظنون ، والترجيم والرَّجم : الظنُّ ، ومنه قول الله عز وجل: ﴿ رجماً بالغيب[٢] ﴾ أى ظنًّا . والذَّوق أصله فى المطعوم ، واستُعير هنا للتجربة . يقول : ليست الحرب إلَّا ماعهدتموها وجرَّبتموها ومارَسْتم كراهتها ، وما هذا الذى أقوله بحديث مظنون . وهذا ماشهدتْ به الشواهدُ الصادقة من التَّجارب ، وليس من أحكام الظُّنون . خاطب زهيرٌ بهذا الكلام قبيلة ذبيان وَأحلاَفَهم ، وهم أسد وغطفان ، ويحرِّضهم على الصُّلح مع بنى عمهم بنى عبس ، ويخوِّفهم من الحرب ، فإنَّهم قد علموا شدائدَها فى حرب داحس[٣] .

وقد تقدَّم شرح القصة مع شرح أبيات كثيرة من هذه المعلقة مع ترجمة زهير فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة[٤] .

* * *

(١) الآية ١٨٠ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٢٢ من سورة الكهف .

(٣) ط : « قد تقدم » .

(٤) الخزانة ٢ : ٣٣٢ – ٣٣٦ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الخمسمائة[١] :

٥٩٦ (أَمِنْ رسمِ دارٍ مَرْبَعٌ ومَصِيفُ   لِعينَيْكَ من ماءِ الشُّئونِ وَكِيفُ)

على أن رسم دار مصدر مضاف إلى مفعوله ، ومَربَع فاعله .

ورسم هنا : مصدر رَسم المطرُ الدارَ ، أى صيَّرَها رسماً ، بأَنْ عفَّاها . ولا يراد بالرَّسم هنا ما شخصَ من آثار الدار ، لأَنَّ ذلك عينٌ لامعنًى والذى يعمل معنًى لاغير . كذا فى (شرح الإيضاح لأَبى البقاءِ الفارسى).

وقال شارح أبياته ابن برى : ومعنى رَسَم أَثَّر ، ولم يُبقِ منها إلاَّ رسوماً وآثاراً . وقيل معناه غيَّر أثرها بشدَّة الاختلاف عليها ، ومنه قيل : رسمت الناقة رسيماً ، إذا أثَّرت فى الأَرض بشدَّة وطئها . وقيل الرَّسم بمعنى المرسوم ، فعلى هذا يكون اسماً لا مصدرًا ، فلايجوز أَنْ يعمل . والتقدير أَلِعينيك من ماءِ الشئون وَكِيفٌ من أَجل مَرسومِ دارٍ هو موضعُ الحلول فى الربيع والصيف . انتهى كلامه .   ٤٣٧

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدةٍ للحطيئة عدَّتها ثمانية عشر بيتاً ، مدحَ بها سعيدَ ابن العاص الأُمَوىَّ لمَّا كان والياً بالكوفة لعثمان بن عفان ، وبعده بيتان[٢] :

(تذكَّرتُ فيها الجهلَ حتَّى تبادرَتْ
دموعى وأَصحـــابى علَىَّ وُقوفُ)

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٥١ ، وابن يعيش ٦ : ٦٢ ، وديوان الحطيئة ٣٩ .

(٢) هما قوله فى الديوان ٤٠ :

رشاش كغربىْ هاجرى كلاهما   لـه داجن بالكرتين عليف
إذا كر غرباً بعد غرب أعاده   على رغمه وافى السبال عنيف

وفى ط : « وبعده بيت » ، والوجه ما أثبت من ش .

ومنهـــا :

(إليك ســـعيدَ الخير جُبت مَهامِهاً
يقابلنى آلٌ بهـــا وتَنُـــوفُ[١])

وقوله : (أمن رسم دار) إلخ الهمزة للاستفهام التقريرى ومن تعليلية متعلِّقة بوكيف ، وهو مصدر وَكف البيتُ بالمطر ، والعينُ بالدَّمع ، وَكْفاً من باب وعد ، ووكوفاً ووكيفاً : سالَ شيئاً فشيئاً . قال شارح ديوانه : التـأْويلُ : أَمن أَن رسم دارًا مربعٌ ، أَىأَثَّر فيها آثاراً . والرَّسم : الأَثر بلا شخص . والشُّئون : مجارى الدَّمع من الرأْس إلى العين ، واحدها شأْن . وقوله : (لعينيك) جارٌّ ومجرور متعلِّق بمحذوف خبر مقدَّم على المبتدأ وهو وَكيف، يُروى بالتثنية ويروى بالإفراد . و(مربع) : فاعل المصدر ، وهو رسم ، وهو على حذف مضاف ، والتقدير : مطره ونحوه . وهـو ومابعده اسمان لزمن الرَّبيع والصَّيف ، ويـأْتيان اسمَىْ مكان أيضاً ، ومصدرين أَيضاً . وهذه الصيغة يشترك فيها هذه المعانى الثلاثة ، وهى صيغة قياسية يذكرها الصرفيُّون . والمذكور فى كتب اللغة إنَّما هو المربع بمعنى منزل القوم فى الربيع خاصَّة .

وقد استعمل الحريرىُّ فى المقامة الأُولى المربعَ بمعنى الرَّبْع ، وهو المنزل حيث كان ، فى قوله : « ويسرِّب مَن يتبعُه ، لكن يُجهلَ مربعُه[٢] » . ولم يصب ابنُ الخشَّاب فى تخطئه الحريرى (فيما كتَبَه على المقامات) فى قوله : ماأَصاب فيه ، لأَنَّ الربع منزلالقوم فى الرَّبيع خاصة ، وقد

(١) التنوف ، بالفتح : جمع تنوفة، وهى ، التى لاماء بها من الفلوات ولا أنيس وإن كانت معشبة .

(٢) مقامات الحريرى ١٥ .

استعمله بمعنى الأوّل وهو خطأٌ ، لأنّه كالمصيف والمشتى ، وتلك منازلهم في هذه الأزمنة خاصة .

وقد أجاد ابن برى فى الردّ عليه فقال : يقال رَبَع بالمكان ، أى أقام به الربيعَ ، ويقال أيضاً ربع بالمكان : أقام به حيثما كان . واسم المكان منهما مَربعٌ قياساً مطّرداً عند النحويِّين ، كالمصنع والمصرع . والشاهدُ على قولهم : ربع بالمكان ، إذا أقام به حيثُما كان ، قولُ الحادرة :

بكرتْ سُمَيَّةُ غُدوةً فتمتَّعِ وغدتْ غدوَّ مفارقٍ لم يَربَعِ [1]

فسَّره المفضَّل (فى المفضليات) فقال : يقال ربع بالمكان إذا أقام به . ولم يشترط ربيعاً ولاغيره . فعلى هذا يصحّ أن يكون المربع لمنزل الإنسان. من بيته وداره ونحو ذلك ، وعليه يصحُّ قول يزيدَ بن الصَّعِق :

* يُشَنُّ عليكم بالقنا كلَّ مَربعِ [2] *

أى كلَّ مكان تقيمون فيه . وأما قول أهل اللغة إنَّ المربع اسمٌ للمنزل فى الرَّبيع خاصة فإنَّما يريدون به الأكثر ، وهو الأصل، ثم اتُّسع فيه فجعل لكلِّ مكان أقام به الرجل . ألا ترى أنَّهم لا يكادون يذكرون المربع فى اسم الزمان ، وهو أيضاً قياس مطّرد مثل اسم المكان . وشاهده قولُ الحطيئة :

* أمن رسم دار مربعٌ ومصيفُ *

فالمربع والمصيف على هذا : اسمٌ لزمان الربيع والصَّيف ، وكذلك قول جرير :

---

(١) المفضليات ٤٣ .

(٢) أنشده فى اللسان (قدد) والتهذيب ٨ : ٢٦٩ يقوله لبنى أسد . وصدره فيهما :

* فرغتم لتمرين السياط وكنتم *

وإنما أوردا هذا البيت فى غير مواده ليذكرا أن بعض بنى أسد أجابه بقوله :

أعبتم علينا أن نمرن قدنــــا ومن لم يمرن قــده يتقطع

رَدُّوا الجمال بذى طُلوحٍ بعدما هـاج المصيفُ وقد تولَّى المربَعُ[١]

أَى رَدُّوا الجمال من موضع رعيها إلى الحىّ حين أَرادوا التحمُّل ، وقد أَتى المصيف وتولَّى المربع . وإذا أَقبل زمنُ الصَّيف وتولَّى زمن الربيع يبس العشبُ فى الأَرض . وكذلك المربع قد يكون اسماً للمصدر فى نحو قولهم : ربعت بالمكان مربعاً . ولا يكاد يذكرون المربع إلَّا فى اسم المنزل بالربيع ، وإنَّما يَذكر هذا مبيَّناً أَهلُ النحو ، ويجعلون له باباً مفرداً وقياساً مطَّرداً . وماخرج عن القياس فى بناءٍ ذكروه . انتهى كلامه .

٤٣٨

وقولهُ : « تذكَّرتُ فيها الجهل[٢] » ، أَى جهل الشباب والصِّبا .

وقوله : « إليك سعيدَ الخير » إلخ . إليك متعلق بجُبْت ، قدِّم عليه لإفادة الحصر . وجُبْت : قطعت ، يقال جاب الوادى بجوبه ، إذا قطعه ، وسعيد : منادًى مضاف إلى الصفة التى اشتهر بها . ويجوز أَن يكون أَصله خيِّرٌ بالتشديد ، فخُفِّف . والمهمَه : القَفر . والآل : السَّراب . وتَنُوف : جمع تَنوفة ، وهى الفلاة .

روى الأَصبهانىُّ (فى الأَغانى) بسندهِ إلىخالد بنسعيد قال : لقينى إياس بن الحطيئـة فقال لى : ياأَبا عثمان . مات أَبى وفى كِسر بيته عشرون أَلفاً أَعطاه إيَّاها أَبوك وقال فيه خمس قصائد ، فذهبَ واللهِ ما أَعطيتمونا ، وبقى ما أَعطيناكم ! فقلت : صدقتَ والله .

---

(١) تولى المربع : أدبر وتولى . وفى ط : « توالى » صوابه فى ش ، وديوان جرير ٣٤١ .

(٢) فى النسختين : « تذكر فيها الجهل » .

وروى أيضاً بسندٍ متصل إلى خالد بن سعيد قال : كان سعيد بن العاص بالمدينة زمنَ مُعاوية ، وكان يُعشِّى الناس، فإذا فرغ من العَشاء قَال الآذن : ليذهبْ إلّا مَنْ كان من أهل سَمَره . قال : فدخل الحطيئة فتعشَّى مع الناس ثم لم ينصرف ، فلما ألحَّ عليه الآذنُ قال سعيد : دعْه[١] وأخِذَ فى الشعر والحطيئة مطرقٌ لا ينطق ، فقال الحطيئة : والله ماأصبتم جيِّد الشعر ولا شاعرَ الشعراء . قال سعيد : من أشعر العرب ياهذا ؟ قال : الذى يقول :

لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدْماً ولـكنْ فقْدُ من قد رُزِئتُه الإعدامُ
مِن رجالٍ من الأَقارب بانُوا مِن جُذامٍ هم الرُّءُوسُ الكرامُ
سُلِّطَ الموتُ والمَنونُ عليهم فلهمْ فى صَدَى المقابر هامُ
وكذاكُمْ سبيلُ كلِّ أُناسٍ سوف حقًّا تُبليهمُ الأَيَّامُ

قال : ويْحك من يقول هذا الشعر ؟ قال : أَبودُوَادٍ الإيادىُّ . قال : ومَن الثانى ؟ قال : الذى يقول :

أَفلحْ بما شئت فقد يُبلغ بالـ ضَّعْفِ وقد يُخدَعُ الأَريب[٢]

قال : ومن يقول هذا الشعر ؟ قال : عَبيد . قال : ثم من ؟ قال : والله لحسبُك بى عند رهبةٍ أَو رغبة ، إذا وضعتُ إحدى رجلىّ على الأُخرى ، ثم رفعت صوتى بالشعر[٣] ثم عوَيْت على إثر القوافى عُواءَ الفصيل الصادر عن الماءِ ! قال : ومن أَنت ؟ قال : الحطيئة . قال : وَيحك قد علمتَ

---

(١) العبارة هنا بتصرف من الأغانى ١٦ : ٣٨ .

(٢) ط : « يخادع الأريب »، صوابه فى ش وشرح المعلقات للتبريزى ٧ : ٤ . وقال التبريزى : « ويروى : أفلج بالجيم ، وأفلح بالحاء من الفلاح وهو البقاء . أى عش كيف شئت فلا عليك ألا تبالغ ، فقد يدرك الضعيف بضعفه مالا يدرك القوى ، وقد يخدع الأريب العاقل عن عقله . ويروى : فقد يدرك بالضعف » .

(٣) فى الأغانى : « ثم رفعت عقيرتى بالشعر » . والعقيرة : الصوت .

تشوَّقنا إلى مجلسك ، وأنت تكتُمنا نفسَك منذُ الليلة ، فأَنشدنى . فأنشدَه من أبيات :

سعيدٌ فلا يغررْك قِلَّةُ لحمه تخدَّد عنه اللحمُ وهو صليبُ
إذا غبتَ عنا غاب عنَّا ربيعُنا ونُسقَى الغمامَ الغُرَّ حين يَئوبُ[١]
فنعم الفتى تعشو إلى ضوءِ ناره إذا الريح هبّت والمكانُ جديبُ

فقال له : أنت لعمر الله أشعر عندى منهم . فأَمر له بعشرة آلاف درهم . ثم عاد فأَنشده :

* أمن رسم دار مربعٌ ومصيفُ *

إلى آخر القصيدة ، فأَعطاه عشرة آلاف أُخرى .

٤٣٩ وروى أيضاً هذا الخبر عن أبي عبيدة وقال : قال أبو عبيدة فى هذا الخبر : وأخبرنى رجلٌ من بنى كنانة قال : أَقبل الحطيئة فى ركب من بنى عبَس حتَّى قدم المدينة[٢] ، فقالوا له : إنا قد أَرذينا[٣] وأَخلينا[٤] فلو تقدمت إلى رجل شريف من أهل المدينة فَقَرانا وحَمَلنا . فأَتى خالد ابن سعيد بن العاص فسأَله ، فاعتذر إليه وقال : ماعندى شيءٌ . فلم يُعِدْ عليه الكلامَ وخرج من عنده ، فارتاب به خالد فبعث يسأَل عنه ،

(١) فى الأغانى : « إذا غاب عنا » .
(٢) بعده فى الأغانى : « فأقام مدة » .
(٣) أرذينا : صارت ركابنا رذية هزيلة من كثرة السير . ط والأغانى : « أردينا » بالدال المهملة ، صوابه بالذال المعجمة كما فى ش .
(٤) المراد أنهم قد نفد زادهم ، يقال أخلى عن الطعام ، أى خلا عنه . وفى النسختين : « أجلينا » بالجيم ، والوجه ما أثبت من الأغانى .

فأَخبر أَنَّه الحطيئة ، فردَّه واعتذر إليه ؛ فأَراد خالد أَنْ يستفتحه الكلامَ فقال : من أَشعر الناس ؟ فقال : الذى يقول[١] :

ومَن يجعل المعروفَ من دون عِرضه يَفِرْهُ ومن لا يتَّق الشتم يُشتمِ

فقال خالدٌ لبعض جلسائه : هذه بعض عقاربه ! وأَمر له بكُسوة وحُمْلان[٢] فخرج بذلك من عنده . ا هـ.

وترجمة الحطيئة قد تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين بعد المائة[٣] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٤] :

٥٩٧ (ضَعيفُ النِّكاية أَعداءه يخال الفِرارَ يُراخِى الأَجَلْ)

على أَنَّ سيبويه والخليل جوَّزَا إعمال المصدر المعرَّف باللام مطلقاً كما فى البيت .

قال سيبويه : وتقول : عجبت من الضرب زيداً ، كما تقول[٥] : عجبت من الضارب زيدًا ، يكون الأَلف واللام بمنزلة التنوين ، قال الشاعر :

ضعيف النكاية أَعداءه ... ... البيت

---

(١) يعنى زهير بن أبى سلمى . والبيت التالى من معلقته .

(٢) الحملان ، بالضم : ما يحمل عليه من الدواب ، فى الهبة خاصة .

(٣) الخزانة ٢ : ٤٠٦ – ٤١٣ .

(٤) فى كتابه ١ : ٩٩ . وانظر المنصف ٣ : ٧١ والمقرب ٢٥ وشذور الذهب ٣٨٤ والتصريح ٢ : ١٣ والهمع ٢ : ٩٣ والأشمونى ٢ : ٢٨٤ .

(٥) فى سيبويه : « كما قلت » .

وقال المرَّار :

لقد علمت أولَى المغيرة ... البيت . ا هـ .

وقال الأعلم : الشاهد فيه نصب الأعداءَ بالنكاية لمنع الألف واللام الإضافة[١] ومعاقبتهما للتنوين الموجب للنصب . ومن النحويِّين من ينكر عمل المصدر وفيه الألف واللام ، لخروجه عن شبه الفعل ، فيَنصب مابعده بإضمار مصدر منكور فيقدِّره : ضعيف النكاية نكايةٍ أعداءَه . وهذا يلزمه مع تنوين المصدر ، لأنَّ الفعل لا يُنَوَّن ، فقد خرج المصدر عن شبه الفعل بالتنوين ، فينبغى على مذهبه أن لا يعمل[٢] . يقول : هو ضعيف عن أن يَنكِي عدُوَّه وجبانٌ أن يثبُت ، ولكنه يلتجى إلى الفرار[٣] ويخاله مؤخِّراً لأَجلِه . ا هـ .

وأراد ببعض النحويِّين أبا العباس المبرد .

وجعَل السيرافىُّ نصب أعداءَه على حذف الخافض ، أى ضعيف النكاية فى أعدائه .

وقوله : (يخال) بمعنى يظنّ . و (يراخى) : يباعِد ، وفاعله ضمير الفرار ، وفاعل يخال ضمير المهجوّ . وجملة يراخى فى موضع المفعول الثانى ليخال . و (ضعيف) خبر مبتدأ محذوف ، أى هو ضعيف . و(النكاية) : مصدر نَكَيت فى العدوِّ ، إذا أثَّرت فيه . وجاءَ معدًّى بنفسه . قال أبو النجم :

---

(١) فى الشنتمرى : « من الإضافة » .

(٢) الشنتمرى : « أن لايعمل عمله » .

(٣) الشنتمرى : « هو ضعيف أن ينكى أعداءه وجبان عن أن يثبت لقرنه ، ولكنه يلجأ إلى الفرار » .

* ينكى العِدَى ويكرم الأَضيافا[١] *

وقال عدىٌّ بن زيد :

إذا أَنت لم تنفع بودِّك أَهله ولم تَنْكِ بالبؤسى عدوَّك فابعَدِ

من بَعِد ، من باب فرح ، إذا هلك .

والبيت من أَبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف قائلها . والله أعلم.

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س[٢] :

٥٩٨ (لقَد عَلمَتْ أُولَى المُغيرةِ أَنَّنى
كرَرْتُ فلم أَنـكُلْ عن الضَّرب مِسمَعا)

لما تقدَّم قبله . ويروى: (لحِقت فلم أَنـكُل) . ٤٤٠

قال الأَعلم: الشاهد فى نصبِ مسمع بالضرب على نحوِ ما تقدَّم . ويجوز أَن يكون بلحقت ، والأَوَّل أَولى ، لقرب الجوار ، ولذلك اقتصر عليه سيبويه . يقول : قد علم أُولى مَن لقيت من المغيرين أَنِّى صرفتُهم عن وجههم هازماً لهم ، ولحقتُ سيِّدَهم[٣] مسمعاً ، فلم أَنكُل عن ضربه بسيفى . والنُّكول : الرجوع عن القِرْن جُبنا . ا هـ .

وقال ابن خلف : وكان بعض البصريِّين المتأَخِّرين لا ينصب بالمصدر إذا كان فيه الأَلف واللام ، وينصب مسمعاً بلحقت لا بالضَّرب

(١) كذا فى النسختين . والذى فى اللسان (نكى) :
نحن منعنا وادي لصـــــافا ننكى العدى ونكرم الأَضيافا

(٢) فى كتابه ١ : ٩٩ . وانظر المقتضب ١ : ١٤ والجمل ١٣٦ وابن يعيش ٦ : ٩ ، ٦٤ والعينى ٣ : ٤٠ ، ٥٠١ والهمع ٢ : ٩٢ والأشمونى ٢ : ١٠٠ ، ٢٨٤ .

(٣) الشنتمرى : « عميدهم » .

وحجّته أنَّ أَل تُبعد المصدر عن شبه الفعل . قال أبو الحجَّاج[١] :
ومن أَعمل الضرب فيه فهو عندى على قول من أَعمل الثانى ، وهو أَحسن عند أَصحابنا . أَلا ترى أَنَّ المعنى لحقت مسمعاً فلم أَنكل[٢] عن ضربه فحذف المفعول من الأَوّل لدلالة الثانى عليه . ومن أَعمل لحقت أَراد : لحقت مسمعاً فلم أَنكل[٣] عن الضرب إِيَّاه ، أَو عن ضربيهِ ، إِلَّا أَنَّه حذَف لأَنَّ المصادرَ يحذف معها الفاعل والمفعول . ولا يجوز على هذا القياس ضربت وشتمت زيداً ، حتَّى تأْتىَ بعلامة الضمير فى شتمت . يعنى إذا أَعملت ضربت . قال : لأَنَّ الفعل لا يحذف معه هذا المفعول كما يحذف مع المصدر . وقد أَجاز السِّيرافىُّ حذف الضمير فى هذا النحو مع الفعل أَيضاً ، لأَنَّ المفعول كالفضلة المستغنى عنها . قال أَبو على : ومن أَنشد « كررت » كان مسمع مفعول الضرب لا غير ، لأَنَّ كررت يتعدَّى بالحرف وهو على ، ولا حرفَ ههنا . فإِنْ جعلت على مرادةً كما جاءَ فى قوله : ﴿لأَقعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ المسْتَقيمَ[٤]﴾ ، وقولِ الشاعر[٥] :

تحنُّ فتُبدى ما بها من صبابة وأُخفى الذى لولا الأُسَى لقضانِى[٦]

---

(١) أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمرى شارح أبيات سيبويه . ولد سنة ٤١٠ وتوفى سنة ٤٧٦ . معجم الأدباء ٢٠ : ٦٠ . وهذا النص ليس فى شرح أبيات سيبويه فلعله فى شرح أبيات الجمل له .

(٢) الكلام بعده إلى « أنكل » التالية ساقطة من ش .

(٣) هنا ينتهى السقط السابق .

(٤) الآية ١٦ من سورة الأعراف .

(٥) هو عروة بن حزام . وانظر المغنى ١٤٢ ، ٥٧٧ وشرح شواهده للسيوطى ١٤١ والعينى ٢ : ٥٥٢ والهمع ٢ : ٢٩ . والبيت لم يرد فى ديوانه المخطوط .

(٦) الأسى هنا ، بالضم والكسر ، جمع أسوة بالضم والكسر ، وهو ما يتأسى به الحزين ، أى يتعزى . ومثله فى اللسان لحريث بن زيد الخيل :

ولولا الأسى ماعشت فى الناس ساعة ولكن إذا ماشئت جاوبنى مثلى

فلما حُذِف أَوصلت الفعلَ[1] فهـــو وجه . قال أَبو الحجَّاج : وهذا خلافٌ لما (فى الإيضـــاح) لأَنَّه قال هنالك : إنَّ ذلك لا يعمل عليه ما وُجد مندوحة عنه . وليس يُنكَر على العالم أَنْ يرجع عن قول إلى ماهو خيرٌ منه . اهـ .

قال ابن برى (فى شرح أَبيات الإيضاح) : وأَجاز السيرافى هذا الذى منعه أَبو على ، وكذلك أَجاز أَبو على فى غير الإيضاح نصب مسمع بكررت على إسقاط حرف الجر كالآية . اهـ.

ولو أَعمل كررت لكان التقدير : كررت فلم أَنكل عن الضرب إيَّاه ، على مسمع ، فحذف على وأَوصل الفعل .

وقال ابن السِّيرافى : لا يحسن أَن يُنصَب مسمع بكررت على تقدير كررت على مسمع فلم أَنكل عن الضرب . وعلى الرواية الثانية ينتصب أَيضاً بالضرب ، إلاَّ أَنَّه على إعمال الثانى الأَقربِ إليه . ولو أَعمل الأَوّلَ لأَضمر ، وكانَ التقدير : لحقت مسمعاً فلم أَنكل عن الضَّرب إياه مِسمعاً .

وقد أَورده ابن قاسم المرادى (فى باب التنازع من شرح الأَلفيَّة) بلفظ « لقيتُ ولم أَنكل عن الضَّرب مسمعًا » ، شاهداً على التنازع فى مسمع .

وأَورده ابن الناظم وابن هشام (فى شرح الأَلفية) فى باب إعمال المصدر ، كالشارح المحقق .

---

(١) فى النسختين : « فلما حذف الفعل أوصلت » ؛ وهو خطأ . كتب فى حاشية ش : « هكذا بخط المؤلف أوصلت ، والصواب أوصل بحذف التاء » . وأرى الصواب فيما أثبت . والمراد أنه لما حذف « على » أوصلت الفعل وعديته إلى المفعول .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لمالك بن زُغْبة الباهلى، وبعده :

أبيات الشاهد (ولو أَنَّ رمحى لم يخنِّى انكسارُه لغادرت طيراً تَعْتَفيه وأَضْبُعا[1]

٤٤١ وفرَّ ابن كدراءَ السَّدوسيُّ بعدَما تناولَ منِّى فى المكرَّةِ مِنْزعا

[وماكنتُ إلاَّ السَّيفَ لاقَى ضريبةً فقطَّعهـا ثم انثنى فتقطَّعـا

وإنِّى لأُعدِى الخيْلَ تَعثُر بالقنا حِفاظاً على المولى الحَرِيدِ ليُمنعا

ونحنُ جَنَبنا الخيلَ مِن سَرْوِ حميرٍ إلى أن وَطِئنا أَرضَ خثعَمَ نُزَّعـا[2]]

أَجِئتم لكيما تستبيحوا حريمنا فصادفتمُ ضرباً وطعناً مجدِّعا

فأُبتم خزايا صاغرين أَذلَّـةً شريجةَ أَرماح لأَكتافكم معا)

قال أَبو محمد الأَعرابى (فى فُرحة الأَديب) : مِسمَع بن شيبان : أَحد بنى قيس بن ثعلبة ، كان خرج هو وابن كدراءَ يطلبان بدماءِ من قتلته باهلة ، من بنى بكر بن وائل ، يوم قُتل أَبو الأَعشى قيسُ بن جَنـدل ، فبلغ ذلك باهِلةَ فلقُوهم فقاتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو قيس ومن كان معهما من بنى ذهل ، وضُرب مِسمعٌ وأَفلت جريحاً .اهـ.

وقوله :(لقد علِمَتْ أُولى المغيرة) إلخ ، يعنى أَوَّلها . والمغيرة : الخيل ، يُريد مقدِّمة العسكر .

---

(١) تعتفيه بالعين ، كما فى ش، ويؤيده تفسير البغدادى فيما سيأتى . وفى اللسان (عفا) : « وفلان تعفوه الأضياف وتعتفيه الأضياف ، وهو كثير العفاة ،وكثير العافية ، وكثير العفى». وفى ط : « تقتفيه » بالقاف فى هذا الموضع وفى التفسير التالى ص١٣٣ . والوجه ما أثبت من ش .

(٢) الأبيات الثلاثة ساقطة من ط ثابتة فى ش . والملحوظ أن البغدادى لم يفسر شيئاً منها .

نقل أبو حيان (فى تذكرته) عن ابن خالويه أنه قال : سألت أبا عُمر[١] عن قوله : « لقد علمت أُولى المغيرة » ... البيت ، فقال : أُولى كلِّ شيء : أوّله .

وقال ابن المستوفى : المغيرة يجوز أن تكون وصفاً للخيل المحذوفة ، وهو أجود لأنَّ استعمالها معه[٢] أكثر . ويجوز أن يكون وصفاً للجماعة المغيرة أو نحوِها . وعلى أىِّ الحالين فهو اسمُ فاعل ، من أغار على العدوِّ إغارة . ا هـ .

وذكر ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل): أنَّه يقال «المغيرة» بضم الميم وكسرها .

وتبعه ابن خلف ، وتعقَّبه اللخمى بأنَّه يقال فى اسم الرجل المغيرة بكسر الميم ، لأنَّهم[٣] إنَّما يغيِّرون الأسماءَ الأعلام ، ولا يكادون يغيِّرون الصفاتِ الجاريةَ على الأفعال ، لئلاَّ يخرجوها عن الباب .

والنُّكول : الرجوع جُبناً . قال ابن خلف : مَن ضمَّ الكاف فى المضارع فتحها فى الماضى ، ومن كسرها[٤] فى الأوَّل فتحها فى الثانى . وسمع بكسر الميم الأُولى وفتح الثانية .

وقوله :« لغادرتُ طيراً» الخ. غادرتُ : تركت. وفلان تعتفيه الأضيافُ أى تأتيه . وأَضبُع : جمع ضبُع . يريد أنَّه لو لم يخنه رمحه لقتله .

---

(١) أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم ، المعروف بغلام ثعلب .

(٢) ش : « استعماله معها » .

(٣) ط : « لأنهما » ، صوابه فى ش .

(٤) ش : « ومن كسر » .

وقوله « لغادرت طيراً » الخ . غادرت : تركت . وفلان تعتفيه الأضيافُ[1] أى تأتيه . وأَضبُع : جمع ضبع . يريد أنَّه لو لم يخنه رمحه لقتله وكانت تأْتيه الطيور والسباع ، تأْكله . وسَدوس بالفتح : أبو قبيلة . والمَكرَّة بالفتح : موضع الحرب. والمِنْزع ، بكسر الميم وسكون النون وفتح الزاى : السَّهم .

وقوله : « أجئتم لكيما » الهمزة للاستفهام التوبيخى . والاستباحة : النَّهب والأَسْر . والمجدِّع ، بكسر الدال المشددة : مبالغة جادع ، من جَدعَ أنفه وأذنه وشفته ، من باب نفع ، إذا قطعها .

وقوله : « فأُبتم خزاياً » إلخ . أى رجعتم ، من الأَوب وهو الرُّجوع . وخزايا : جمع خزيان ، وصف من خزِى خِزْياً من باب علم ، أى ذلَّ وهان . وأخزاه الله : أذلَّه وأهانه . وصاغِرين ، من صَغِرَ صَغَراً ، من باب تعب ، إذا ذلَّ وهان .

مالك بن زغبة

ومالك بن زُغبة ، بضم الزاى وسكون الغين المعجمتين بعدها موحدةٌ ، شاعرٌ جاهلىّ .

* * *

وأنشد بعده :

(طلبُ المعقِّبِ حقَّهُ المظلُومُ)

على أنَّ المظلوم ارتفع بقوله حَقَّه ، أى غلبه المظلُوم بالحقّ .

وهذا غير ما وجَّهه به فى باب المنادى فإنه قال هناك : إنَّ فاعل المصدر وإن كان مجروراً بإضافة المصدر إليه محلُّه الرفع ، فالْمُعقِّب فاعل المصدر ، وهو طلب وقد جر بإضافتهِ إليه ، ومحلُّه الرفع بدليل رفع وصفهِ ، وهو المظلوم .

وهذا التخريج هو المشهور .

---

(١) ط : « تقتفيه » ، صوابه فى ش .

والمعقِّب اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقَّه مرةً بعد مرة . يقال عقَّب فى الأَمر تعقيباً ، إذا تردَّد فى طلبه مُجِدًّا . وطلبُ بالرفع فاعل لِهاجَه فى المصراع قبله ، وهو :

٤٤٢

* حتَّى تهجَّر فى الرَّواح وهاجَه *

أى حتَّى سار الحمار فى الهاجرة وحثَّه على المسير طلبٌ كطلب المعقِّب المظلوم حقَّه ، فحقه مفعول المصدر . وما ذكره الشارحُ هنا هو تخريج ابن جنى (فى المحتسب) ، إلَّا أنَّه فسَّر حقه المظلوم بغير هذا ، قال : أى عازَّهُ ومنعه المظلوم . فحقَّه على هذا فعلٌ ، حقَّه يحقُّه ، أى لواه حقَّه . انتهى .

ولم أر فى كتب اللغة حقَّه يحقُّه بهذا المعنى .

ونقل ابن المستوفى عن الخوارزمى أنَّه قال : إن رفعت طلب فحقّه حينئذ فعل ، يقال حقَّه يحقُّهُ : لواه حقَّه وصَدَّه . والمظلوم نعت المعقبِ وفاعل حقَّه مضمَرٌ . هذا كلامه .

والذى ذكره الأَندلسىُّ أَن حاقَّه بمعنى خاصمه وادَّعى كلُّ واحد منهما الحقَّ ، فإذا غلبه قيل حقَّه . انتهى ما أَورده ابن المستوفى .

فظهر من هذا أنَّ مأْخذ الشارح المحقق كلامُ الأَندلسىّ .

وقد تقدَّم الكلام مفصَّلاً على هذا البيت مع جملة أَبيات من القصيدة ، وهى للبيدٍ الصحابى ، مع ترجمته ، فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[1] .

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٢٤٦ – ٢٥١ .

وأنشد بعده وهو الشاهد التَّاسع والتسعون بعد الخمسمائة[١] :

٥٩٩ (أَكُفرًا بعد ردِّ الموتِ عَنِّى   وبعدَ عطائِكَ المائةَ الرِّتاعَا)

على أَنَّ العطاءَ هنا بمعنى الإعطاءِ ، ولهذا عمل عمله . والمفعول الثانى محذوف ، أَى بعد إعطائك المائةَ الرِّتاعَ إِيَّاى . وردّ [٢] : مصدر مضاف إلى المفعول ، وفاعله محذوف ، أَى بعد ردِّك الموت عنى .

وأورده شراح الأَلفيَّة على أَنَّ العطاءَ اسم مصدر .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للقُطامىّ ، تقدَّم شرحُ أَبياتٍ من أَوَّلها مع ترجمته فى الشاهد الثالث والأَربعين بعد المائة[٣] : وهذه أَبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

(ومَن يكنِ استلامَ إلى ثَوِىٍّ	فقـد أَكرمتَ يازُفَرُ المتـاعا
أَكفرًا بعد ردِّ الموتِ عَنِّى	. . . . البيت
فلو بيدىْ سواكَ غداةَ زلَّتْ	بِى القـدمانِ لم أَرْجُ اطِّلاعا
إِذًا لهلكتُ لو كانت صِغـارٌ	من الأَخلاق تُبتَدَعُ ابتداعـا
فلم أَر مُنعِمين أَقـلَّ مَنًّـا	وأَكرمَ عندنا اصطنعوا اصطناعا
مِن البِيض الوجوه بنى نُفَيْـلٍ	أَبَتْ أَخـلاقُهم إلاَّ اتِّساعا)

وهى قصيدةٌ طويلة مدح بها زفر بن الحارث الكلابى ، وحضَّ قيساً وتغلب على الصلح .

---

(١) الشعراء ٧٢٣ والخصائص ٢ : ٢٢١ وابن الشجرى ٢ : ١٤٢ وابن يعيش ١ : ٢٠ وشذور الذهب ١٢ والعينى ٣ : ٥٠٥ والتصريح ٢ : ٦٤ والهمع ١ : ١٨٨ / ٢ : ٩٥ والأشمونى ٢ : ٨٨ وديوان الطرماح ٤١ .

(٢) فى النسختين : «وردك» ، ولايستقيم مع الكلام بعده .والذى فى النص أيضاً : «ردالموت»

(٣) الخزانة ٢ : ٣٦٨ – ٣٧٢ .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : كان القطامىُّ أسره زُفَرُ فى الحرب التى كانت بين قيس وتغلب ، فأرادت قيسٌ قتله ، فحالَ زفر بينهم وبينه ومنَّ عليه ، وأعطاه مائةً من الإبل وأطلقه [1] ، فقال :

* أكفرًا بعد ردِّ الموت عنِّى *

إلى آخر الأبيات التى أوردناها

قوله : « ومن يكن استلام » الخ . قال شارح ديوانه : أى مَنْ أتى إلى ضيفه ما يُلام عليه فأنت أتيتَ إلى ضيفك أمرًا تستوجب فيه الثَّناءَ والمدح ، والذِّكرَ الحسن . والثَّوِىُّ : الضيف ، وهو فعيل من الثواء ، قال : وهو الإقامة . والمتاع : الزَّاد . ومتَّعته : زوَّدته . أخبر أنه زوَّده وأعطاه .

وقوله : (أكفرًا بعد ردِّ الموت) إلخ ، الهمزة للاستفهام الإنكارى ؛ وكفرًا مفعول مطلق عامله محذوف ، أى أأكفر كفرًا . و (الرِّتاع) : جمع راتعة . قال شارح ديوانه : الرِّتاع : الراعية . يقول : أخُونك بعدَ هذا وقد مننتَ علىّ وأطلقتَنى ؟ ويقال : كان زفر اشتراه من قيس ابن وهب ، ووهب له مائةً من الإبل .

٤٤٣

وقوله : « فلو بيدَىْ » إلخ ، الباءُ متعلِّقة بمحذوف كما أشار إليه شارح ديوانه بقوله : يقول لو كنتُ فى يدَىْ غيرِك لم أرجُ اطِّلاعاً ، أى نجاة ، وارتفاعاً من صَرعتى ، ولم أرجع إلى أهلى .

وقوله : « إذن لهلكت » إلخ . قال شارح ديوانه : تبتدَع : تُستحدَث

(١) فى الشعراء : « ووهب له مائة ناقة ورده إلى قومه » .

ويقال شئٌ بِدْع وبديع ، إذا كان بديعاً ، قال : لو ابتُدِعَتْ صِغارٌ[١] لهلكت أنا . انتهى .

وصغار بالرفع ، وتبتدع بالبناء للمفعول . قال العينى : معناه لو ابتدَعْتَ فىَّ أُموراً صعاباً لهلكت. هذا كلامه .

وقوله : « فلم أر منعِمِينَ » إلخ . قال شارح ديوانه : يقول : لم أر مثلهم لايمنُّون بما صنعوا . يريد الذين أنعموا عليه .

وقوله : « من البيض الوجوه » . قال شارح ديوانه : نُفَيل بن عمرو ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، رهط زفر .

* * *

وأنشد بعده :

(دارٌ لِسُعْدَى إذْهِ من هواكا)

على أنَّ المصدر يجوز استعماله بمعنى اسم المفعول كما هنا ، فإنَّ هوًى مصدر هَوِيتُه من باب تعب ، إذا أحببته وعَلِقْتَ به. والمراد به هنا اسم المفعول ، أى من مهويِّك.

وبهذا الوجه أورده سابقاً فى باب المفعول المطلق فى الشاهد الثالث والثمانين[٢] . وتقدَّم الكلام عليه هناك مفصلاً .

وقوله :« إذْهِ » أصله إذ هىَ فحذفت الياءُ ضرورة وبقيت الهاءُ من هى.

وبهذا الوجه أورده أيضاً (فى باب الضمير) بعد الشاهد الثمانين بعد الثلثمائة ، وتقدَّم الكلام عليه أيضاً مستوفًى هناك[٣] .

---

(١) ط : « صغاراً » . صوابه فى ش . وانظر ما سيأتى .
(٢) الخزانة ٢ : ٥ – ٦.
(٣) الخزانة ٥ : ٢٦٤ – ٢٦٦.

اسم الفاعل

أنشد فيه :

(ليُبْكَ يَزيدُ ضارعٌ لخصومة)

على أن قوله ضارع فاعل لفعل محذوف ، أى يبكيه ضارع .

وهذا على رواية « ليُبْكَ » بالبناء للمفعول ، ويزيد نائب الفاعل .

وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلاً مشروحاً فى الشاهد الخامس والأربعين من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للستمائة (٢) :

٦٠٠ (فبتُّ والهمُّ تَغْشانى طَوارِقُـه مِن خَوفِ رِحْلةٍ بينِ الظاعنين غدًا)

على أنَّ (غدًا) يحتَمل أن يكون منصوباً بأحد عوامل ثلاثة ، وهى رحلة ، وبين ، والظاعنين ، فلا يتمُّ ما ادَّعاه المبرِّد من جواز عمل اسم الفاعل الماضى (٣) . مع أنَّ الكلام فى اسم الفاعل الذى ينصب مفعولًا به لاظرفاً.

صاحب الشاهد

وأورد أبو على فى (إيضاح الشعر) هذا البيت وقال : فيه حذف ، والتقدير من خوف الارتحال وخوف الفراق. ونسب البيتَ لجرير .

وقوله :(فبتُّ والهمُّ) إلخ . بات هنا تامَّة ، قال ابن الأثير (فى النهاية) : كل من أدركه اللَّيل فقد بات يَبيت ، نامَ أوْ لم ينم . والواو هى واو

---

(١) الخزانة ١ : ٣٠٣ – ٣١٣

(٢) ديوان جرير ١٥٨ . والرواية فيه :

باتت همومى تغشاها طوارقـها من خوف روعة بين الظاعنين غدا

(٣) الذى فى الرضى ٢ : ١٨٧ : « وجوز المبرد وغيره عمله بمعنى الماضى والحال والاستقبال ، واستدلوا بقوله : فبت والهم تغشانى طوارقه » . والذى قيد عمل اسم الفاعل المحلى بأل بأن يكون ماضياً هو أبو على فى كتاب الشعر ، وكذا الرمانى .

الحال ، والهمُّ مبتدأٌ ، وَجملة تغشانى طوارقه خبرُه، والجملة فى محل نصب حال[١] من التاءِ فى بتُّ . قال ابن الأثير : غشِيَه يغشاه غِشْياناً ، إذا جاءَه . وغشَّاه تغشيَةً ، إذا غطَّاه . وغَشِى الشىء ، إذا لابَسَه . والطوارق هنا : الدَّواهى . قال ابن الأَثير : كلُّ آت بالليل طارق . وقيل أَصل الطروق من الطَّرْق ، وهو الدقُّ . وسمِّى الآتى بالليل طارقاً لحاجته إلى دقِّ الباب . وجمع الطارقة طوارق . ومنه الحديث : « أَعوذ بالله من طوارق الليل إلَّا طارقاً يطرُق بخير » . ومن متعلِّقة بقوله تَغْشانى رحلة مضاف إلى بين ، وكذلك بين مضاف إلى مابعده، فهما مجروران بالكسرة. والرِّحلة بالكسر : اسم مصدر بمعنى الارتحال . والبَيْن هنا مصدر بان يبين بَيناً ، أَى فارق وبعُدَ . والظاعنين من ظعَن يظعَن بفتح عينهما ظعناً ، بفتح العين وسكونها، أَى سار وذهب .

وترجمة جرير تقدَّمت فى الشاهد الرابع من أَوائل الكتاب[٢]

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد بعد الستمائة[٣] :

٦٠١ (فيالَرِزامٍ رشِّحوا بى مقدَّماً على الحرب خوّاضاً إليها الكَرائبا)

على أَنَّ (خوّاضاً)صيغة مبالغة ، حُوِّلَ من اسم الفاعل الثلاثى وهو خائض.

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة): فى هذا البيت شاهدٌ على جواز إعمال اسم الفاعل . أَلا تراه كيف نصب الكرائب بخوَّاض[٤] .

---

(١) ش : « فى محل حال » ، فقط .
(٢) الخزانة ١ : ٧٥ — ٧٧ .
(٣) الحماسة بشرح المرزوق ٧٢ والتبريزى ١ : ٧٣ وإعراب الحماسة الورقة ٢٠ .
(٤) فى إعراب الحماسة : « كيف نصب بخواض الكرائبا » .

صاحب الشاهد

وهو من أبياتٍ تسعةٍ لسعد بن ناشبٍ المازنىّ ، أوردها أبو تمام (فى أوائل الحماسة) ، وهى :

أبيات الشاهد

(سأغسِلُ عنّى العارَ بالسَّيف جالباً   علىّ قضاءُ الله ماكانَ جالبا
وأُذهَلُ عن دارى وأجعَلُ هدمها   لِعرْضىَ مِن باقى المَذَمَّة حاجبا
ويَصغُر فى عينى تلادِى إذا انثنتْ   يمينى بإدراكِ الذى كنتُ طالبا
فإنْ تَهدِموا بالغدرِ دارى فإنَّها   تُراثُ كريمٍ لايُبالى العواقب
أخو غَمَراتٍ لا يريد على الذى   يَهُمُّ به من مُفظِعِ الأَمر صاحبا(١)
إذا هَمّ لم تُرْدَعْ عزيمةُ همِّه   ولم يأْتِ مايأْتى من الأَمرِ هائبا
فيالَرزامٍ رشِّحوا بى مقدَّماً   إلى الموت خوَّاضاً إليها الكرائبا(٢)
إذا همّ أَلقى بين عينيه عزمَه   ونَكَّبَ عن ذِكر العواقب جانبا
ولم يَستشِرْ فى أمره غيرَ نفسِهِ   ولم يَرض إلَّا قائمَ السَّيفِ صاحبا)

قال شُرَّاح الحماسة :سبب هذه الأَبيات أنَّه كان أصاب دماً ، فهدم : بِلالُ بنُ أَبى بردة دارَه بالبصرة وحَرَّقها . وقيل : إنَّ الحجَّاج هو الذى هدم دارَه .

وقال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : ويقال إنه قُتل له حميم ، وإنَّه أَوعَده بهدم داره إن طالبَ بثأْره .

وقوله : « سأَغسل عنّى العار » إلخ . قال التبريزى : أَصل القَضاء الحتم ، ثم يتوسَّع فيه فيقال قُضِىَ قضاؤُك ، أى فُرِغ من أمرك. فاستُعمل فى معنى الفراغ من الشىء . ويروى : « قضاءُ الله » بالرفع والنصب. فإذا

(١) فى الحماسة بشرح التبريزى : « أخى غمرات » . وبشرح المرزوقى :
أخى عزمات لا يريد على الذى   يهم به من مقطع الأمر صاحبا
(٢) فى الحماسة بشرحيها : « خواضاً إليها الكتائبا » .

رفعته يكون فاعلًا لجالباً علىّ ، وما فى موضع المفعول ، ويكون القضاءُ بمعنى الحكم . والتقدير : سأغسل العارَ عن نفسى باستعمال السَّيف فى الأعداءِ ، فى حال جلبِ حكمِ الله علىّ الشىءَ الذى يَجلبه. وإذا نصب القضاءَ يكون مفعولًا وفاعله ما . ويكون القضاءُ الموتَ المحتوم ، كما يقال للمخلوق خَلْق . والمعنى : جالباً الموتَ علىّ جالبُه . وقيل : إنَّ كان فى قوله « ما كان » فى معنى صار . انتهى .

٤٤٥

وقال ابن جنى : أراد جالبَه ، أى جالباً إيَّاه ، فحذف الضمير مع اسم الفاعل كما يحذف مع الفعل نفسه . ومثله ماأراناه أبو على من قول الله تعالى : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ[1] ﴾ أى قاضِيهِ ، فى معنى قاضٍ إيَّاه . وعليه البيت الآخر فيه ، وهو :

* بإدراك الذى كنتُ طالبا *

أى إيَّاه ، أو طالبه أو طالباً له . وأن يكون المحذوف ضميراً متَّصلًا أولى من أن يكون ضميراً منفصلاً .

وقوله : « وأُذهَل عن دارى» إلخ . الذهول: ترك الشىءِ متناسيًا له . يقول : إذا نبا المنزل بِى حتَّى يصير دارَ الهوان انتقلتُ عنه ، وأجعل خَرَابهُ وقايةً لنفسى من العار الباقى . وهذا قريبٌ من قوله :

* وإذا نبا بك منزلٌ فتحوَّلِ[2] *

---

(١) الآية ٧٢ من سورة طه .

(٢) لعبد قيس بن خفاف البرجمى فى المفضليات ٣٨٥ وحماسة البحترى ١٧٩ . وصدره فى الأولى :

* واترك محل السوء لا تحلل به *

وفى الثانية : * احذر محل السوء لا تحلل به *

وقافيته فى الأولى : « فتجمل » ، وفى الثانية مطابقة لما هنا .

وقوله : « ويصغر فى عينى» إلخ . أراد بقوله يصغر صِغَر القَدْر . وخص التلاد ، وهو المال القديم ، لأنَّ النفس به أضنُّ . ونبّه بهذا الكلام علىَّ أنَّه كما يخفُّ على قلبه تركُ الدار والوطن خوفاً من التزام العار الباقى ، كذلك يقلُّ فى عينه إنفاقُ المال عند إدراك المطلوب . وانثنت : انعطفت ومالت . وهذا البيت أورده ابن الناظم (فى شرح الأَلفيَّة) شاهداً على جواز حذف العائد المجرور بالإضافة إن كان المضاف وصفاً بمعنى الحال أو الاستقبال ، فإنَّ الأَصل كنت طالبه فحذف الضمير .

وقوله : « فإن تهدمُوا بالغدر » إلخ . الغدر : ترك الوفاءِ . يقول : إنْ تُخربوا دارى بالغدر منكم فإنها تراثُ كريم . يعنى نفسَه . وسمَّى مِلكه ميراثاً وهو حىٌّ باعتبار ما يئُول إليه . والكرم : التنزُّه عن الأَقذار[١] .

وقوله : « أخو غَمَرات » إلخ ، بفتحتين ، هى الشدائد . ويروى : « أخو عزَمات » . والعزم : عقدُ القلب على مايُرى فعلُه . ومُفظِع ، من أفظع الأَمرُ إفظاعاً . وكذلك فَظُعَ فظاعةً ، أى عظُم . أو من أفظعنى الأَمر ففظِعت به ، أى أعيانى فضِقت به ذَرْعاً . يصف نفسَه بأنَّه صاحب همم وأخو عزَمات[٢] ، مستبدٌّ برأيه فيها ، غير متَّخذ رفيقاً .

وقوله : (فيا لرزام رشِّحوا) إلخ . هو فعل أمر من الترشيح ، وهو التربية . ومنه رشَّحت المرأَةُ ولدَها ، إذا درّجته فى اللبن ، ثمّ قيل : رشِّح فلان لكذا توسُّعاً . أى رشِّحوا به بترشيحكم إيّاى رجلًا كذا صفته . وأقام الصفة مقام الموصوف . قال التبريزى : قوله فيالرزام ، النية بالفاءِ استئنافُ ما بعدها وإن نسق بها جملةً على جملة . واللام

(١) ش : « والكريم : المتنزه عن الأقذار » .
(٢) ش : « وأخو عمرات » .

من يالرزام لام الاستغاثة ، ورزام مجرورٌ بها ، وهو قبيلة ، وهم المدعوُّون وأصل حركة اللام مع الظاهر الكسر ، وفتحت مع المستغاث لكونه فى موقع الضمير ، ومُقْدِماً بكسر الدال بمعنى متقدِّماً ، كما يقال[١] وجَّه وتوجَّه ، ونَبَّهَ بمعنى تنبَّه ، ونكَّب بمعنى تنكَّب . والكرائب : جمع كريبة وهى الشّدة من شدائد الدهر . والأَصل فى الكرب الغمُّ الذى يأْخذ بالنَّفْس. ويروى بدله (الكتائبا) جمع كتيبة ، وهى الجيش .

وقوله :« إذا همّ ألقى » إلخ ، أى جعله بمرأى منه لايغفل عنه . وقد طابق فيه لمَّا قابله بقوله : « ونكَّب عن ذكر العواقب جانبا » . وسمّى المعزوم عليه عزماً . ونكَّب إن كان بمعنى حرّف فجانباً مفعول به له ، وإن كان بمعنى انحرف فجانباً ظرف له .

٤٤٦ قال ابن جنى : لك فى جانباً وجهان : أحدهما أن يكون مفعولًا به أى نكَّب جانباً منه عن ذكرالعواقب. والآخر : أَن يكون ظرفاً[٢] ، أَى نكَّب عن ذكر العواقب فى جانب . ويؤَكِّد هذا روايةُ من رواه :

* وأعرضَ عن ذكر العواقب *

وقوله :« ولم يستشِر» إلخ ، نبّه على الرأْى به وعلى الفعل بقوله : « ولم يرض » . وقائم السيف : مَقْبِضُه . وانتصب لأَنه مستثنًى مقدَّم .

وقال ابن جنى : إن شئت نصبتَ صاحباً على أَنَّه مفعول به ونصبت قائم السيف على الاستثناء ، أَى لم يرض صاحباً إلَّا قائمَ السيف. وإن شئت نصبت قائم السيف نصبَ المفعول به وجعلت صاحباً بدلاً منه ،

(١) ط : « كما يقال له » .
(٢) فى شرح ابن جنى : « أن يكون انتصابه على انتصاب الظرف » .

كقولك : لم أضرب إلَّا زيداً قائماً ، أى لم أضرب أحدًا إلا زيدًا فى حال قيامه . ومن نصب زيداً فى قولك : مارأيت أحداً إلَّا زيداً على البدل لم ينصب قائم السَّيف فى القول الأوَّل إلَّا على الاستثناءِ المقدَّم دون البدل ، وذلك لتقدُّمه على صاحبه ، والبدل لايجوز تقدمه على المبدل منه . انتهى .

وزاد ابن هشام (فى شرح الشواهد) بيتين بعد هذه الأبيات وهما :

(فلا توعِدنِّى بالأمير فإنَّ لى ... جَناناً لأكناف المخاوِف راكبا

وقلباً أبيًّا لا يُروَّع جأْشُه ... إذا الشرُّ أبدى بالنَّهار كواكبا)

سعد بن ناشب

وسعد بن ناشب شاعرٌ إسلامىٌّ فى الدولة المروانية . قال شراح الحماسة : هو من بنى مالك[1] بن عمرو بن تميم .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو من العنبر ، وكان أبوه ناشبٌ[2] أعورَ ، وكان من شياطين العرب ، وله يومُ الوقيط[3] وكان فى الإسلام بين تميم وبكر . وكان سعدٌ من مَرَدة العرب ، وفيه يقول الشاعر[4] :

وكيفَ يُفيق الدهرَ سعدُ بن ناشبٍ ... وشيطانُه عند الأَهِلَّة يُصَرعُ[5]

وسَعد بفتح السين وسكون العين ، وناشب بكسر الشين المعجمة .

* * *

(١) فى النسختين : « بنى مالك بن مالك » تحريف . وانظر شرح التبريزى والجمهرة ٢١١ .
(٢) ط : « ناشبا » ، صوابه فى ش .
(٣) انظر له العقد ٥ : ١٨٢ — ١٨٥ .
(٤) هو دعلج بن الحكم ، كما فى الحيوان ٦ : ٢٤٣ والشعراء ٦٧٧ .
(٥) انظر للصرع عند الأهلة ماورد فى الحيوان ٥ : ٤٧٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه(١) :

٦٠٢ (ضَرُوبٌ بنَصْلِ السَّيفِ سُوقَ سِمانِها
إذا عَدِموا زاداً فإنَّك عاقرُ)

على أنَّ (ضروباً) صيغة مبالغة اسمِ الفاعل ، محوَّل عن ضارب ، ولهذا عمل عمله . و(سوق) نصب به على المفعولية .

ولهذا أورده سيبويه .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ لأبى طالبٍ عمِّ النبى صلى الله عليه وسلم ، رثى بها أبا أُميّة بنَ المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم(٢) ، وكان أبو أمية زوج أُخته عاتكةَ بنتِ عبد المطلب ، فخرج تاجراً إلى الشام فمات بموضع يقال له سَرْو سُحيم ، فقال أبو طالب هذه الأبياتَ يرثيه :

أبيات الشاهد

(ألا إنَّ زادَ الركب غيرَ مُدافَعٍ بسَرِو سُحيم غيَّبته المقابرُ(٣)
بَسرْو سُحيم عارفٌ ومُناكِرٌ وفارسُ غارات خطيبٌ وياسرُ
تنادَوْا بأَنْ لا سيِّدُ الحىِّ فيهم وقد فُجع الحيّانِ كعبٌ وعامرُ
فكان إذا يأْتى من الشام قافلا بمَقْدَمِه تسعى إلينا البشائرُ

(١) فى كتابه ١ : ٥٧ . وانظر المقتضب ٢ : ١٤ والجمل ١٠٤ وابن الشجرى ٢ : ١٠٦ وابن يعيش ٢ : ٦٩ ، ٧٠ والخزانة ٢ : ١٧٥ ، وشذور الذهب ٣٩٣ والعينى ٣ : ٣٥٩ والتصريح ٢ : ٦٨ ، والهمع ٢ : ٩٧ ، والأشمونى ٢ : ٢٩٧ وديوان أبى طالب مخطوطة الشنقيطى ١١ . والملحوظ أنه تكرار عددى للشاهد ٢٩٢ فيما سبق فى ٤ : ٢٤٢ مع التزام البغدادى بعدم تكرار العدد إذا تكرر الاستشهاد .

(٢) ش : « ابن عمرو بن مخزوم » ، صوابه فى ط . وانظر جمهرة ابن حزم ١٤٤ — ١٤٥ وديوان أبى طالب .

(٣) السرو من الجبل : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل . وسحيم ؛ سيفسره البغدادى . وفى الديوان : « بوادى أشى » . وأشى : موضع بالوشم ، والوشم : واد باليمامة . والأبيات الثلاثة بعد هذا البيت لم ترد فى الديوان .

فيُصبح أهلُ الله بِيضاً كأنَّمـــا كَسَتْهم حَبِيرًا رَيدةٌ ومَعافرُ

٤٤٧

ترى دارَه لا يبرح الدَّهْرَ عندها مجعجعةٌ كومٌ سِمانٌ وباقرُ

إذا أُكلت يوماً أتى الدَّهرَ مثلُها زواهقُ زُهْمٌ أو مَخاضٌ بهازرُ[(١)]

ضروبٌ ينصل السيف سُوقَ سِماتِها . . . . البيت

وإلاَّ يكنْ لحمٌ غريض فإنَّه تُكبُّ على أفواههنَّ الغرائرُ

فيالكَ من ناع حُبِيتَ بألَّة شِراعيَّة تصفرُّ منها الاظافرُ)

قوله: « ألا إنَّ زاد الركب » قَال ابن بكَّار (فى أنساب قريش):
كانَ أزواد الرَّكب من قريش ثلاثةً :

الأول : مسافر بن أبى عمرو بن أُميَّة بن عبد شمس .

الثانى : زَمَعة بن الأسود بن المطَّلب بن أسد بن عبد العُزَّى .

الثالث : أبو أُميَّة بنُ المغيرة بن عبد الله بنِ عمر[(٢)] بن مخزوم .
وإنَّما قيل لهم أزواد الركب أنَّهم كانوا إذا سافروا لم يتزوَّد معهم أحدٌ .
ولم يسمَّ بذلك غير هؤلاءِ الثلاثة . وكان عند أبى أُمية بن المغيرة أربعُ
عواتك : عاتكة بنت عبد المطلب ، وهى أُم زهير وعبد الله ، وهو
الذى قال للنبىِّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفجُر لنا
مِنَ الأَرْضِ يَنبوعاً[(٣)] ﴾ . وعاتكة بنت جذل الطِّعان ، وهى أُمّ أُمّ سلمة
والمهاجرِ . وعاتكة بنت عتبة بن ربيعة . وعاتكة بنت قيس ، من
بنى نهشل بن دارم التميميَّة . انتهى .

---

(١) هذا البيت وكذا آخر الأبيات لم يردا فى الديوان .

(٢) ش : « عمرو » . وانظر ماسبق من تحقيق . ولأزواد الركب أيضاً الأغانى ٨ : ٤٦ .

(٣) الآية ٩٠ من سورة الإسراء .

وقوله: « غيرَ مُدافَعٍ » بالنصب . وجملة « غيبته المقابر » خبر إنَّ . والباءُ من قوله بِسَرْو سحيم متعلِّق به . وسُحَيم بضم السين وفتح الحاءِ المهملتين : موضعٌ فى طريق الشَّام من مكة . وسَرْو على لفظ الشَّجر بمعنى أعلى . فسَرْوُ سحيم : أعلاه . وقوله :« بسرو سحيم » تأْكيد للأَوَّل . وقوله عارفٌ خبر مبتدأٍ محذوف ، أى هو ذو معرفة بالأُمور . ومُناكر اسم فاعل، من ناكرهُ بمعنى قاتله .

والياسِر : اللاعب بالميسر ، وهو قِمار العرب بالأَزلام ، وهو ممَّا يُفتخَر به عندهم ، كانوا يقامرون بها فى أَيَّام الغلاءِ والقحط ، ويفرِّق الغالب لحمَ الجزور على الفقراءِ .

وقوله : « تَنادَوْا » أَى تَنادَى جماعة الركب . وأَنْ مخففة من الثقيلة ، وجملة لا سيِّد الحىِّ فيهم من المبتدإِ والخبر خبر أَنِ المخفَّفة . وفُجِع بمعنى أُصيب بالرزية . والقافل : الرَّاجع من السَّفر .

وعنَى بأَهل الله قريشاً . وكانت العرب تسمِّيهم أَهلَ الله لكونهم أَربابَ مكة . والحَبير، بفتح الحاءِ المهملة وكسر الموحدة: ثيابٌ ناعمة كانت تصنع باليمن . ورَيْدة بفتح الراءِ المهملة وسكون المثناة التحتية : بلدةٌ من بلاد اليمن ، وأَراد أَهل ريدة . ومَعافر بفتح الميم بعدها عين مهملة وكسر الفاءِ : قبيلةٌ من قبائل اليمن .

ومجعجِعة : اسم فاعل من جعجعت الإِبلُ، إذا صوَّتت ، وإنَّما تصوِّت لذبح أَولادها ، وكان فى الأَصل صفة لكوم ، وقَدْ قدِّمَ عليه (١) صار

(١) ط : « لما قد قدم عليه » .

حالاً منه . والكُوم : جمع كَوماء ، وهى الناقة العظيمة السَّنام . والباقر : اسمُ جمع بمعنى البقر .

وقوله : « إذا أُكِلت » أى إذا أكلها الأضياف. يريد أنَّه يُدنِى[١] من موضعه الذى ينزله قطعةً من الإبل للنحر والقِرى ، فكلَّما فنيت قطعةٌ أَحضَرَ قطعة أُخرى . والزواهق : جمع زاهقة ، وهى السمينة المفرطة السِّمَن . والزُّهم[٢] : جمع زَهِمة بفتح فكسر ، وهى الكثيرة الشحم . والمَخَاض : الحوامل من الإبل ، واحدها خَلِفَة من غير لفظها . والبهازر : جمع بَهْزَرة ، بتقديم المعجمة ، على وزنَ حيدرة ، وهى الناقة الجسيمة . ٤٤٨

وقوله : « ضروبٌ بنصل السيف » أى هو ضروبٌ . ونصل السيف : شَفرته ، فلذلك أَضافه إلى السيف . وقد يسمَّى السَّيفُ كلُّه نصلا . مدحه بأَنَّه كان يُعرقب الإبل للضِّيفان عند عدم الأَزواد . وكانوا إذا أَرادوا نحر الناقة ضرَبُوا ساقها بالسَّيف فخرَّت ، ثم نحروها ، وقوله : « إذا عَدِموا زادًا » إلخ ، الجملة الشرطية التفاتٌ إلى الخطاب من الغيبة . والسُّوق : جمع ساق .

وقوله : « وإلاَّ يكنْ لحمٌ غريض » ، بفتح الغين المعجمة وكسر الراء وآخره ضاد معجمة ، هو الطرىُّ من اللَّحم . وتُكَبّ : تُصبُّ . والغرائر : الأَعدال ، جمع غِرارة بالكسر ، وهى وعاءٌ يجعل فيه الدَّقيق وغير ذلك . وقوله : « فيالك من ناع » مجرور مِنْ تمييزٌ للكاف . والناعى : المخبر بموت إنسانٍ . دعا عليه ، لكونه أَخبر بموت المرثىّ . وحُبِيت : خُصصت . والأَلَّة بفتح الهمزة وتشديد اللام : الحَرْبة . والشِّراعية ، بكسر الشين

(١) ط : « أنه يرى » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « والزهماء » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

المعجمة : الطويلةُ ، وقيل التى قد أُشرِعت للطَّعن أى مُدَّت نحوه . وصفرة الأَظفار كنايةٌ عن الموت ، فإِنَّ الميّت تصفرُّ أظافره .

وتَرجمة أَبى طالب تقدَّمت فى الشاهد الواحد والتسعين [١] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد السمّائة ، وهو من شواهد سيبويه :

٦٠٣ (شُمٌّ مَهَاوِينَ أَبدانَ الجَزُورِ مَخا
مِيصِ العَشيَّاتِ لا خُورٍ ولا قَزَمِ)

على أَن (مهاوين) جمع مِهوان من أَهان ، وبناءُ مفعال من أَفعل قليلٌ نادر ، والكثير من فعَلَ .

وقد أَورده الزمخشرى (فى المفصل) على أَنَّ ما جمع من اسم الفاعل يعمل عمل المفرد .

والأَوصاف جميعها مجرورةٌ فى البيت ، لأَنَّ قبله :

(يأْوى إلى مجلسٍ بادٍ مكارمُهم لا مُطِمعى ظالمٍ فيهم ولا ظُلُمِ)

والبيت إِنَّما وردَ (فى كِتَاب سيبويه والمفصل وغيرهما) على إِعمال مفعال عمل فِعْلِه ، وليس فيهما ما يدلُّ على أَنَّ الأَوصاف مرفوعة أَو مجرورة .

ولا وجه لقول ابن خلف : البيت فى الكتاب رويُّه مرفوع ، وهو مخفوضٌ كما يدلُّ عليه ماقبله . وكذا قول ابن المستوفى : قد أَنشده سيبويه فى كتابه كما أَنشده الزمخشرىُّ بالرفع ، وهو مجرور . انتهى .

(١) الخزانة ٢ : ٧٥ — ٧٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ٥٩ . وانظر ابن يعيش ٦ : ٧٤ ، ٧٦ والعينى ٣ : ٥٦٩ والهمع ٢ : ٩٧ .

ولم يقف ابن الحاجب (فى أماليه على المفصل) على البيت الأوّل فظنّه مرفوعاً وقال : شم خبر مبتدإٍ محذوف وما بعده أخبارٌ وأوصاف . وكذلك قال العينى .

وقوله : « يأوى إلى مجلس » إلخ فاعل يأوى ضمير مستتر . يقال أوى إلى منزله يأوى ، من باب ضرب ، أُويًّا على وزن فُعول ، إذا أقام فيه . والمجلس : موضع الجلوس ، وقد أطلق هنا على أهلِه ، تسميةً للحالِّ باسم المحلّ ، يقال انفضَّ المجلس ، بدليل الأوصاف الآتية ، ولهذا عاد الضمير إليه من « مكارمهم » بجمع العقلاء ، كما يطلق المقامة بالفتح على محلِّ القيام ، وعلى الجماعة من الناس . وبادٍ : اسم فاعل من بدا يبدُو بدوًّا ، إذا ظهر . والمكارم : جمع مَكرُمة بفتح الميم وضمِّ الراء ، قال صاحب المصباح : المكرمة ، بضم الراء : اسمٌ من الكرم ؛ وفعلُ الخير مكرُمة ، أى سببٌ للكرم أو التكريم . وباد صفة سببيّة لمجلس.

وقوله : « لا مطمعى ظالم » صفة ثانية لمجلس ، وأصله مطمِعين ، حذفت نونه للإضافة . وقوله : « ولا ظُلُم » بضمتين : جمع ظَلوم صفة ثالثة لمجلس . يريد إنَّ الناس قد عرفوا أنّه من ظلمهم انتصفوا منه ، فليس أحدٌ يطمع فى ظلمهم ، ولا هم يَظلمون أحداً . ٤٤٩

وقوله : « شمٌّ » صفة رابعة لمجلس ، وهو جمع أشم ، وصفٌ من الشَّمم ، وهو ارتفاعٌ فى قصَبة الأنف مع استواء أعلاه[١] ، فإن كان فيها احْديدابٌ فهو القَنَى ، يقال أقنى الأنف . جعل الشمم كنايةً عن العزَّة والأنفَة . يقال للعزيز شامخ الأنف ، وللذليل خاشع الأنف . وقال ابن الحاجب : وصفَهم بالارتفاع إمَّا فى النسب والكرم ، أو القدْر ، أو العزَّة[٢] ، وهو

(١) ش : « من استواء أعلاه » ، صوابه فى ط .

(٢) ط : « أو عزة » ، صوابه فى ش.

مأخوذ من الشَّم المذكور . وهذا كلامه ، ولا حاجة إليه . وقوله :« مهاوين» صفة خامسة لمجلس ، وهو مجرور بالفتحة لأَنَّه على صيغة منتهى الجموع ، وهو جمع مِهوان ، وهو مبالغة مُهِين ، من أهانه أى أذلَّه .

قال الأعلم : الشاهد فيه نصب أَبدان الجزور بقوله مهاوين، لأَنَّه جمع مِهوان ، ومهوان تكثيرُ مهين ، كما كان منحار ومضراب تكثير ناحر وضارب ، فعمل الجمْع على واحده . يريد أَنَّهم يُهينون للأضياف والمساكين أبدانَ الجزور ، وهو جمع بَدَنة ، وهى الناقة المتَّخَذة للنحر المسمَّنة . وكذلك الجزور .

هذا كلامه ، وتبعه ابن يعيش وقال : الأبدان : جمع بدَنة وهى الناقة المتَّخذة للنحر . يريد أَنَّهم يسمِّنون الإبل فينحرونها للأضياف . وعليه يقتضى أن يكون من إضافة أحد المترادفين إلى الآخر ، مع أنَّه لم يُسمَع جمعَ بَدَنة على أبدان ، وإنَّما ورد جمعُها على بَدَنات وبُدُن بضمتين وإسكانِ الدال تخفيفاً . والصواب أنَّه جمعَ بَدَن ، وهو من الجسَد ما سِوى الرأس واليدين والرِّجلين . وإنَّما آثر ذكره على غيره لإفادة زيادة وصفهم بالكرم ، فإنَّهم إذا فرَّقوا أفضلَ لحم الجزور فتفريق ما سواه يكون بالطريق الأَولَى ، والإضافة حينئذ من إضافة البعض إلى الكلّ . والبدنة : ناقة أو بقرةٌ ، زاد الأزهرى : أو بعير . قالوا : ولا تقع على الشَّاة .

و (الجزور) ، بفتح الجيم من الإبل خاصَّة ، يَقع[١] على الذكر والأُنثى ، والجمع جُزُر بضمتين ، وتجمع أيضاً على جُزُرات[٢] ، ثم على جزائر . ولفظ الجزور أُنثى ، فيقال رعَت الجزور . قاله ابن الأنبارى .

---

(١) ط : « تقع » بالتاء ، وأثبت ما فى ش .

(٢) فى اللسان (جزر ٢٠٤) أن جزرات جمع الجمع ، كطرق وطرقات .

وزاد الصّغانى : وقيل الجزور الناقة التى تنحر ، وجزرت الجزور وغيرها من باب قتل ، إذا نحرتها . كذا فى المصباح .

واللام فى الجزور لاستغراق الأفراد . وقال ابن خلف : أراد أن يقول الجُزر فاكتفى بالواحد عن الجمع . وروى : « مهاوين أبداء الجزور »، وهو جمع بَدْءٍ[1] بفتح الموحدة وسكون الدال بعدها همزةٌ، قيل هو بمعنى النصيب ، وقيل بمعنى المَفْصِل . وقال الأعلم : أبداءُ الجزور أفضل أعضائها، واحدها بدء[2]، ومنه السِّيد بدءٌ لفضله . وقوله : « مَخَاميص العشيّات » صفة سادسة لمجلس ، وهو مجرور بالكسرة لأنّه مضاف ، وهو جمع مخماص مبالغة خميص ، من خَمُصَ الشخصُ خُمْصاً فهو خميص ، إذا جاع ، مثل قرُب قرباً فهو قريب . والمخمصة : الجماعة .

وقال بعض فضلاءِ العجم (فى شرح أبيات المفصّل) : هو جمع مخموص ، من خمصه الجوع خمصاً ، أى جعله ضامرَ البطن .

والعشيّات : جمع عشىّ ، والعشىّ والعِشاءُ بالكسر : من صلاة المغرب إلى العتَمة . والعشىُّ قِيل بمعنى العشيّة ، وقيل جمعها . ومخاميص العشيّات ، كقولهم : نهاره صائم . وقال ابن الحاجب : هذه الإضافة اتِّساع ، والأَصل : فى العشيات .

قال الأعلم : يريد ، أنهم يُؤخِّرون العَشَاء لأجل ضيفٍ يطرق ، فبطونهم خميصة فى عشيّاتهم لتأخُّر الطعام عنهم .

---

(١) الكلام بعده إلى « بدء » التالية ساقط من ش .

(٢) هنا ينتهى السقط الذى نبهت عليه قريباً .

٤٥٠ وليس المعنى على قول ابن خلف : المخاميص : الذين ليسوا بعظام البطون. يعنى أنَّهم لا يأكلون حتَّى تعظُم بطونُهم ، وإنَّما يكتفون بأخذ ما يحتاجون إليه من الطعام ، ليس فيهم نَهِمٌ .

هذا كلامه ، وفيه أنَّه يبقى العشيَّاتُ لغوًا .

وقوله : « لاخورٍ » بالجر صفة سابعة لمجلس ، والخور : الضُّعفاءُ عند الشِّدَّة . قال صاحب الصحاح : الخَوَر بفتحتين : الضَّعف ، رجلٌ خوَّار ورُمح خوّار ، وأرض خوَّارة ، والجمع خُور بتخفيف الواو . وقال العينى : هو جمع أَخْوَر ، وهو الضَّعيف . وقوله هو القياس .

وقوله : « ولا قَزَمٍ » بالجرصفة ثامنة لمجلس ، وهو بفتح القاف والزاى . قال صاحب الصحاح : القَزَم بالتحريك : الدناءة والقَماءة . والقَزَم : رُذال الناس وسَفِلتهم ، يقال رجل قَزَم ، والذكر والأُنثى والواحد والجمع فيه سواءٌ ، لأنَّه فى الأَصل مصدر .

صاحب الشاهد والشعر نسبه سيبويه إلى الكميت بن زيد الأَسدى ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس عشر[١] .

وقال ابن المستوفى كابن خلف : رواه سيبويه للكميت . ولم أَره فى ديوانه .

وأنشده ابن السيرافى لتميم بن مقبل[٢] ، ولم أَره فيما كتبه ، من شعره . والله أَعلم .

---

(١) الخزانة ١ : ١٤٣ — ١٤٧ .

(٢) ط : « ابن أبى مقبل » ، صوابه « ابن أبى بن مقبل » . وأثبت ما فى ش. يقال تميم بن مقبل ، وتميم بن أبى بن مقبل . نسبة إلى جده أو إلى أبيه ثم جده . وأبى ، بهيئة التصغير .

وترجمة تميم بن مُقبل تقدَّمت أيضاً فى الشاهد الثانى والثلاثين[١]. وكلاهما شاعر إسلامى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

٦٠٤ (حَتَّى شَآها كَليلٌ مَوْهِناً عَمِلٌ
باتت طِراباً وباتَ اللَّيلَ لم يَنَمِ)

على أنَّ سيبويه قال : إذا حُوِّل فاعل إلى فعيل أو فَعِل عمِل أيضاً . وأنشد هذا البيت ، فإنَّ كايلا قد عمل فى قوله مَوهنا . ورُدَّ بأَنَّ موهناً ظرف لشآها ، ولو كان لكليل أيضاً فلا استدلال فيه ، لأَنَّه ظرف يكفيه رائحةُ الفعل . واعتُذِر لسيبويه بأَنَّ كليلا بمعنى مُكِلّ فموهناً مفعوله على المجاز ، كما يقال أتعبتَ يومَك ، ففعيل مبالغة مُفعِل لا فاعل . وفيه أَنَّه قليل نادر ولا يصحُّ الاستدلال بالمحتمل مع أَنَّ هذا الاعتذار بعيد . هذا كلامه .

قال التبريزى (فى شرح الكافية) : أنشد سيبويه هذا البيت على إعمال فعيل ، فإنَّ كليلا بمعنى مُكِلّ، وموهناً منصوب على أنَّه مفعول به ، أى يُكِلُّ أوقاتَ الليل من كثرة العمل. وطعنوا فى هذا البيت من جهة استشهاده . وقيل كليل بمعنى كالّ ، من كلّ يكِلّ فإنَّه لازم ، وموهناً منصوب على الظرف . وهذا التأْويل ليس بقوىٍّ ، لأَنَّ صدر البيت

(١) الخزانة ١ : ٢٣١ – ٢٣٣.

(٢) فى كتابه ١ : ٥٨ . وانظر المقتضب ٢ : ١١٥ والمنصف ٣ : ٧٦ وابن يعيش ٦ : ٧٢ والمقرب ٢٤ والمغنى ٣٤٥ ويس على التصريح ٢ : ٦٨ والهذليين ١ : ١٩٨ وشرح السكرى ١١٢٩ .

وعجزه ينافيه ، فإنَّه قال: « وباتَ الليل لم ينم » فلا يمكن أن يوصف بأَنَّه قال فى بعض أوقات الليل ، وقال عَمِل وهو يدلُّ على كثرة العمل.

وقال ابن مالك : إنَّما أنشد سيبويه هذا البيت ليُعلم جوازُ العدول من فاعل إلى فعيل ، لأَنَّ أَصله كالّ . ولم يتعرَّض للإعمال .

وهذا أَيضاً ضعيفٌ ، بما نقل السيرافى أَنَّه قال سيبويه : كليل فى معنى مُكِلّ ، مثل أليم ، وداءٌ وجيع ، بمعنى مؤلم وموجع . انتهى .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : رُدَّ على سيبويه فى استدلاله على إعمال فعيل بهذا البيت . وذلك أَنَّ موهناً ظرف زمان ، والظرف يعمل فيه روائح الفعل ، بخلاف المفعول به . ويوضِّح كونَ الموهن ليس مفعولاً به أَنَّ كليلا من كلّ ، وفعله لا يتعدَّى . واعتُذِر عن سيبويه بأَن كليلا بمعنى مُكِلّ ، وكأَنَّ البرقَ يُكِلّ الوقْتَ بدوامه فيه ، كما يقال أَتعبتَ يومك . أَو بأَنَّه إنَّما استشهد به على أَنّ فاعلا يُعدَل عنه إلى فعيل للمبالغة ، ولم يَستدِلَّ به على الإعمال . وهذا أقرب ؛ فإنَّ فى الأَوَّل حملَ الكلام على المجاز مع إمكان حمله على الحقيقة . ا هـ .

٤٥١

ونحن ننقل لك كلام سيبويه هنا ليظهر لك حقيقةُ الحال ، قال (فى باب ما جرى فى الاستفهام من أَسماءِ الفاعلين ، من أَوائل الكتاب) : وأَجروا اسمَ الفاعل إذَا أَرادوا أن يبالغوا فى الأَمر مُجراه ، إذَا كان على على بناءِ فاعل ، لأَنَّه لا يريد به ما أُريدَ بفاعل من إيقاع الفعل ، إلاَّ أَنَّه يريد[1] أَن يحدِّث عن المبالغة . فممَّا هو الأَصل الذى عليه أَكثر هذا المعنى : فعول ، وفعّال ، ومِفعال ، وفِعل. وقد جاءَ فعيل كرحيم وقدير ، وسميع وبصير ، يجوز فيهن ما جاز فى فاعل من التَّقديم والتأْخير ،

(١) فى سيبويه : « لأنه يريد » .

والإضمار والإظهار . لو قلت : هذا ضَروبُ رءُوسِ الرجال وسُوقَ الإبل ، على : ضروبٌ[(١)] سوق الإبل جاز ، كما تقول : ضاربُ زيدٍ وعمراً[(٢)] نُضمِر : وضاربٌ عمرًا . ومما جاء مقدَّماً ومؤخَّراً على نحو ما جاء فى فاعل قولُ ذى الرمة :

هجُومٌ عليها نفسَه غير أنَّه متى يُرمَ فى عينيه بالشَّبْحِ ينهضِ

وقال القُلَاخ :

* أَخا الحرب لبّاساً إليها جِلالها[(٣)] *

وقال أبو طالب :

* ضروبٌ بنصل السَّيف سُوقَ سمانِها *

وقد جاء فى فَعِلٍ وليس فى كثرة ذلك ، قال :

* أَو مِسحلٌ شنج عِضادَةَ سَمحج[(٤)] *

وممَّا جاءَ فى فَعِلٍ قوله :

* حَذِرٌ أُموراً لا تُخافُ وآمِنٌ[(٥)] *

ومن هذا الباب قول رؤبة :

* برأس دمّاغ رُءُوسَ العِزِّ *

---

(١) سيبويه : « على : وضروب » .
(٢) ط : « ضارب زيد عمراً » ، صوابه فى سيبويه وش أيضاً مع أثر تصحيح .
(٣) عجزه فى سيبويه :
* وليس بولاج الخوالف أعقلا *
(٤) لعمرو بن أحمر ، كما فى سيبويه ، أو هو للبيد فى ديوانه ١٢٥ . وعجزه :
* بسراته ندب لها وكلوم *
(٥) عجزه فى سيبويه :
* ماليس منجيه من الأقدار *

ومنه قول ساعدة :

حتى شَآها كَلِيلٌ موهناً عمل . . . البيت

وقال الكميت :

شمٌ مهاوينَ أَبدانَ الجزور . . . البيت

ومنه : قدير وعليم ورحيم ، لأَنَّه يريد المبالغة وليس بمنزلة قولك حسنٌ وجهَ الأَخ ، لأَنَّ هذا لا يقلب ولا يضمر[1] ، وإنَّما حدُّه أن يتكلَّم به فى الأَلف واللام[2] ولا تعنى أَنَّك أَوقعت فعلاً سلف منك إلى أَحد . ولا يحسن أَن تفصل بينهما فتقول : هو كريمٌ فيها حسبَ الأَب .

هذا نصُّه بحروفه ، مع حذف بعض أَمثلة .

قال الأَعلم : الشاهد فى نصب الموهن بكليل ، لأَنَّه مغيَّر عن بنائه للتكثير . وقد رُدَّ هذا التأْويل على سيبويه لما قدَّمنا : أَن فعيلا وفعلا بناءانِ لما لا يتعدَّى فى الأَصل . وجَعل الرادُّ نصبَ موهن على الظرف ، والمعنى عنده أَنَّ البرق ضعيفُ الهبوب كليلٌ فى نفسه . وهذا الردُّ غير صحيح ، إذْ لو كان كليلاً كما قال لم يقل عَمِلٌ وهو الكثير العمل ، ولا وصَفَه بقوله : وبات الليل لم ينم . والمعنى على مذهب سيبويه أَنَّه وصَف حمارًا وأُتُناً نظرتْ إلى برق مُستمطَر دالٍّ على الغيثُ يُكِلُّ الموهن بدؤوبهِ وتَوالِى لمعانه ، كما يقال أَتعبتَ ليلكَ ، أَى سرتَ فيه سيراً حثيثاً مُتْعِباً متوالياً . والموهن : وقتٌ من الليل . فشَآها البرق أَى ساقها وأَزعجها إلى مهبِّه ، فباتت طَرِبَةً إليه ، منتقلة نحوه . وفعيل فى معنى

---

(١) انظر ما كتبت على هذا من تعليق فى نسختى من سيبويه ١ : ١١٥ .

(٢) بعده فى سيبويه : « أو نكرة » .

مُفعِل موجودٌ كثير . يقال بصير فى معنى مبصر ، وعذاب أليم بمعنى مؤلم ، وسميع بمعنى مسمع . وكذلك كليل فى معنى مُكِلّ . وإذا كان بمعناه عمل عمله ، لأنَّه مغيَّر منه للتكثير كما تقدَّم . ا هـ .

وقال ابن خلف أيضاً[١] : الشاهد نصب موهناً بكليل نصبَ المفعول به ، لأنَّه بمعنى مُكِلٍّ فيعمل عمله .

٤٥٢

وقال المبرد : مَوهناً ظرف وليس بمفعول . ولا حجَّة له فيه . وجعل كليلاً من كلَّ يكل ، وكلّ لا يتعدَّى إلى مفعول به فكيف يتعدَّى كليل .

قال أبو جعفر : لايجوز عند الجرمىّ والمازنى والمبرد أن يُعملوا فعيلا . قال : وما عَلمْتُ[٢] إلَّا أنَّ النحويِّين مجمعون على ذلك . ولا يجيزون هو رحيمٌ زيداً ، ولا عليمٌ الفقه . والعلَّة فيه أنَّ فعيلا فى الأصل من فَعُل فهو فعيل ، وهذا لا ينصِب بإجماعهم ، وهو معهم على ذلك . وفعيل هذا بمنزلة ذاك ، لأنه إنما يُخبَر به عمَّا فى الهيئة ، فهو ملحق به لا يعمل كما لا يعمل . وفَعِل عند المبرَّد بمنزلته . واحتجَّ بقولهم رجل طَبٌّ وطبيب .

قال أبو إسحاق (فى الحجَّة) ، فى إعمال فعيل[٣] : إنَّ الأصل كان أن لا يعمل إلَّا ما جرى على الفعل ، فلما أعربوا ضروباً لأنه بمعنى ضارب وجب أن يكون فعيل مثله . قال : ومنه قدير . وسيبويه أورد هذا على أنَّه للمبالغة فى كالّ ، وكالّ يتعـدَّى إلى مفعول على تقديره . وكأنَّ الذى عند سيبويه أنَّ كلَّلت يتعدَّى ، ويكون معناه أنَّ

(١) نص ابن خلف هذا مسهب سينتهى فى آخر صفحة ١٦٠ .
(٢) ط : « عملت » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٣) فى النسختين « ليس فى إعمال فعيل » ، وكلمة « ليس » مقحمة .

كلَّل الموهن ، أى جعل يبرق فيه برقاً ضعيفاً . وزعم أنَّ كليلا بمعنى مُكِلّ .

وليس هذا من مذهب سيبويه فى شىء ، لأنَّ سيبويه غرضُه ذكر فعيل الذى هو مبالغة فاعل ، وماعرَض لفعِلٍ الذى بمعنى مُفعِل .

وقد روى أبو الحسَن اللِّحيانىُّ (فى نوادره) أنَّ بعض العرب يقول فى صفة الله عز وجل : هو سميعٌ قولَك وقولَ غيرك ، بتنوين سميع ونصب قولك . وهذا يشهد لصحَّة مذهب سيبويه . وقال أبو نصر هارون ابن موسى : زعم الرادّ على سيبويه أنَّ موهناً ظرف . وهو على ما ذكرنا من فساد المعنى . والكليل ههنا : البرق . والموهن : وقتٌ من الليل ، ولو كان ظرفاً لوصف البرق بالضَّعف فى لمعانه ، وإذا كان بهذه الصفة فكيف يسوقُها وهو لايدلُّ على المطر ؟ ولكنَّ البرق إذا تكرر فى لمعانه واشتدَّ ودام دلَّ على المطر ، وشاق[1] ، وأتعب الموهن فى ظلمته ، لأنَّه كلمَّا هبّ ذهبت الظلمة ثم يرجع إذا فَتَر البرق ، ثم يذهب إذا لمع . فلذلك عدَّى الشاعر الكليل إلى الموهن .

وقوله : (شآها) أى شأَى الإبل ، أى ساقها . قال الأخفش : تبعها . يقال شاءَنى الأمر وشآنى ، أى ساقنى . ويقال أيضاً شآنى : حزننى . و (كليل) أى برق ضعيف . وإنَّما ضعَّفه لأنه ظهر من بعيد . و (الموهن) بفتح الميم وكسر الهاء : قِطعة من الليل . و (العَمِل) : الدائب المجتهد فى أمره الذى لايفتُر . و (باتت طراباً) يعنى البقر الوحشيّةَ طراباً إلى السير إلى الموضع الذى فيه البرقُ ، وبات البرق الليل أجمعَ لايفتُر . فعبَّر عن البرق بأنه لم ينم لاتِّصاله من أول الليل إلى آخره . انتهى ماأورده ابن خلف .

---

(١) ط : « وساق » بالسين المهملة ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقال النحاس : شآها يعنى الإبل . وكليل : برق خفى . طراباً : طربت للبرق وشاقَها[١] . وبات البرق لم ينم لشـدَّة دوامه . قال ابن حبيب : طراباً من الطرب تَحنُّ إلى أولادها . قال الجمحى : تنزع إلى أوطانها .

والصحيح أنَّه عنى بها البقر لا الإبل ، خلافاً للشارح المحقق وغيره . قال السكرى (فى شرح أشعار الهذليين) : حتى شآها يعنى شأى البقر ، يقال شُؤْته ،فكان ينبغى أن يقول شاءها ، فقلب فقدَّم الهمزة . ومعنى شؤته شُقْته[٢] وهيَّجته وسررته . يقول : حتى شاءَ البقرَ كليلٌ ، وهو البرق الضعيف ، موهناً : بعد هَدء من الليل . عمِلٌ ، أى ذو عمل ، لايفتر البرق . وباتت طراباً ، يعنى البقر . وبات الليلَ ، يعنى البرق . وعَمِل : دائب ، يقال للرجل إذا دأب : قد عَمل يعمل . انتهى.

٤٥٣

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة لساعدة بن جُؤَيَّة ، رثى بها من أُصيب يوم مَعْيَط[٣] ، وهو أرض ، منهم سُراقة بن جُعشم من بنى مُدلج ، كان يرسل إليهم الأخبار . وهذا مطلعها :

(ياليتَ شِعرى ولا مَنْجَى من الهَرَمِ أم هلْ على العيش بعدَ الشَّيبِ من نَدَمِ)

قال السكرىّ[٤] : ويروى :

---

(١) ط : « وساقها » بالسين، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) ط : « سبقته » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وفى شرح السكرى ١١٢٩ : « شآها : شاقها فاشتاقت » . وفى اللسان تعليقاً على هذا البيت : « شآها ، أى شاقها وطربها بوزن شعاها » .

(٣) بفتح الميم وسكون العين وفتح الياء ، كما فى ش ومعجم البلدان .

(٤) لم أعثر على هذا النص فى شرح السكرى .

* ياللرِّجال ألا مَنْجَى من الهرم *

يقول : هل يندم أحدٌ عَلَى أن لا يعيش بعد أن يشيب . وقوله « على العيش » ، أى على فوت العيش . ومثله : «المال يُزرِى بأقوام[١]» يريد فقد المال ا هـ .

وهذا البيت أورده ابن هشام (فى المغنى) على أنَّ زيادة أمْ فيه ظاهرةٌ . إلى أن قال :

(تاللهِ يبقى على الأيّام ذُو حِيَدٍ أدفَى صَلودٌ من الأوعال ذو خَدَمِ)

يريد : تالله لا يبقى ، فحذف لا النافية فى جواب القسم. وروى : «لِلّه يبقى» واللام للقسم والتعجُّب معاً . ولأجله استشهد ابن هشام (فى المغنى) بهذا المصراع . وذُو حِيَدٍ هو الوعِل . والحِيَد بكسر ففتح : جمع حَيْد، بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية ، وهى العُقَد فى قرن الوعِل . والأدفى بالقصر : الذى يَميل قرنُه إلى نحو ذنَبه. وصَلود : صفة أدفَى . والصَّلود : الذى يقرع بظلفه الجبلَ . والخَدَم بفتح الخاءِ المعجمة والدال : جمع خَدَمة ، وهى الخلخال ، ويجمع على خِدام أيضاً بالكسر . والخَدَم : خطوطٌ بيضٌ فى قوائمه تشبه الخلاخيل .

ثم وصف تحصُّنه فى رءُوس الجبال فى ثمانية أبيات . فلما جاءه أجَلُه لم يسلَم من الصيَّاد ، فهلك على يديه ، وقال :

(فكان حتفاً بمقدار وأدركهُ طولُ النهار وليلٌ غير مُنصرمِ)

---

(١) كذا وردت هذه القطعة للاستشهاد بها ، وأنا فى ريب من صحتها بدليل اقتضابها المخل . وفى ديوان حسان ٣٢٧ :

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب ويقتدى بلئام الأصل أنذال

أراد: أدركه طولُ النهار وليلٌ غير منقطع . يقول: لم يفلت من طُول الأيام والليالى . وبعده :

(ولا صِوارٌ مذرَّاة مناسجُها مثلُ الفريد الذى يجرى من النُّظُمِ[(١)])

هذا معطوفٌ على ذوحِيَد فى جواب القسم السابق. أى تالله لا يبقى على الأيام ذو حيد ولا صِوارٌ ، وهو بكسر الصاد المعجمة : جماعة البقر . يقال نعجة مذرَّاةٌ وكبش مذرًّى بالذال المعجمة ، إذا جُزَّ وتُرك بين كتفيه صوف لم يجزَّ . فهى الذِّروة بكسر الذال وضمها . والنُّظُم بضمتين : جمع نظام ، وهو الخيط الذى فيه اللؤلؤ . يقول : الصِّوار مثل اللؤلؤ فى الحسن والبياض .

(ظَلَّتْ صوافنَ بالأَرزان صاوية فى ماحقٍ من نهار الصَّيْف مُحتدِمِ[(٢)])

أى قد رفعن إحدى قوائمهنَّ. والصوافن: التى تفرّج بين رجليها. والأَرزان: جمع رِزْن ، بكسر الراءِ المهملة وسكون الزاى ، وهو الموضع الغليظ الذى فيه الماءُ . وصاوية بالصاد المهملة : اليابسة من العطَش . والماحق : شدَّة الحر . والمحتدم : المحترق ، بالحاءِ والدال المهملتين. أى كان ذلك اليوم محترقاً من شدة الحر .

(قد أُوبِيَتْ كلَّ ماءٍ فهى صاويةٌ مهما تُصِبْ أُفقاً من بارقٍ تَشِمِ[(٣)])

---

(١) فى شرح السكرى : « ولاصوار مدراة » بالدال المهملة . وقال فى تفسيره : « يقول : كأن منا سجها دريت بالمدرى ، أى ضربتها الريح كايدرى الشعر بالمدارى » . وفى ديوان الهذليين ١ : ١٩٧ : « مذراة » بالذال المعجمة . وفى تفسيره : « يقول : كأن مناسجها ذريت بالمذرى، أى ضربتها الريح كما يذرى الشعير بالمذارى » .

(٢) صاوية ، هنا ، بالواو فى النسختين وشرح السكرى . قال : « والصاوى اليابس ومن قال طاوية فإنه يريد خماص » .

(٣) ط : « صادية » بالدال ، وأثبت مافى ش وهو ما يقتضيه التفسير التالى . وفى شرح السكرى : « فهى طاوية » ، أى ضامرة .

٤٥٤ (حتى شآها كليلٌ مَوهناً عمِلٌ باتت طِراباً وباتَ اللّيلَ لم ينم
كأنَّما يتجلَّى عن غواربـه بعدَ الرُّقاد تمشِّى النارِ فى الضَّرَمِ[1]
حَـيْرانُ يركب أعلاه أسافلَه يَخفِى تُراب جديدِالأرض منهزِمِ[2]
فأسأدَتْ دَلَجاً تُحيى لموقعـه لم تنتَشِبْ بِوُعوث الأرض والظُّلَم
حتَّى إذا ماتجلَّى ليلُها فزعَتْ من فارسٍ وحليفِ الغربِ ملتئِم
فافتَنَّها فى فضاءِ الأرض يـأفِرهـا وأَصحرَتْ فى قِفافٍذات مُعتصَمِ
أنحى عليها شُراعيًّا فغادرَها لدى المَزَاحف تَلَّى فى نَضُوحِ دم

وبعد هذا شَرَع فى الرثاء .

قوله : « قد أُوبيت كلَّ ماءٍ » البيت إلخ أورده أبوحنيفة (فى كتاب النبات) مع أبيات أربعة بعده وقال : وصف بها ساعدةُ بن جؤَيَّة حميراً . وقال : أُوبيت : مُنعت . وقال السكرى : يقول : مُنعت كلَّ ماء ، أى قطع عنها ، يقال طعام وشراب لايؤْبَى : لاينقطع . وقال شارح اللباب : أى جعلت تـأْبى كل ماءٍ وتكرهه . وصاوية بالصاد المهملة . قال أبو حنيفة : الصاوى : اليابس ، أى يبست من العَطش. وقوله : « مهما تصب أُفقاً » قال السكرى أى ناحية من بارق ، أى من سحاب فيه برق . وتَشِم : تنظر إليه ، والضمير فى الجميع ضمير الصِّوار .

وهذا البيتُ أورده ابن هشام (فى المغنى) على أنَّ ابن يسعون استدلَّ به على مجيءِ مهما حرف شرط كإنْ . قال : واستدلَّ ابن يسعون تبعاً للسُّهيلى ، على أنَّ مهما تـأْتى حَرفاً بقوله : قد أُوبيت كل ماءٍ ،

---

(١) فى شرح السكرى : « يخفى جديد تراب الأرض » ، وكذلك فى ديوان الهذليين .
(٢) وكذا فى شرح السكرى . وقال : « أى أحيت ليلتها . يريد لتبلغ ذلك المطر » . وفى ش : « يحيى » تصحيف .

البيت . قال : إذ لا تكون مبتدأً لعدم الربط من الخبر وهو فعل الشرط ، ولا مفعولا لاستيفاء فعل الشرط مفعوله ، ولاسبيل إلى غيرهما ، فتعيّن أَنَّها لاموضع لها . والجواب أَنَّها مفعول تصب وأُفقاً ظرف ، ومن بارق تفسير لمهما أَو متعلِّق بتُصب ، فمعناها التبعيض . والمعنى أى شيء تُصِبْ فى أُفق من البوارق تَشِم . وقال بعضهم : مهما ظرف زمان ، والمعنى أَىَّ وقت تصب بارقاً من أُفق . فقلب الكلام . أَو فى أُفق بارقاً فزاد من واستعمل أُفقاً ظرفاً . ا هـ .

ثم ذكر أَنَّها لاتأْتى ظرفاً ، خلافاً لابن مالك .

وإلى الظرفية ذهب صاحب اللباب ، قال : وقد تستعمل مهما للظرف ، نحو :

* مهما تصب أُفقاً من بارق تشِم *

قال شارحه : أى مَهما تصب بارقاً فى جهة فى أُفق[1] وناحيةٍ من من الجهات تَشِم الناقة ذلك البارق . من شِمت البرقَ ، أى نظرت إلى سحابِهِ أَين يمطر . والبارق : السَّحاب ذو البرق . ومهما فى البيت ظرف ، لأَنَّ الفعل بعده تسلَّط على مفعوله فلا يتسلَّط عليه تسلُّطَ المفعول به ، لأَنه لايتعدَّى إلا إلى واحد ، فهو ظرف ، أى فى أَىِّ جهة تصب . ا هـ .

وقال أَبو حيان (فى تذكرته) : قال الفارسى : هذا على القلب ، والمعنى : مهما تصب بارقاً من أُفق . فإن جعلت أُفقاً ظرفاً كانت منْ

(١) ش : « بارقا فى أفق فى جهة » .

زائدة لأنَّها غير واجبة ، فهي مثل إن تصب عندى من درهم . فلا قلب. وأجاز أن تكون من غير زائدة ، ومن بارق فى موضع نصب بتشم ؛ ومفعول تصب محذوف ، وهو ضمير منصوب يعود على أُفق أَو على بارق . قلت : الذى ذكره الفارسى من إعمال الفعلين والمعمول متوسِّط غريب، قلَّما يذكره النحويُّون . وقد ذكرنا فى باب كونه تقدَّمَ على الفعلين ، نحو أَىّ رجل ضربت أَو شَتمت ويجب أَن يكون الأَوّل أَولى بالعمل بلاخلاف، كما كان ذلك فى قولك أَىّ رجل ضربت أَو شتمت ، لأَنه فى هذه المسأَلة أَقرب. وفى مسأَلة أَبى على وإن لم يكن أَقرب الفعلين فليس بأَبعد الفعلين ؛ لأَنَّ النسبة فى التَّلاصُق واحدة ، إلَّا أَنَّ عمل الفعل مقدَّماً أَولى من عمله مؤَخَّراً بلا خلاف. ابن يسعون : يجوز أَن يقدَّر إنَارة أُفق فلا قلب . ويحتمل أَن يكون مهما مفعولاً بتصبْ : أَى أَىّ شيءٍ تجد فى أُفق من البرق تشم . وفى رواية الجمحى :

٤٥٥

* مهما يُصب بارقٌ آفاقَها تَشم *

وهذا سَهْلُ[1] الإعراب ؛ ومهما ظرفٌ العاملُ فيه يُصب ،ولايحتاج فيه إلى ضمير . والظرف فى مهما قليل ، ويتصوَّر أَن يكون بمعنى إن على ما ذكروا ، إلَّا أَنَّ هذا أَولى . انتهى ما أَورده أَبو حيان .

وقوله : « حتَّى شآها » إلخ ضمير المؤنث للصِّوار ، وهى البقر ، لا للحميرِ الوحشيّة ، خلافاً لأَبى حنيفة ، ولا للإبل خلافاً للشارح وغيره ، ولا للناقة خلافاً لشارح اللُّباب. قال أَبو حنيفة : شآها : شاقَها بالشين المعجمة . قال : قدَّم همزة شاءَ ، يقال شاءَنى يشوءُنى ويَشيئنى أَيضاً، أَى شاقنى . قال الشاعر[2] :

(١) فى النسختين : « أسهل » ، تحريف .
(٢) هو الحارث بن خالد المخزومى ، كما فى اللسان (شأى ١٤٥) .

مَرّ الحُمولُ فما شأَوْنَكَ نقرةً ولقد أُراكَ تُشاء بالأَظعانِ

أي تُشَاق، فجاءَ باللغتين. والكليل: البرق الضعيف، وقد يستحبُّ أن يكون قليلًا. والعَمِل: الدَّائب[1] لايفتر. والطِّراب: التى قد استخفَّها الفرح. والمَوهن: بعد ساعةٍ من نصف الليل، وضمير بات للبَرْق الكليل.

وقوله: « كأنَّما يتجلَّى » إلخ، أى البرق الكليل. والغوارب: أعالى السَّحاب. والضَّرَم: مادقَّ من الحطب، فالنار تُسرع فيه.

وقوله: « حَيْرانُ يركب أعلاه » إلخ، قال السكرى: يعنى هذا السحابُ لا يمضى على جهته قد حار، فهو يتردَّد. وقوله: « يخفى ترابَ الأَرض »[2] أى يُظْهرهُ[3]، مِن خَفَاهُ: أَظهره، يعنى المطر يُظهر التراب. وجَديد الأَرض، بالجيم: أَرضٌ صلبة لم تُحفَر. وقوله « منهزم » يقول: هذا السحاب قد انخرق بالماءِ، يقال انشقَّ سحاب الماء. هذا مثلٌ. ويقال للدابة: انشقَّ سِقاؤُه بالعَدْو. اهـ.

وقال أَبو حنيفة: قوله حيران، أَى لاجهة له فهو ماكث. وخفاه: أَظهره. يعنى أَنَّ سيله يشقُّ الأَرض فيُظهر باطنها. ومنهزم: منشقٌّ بالمـاء.

وقوله: « فأَسأَدتْ دَلجًا » إلخ، قال أَبوحنيفة: الإِسآد سير الليل كلِّه. وكذلك الدَّلج. وتُحيي لموقعه يريد تُحيي الليلَ لموقع هذا الغيث، تسير إِليه. لم تنتشب: لم تتحَبَّس، أَى لم يعقْها وعوثُ الأَرض.

---

(١) ط: « الدائم » بالميم.

(٢) كذا فى النسختين. والذى فى النص: « تراب جديد الأرض ».

(٣) ط: « يظهر »، وأثبت مافى ش.

وقال السكرى : قوله تُحيي لموقعه، يعنى هذه البقرة تحيي ليلتها جمعاءَ لموقع ذلك السحاب لتبلغه . والوَعْث : الليِّن ؛ وهو يحبس .

وقوله :« حتَّى إذا ما تجلَّى ليلها » إلخ ، قال السكرى : يعنى بحليف الغربِ رُمحاً حديدَ السِّنان . وغرب كلِّ شيءٍ : حدُّه . وملتئم : يشبه بعضُه بعضاً لا يكون كعبٌ منه رقيقاً [(١)] والآخر غليظاً . وقيل يعنى بحليف الغرب فرسَه ، والغَرْب : النشاط .

وقوله : « فافتنَّها » يريد انشقَّ بها فى ناحية ، مِن فنن[(٢)] ، بالفاء والمثناة فوق والنون . وقيل افتنَّها: طرحها . ويأْفرها : يسوقها من الأَفر بالفاء والراء المهملة ، وهو عدْوٌ فيه قَفْز . وقوله : وأَصحرت ، أى صارت فى صَحَار[(٣)] ، وقوله : « فى قفاف » القُفّ بالضم : ماغلُظ من الأَرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلاً . والمعتصَم بفتح الصاد : الملجأُ .

٤٦٢ وقوله :« أنحى عليها » إلخ ، أى أهوى إليها الفارس بالرُّمح . والشُّراعى بضم الشين المعجمة : الرُّمح الطويل . وغادَرَها : تركَها وخلَّفها . وتَلَّى : صَرْعى . ولدى المزاحف: جمع مَزْحَف ، أى حيث زاحفَها فيه ، أى قاتَلها . والنضخ : ما أصابك [من[(٤)]] الشىء على غير عمد ، يقال أَصابه نضخٌ من الدَّم والزعفران والبَول ما لم تتعمَّد به ، فإذا أنت تعمَّدته قلت : نضحته بالماء، بالحاء المهملة . يقال نضح ينضح إذا مارشح .

---

(١) ش : « دقيقاً » .

(٢) فى النسختين : « فتن » بالتاء ، انسياقاً وراء الضبط التالى ، والصواب أن الضبط التالى إنما هو ضبط لافتنها . وأن « فنن » إنما هو بيان للمادة اللغوية .

(٣) ش : « فى صحارى » . يقال فى جمع الصحراء الصحارى والصحارَى ، بكسر الراء وفتحها .

(٤) التكملة من ش .

وترجمة ساعدة بن جؤية الهذلى قد تقدَّمت فى الشاهد التاسع والستين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

٦٠٥ (حَذِرٌ أُموراً لا تُخافُ وآمنٌ   ماليسَ مُنجِيَهُ من الأَقدارِ)

على أَنَّ سيبويه استدلَّ به على عمل فَعِلٍ بهذا البيت ، ومنعه غيره وقال : إنَّ البيت مصنوع . يُروى عن اللاحقىّ أَنَّ سيبويه سأَلنى عن شاهدٍ فى تعدِّى فَعِلٍ، فعملتُ له هذا البيت .

أَقولُ : إنْ طُعِنَ على سيبويه بهذا البيت فقداستُشهِدَ ببيتٍ آخر لا مطعنَ عليه فيه ، وهو قولُ لبيد الصَّحابى :

أَو مِسحلٌ شَنِجٌ عِضادَةَ سَمحجٍ   بسَراته نَدَبٌ لها وكُلومُ

وقال الأَعلم ، وتبعه ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : قد وجدنا فى شعر زيد الخيل الطائى الصحابى بيتاً آخر لا مطعنَ فيه ، وهو :

أَلم أُخبِرْكُما خبرًا أَتانى   أَبو الكَسَّاحِ جَدَّ به الوعيدُ[٣]

أَتانى أَنَّهم مَزِقون عِرْضى   جِحَاشُ الكرمِلَينِ لها فديدُ

أَمَّا البيت الأَوَّل فقد قال ابن خلف : الشاهد فيه أَنَّه نصبٍ عضادة بشنج نصبَ المفعول به ، لأَنَّه تكثير شانج ، وشانج فى معنى ملازم ،

---

(١) الخزانة : ٣ : ٨٦ — ٨٧ .

(٢) فى كتابه ١ : ٥٨ . وانظر المقتضب ٢ : ١١٦ والجمل ١٥٥ وابن الشجرى ٢ : ٥٤٣ وابن يعيش ٦ : ٧١ والعينى ٣ : ١٠٧ والأشمونى ٢ : ٢٩٨ .

(٣) انظر التعليق التالى .

وفعله شنِجتُه كلزمته ، على ما حكاه البصريون . وذلك غير مشهور .
قال أبو نصر هارون بن موسى : وردَّ عليه هذا القول بعضُ النحويِّين وزعم أنَّ عضادة ظرف . وهذا من الذين يتهاونون بالخلَفَ إذا عرفوا الإعراب ، وهو إذا جعله ظرفاً كان المعنى فاسدًا ، وذلك أنَّ الشاعر شبَّه ناقته فى نشاطها وصلابتها بحمارٍ وحشىٍّ ملازمٍ لأَتانٍ يضربُها ، فلشدَّته وصلابته قد لازمها ، وقبض الناحية التى بينها وبينه ، ولم يحجُزْه عن ذَلك رَمْحُها وعضُّها اللذان بسَراتهِ منها ندبٌ وكلوم . ولو كان ظرفاً لكان المعنى أنَّ المسحل شنِجٌ متقبِّض فى ناحية السَّمحج مَهينٌ، قد شعفه عضُّها ورَمْحها ، فكيف يشبِّه أحدٌ ناقتَه بمسحل هذه صفته .

والذى يحتجُّ لسيبويه أيضاً أنَّ العضادة ليست من الظُّروف، لأنَّه يريد بالعضادة جنبَها وأعضادها . ألا ترى أنَّه لا يجوز أن يقول هو شنجُ رِجْلٍ سمحجٍ ولا يدِ سمحج . ومسحل معطوف على« مُسدَّم » قبله ،وهو :

حَرف أضرَّ بها السِّفار كأنَّها بعَد الكلالُ مُسدَّمٌ محجومُ

وصفَ لبيد ناقته . والحرف : الضَّامرُ . وأضرَّ بها السِّفار : أنضاها وهزلها . والكَلال : التعب . والمسدَّم : الفَحْل من الإبل الذى قد حُبس عن الضِّراب . والمحجوم : المشدود الفم . والمسحل : حمار الوحش . والسَّمحج : الأَتان الطَّويلة . وسراتها: أعلاها . والنَّدَب :الأَثر . والكلوم: الجراحات .يريد أنَّ هذهالأَتان بها آثارٌ منعضِّالحمار، كأنَّها جراحات. ٤٥٧
وعِضادة : جنب . والشنج : المتقبِّض فى الأَصل ، ويراد به فى البيت الملازم ، كأنَّه قال : أو مسحل مـلازمٌ جنبَ أتان لايفارقها . يقول : كأن هذه الناقة بعد ماكلَّت بعيرٌ مسدَّم ، أو مِسحلٌ موصوفٌ بما ذكر .

وأمَّا البيت الثانى فمزقون : جمع مَزِق مبالغة مازق ، من المَزْق وهو شقُّ الشيء . وعِرض الرجل ،بالكسر : جانبه الذى يصُونه ،من نفسه وحَسَبِه. وجحاش ، أى هم جحاش ، فهو تشبيه بليغ كما حقَّقه السعد ، لا استعارة كما زعمه العينى. وهو جمع جَحْش ،وهو ولد الحمار . والكِرْمِلَينِ ، بكسر الكاف وفتح اللام[١] : اسم ماءٍ فى جبل طيِّئٍ . والفديدُ: الصوت، يريد أنَّهم عندى بمنزلة الجحاش التى تنهق عند ذلك الماء ، فلا أعبأُ بهم . وتخصيص الجحاش مبالغة فى التحقير .

والبيت استشهد به شرَّاح الألفية .

وأمَّا ما روى عن اللاحقى فى البيت الأوّل فقد حكاه المازنى قال : أخبرنى أبو يحيى اللاحقى قال : سألنى سيبويه عن فَعِلٍ يتعدَّى ، فوضعت له هذا البيت . وإذا حكى أبو يحيى مثلَ هذا عن نفسه ورضىَ بأن يخبر أنَّه قليلُ الأمانة ،وأنَّه ائتُمن على الرواية الصحيحة فخان،لم يكن مثلُه يُقبل قوله ويُعترض به على ماقد أثبته سيبويه. وهذا الرجلُ أحبَّ أن يتجمَّل بأنَّ سيبويه سأله عن شيءٍ فخبَّر عن نفسه بأنَّه فعل مايبطل الجمال . ومن كانت هذه صفتَه بعُدَ فى النفوس أنْ يسأله سيبويه عن شيءٍ . وقال أبو نصر هارون بن موسى : وهذا[٢] ضعيفٌ فى التأْويل ، وكيف يصلح أن ينسُب اللاحقىُّ إلى نفسه ما يضَعُ منه ولا يَحِلُّ، أو كيف يجوز هذا على سيبويه، وهو المشهور فى دينه وعلمه وعقله وأَخْذِه عن

---

(١) وكذا ضبط ياقوت « الكرمل » بالكسر ثم السكون وكسر الميم . وقال فى مادة (الكرملين) : « اسم ماء فى جبلى طيء » ، فى قول زيد الخيل ، وثناه ثم أفرده فى شعر واحد :

ألم أخبركما خبراً أتانى ... أبو الكساح يرسل بالوعيد
أتانى أنهم مزقون عرضى ... جحاش الكرملين لها فديد
فسيرى يا عدى ولا تراعى ... فحلى بين كرمل فالوحيد » .

(٢) ط : « هذا » بغير واو .

الثقات الذين لا اختلافَ فى علمهم وصحَّة نقلهم . وإنَّما أَراد اللاَّحقُ بقوله : « فوضعتُ له هذا البيتَ » : فرويتُه. والحَذِر : مبالغة حاذر ، من الحذَر وهو التحرُّز . وجملة « لا تُخاف » بالبناء للمفعول صفة قوله أُموراً . وروى بدله « لا تضير » بمعنى لا تضرّ، يقال ضاره يَضِيره، وضرَّه يضرُّه بمعنًى واحد ، كما يقال ذامَه يذيمه وذمَّه يذمُّه بمعنًى .

قال ابن السِّيد (فى شرح أَبيات الجمل) : معنى البيت يحتمل أَمرين :

أَحدهما : أَنَّه يصف إنساناً بالجهل وقلَّة المعرفة ، وأَنَّه يضع الأُمور فى غير موضعها ، فيأْمن من لا ينبغى أَن يُؤمن ، ويحذر من لا ينبغى أَن يُحذر .

والوجه الثانى ، وهو الأَشبه عندى : أَن يكون أَراد أَنَّ الإِنسان جاهلٌ بعواقب الأُمور ، يدبِّر فيخونه القياس والتدبير . ونحوه قولُ أَبى العتاهية :

وقد يَهلكُ الإِنسانُ من باب أَمنهِ ... وينجو بإِذن الله من حيثُ يحذَرُ

وزعم قوم أَنَّ البيت لابن المقفَّع لا لِلاَّحقى . انتهى .

وقال ابن هشام اللخمى : الظاهر من البيت أَنَّه ذمٌّ . ويحتمل أَن يكون مدحاً ، يمدحه بكثرة الحذَر ، فيخرج هذا المعنى إنِّى[1] لأُعِدُّ للأَمر عسى أَن لا يكون أَبدًا . وحذِر وآمنُ بمعنى الاستقبال ، لأَنَّ الحذَر والأَمن إنَّما يكونان فيما يأْتى ، وأَمَّا ما مضى فقد عُلِم . والهاء فى

(١) ش : « إلى » .

« منجيَه » عائدة على الضمير الذى فى ليس . ومنجيه بمعنى المضارع لا الماضى ، والدليل عليه وقوعُه خبر ليس ، والنفى إنَّما يقع على الأخبار ، وليس إنَّما تنفى المضارع . انتهى كلامه .

٤٥٨ وقال العينى : إنَّ منجيَه اسم فاعل مضاف إلى الهاء ، والهاء فى موضع نصب لأنَّ اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال وأُضيف كانت إضافته غيرَ محضة ، وكانت النيَّة بها الانفصال . هذا كلامه .

أبان اللاحقى واللاحقى هو أبانُ بن عبدِ الحميد اللاحقى . هو من شعراءِ هارونَ الرَّشِيد . وهو شاعرٌ مطبوع بَصرىّ ، لكنَّه مطعون فى دينه .

قال صاحب الأَغانى : هو أَبان بن عبد الحميد بن لاحق بنِ عُفير[1] مولى رَقاش . قال أَبوعبيدة : بنو رَقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أُمهم ، وهم مالك ، وزيد مناة ، وعامر ، بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة ابن صَعب بن علىّ بن بكر بن وائل .

أَخبرنى الصُّولى قال : حدَّثنى محمد بن سعيد قال : حدثنا يحيى ابن إسماعيل[2] قال : جلس أَبان بن عبد الحميد ليلةً فى قوم فثلَبَ أَبا عبيدة فقال : يقدح فى الأَنساب ولا نسب له ! فبلغ ذلك أَبا عبيدة فقال : لقد أَغفل السُّلْطانُ كلَّ شىءٍ ، حتى أَغفل[3] أَخذَ الجزية من أَبان اللاحقى ؛ هو وأَهله يهود ، وهذه منازلُهم فيها أَسفار التوراةِ وليس

(١) فى الأغانى ٢٠ : ٧٣ : « بن عفر » .
(٢) فى الأغانى ٢٠ : ٧٨ : « عن عيسى بن إسماعيل » .
(٣) فى الأغانى : « حين أغفل » .

فيها مصحف ، وأوضحُ الأدلَّة على تَهَوُّدهم[١] أَنَّ أكثرهم يَدَّعى حفظ التوراةِ ولا يحفظ من القرآن مايصلِّى به . فبلغ ذلك أبانًا فقال :

لا تَنُمَّنَّ عن صديقٍ حديثاً واستعذْ من تشرُّرِ النمَّامِ[٢]

واخفضِ الصوت إن نطقت بليلٍ

والتفت بالنهار قبل الكلامِ

وكان المعذَّل بن غيلان صديقاً لأبان ، وكانا مع صداقتهما يتعابثان[٣] بالهجاء ، ويهجوه المعذَّل بالكفر وينسبه إلى الثَّنَوية ، ويهجوه أبانُ بالفُسَاء الذى يُهجَى به عبد القيس ، والقِصَر ، وكان المعذَّل قصيرًا . ومن هجوه :

رأيتُ أباناً يومَ فطرٍ مصلِّياً فَقسّم فكرى واستَفزَّنى الطَّربْ

وكيف يصلِّى مظلمُ القلْبِ دينُه على دين مانى ، إنَّ هذا من العجَبْ

وهجاه أبو نُواس بقوله :

جالستُ يوماً أباناً لا درَّ درُّ أبانِ

حتَّى إذا ما صلاةُ الْ أُولَى دنَتْ لأَوانِ[٤]

فقامَ ثَمَّ بها ذو فَصاحةٍ وبيانِ

فكلُّ ما قال قلنا إلى انقضاءِ الأَذانِ

فقال كيف شهدتمْ بذا بغير عِيانِ

(١) فى الأغانى : « وأوضح الدلالة على يهوديتهم » .
(٢) كذا فى النسختين . وفى الأغانى : « تسرر » .
(٣) ط : « يتعاقبان » ، ش : « يتعاقبان » . والأخيرة محرفة ، وأثبت ما فى الأغانى .
(٤) فى النسختين : « لأذان » ، صوابه فى الأغانى والحيوان ٤ : ٤٤٩ .

لا أشهدُ الدَّهرَ حتّى تُعــايِنَ العينــانِ
فقلت : سبحانَ ربِّى فقـال : سبحانَ مانِى

وأخبرنى الصُّولى قال : حدثنا أبو العيناء قال : حدثنى الحِرمازى قال : خرج أبان بن عبد الحميد اللاحقى من البَصرة طالباً للاتِّصال بالبرامكة ، وكان الفضل بن يحيى غائباً ، فأقام ببابه لمَّا قَصدهُ مُديدةً لا يصلُ إليه ، فتوسَّل بمن أوصل له شعرًا إليه ، وقيل إنَّه توسَّل إلى بعض بنى هاشم ممَّن شخص مع الفضل ، فقال له :

ياغزيرَ الندى وياجوهرَ الجو هَرِ من آل هاشم بالبطاحِ
إنَّ ظنِّى وليس يُخلفُ ظنِّى بانَ فى حاجتى سبيلُ النجاحِ (١)
إنَّ مِن دُونها لمصمتَ بابٍ أنت من دون قُفلهِ مفتاحى
تاقت النفسُ ياجليلَ السَّماحِ نحو بحرِ الندى مُجَارِى الرِّياح (٢)
ثمفكَّرتُ كيف لى واستَخَرتُ الل لهَ عندَ الإمساءِ والإصباحِ
فامتدحتُ الأميرَ أصلحه اللــ ــهُ بِشعرٍ مشهَّر الأوضاحِ

٤٥٩

فقال له : هات مديحَك . فأعطاه شعرًا فى الفَضْل فى هذا الوزن وقافيته :

أنا مِن بُغية الأمير ، وكنزٌ من كنوز الأمير ذو أرباحِ
كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديبٌ ناصحٌ زائد على النُّصَّاحِ
شاعرٌ مُفْلق أخفُّ من الــرِّيـ ـشَةِ فيما يكون تحتَ الجَناحِ (٣)

---

(١) ط : « أن » ، وأثبت ما فى ش . وفى الأغانى : « بلك » .
(٢) فى الأغانى : « يا خليل السماح » .
(٣) فى الأغانى ٢٠ : ٧٥ : « عند الجناح » .

وهى طويلة ، ومنها :

إن دعانى الأمير عاينَ منّى شَمَّريًّا كالبُلبل الصَّيَّـاح

قال : فدعا به ووصَلَه . ثم خُصَّ بالفضل وقَدِم معه ، فقرُب من قلب يحيى بن خالد ، وكان صاحبَ الجماعة وذا أمرِهم .

أخبرنى حبيبُ بن نصرٍ المهلَّبى قال : حدَّثنا على بن محمد النَّوفلى ، أنَّ أبان بن عبد الحميد عاتبَ البرامِكة على تَركِهم إيصالَه إلى الرَّشيد وإيصالَ مدحه إليه ، فقالوا له : وما تريد بذلك ؟ فقال : أُريد أنْ أحظى منه بمثل ماحَظِىَ به مروان بن أبى حَفصة . فقالوا له : إنَّ لمروان مذهباً فى هجاءِ آل أبى طالب به يَحظى ، وعليه يُعطَى ، فاسلُكْه حتَّى نفعل ! قال : لا أستحلُّ ذلك . قالوا : لا تجىءُ أُمُورُ الدنيا[1] إلاَّ بفِعْل ما لا يحلّ . فقال أبان :

نَشدتُ بحقِّ الله من كان مسلماً أعُمُّ بما قد قلته العُجْمَ والعربْ

أعَمُّ رسولِ الله أقربُ زُلفـةً لديه ، أم ابنُ العمِّ فى رُتْبةِ النَّسب

وأيُّهمـا أولَى به وبعهـده ومَن ذا له حقُّ التُّراثِ بما وجَبْ

فإنْ كان عبّاسٌ أحقَّ بتِلـكمُ وكان علىٌّ بعد ذاك على سببْ

فأبناءُ عبّـاس همُ يرثونه كما العمُّ لابن العم فى الإرْث قد حَجَبْ

وهى طويلة قد تركتُ ذكرها لما فيه [من] تنقيص[2] . فقال الفضل : ما يردُ على أمير المؤمنين شىءٌ أعجبُ إليه من أبياتك . فركب فأنشدها الرشيدَ ، فأمر لأبانٍ بعشرين ألف درهم ، ثم اتَّصلت بعد ذلك خدمتُه للرشيد وخُصّ به . انتهى مانقلتُه من الأغانى .

---

(١) فى الأغانى : « قالوا : فما تصنع ، لا يجىء طلب الدنيا » .

(٢) فى الأغانى : « لما فيه » فقط . وقد زدت كلمة « من » ليستقيم الكلام .

عبد الله بن المقفع

وأما ابن المقفَّع فاسمه عبد الله ، وهو كاتبٌ بليغ لكنَّه زنديق .

قال السيد المرتضَى قُدِّس سُّره (فى أماليه) : قال جعفر بن سليمان : روى عن المهدىِّ أنَّه قال : ماوجدت كتاب زندقة قطُّ إلاَّ أصلُه ابنُ المقفع .

وروى ابن شبَّة قال : حدثنى من سمع ابنَ المقفَّع وقد مرَّ ببيتِ نارِ المجوس بعد أن أسلم ، فلمَحه وتمثَّل :

يابيتَ عاتكةَ الـذى أتعزَّلُ ... حَذَرَ العِدَى وبه الفؤادُ موكَّلُ
إنِّى لأَمنَحُكَ الصـدودَ وإنَّنى ... قسماً إليك مع الصُّدود لأَمْيَلُ

وكان الخليل بن أحمد يحبُّ أن يرى عبد الله بن المقفع ، وكان ابن المقفع يحبُّ[1] ذلك ، فجمعهما عبَّاد بن عبَّاد المهلبى ، فتحادثا ثلاثة أيام ولياليَهُنّ ، فقيل للخليل : كيف رأيت عبد الله ؟ قال : مارأيت مثلَه ، وعلمُه أكثرُ من عقله . وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : ما رأيتُ مثلَه ، وعقلُه أكثر من علمه . قال المغيرة : صَدَقا[2] ، أدَّى عقلُ الخليل إلى أن مات وهو أزهدُ الناس[3] ، وجهلُ ابن المقفَّع أدَّاه إلى أن كتب أماناً عن المنصور لعبد الله بن علىّ فقال فيه : « ومتَى غدَر أميرُ المؤمنين بعمِّه عبدِ الله فنساؤه طوالقُ ، ودوابُّه حُبْس ، وعَبيدُه أحرار ، والمسلمون فى حِلٍّ من بيعته » . فاشتدَّ على المنصور جدًّا ، وخاصَّة أمر البيعة[4] ، وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلبى ، وهو أمير البصرة مِنْ قِبَله ، بقتله ، فقتَله .

٤٦٠

(١) وكذا فى أمالى المرتضى ١ : ١٣٦ . وفى ش : « يحب أن يرى ذلك » .
(٢) فى أمالى المرتضى : « فصدقا » .
(٣) فى الأمالى : « إلى أن مات أزهد الناس » .
(٤) فى النسختين : « وخاص أمر البيعة » ، صوابه من المرتضى .

وكان ابن المقفَّع مع قلة دينه جيِّدَ الكلام فصيحَ العبارة له حِكَمٌ وأمثال .

ثم أورد السيد المرتضى نُتفاً من حِكمه وأمثاله .

قال الصغانى (فى العباب) : عبد الله بن المقفَّع كان فصيحاً بليغاً ، وكان اسمه رَوْزبة ، وكان قبل إسلامه يكتنى بأَبى عمر ، فلمَّا أَسلم تسمى بعبد الله وتكنَّى بأَبى محمد . والمقفَّع اسمه المبارك ، ولُقِّب بالمقفَّع لأَنَّ الحجاج بن يوسف ضربه ضرباً فتقفَّعت يده . ورجل مقفَّع اليدين أى متشنِّجُهما . انتهى .

وقيل هو المقفِّع بكسر الفاء لعمله القَفْعة ، بفتح القاف وسكون الفاء . والقفعة : شىءٌ شبيهٌ بالزنبيل[1] بلا عُروة ، وتُعمَل من خوص ، ليست بالكبيرة . وقال الليث : القفعةُ تُتَّخذ من خوص ، مستديرةٌ ، يجتَنَى فيها الرُّطب ونحوه .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد السمّائة[2] :

٦٠٦ (أَمِنْ ريحانَة الداعى السَّميـعُ يؤرِّقنى وأَصحـابى هُجـوُعُ)

على أَنَّ فعيلا قد جاءَ لمبالغةِ مُفعِلٍ على رأْىٍ .

وهو رأْى الجمهور ، منهم ابن الأَعرابى (فى نوادره) أَنشد لنُغْبة الغَنَوى :

---

(١) فى القاموس : « والزبيل كأمير وسكين وقنديل ، وقد يفتح : القفة أو الجراب ، أو الوعاء » . ش : « بالزبيل » .

(٢) الكامل ١٤٤ ليبسك والشعراء ٣٣٢ ، ٣٣٤ والأغانى ١٤ : ٣١ وابن الشجرى ١ : ٦٤ / ٢ : ١٠٦ وابن يعيش ١ : ٧٣ والأصمعيات ١٧٢ .

إنّى تودُّكُم نفسى وأمنحُكمْ   حُبِّى، ورُبَّ حبيبٍ غيرُ محبوب

حبيب فى معنى محِبّ ، مثل أليم فى معنى مؤلم ، وسميع فى معنى مسمع . وأنشد هذا البيت .

ومنهم أَبو العبّاس المبرِّد، قال (فى الكامل): قيل خصيب وأنت تريد مخصب ، وجديب وأنت تريد مجدب[1] ، كقولك : عذاب أليم وأنت تريد مؤلم . ويقال رجل سميعٌ أى مُسمِع ، قال عمرو بن معديكرب :

* أمن ريحانة الداعى السَّميعُ * . . . البيت

ومنهم أَبو إسحاقَ الزَّجاج قال (فى تفسيره) من البقرة ، عند قوله تعالى : ﴿ولهم عذابٌ أليم[2]﴾ معنى أليم مُوجِع يصل وَجعُه إلى قلوبهم . وتأْويل أليم فى اللُّغة مُؤلم . قال الشاعر . وأنشد هذا البيت .

ومنهم البيضاوى ، فى تفسير قوله تعالى : ﴿بَديعُ السَّموات والأَرض[3]﴾ قال : أى مُبدِعهما . ونظيرُهُ السَّميع فى قوله :

* أمن ريحانةَ الداعى السميعُ *

ويقابل قولَ الجمهور قولُ صاحب (الكشاف) عند قوله : ﴿بديعُ السَّمٰوات والأَرض﴾ : هو من إضافة الصِّفة المشبهة إلى فاعلها ، أى بديعُ سمواتِه وأرضه . وقيل البديع بمعنى المبدِع ، كما أَنَّ السميع فى قول عمرو :

* أمن ريحانة الداعى السَّميعُ *

(١) وكذا فى الكامل . وخالفت ش هنا فورد فيها « مجدباً » بالنصب .
(٢) فى آيات كثيرة من الكتاب أولها الآية ١٠ من سورة البقرة .
(٣) من الآية ١١٧ من البقرة و ١٠١ من الأنعام .

بمعنى المسمع . وفيه نظر . انتهى .

قال السعد (فى حاشيته) : اعتُرِض المصنَّف بأَنَّه لم يثبُت فعيل بمعنى مفعل ، ولا استشهادَ فى البيت ، لأَنَّ داعى الشَّوق لَمَّا دعا القائل صار سميعاً لدعوته فتسبَّب لكونه سميعاً ، فأَوقع على الداعى اسمَ السميع لكونه سبباً فيه . على أَنَّ الشاذَّ لا يصحُّ القياس عليه إن ثبت. انتهى .

٤٦١

وقال السَّفاقُسىّ فى إعرابه بعد ما نقل كلام السَّعد : قال ابن عطية : بديع مصروف من مُبدِع ، كبصير من مبصر ، ومثله سميع بمعنى مسمع فى البيت . وعلى هذا يكون من إضافة اسم الفاعل لِمَفعوله . إلَّا أَنَّ الزمخشرى ذكر هذا الوجه وقال : إنَّ فيه نظراً . ولم يبيِّنه ، فلعلَّه يريد أَنَّ فعيلا بمعنى مفعل لا ينقاس ، مع أَنَّ بيت عمرٍو محتملٌ للتأْويل . انتهى .

وما تأَوَّله السَّعد يدفعه البيت الذى بعده ، وهو :

(يُنادِى من براقشَ أَو مَعينٍ فأَسمَعَ واتلأَبَّ بنا مَليعُ)

فإنَّ[1] فاعل ينادى وأَسمع وهو فعل ماض: ضمير الداعى ، فيكون الداعى مُسمِعاً لا سامعاً .

وبَراقش ومَعين ؛ بفتح أولهما : بلدتان كانتا متقابلتين باليمن . كذا (فى معجم ما استعجم) .

واتلأَبَّ بمعنى استقام . والمليع ، بفتح الميم : الأَرض الواسعة .

---

(١) ش : « قال » ، صوابه فى ط .

صاحب الشاهد

والبيتان أوّلا قصيدة لعمرو بن معديكربَ الزُّبيدى الصَّحابى . قال جامعُ ديوانه أبو عبدِ الله بنُ الأعرابىِّ : قالها عمرو فى أُخته ، رَيحانة بنتِ معديكرب ، وهى أمُّ دريد بن الصِّمَّة ، وكان الصِّمَّة غزا بَنِى زُبيد فسباها ، فغزا عمرٌو مراراً فلم يقدِرْ عليها .

وقوله : (أمن ريحانة) إلخ ، الهمزة للاستفهام ، ومن للتَّعليل متعلق بقوله يؤرقنى . وريحانة : اسم أُختِ عمرٍو . والداعى : مبتدأٌ بتقديرِ موصوفٍ ، والتقدير : الشوق[1] الداعى . و (السَّميع) صفة الداعى وجملة (يؤرِّقنى) خبر المبتدإ ، وجملة (وأصحابى هجوع) حالٌ من الياء . وهُجوع : جمع هاجع ، أى نائم ، كقعود جمع قاعد .

ولصاحب الأغانى فى ريحانة روايتان :

إحداهما أنَّها أُخته . قال : إنَّ هذه القصيدة قالها عمرٌو فى أخته رَيحانةَ لمَّا سباها الصِّمَّة بن بكر ، وكان أغار على بنى زُبيد فى قيس ، فاستاق أموالَهم وسبَى ريحانة ، وانهزمت زُبيد بين يديه ، وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معديكرب ، ثم رجَع عبد الله واتَّبعه عمرو .

فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلَّام ، أنّ عَمْرًا اتَّبعه يناشده أن يخلِّيَ عنها ، فلم يفعل ، فلمَّا يئس منه ولىَّ وهى تناديه بأعلى صوتها : يا عمرو ! فلم يقدر على انتزاعها ، وقال :

* أمن ريحانةَ الدَّاعى السَّميعُ *

وعلى هذه الرواية فالداعى فاعل الظرف ، وهو بمعنى الذى يدعو وينادِى ، لا بمعنى الشوق الداعى ، والسميع بمعنى المسمع . أو الداعى

---

(١) فى النسختين : « والتقدير والشوق » ، والواو الثانية مقحمة .

مبتدأً والظرف قبله خبره ، ومن عليهما للابتداءِ لا للتعليل ، والجملتان في المصراع الثاني حالان متداخلتان .

والرِّواية الثانية : أَنَّ ريحانةَ امرأَتُه المطلَّقة ، قال : أَخبرنى الحسين ابن يحيى قال : [قال[1]] حمّاد : قرأْت على أَبي : وأَمَّا قصة ريحانة فإنَّ عمرو بن معديكرب تزوَّج امرأَةً من مُرَادٍ وذهب مُغيراً قبل أَن يدخل بها ، فلمَّا قدم أُخبِرَ أَنَّه قد ظهر بها وَضَح ، وهو داءٌ تحذره العرب ، فطلَّقها وتزوَّجها رجلٌ آخر من بنى مازن بن ربيعة ، وبلغ ذلك عمراً وأَنَّ الذى قِيل فيها باطل ، فأَخذ يشبِّب بها ، فقال قصيدته ، وهى طويلة :

* أَمن ريحانة الداعى السميع * انتهى .

فإِعرابه على هذا هو الإِعراب الأَوَّل . وهذه الرواية هى القريبةُ إِلى الصواب ، والقصيدة تدلُّ عليها .

وقال الطِّيبى[2] : ريحانة امرأَة ، وقيل موضع .

وقد رجعتُ إِلى كتب البلدان والأَماكن فلم أَجدْ هذا الاسم فيها .

٤٦٢ وقال صاحب (الكشف)[3] : عَلَمُ حَبيبةِ عمرو ، وهى أُخت دريد ابن الصِّمَّة ، تعلَّق بها عمرٌو وأَغار عليها ، ثم التمس من دُريد أَن يتزوَّجها فأَجاب .

(١) التكملة من ش .

(٢) الطيبى : أحد شراح الكشاف ، وهو الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبى . المتوفى سنة ٧٤٣ . بغية الوعاة ٢٢٨ ، أولى و ١ : ٥٢٢ ثانية . وقال صاحب الكشف عند الكلام على كشاف الزمخشرى ، وقد سرد أسماء أصحاب الحواشى عليه ، وذكر حاشيته على الكشاف فقال : « وهى أجل حواشيه ، فى ستة مجلدات ضخام » .

(٣) صاحب الكشف عن مشكلات الكشاف هو عمر بن عبد الرحمن الفارسى القزوينى المتوفى سنة ٧٤٥ . كشف الظنون .

وهذه الرواية لا أصلَ لها .

ثم نقل صاحب الكشف عن ابن قُتيبة أنّها أُخت عمرو ، وكانت تحت الصِّمَّة فولدت له دريد بن الصمة . واعترضَه بأنَّ دريداً قُتل يوم هوازن وهو شيخ هِمٌّ[1] يُنيف على المائة ، لا يُنتفَع إلاَّ برأيه. وعمرٌو أسلم فى زمن عمر وهو على جَلَده . هذا كلامه .

والأوّل حقٌّ لا شبهة فيه ، ولهذا صوّبنا أنّها امرأته لا أُخته . وأمّا عمرٌو فقد أسلم على يَدىِ النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو من الصحابة كما يشهد به كتب الصحابة .

(تتمة)

وأمّا فعيل بمعنى مُفعَل بالفتح ، اسم مفعول ففيه خلافٌ أيضاً . فأخْذه من المزيد المتعدِّى لم يرتضه الزمخشرى .

وقال ابن مالك (فى التسهيل) : وربّما استُغنى عن فاعل بمفعِل أو مُفعَل .

قال ابن عقيل (فى شرحه) قالوا : عمَّ الرجلَ بمعروفه ، ولمَّ متاعَ البيت ، فهو مُعِمٌّ ومُعَمٌّ ، ومُلِمٌّ ومُلَمٌّ. ولم يُقَل بهذا المعنى عامٌّ ولا لامٌّ ، ولا نظير لهما ، حكاه ابن سيده .

وقال ابن برى (فى حاشيةِ صحاح الجوهرى) : قد جاء ذلك كثيراً نحو مُسْخَن وسَخين ، ومُقْعَد وقعيد ، ومُقنَع وقنيع ، ومُحَبّ وحبيب ومُطْرَد وطريد ، ومُقْصًى وقصىّ ، ومُهْدًى وهدىّ ، ومُوصًى ووصىّ[2] ، ومُبرَم

---

(١) هم ، بالكسر : شيخ كبير . وفى ش : « هرم » بمعناه .

(٢) ط : « ومقص وقصى ، ومهد وهدى ، وموص ووصى » ، صوابه فى ش .

وبريم ، ومُحْكَم وحكيم ، ومُبدَع وبديع ، ومُفرَد وفريد ، ومُسمَع وسميع ، ومُونَق وأنيق ، ومؤلم وأليم ، فى أخواتٍ له . انتهى .

قصيدة الشاهد

وقصيدة عمرو بن معديكرب عدَّتها اثنان وثلاثون بيتاً ، كلُّها تغزُّل بالنِّساءِ وحماسة .

وبعد البيتين الأوَّلَين :

(وربَّ محرِّشٍ فى جَنْبِ سلمى ... يَعُلُّ بعينها عندى شفيعُ
كأَنَّ الإثمدَ الحـاريَّ منها ... يُسَفُّ بحيث تَبتدِرُ الدُّموع[1]
وأَبكارٍ لهوتُ بهنَّ حِيناً ... نواعمَ فى أَسِرَّتها الرُّدوعُ
أَمشِّى حولهَا وأَطوف فيهـا ... وتعجبنى المحَاجرُ والفُروع[2]
إذا يضحَكْن أَو يَبْسِمْنَ يوماً ... بدا برَدٌ أَلحَّ به الصَّقيعُ
كأَنَّ على عوارضِهنَّ راحـاً ... يُفَضُّ عليه رُمَّانٌ ينيـعُ
تَراها الدَّهرَ مُقتِرةً كِبـاءً ... ومِقْدحَ صحفة فيها نقيعُ[3]
وصِبغُ ثيابها فى زعفرانٍ ... بجدَّتها كما احمرَّ النجيعُ
وقد عَجِبتْ أَمامةُ أَن رأتنى ... تفرَّع لمتى شَيبٌ فظيعُ)

وهذا آخر الغزل . ومن أبيات الحماسة :

(أَشابَ الرأْسَ أَيامٌ طِوالٌ ... وهَمٌّ ما تَبَلَّغُـه الضُّلوع[4]
وزحفُ كتيبةٍ للقاء أُخرى ... كأَنَّ زُهاءَها رأسٌ صليعُ
دنَتْ واستأْخر الأَوغالُ عنها ... وخُلِّى بينهم إِلَّا الوريعُ

(١) ش : « يبتدر » ، وأثبت ما فى ط والأصمعيات .
(٢) ش : « ويعجبنى » .
(٣) الأصمعيات : « وتقدح صحفة » .
(٤) ط : « ما تبلعه » بالعين المهملة .

فِدًى لهمُ معاً أُمِّى وخــالى　　وشَرخ شبابهم إن لم يضيعوا
وإسنادُ الأَسنة نحو نحرى　　وهَزُّ المشرفيَّة والوقـوع[١]
فإنْ تَنُبِ النَّوائبُ آل عُصْم　　تجد حَكَماتهم فيها رفـوع[٢]
إذا لم تستطعْ شيئاً فدعْـهُ　　وجـاوزْه إلى ما تستطيعُ ٤٦٣
وصِلْه بالزِّماعِ فـكُلُّ شيءٍ　　سَما لكَ أَو سموتَ له وَلوعُ
وكَم من غائطٍ من دون سَلمى　　قليـل الإنس ليس به كتيعُ
به السِّرحان مفترشاً يديه　　كأنَّ بياضَ لَبَّته الصَّديعُ)

وقوله : « وربَّ محرِّش» الخ . التحريش : الإغراءُ بين القوم. ويَعُلّ من العلل مَرّةً بعد مرَّة. والحاريّ : نسبة إلى الحِيرة . ويُسفُّ : يُذَرُّ . والأَسِرة : جمع سِرارة بالكسر ، وهو ، الخطوط فى الكفّ . والردوع : جمع رَدْع ، يقال به رَدعٌ من زعفرانٍ أَودم ، أى لَطْخٌ وأثر. يريد أنَّهنَّ يصبُغن ثيابهنَّ بالزَّعفران .

وقوله : « أُمشِّى حولها » هو جواب ربّ المقدرة فى وأبكار . والمحاجر : جمع مَحجِرِ العين كمجلس ، وهو ما يبدو من النِّقاب . والفُرُوع : جمع فرع ، وهو الشَّعر التامّ . والبَرَدَ بفتحتين : حبُّ الغمام. والصَّقيع : الجليد . والعارض : الناب ، والضِّرس الذى يليه . والراح : الخمر . وينيع : يانع ، أى بالغ . ومُقْتِرة : اسم فاعل من القُتار بضم القاف، وهو هنا الدُّخنة . والكِباء، بالكسر والمد : العود . والمِقدح، بكسر الميم : المغـرفة . والنَّقيع يُبرَّد لها فتشربه . والنجيع : الدم . وتفرَّع : عـلا . واللِّمَّة بالكسر : شعر الرأس الذى يُلمّ بالمنكِب .

(١) فى ش مع أثر تصحيح : « والرفوع » .
(٢) ش : « فيها رقوع » بالقاف .

وقوله : أَشاب الرأْس . إلخ . وتبلَّغه أى تَسُعه .

وزُهاءها ، بالضم والمد ، أى مقدارها . والرأْس الصليع : الذى انحسر شعر مقدَّمه .

والأَوغال : جمع وَغْل ، وهو النَّذل من الرجال . والورِيع ، بالراء المهملة ، وكذلك الورع بفتحتين ، وهو الصَّغير الضعيف الذى لاغَناء عنده .

والوقوع : المواقعة والقتال .

وآل عصم مفعول تَنُب أى [تُصِبْ[1]] ، مِن النائبة . والحَكَمات ، بالتحريك: جمعَ حكَمة بفتحتين ، وهى ما أَحاط بالحنَك من اللِّجام . والرُّفوع بالضم : مصدرٌ بمعنى الارتفاع .

وقوله : « إذا لم تستطع » إلخ. هذا من شواهد تلخيص المفتاح ، فيه الإِرصاد .

وقوله : « وصِلْه » أىوصِلِ الشىء الذى لم تستطعه. والزَّماع بالفتح : العَزْم والتصميم . والوَلوع بالفتح : مصدر وَلِعْت بالشىء ، إذا لزمته .

والغائط : المطمئنُّ من الأَرض الواسعُ. وكتيع ، أى أَحدٌ ، ملازمٌ للنفى .

والسِّرحان : الذئب . واللَّبَّة بالفتح : موضع القِلادة من الصَّدر . والصَّديع بالدال : الصُّبح .

وما أَثبتناه هو رواية ابن الأَعرابى (فى ديوان عمرو بن معديكرب) .

---

(١) التكلة من ش .

وروى صاحبُ الأغانى الشعر على غير ماذكرنا ، وتبعه الناسُ عليه ، وهو :

(أمن ريْحانةَ الداعى السميعُ يؤرِّقنى وأصحابى هُجوعُ
سَباها الصِّمَّة الجشَمىُّ غَصْبا كأنَّ بياض غرَّتها صديع[١]
وحالت دونها فُرسانُ قيسٍ تَكشَّفُ عن سواعدها الدُّرُوعُ
إذا لم تستطع شيئاً فدعه . . . . البيت)

وزاد الناس فى هذا الشعر وغُنِّىَ فيه :

(وكيف أُحبُّ من لا أستطيعُ ومَنْ هو للذى أهوَى مَنوعُ
ومَن قد لامنى فيه صديقى وأهلى ثمَّ كُلاًّ لا أُطيعُ
ومَن لو أظهر البغضاءَ نحوى أَتانى قابضُ الموتِ السريعُ
فِدًى لهمُ مَعاً عمِّى وخالى وشَرخُ شبابهم إن لم يطيعوا)

٤٦٤

هذا ماروواه ، وليس فى الديوان بعض هذه الأبيات[٢] ، والله أعلم .

وترجمة عمرو بن معديكرب تقدمت فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة[٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد السمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٤] :

---

(١) ط : « غضباً » ، صوابه فى ش والأغانى .
(٢) وكذلك لم يرد معظمها فى الأصمعيات .
(٣) الخزانة ٢ : ٤٤٤ ـ ٤٤٦ .
(٤) فى كتابه ١ : ٥٨ . وانظر نوادر أبى زيد ١٠ والجمل ١٠٦ وابن يعيش ٦ : ٧٤ ، ٧٥ والعينى ٣ : ٤٥٨ والتصريح ٢ : ٦٩ والهمع ٢ : ٩٧ والأشمونى ٢ : ٢٩٩ وديوان طرفة ٦٨ .

٦٠٧ (ثُمَّ زادُوا أَنَّهمْ فى قومهمْ غُفُرٌ ذنبَهُمُ غيرُ فُخُرْ)

على أَنَّ مثَّى المبالغة ومجموعها يعمل ، كما فى البيت ؛ فإنَّ ذنبهم مفعول لغُفُر ، وهو جمع غَفور ، مبالغة غافرٍ، وفُخُر بضمَّتين أيضاً : جمع فَخُور[1] .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة عدَّتها أَربعة وسبعون[2] بيتاً لطرفة ابن العبد ، وهو شاعر جاهليٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[3] . وقبله :

أبيات الشاهد

(ولىَ الأَصلُ الذى فى مِثلِهِ يُصلح الآبرُ زَرعَ المؤتَبِرْ[4]
طيِّبو الباءَةِ سَهلٌ ، ولهم سُبُلٌ إنْ شئتَ فى وحشٍ وَعِرْ
وهمُ ما همْ إذا مالبسوا نسجَ داودَ ، لبأسٍ مُحتَضَرْ
وتَساقَى القومُ كأْساً مُرّةً وعلا الخيلَ دِماءٌ كالشُّقُرْ
ثمَّ زادوا أَنَّهم فى قومهمْ ... البيت)

قال الأَعلم (فى شرحه) : وقوله :«ولىَ الأَصل» إلخ ، يقول :لى الأَصل الذى فى مثله يتمُّ المعروف والاصطناع . والآبر : المصلح للشىء القائمُ عليه . المؤتبر : المستدْعِى إلى الإصلاح ، وأَكثر مايستعمل الإبار فى النخل ، ثم هو عامٌّ فى كلِّ شىءٍ . وضربه هنا مثلاً لإتمام الصنيعة .

والباءة : السَّاحة والفِناءُ ، أَى ساحتهم طيبة سهلة لمن أَراد مَعروفهَم ،

---

(١) ش : « أربعة وستون بيتاً » ، والصواب كما فى ط أنها أربعة وسبعون . ديوان طرفة ٦٣ — ٧٥ قازان و ٦٧ ـ ٨٧ نشرة على الجندى .

(٢) الخزانة ٢ : ٤١٩ ـ ٤٢٥ .

(٣) ويروى أيضاً : « غير فجر » بالجيم كما فى سيبويه ، وهو جمع فجور ، وكذلك الأنثى فجور بغير هاء ، كما فى اللسان .

(٤) ط : « ذرع » ، صوابه فى ش والديوان .

وهى وعرة خشنة لمن أرادهم بسوء . وهذا مَثَل . والوَحْش : المتوحّش ، وهو كناية عن خشونة الجانب وشدّته .

وقوله : « وهمُ ماهمْ » إلخ ، هذا تفخيمٌ وتعجُّب ، كأنَّه قال : أىُّ رجالٍ هم ! وقوله : « نسج داود » يعنى الدُّروع . والنَّسجَ : عملُها وسَرْدها وأوّل من عملها داودُ عليه السلام ، فلذلك تنسَب إليه . والبأْس : شِدَّة الأمر . والمحتضَر : المحضور المجتمَعُ إليه . يقول : إذا لبسوا الدُّروع وتسلَّحوا للقتال فأَىُّ رجالهم ! ويروى « محتضِر » بالكسر ، أى حاضر .

وقوله : « تساقى القوم » إلخ ، هذا مثَلٌ ضربه ، أى سقى بعضُهم بعضاً كأْسَ الحتوف ، أى قتل بعضُهم بعضاً . والكأْس : الإناءُ فيه الشراب ، والشَّراب فى الإناء يقال له كأْسٌ أيضاً . والشُّقُر : شقائق النُّعمان . وقال الأَصمعى : هو شجرٌ له ثمر أحمر .

وقوله : « ثم زادُوا أَنَّهم » إلخ ، لمَّا وصفهم بالإقدام والجرأة والصَّبر فى الحرب ، وغير ذلك من أفعال البرِّ ، بيَّن أنَّ لهم مَزيداً على ذلك ، وهو أَخْذُهم بالعفو والصَّفح عن الذنب وتركِ الفخر بذلك ، لأنَّ الفخر إعجابٌ وخفَّة . انتهى .

وقال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : قوله : « ثم زادُوا أَنَّهم » ، أراد : بأَنَّهم ، فحذف الباءَ . وقوله « فى قومهم » فى بمعنى عِند ، والظرف متعلق بزادُوا ، والتقدير : ثم زادوا عند قومهم بأَنَّهم غُفر ذنبَهم غيرُ فخر . وغير فُخر خبر بعد خبر ، ويروى : « غير فُجُر » بالجيم ، يعنى أَنَّهم لا يَكذِبون . والفُجور : الكذب . والمشهور رواية الخاء ، وهى أَوجَه . انتهى .

٤٦٥

وقال ابن خلف : يريد زادُوا على الفضائل التى ذكرها فيهم أَنَّهم إذا جنَى عليهم بعضُ قومِهم غفرُوا لهمْ ذنبهم مع قدرتِهمْ على الانتصاف. وقد يكون زادَهم بمعنى شرَّفهم ورفَعهم ، فتكون أَنْ على هذا فاعلةٌ بزاد ، أَى زَادَهم المجدُ شرفاً ورفعة . هذا كلامه ، وهو سبقُ قلم منه ، فإنَّ فاعل زاد هو الواو . وقوله : « والمراد زادوا على الفضائل » إلخ ، هو تقدير ابن السيرافى (فى شرح أَبيات الكتاب) .

قال ابن الحاجب (فى أَماليه على المفصَّل) : للفتح فى أَنَّ وجهان : أَحدهما أَن يكون فى موضع المفعول ، والآخر : أَن يكون المعنى ثم زادوا على ما تقدَّم [من الخصال ، أَو على من تقدَّم[1]] ، ثم فتح أَنَّ على معنى اللام ، لأَنَّهم على صفةٍ كذا وكذا . وللكسر وجهان : أَحدهما التعليل على ماذُكر فى الوجه الثانى . والثانى : أَن يكون على الحكاية [وهو ضعيف[2]] ؛ لأَنه ليس موضع الحكاية . اهـ .

وبعد هذه الأَبيات بقليل :

(نحنُ فى المشتاة ندعُو الجَفَلى لا تَرى الآدبَ فينا ينتقرْ
حينَ قال الناسُ فى مجلسهمْ أَقتارٌ ذاكَ أَم رِيحُ قُطُرْ
بِجفانٍ تَعتَرِى نادِيَنا مِنَ سَديفٍ حينَ هَاجَ الصِّنَّبِرْ)

قال الأَعلم : قوله : « نحن فى المشتاة » يريد فى الشَّتاءِ والبرد ، وذلك أَشدُّ الزمان . والجَفَلى : أَن يعمَّ بدعوته إلى الطَّعام ولا يخصَّ أَحدًا . والآدب : الذى يدعُو إلى المأْدُبة ، وهى كلُّ طعام يُدعَى إليه . والانتقار :

---

(١) التكملة من ش .

(٢) هذه التكملة أيضاً من ش .

أن يدعوَ النَّقَرَى ، وهو أن يخصَّهم ولا يُعمَّهم . يقول: لا يخصُّون الأغنياءَ ومن يطمعون[1] فى مكافأته ، ولكنَّهم يعمُّون طلباً للحمد ، ولاكتساب المجد . والقُتار ، بالضم : رائحة اللحم إذا شُوِىَ. والقُطُر، بضمتين : العود الذى يتبخَّر به . يقول : نحن نُطعِم فى شدَّة الزَّمان إذا كان ريحُ القُتار عند القوم بمنزلة رائحةِ العُود ، لما هم فيه مِن الْجَهد والحاجة إلى الطعام .

وقوله : « بجفانٍ تَعترِى » إلخ ، أى ندعوهم إلىالجفان. ومعنى تَعترى : تُلمُّ به وتأْتيه . والنادى : مجلس القوم ومتحدَّثهم . والسَّديف : قطع السَّنام .

والصِّنَبر : أشدُّ ما يكون من البرد . اه . قال صاحب الصحاح : صنابر الشِّتاءِ : شدَّة برده ، وكذلك الصِّنَّبِر ، بتشديد النون وكسر الباءِ وأنشد البيت ، ثم قال : والصِّنَّبْرُ بتسكين الباءِ : يومٌ من أيام العَجوز ، ويحتمل أن يكونا بمعًى وإنَّما حركت الباء للضرورة . انتهى .

وجزم ابن جنى (فى الخصائص) بأَنَّ الباءَ ساكنة ، وقال : كان حقُّ هذا إذا نُقلت الحركةُ أن تكون الباءُ مضمومة ، لأَنَّ الراء مرفوعة لكنَّه قدَّر الإضافة إلى الفعل ، يعنى المصدر . كأَنَّه قال : حين هَيْج الصِّنبر ، يعنى أَنَّه نقل الكسرة من الراءِ إلى الباءِ الساكنة وسكنت الراءُ . وهذا من الغرائب فإنَّ الصنبر فاعل بهاجَ ، لكنه أَعربه بالكسر نظراً إلى أَنَّ الفعل فى معنى المصدر المضاف إلى هذا الفاعل ثم نقل الكسر[2] .

---

(١) ط : « يطعمون » بتقديم العين ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) الخصائص ١ : ٢٨١ وهذا تصرف من البغدادى .

قال الدماميني في الجملة المضاف إليها (من الحاشية الهندية على المغنى) : وعلى ذلك يتنزَّل اللُّغز الذى نظمتُه قريباً ، وهو :

٤٦٦ أيا علماءَ الهند إنِّىَ سَائلٌ فَمُنُّوا بتحقيقٍ به يظهر السِّرُّ
أرى فاعلا بالفعل أُعرب لفظه بجرٍّ ولا حرفٌ يكون به الجرُّ
وليس بمَحْكيٍّ ولا بمجاور
لدى الخفض، والإنسان للبحث يُضطرُّ
فهل من جواب عندكم نستفيده
فمِن بحركم ما زال يُستخرج الدرُّ

قال الشُّمُنِّى : سبقه إلى هذا اللغز أبو سعيد فرج بن قاسم المعروف بابن لُبّ النحوى الأَندلسى (فى منظومته النونيَّة فى الأَلغاز النحوية) فقال :

ما فاعلٌ بالفعل لكنْ جرُّه مع السُّكون فيه ثابتانِ

وفى شرحها : يعنى الصِّنبر ، من قول طرفة . انتهى .

* * *

وأنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٦٠٨ (ممَّنْ حَملنَ به وهنَّ عواقدٌ حُبكَ النِّطاقِ فشبَّ غيرَ مهبَّل)

على أن (حُبُكَ النطاق) مفعول لعَواقد . وهو جمع عاقدة[2] .

(١) فى كتابه ١ : ٥٦ . وانظر الشعراء ٦٧١ و الكامل ٧٩ والإنصاف ٤٨٩ وابن يعيش ٦ : ٧٤ والمغنى ٦٨٦ والعينى ٣ : ٥٥٨ والأشمونى ٢ : ٢٩٩ والحماسة ٨٥ بشرح المرزوقى و ١ : ٨٤ بشرح التبريزى وديوان الهذليين ٢ : ٩٢ .

(٢) ش : « عاقد » ، وإنما يقال عاقد للأنثى من الإبل التى تعقد بذنبها عند اللقاح .

قال سيبويه : وممَّا يجرى مجرى فاعل من أسماءِ الفاعلين فواعل ، أجرَوه مُجرى فاعلة ، حيث كان جمعَه ، وكسَّروه عليه كما فعلوا ذلك بفاعلين وفاعلات . فمن ذلك قولهم : « هُنَّ حواجُّ بيتِ الله » .

قال أبو كبير :

* ممن حملن به وهن عواقدٌ * ... البيت

قال الأعلم : الشاهد فى نصب حبك النطاق بعواقد ؛ لأنَّه جمع عاقدة وعاقدة تعمل عمل الفعل المضارع لأنَّها فى معناه ، فجرى جمعها فى العمل مَجراها . ونوَّنَ عواقدُ للضرورة . وصفَ رجلاً شَهمَ الفؤاد ماضياً فى الرجال ، فذكر أنَّه ممن حملتْ به النساء مُكرهاتٍ ، فغلب عليه شَبَه الآباء وخرج مذكَّراً . وكانت العرب تفعل ذلك : يُغضب الرجلُ منهم امرأتَه ويُعْجِلها حلَّ نطاقها ويقع عليها ، فيغلب ماؤه على مائها فينزع الولَدُ إليه[1] فى الشَّبَه . وحُبُك النطاق : مشَدُّه ، واحدها حِباك ، وهو من حبكت الشىء ، إذا شددته وأحكمته . والنطاق : إزار تحتبك به المرأةُ فى وسطها وتُرسل أعلاه على أسفله ، تقيمه مَقامَ السَّراويل . والمهبَّل : الثقيل ، ويقال هو الذى يُدعَى عليه بالهَبَل ، فيقال : هبِلتْه أمُّه ، أى فقدته . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لأبى كبير الهذلىّ ، عدَّتها سبعة وأربعون بيتاً أوردها السُّكَّرى (فى أشعار الهذليين) ، واقتصر منها أبو تمَّام على أبيات أوردها (فى أوائل الحماسة) ، وكذلك اقتصر عليها ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) ، فلنقتصر على ما أورده ، وهو :

(١) ط : « الوليد إليه » ، وأثبت ما فى ش والشنتمرى .

(ولقد سَرَيْتُ على الظَّلامِ بِمِغشمٍ جَلْدٍ من الفِتيان غيرِ مثقَّلِ
مِمَّن حملنَ به وهن عـواقـدٌ حُبُكَ النطاق فشبَّ غيرَ مهبَّلِ
حملَتْ به فى ليـلةٍ مزءودةٍ كَرْهًا وعَقْدُ نطاقِها لم يُحلَلِ
فأتَتْ به حُوشَ الفؤادِ مبطَّنـا سُهدًا إذا ما نَامَ ليلُ الهَوْجلِ
ومبرَّأً من كلِّ غُبَّرِ حَيضةٍ وفسادِ مُرضعةٍ وداءٍ مُغْيِـلِ
وإذا نبذتَ له الحصاةَ رأيتَه ينزو لوقعتها طُمورَ الأخيَـلِ
٤٦٧ وإذا يهبُّ من المنـامِ رأيتَـه كرُتوبِ كَعبِ السّاقِ ليسَ بزُمَّلِ
ما إنْ يمسُّ الأرضَ إلَّا مَنكبٌ منه وحرفُ السَّاقِ طَيَّ المحملِ
وإذا رميتَ به الفِجاجَ رأيتَـه يَهوِى مخارِمَها هُوِيَّ الأجدلِ
وإذا نظرتَ إلى أسرَّةِ وجهِـه بَرقَتْ كبَرق العـارضِ المتهلِّلِ
يَحمِى الصِّحابَ إذا تكونُ كريهـةٌ وإذا هُـمُ نزلُوا فمأْوَى العُيَّـلِ)

سبب الأبيات

قال التبريزى (فى شرح الحماسة): كان السببفى هذه الأبيات أنّ أبا كبير تزوّج أمّ تأبَّط شراً ،وكان غلاماً صغيراً . فلمَّا رآه يُكثر الدخول على أُمِّه تنكَّر له . وعرف ذلك أبو كبير فى وَجْهه إلى أنْ ترعرع الغلام . فقال أبو كبير لأُمِّه : ويحكِ . قد والله رابنى أمرُ هذا الغلام . ولا آمَنُه . فلا أَقرُبك ! قالت : فاحتَلْ عليه حتَّى تقتُلَه . فقال له ذاتَ يوم : هل لك أن تغزو ؟ فقال : ذلك من أمرى . قال : فامضِ بنا . فخرجا غازِيَيْنِ ولا زادَ معهما . فسارا ليلتَهما ويومَهما من الغدِ حتَّى ظنَّ أبو كبير أنَّ الغلام قد جاع . فلما أَمسى قَصد به أَبو كبيرٍ قوماً كانوا له أعداءً فلما رأيا نارهم[1] من بُعد قال له أبو كبير : ويحك قد جُعنا . فلو

(١) ش : « فلما رآهم » . وفى التبريزى : « فلما رأى نارهم » .

ذهبتَ إلى تلك النار فالتمستَ منها لنا شيئاً ! فمضى تأبَّط شرًّا فوجدَ على النار رجلين من ألصِّ مَن يكون من العرب . وإنَّما أرسله إليهما أبو كبير ليقتلاه[١] . فلمَّا رأياه قد غَشِيَ نارَهما وثبا عليه . فرمَى أحدَهُما وكرَّ على الآخَر فرماه . فقتلهما[٢] . ثم جاءَ إلى نارهما فأخذ الخُبزَ منها فجاءَ به إلى أبي كبير . فقال : كُلْ لا أشبع الله بطنَك ! ولم يأْكل هو . فقال : ويحك أخبرني قصَّتك . فأخبره فازداد خوفاً منه . ثم مضيا في ليلتهما فأصابا إبلا . وكان يقول له أبو كبير ثلاثَ ليالٍ : اختر أيَّ نصفَي اللَّيل شئتَ تحرس فيه وأنام . وتنام النصفَ الآخر . فقال : ذلك إليك . اختر أيَّهما شئت. فكان أبو كبير[٣] ينام إلى نصف الليل ويحرسُه تأبط شرًّا . فإذا نام تأبَّط شرًّا نام أبو كبير أيضاً لا يحرس شيئاً حتى استوفى الثلاث . فلمَّا كان في الليلة الرابعة ظنَّ أنَّ النُّعاس قد غَلب على الغلام . فنام أوَّلَ الليل إلى نصفه وحرسَه تأبَّط شرًّا . فلما نام الغلامُ قال أبو كبير : الآن يستثقل نوماً وتُمكِنُني فيه الفُرصة . فلمَّا ظنَّ أنَّه قد اسْتُثقِلَ[٤] أخذ حصاةً فحذف بها . فقام الغلام كأنَّه كعبٌ فقال : ماهذه الوَجْبة[٥] ؟ قال : لا أدرى . قال : واللهِ صوتٌ سمعتُه في عُرض الإبل . فقام فعَسَّ وطاف فلم ير شيئاً . فعاد فنام . فلما ظنَّ أنه استُثقِلَ أخذ حُصَيَّةً صغيرة فحذف بها . فقام كقيامه الأوَّل فقال : ما هذا الذى أسمع ؟ قال : والله ما أدرى . لعلَّ

(١) التبريزى : « وإنما أرسله إليهما أبو كبير على معرفة » .

(٢) التبريزى : « وثبا عليه، وكر ساعياً واتبعاه ، فلما كان أحدهما أقرب إليه من الآخر عطف عليه فرماه فقتله ، ورجع إلى الآخر فرماه فقتله » .

(٣) يستمر نقل البغدادى عن التبريزى بتصرف كبير .

(٤) المستثقل ، بالبناء للمفعول : الذى أثقله النوم .

(٥) الوجبة : السقطة مع الهدة ، أو صوت ما يسقط .

بعضَ الإبل تحرَّك . فقام وطاف فلم ير شيئاً فعاد فنام ، فأخذ حُصَيَّةً[1] أصغر من تلك فرمى بها فوثب ، فطاف ورجع إليه فقال : يا هذا ، إنّى قد أنكرتُ أمرك ، والله لئن عدتُ أسمع شيئاً من هذا لأقتلنَّك ! قال أبو كبير : فبتُّ والله أحرسُه خوفاً أن يتحرَّك شىءٌ من الإبل فيقتلنى . فلمَّا رجعا إلى حيِّهما قال أبو كبير : إنَّ أُمَّ هذا الغلام لا أقربُها أبداً . وقال هذه الأبيات . انتهى .

وزعم بعضُ الرواة أنَّ هذه القصيدة لتأبَّط شرًّا قالها فى ابن الزَّرقاء .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : وبعض الرُّواة يَنْحَلُ هذا الشعر تأبَّط شرًّا ، ويذكر أنَّه كان يتبع امرأةً من فَهْم ، وكان ابنٌ لها من هذيل ، وكان يدخل عليها تأبَّط ، فلمَّا قارب الغلامُ الحلم قال لأُمِّه : مَن هذا الرجل الداخلُ عليك ؟ قالت : صاحبٌ كان لأبيك . قال : فلا أرَيَنَّه عندكِ ! فلمَّا رجع تأبَّط أخبرته وقالت : هذا الغلام مفرِّقٌ بينى وبينك فاقتلْه . قال : سأفعل ذلك. فمرَّ به وهو يلعبُ مع الصِّبيان فقال له : هلمَّ أَهَبْ لك نَبْلا . فمضى معَه فتذمَّم من قتله ووَهَب له نَبْلا ، فلمّا رجع تأبّط إلى أُمّ الغلام أخبرها فقالت : إنَّه والله شيطانٌ من الشياطين والله ما رأيتُه مُستثقَلاً نوماً قطُّ ، ولا ممتلئاً ضحِكاً قطُّ ، ولا همَّ بشىء إلاَّ فعله . ولقد حملتُه فما رأيتُ عليه دماً حتَّى وضعتُه . ولقد وقع علىّ أبوه فى ليلةِ هربٍ وإنِّى لمتوسِّدةٌ سَرْجاً ، وإنَّ نطاقى لمشدود ، وإنَّ على أبيه لدرعاً ، فاقتلْه فأنت والله أحبُّ إلىَّ منه . قال : سأغزو به . فمرَّ فقال : هل لكَ فى الغزو ؟ قال : إذا شئت . فخرج به غازياً فلم يجد منه غِرَّة ، حتَّى مرَّ فى بعض الليالى بنار لابنَىْ قُترة الفزاريِّين ،وكانا

٤٦٨

(١) ط : « حصاة » ، وأثبت ما فى ش والتبريزى .

في نُجعة ، فلمَّا رأى تـأَبَّط[1] النارَ عرفها وعرف أهلهَا ، فأَكبَّ على رِجله ينادى : نُهِشْتُ نهِشْت ، أَبغِنى ناراً ! فخرج الغلامُ يَهوى نحوَ النَّار ، فصادف عندها الرَّجلين[2] فواثباه فقتلهما ، وأَخذ جَذوةً من النَّار واطَّردَ إبلَ القوم ، وأَقبلَ نحوَ تـأَبَّط ، فلما رأَى تـأَبَّط النارَ تَهوى نحوه ظَنَّ أَنَّ الغلام قُتل وأَنَّه دلَّ عليه ، فمرَّ يسعَى . قال : فما كان إلَّا أَن أَدركنى ومعه النار يطَّرد إبلَ القوم ، فلمَّا وصل إلىَّ قال : ويلك لقد أَتعبتنى ! ثم رمى بالرأْسين فقلت : ما هذا ؟ قال : كلبان هَارَّانِى على النَّار فقتلتهما . فقلت : الهربُ الآن فإنَّ الطلب من ورائنا . فأَخذْتُ به على غير الطريق ، فما سرنا إلَّا قليلا حتَّى قال : أَخطأْتُ واللهِ الطريق ، وما تستقيم الريح فيه ، فما لبثَ أَن استقبلَ الطريق وما كان واللهِ سلكَها قطُّ . قال : فسرتُ به ثلاثاً حتَّى نظرت إلى عيْنيه كأَنهما خيطان ممدودان ، وأَدركَ اللَّيلُ فقلت : أَنِخْ فقد أَمِنَّا . فأَنخنا فنام فى طرفٍ منها ونمتُ فى الطَّرف الآخر ، فما زلت أَرمُقه حتَّى ظننت أَنَّه قد نام ، فقمت أُريده فإذا هو قد استوى وقال : ماشأْنُك ، فقلت : سمعتُ حِسًّا فى الإبل . فطاف معى بها فلم يرَ شيئاً فقال : أَتخاف شيئاً ؟ قلت : لا . قال : فنم ولا تُعدْ فإنِّى قد ارتبتُ بك . فنمت وأَمهلته حتَّى لم أَشكَّ فى نومه فقذفتُ له بحصاةٍ نحوَ رأْسه فإذا هو قد وثب ، وتناوَمت فأَقبل نحوى حتَّى ركضنى برجله وقال : أَنائم أَنت؟ قلت : نعم. قال : أَسمعتَ ماسمعتُ؟ قلت : لا . فطاف فى الإبل وطُفت معه فلم نر شيئاً ، فأَقبل علىَّ تتوقَّد عيناه ، قال : قد أَرى ما تصنعُ منذُ الليلة ، واللهِ لئن أَنبَهنى شىءٌ لأَقتلنَّك ! قال : فلبِثت

---

(١) وكذا فى الشعراء ٦٧٣ . وفى ش : « تأبط شراً » فى هذا الموضع والموضعين التاليين .

(٢) ش : « رجلين » ، وأثبت الصواب من ط والشعراء .

والله أكلؤه مخافَة أن ينبِّهه شيءٌ فيقتلَني . فلمَّا أَصبح قلتُ : أَلا تنحر جزوراً ؟ قال : بلى . قال : فنحرنا ناقة فأَكل ، ثم احتلب أُخرى فشرب ، ثم خرج يريد المذهب[1] وكان إذا أَراد ذلك أَبعدَ وأَبطأَ عليَّ ، فاتَّبعته فإذا أَنا به مضطجعاً على مَذهبه ، وإذا يده داخلة فى جُحر أَفعًى فانتزعها ، فإذا هو قابضٌ على رأْس أَفعى وقد قتلها وقتلَتْه . فذلك قولى :

ولقد غدوتُ على الظَّلام بمِغشَمٍ   جَلدٍ من الفِتيان غيرِ مثقَّلِ

انتهى ما أَورده ابن قتيبة .

والمشهور : « ولقد سريت على الظلام » ، أَى فى الظلام . والمغشم ، بالكسر : الغشوم ، من الغَشْم وهو الظلم . والجَلْد بالفتح ، وهو من له الجلادة ، وهى قوَّة القلب. وقوله : « غير مثقَّل » قال التبريزى : أَى كان حسنَ القبول محبَّباً إلى القلوب .

٤٦٩

وقوله : « ممَّن حملنَ به » النون ضمير النساء ولم يجرِ لهنَّ ذكر ، ولمَّا كان المراد مفهوماً جاز إضمارها . وقال « به » فردَّ الضمير على لفظ مَنْ ، ولو ردَّ على المعنى لقال بهم . وروى السكرى وغيره : « ممَّا حملن به » قال التبريزى ، تبعاً لشارح الهذليِّين : أَى هو من الحمل الذى حملن به .

قال ابن الشجرى (فى أَماليه) : عدَّى حمل فى البيت بالباءِ وحقُّه أَن يصل إلى المفعول بنفسه ، كما جاءَ فى التنزيل :﴿حَمَلَتْهُ أُمُّه كُرْهاً[2]﴾ ولكنَّه عدى بالباءِ لأَنَّه فى معنى حَبلتْ .

---

(١) المذهب ، قال الكسائى : « يقال لموضع الغائط : الخلاء ، والمذهب ، والمرفق والمرحاض » .

(٢) الآية ١٥ من سورة الأحقاف .

وأورده ابن هشام (فى المغنى) وقال : ضمَّن حمل فى الموضعين معنى عَلق ، ولولا ذاك لعدِّى بنفسه .

وقوله : (وهنَّ عواقدُ حُبُكَ) إلخ ، بتنوين عواقد . واستشهد به ابن الأنبارىّ على أنَّ الأصل فى الأسماء عند البصريِّين الصرف ، وإنَّما يُمنع بعضُها من الصَّرف لأسباب عارضة ، فإذا اضطُرَّ الشاعر ردَّها إلى الأصل ولم يعتبر تلكَ الأسباب العارضة ، كما صرف عواقد فى البيت ، وهو جمع عاقدة ، وأعمله فى حُبُك حكايةً للحال وإن كان ذلك فيما مضى ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيد [1] ﴾. وحُبُك بضمتين. قال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) ، وأورد فيها بعضَ هذه الأبيات : هو جمع حِباك ، والحِباك بالكسر : مايُشدُّ به النِّطاق مثل التِّكَّة . والنِّطاق : شُقَّة تلبسها المرأة وتشدُّ وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الرُّكبة ، والأسفلُ ينجرُّ على الأرض ليس لهُ حُجزة ولا نَيْفق ولا ساقان ؛ والجمع نُطُق . والحُجزة بالضم : موضع التِّكَّة. والنَّيفق : الموضع المتَّسع من السرَّاويل ، والعامة تكسر النون .

وقال ابن خلف : قال أبو جعفر : وسألت عن هذا البيتِ عليَّ ابن سليمان فقال : حملن به من الحبَل ، إى إنَّهن حملن به وهن يخدُمن . وكانت العرب تستحبُّ أن تطأ النساءَ وهنَّ متعَبات أو فزِعات ، ليغلب ماءُ الرجل فيخرج الولدُ مذكَّراً . فوصف أنَّها حَبِلتْ به وهى عاقدةٌ حبُك النطاق . والحُبُك : الطرائق ، وقيل الحبك الإزار الذى تأْتزر به المرأة ، وقيل الحُبْكة : حُجزة الإزار . والنِّطاق : المِنطقَة . انتهى .

---

(١) الآية ١٨ من سورة الكهف .

وقال ابن المستوفى: الحُبُك من قولهم: حَبك الثوبَ يحبِكه بالكسر حَبْكاً، إذا أجاد نسجه، كأنَّه جمعَ المصدرَ على حِباك، وجمع حباكاً حُبُكاً. وقيل الحُبك: جمع الحبيك والحبيكة، وهو ماتكسَّر من ثوبٍ وماءٍ. وقيل جمع الحِباك، وهو الإزار. والأوَّل بعيد، لأَنَّ الحبيكة جمعها حبائك، وإذا صحَّ إن الحباك الإزار فهو جمعُه، مثل كتاب وكتب. انتهى. وما نقله هو كلام التبريزى.

وروى السُّكَّرى: (حبكَ الثِّياب). وقال شارحه القارى[1]: حُبُك الإزار: طرائقه. وحَبكة الإزار: استدارته وشدُّه. والنِّطاق: الإزار يعنى حملت به وعليها مِنطَقها، وأراد أنها متحزِّمة. يقول: لم تُمكِنْ من نفسها. انتهى.

وقال التبريزى، وتبعه العينى: الرواية: (حُبُك الثِّياب)؛ لأَنَّ النطاق لا يكون له حُبك وهو الطرائق. هذا كلامه.

والمهبَّل، قال القارى: المثقَل باللَّحم، يقال هبَّله اللحم: كثُرَ عليه وغلظ. وكذلك قال أبو جعفر: المهبَّل: الكثير اللحم، يقالُ: هُبِّلت المرأة وعُبِّلت. وفى حديث الإفْك حرفٌ ربَّما صحَّفه أصحاب الحديث، وهو: « والنِّساء إذ ذاك لم يهبَّلن »، أى لم يحملن الشحم. وقيل المهبَّل: الذى يُدعَى عليه بقولهم: هَبِلتْه أُمُّه، كما يقال لمن يُسترذل، أى ثكلته.

٤٧٠

---

(١) القارى، راوى أشعار الهذليين عن السكرى، سبقت ترجمته فى حواشى ١ : ٢٧٥. وفى النسختين هنا: « الفارسى »، تحريف.

وقول العينى : أو[١] هو الذى حملت به أُمُّه وهى مُكرَهة ، فاسدٌ . فتأَمَّل .

وقال التبريزى: ذكر بعضهم أَنَّ المهبَّل المعتوه الذى لا يتماسك . فإِنْ صحَّ ذلك فكأَنَّه من الإسراع ، يقال جمل هِبِلٌ . ومعنى البيت أَنَّه من الفتيان الذين حملتهم أُمُّهم وهنَّ غير مستعدَّات للفِراش ، فنشأَ محموداً مرضيًّا لم يُدْعَ عليه بالهبَل والثُّكل . وحكى عن بعضهم : إذا أَردتَ أَن تنجب المرأَةُ فأَغضبْها عند الجماع . ولذلك يقال فى ولد المذعورة : إنَّه لا يطاق . قال :

تسنَّمتُها غضبَى فجاءَ مسهَّداً وأَنفعُ أَولادِ الرجال المسهَّدُ[٢]

وقال المبرد (فى الكامل) : يقال أَنجبُ الأَولاد ولدُ الفارك ، وذلك لانَّها تُبغض زوجَها فيَسبقها بمائه فيخرجُ الشَّبهُ إليه فيخرج الولد ذكراً.

وقال بعضُ الحكماء : إذا أَردتَ أَن تنجب المرأَةُ فأَغضبْها ثم قَعْ عليها فإِنَّك تسبقها بالماء . وكذلك ولدُ الفزِعة كما قال أَبو كبير. وأَنشد البيتين .

وقوله : « حملتْ به فى ليله مزءودة » هى مفعولة من زأَدته أَزأَده زأْداً ، أَى أَفزعته ؛ وزُئدَ فهو مزءُودٌ ، أَى مذعور ، وهو بالزاى والهمزة والدال .

قال المبرد (فى الكامل) : مزءُودة ذات زُؤْد[٣] وهو الفزَع . فمن نصب مزءُودة

---

(١) ط : « أى » ، صوابه فى ش والعينى ٣ : ٥٥٩ .

(٢) وكذا جاء البيت غير منسوب فى شرح المرزوقى للحماسة ٨٦ .

(٣) الزؤد ، بضمتين وبضم أيضاً . وضبطت فى الكامل بضمة واحدة .

فإنَّما أرادَ المرأة، ومن خفض أراد الليلة . وجعل الليلةَ ذات فزعٍ لأنَّه يُفزَع فيها قال الله تعالى: ﴿ بَلْ مَكرُ اللَّيْلِ والنَّهارِ[1] ﴾ . والمعنى بل مكرُكم فى الليل والنهار . وقال جرير :

* ونمتِ وما ليلُ المطىِّ بنائم[2] *

وقال آخر :

* فنام ليلى وتجلَّى همى[3] *

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) بعدما قال مثلَ كلام المبرد : هذا ونحوُه إنَّما يتسع فيه بأَن يسند الفعلُ إلى الوقت الذى وقع فيه ، ومجيئه مجىءَ الفاعل . ألا ترى إلى قوله: « فنام ليلى » ، وإلى نفيه وهو قوله « وما ليل المطى بنائم » . وبيت أَبى كبير إنَّما جعل الوقت الذى هو الليلة بلفظ اسم المفعول . وهو قوله مزءُودة . فأَكثر ما يقولون إذا اتَّسعوا فى نحو هذا : يومٌ ضارب ، أَى كثُر فيه الضرب ، ولا يقولون يوم مضروب . غير أَنَّ مزءُودة إنَّما جاز لأَنَّهم قد ينصبون الظرف نصبَ المفعول به ، نحو قوله :

* ويوم شهِدناه سُليماً وعامراً[4] *

فلمَّا كانوا يأْخذونه فى هذا الشقّ[5] جاءُوا به أَيضاً مسندًا إليه الفعل

---

(١) الآية ٣٣ من سورة سبأ .

(٢) من شواهد الخزانة ، وهو الشاهد الثمانون فى ١ : ٤٦٥ . وصدره :

* لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى *

(٣) لرؤبة فى ديوانه ١٤٢ .

(٤) لرجل من بنى عامر . وأنشده سيبويه فى كتابه ١ : ٩٠ ، والمبرد فى المقتضب ٣ : ١٠٥ والكامل ٢١ . وعجزه :

* قليل سوى الطعن النهال نوافله *

(٥) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٤ : « فى هذا الشق وهذا الغور » .

إسنادَه إلى مالم يسَّم فاعله . تقول : ربَّ يوم مَقُوم ، وربَّ ساعة مضروبة ، على قولك : قُمت يوماً وضربت ساعة ، وأنت تنصب اليومَ والساعة نصب المفعول به . فكذلك قوله فى ليلة مزءُودة على حدِّ قولك : زئدت الليلة ، وعلى قولك قبل إسناد الفعل إليها هذه ليلة زُئِدها زيد ، كقولك هذه جبة كُسِيَهَا عمرو ، ثم تقول : هذه ليلة مزءُودة كقولك : جبة مكسوَّة . هذا على رواية الجرّ . وأمَّا من نصب فعلَى الحالِ ، ومزءُودَةً للمرأة الحامل. وفائدة ذكر الليلة فى هذه الرواية أنْ تكون بدأت بحمله ليلاً ، وهو أَنجبُ له ، وصاحبه يُوصف بالشَّجاعة . وقد دعاهم ذلك إلى أن وصلوا أنسابهم بالليل تحققُّاً به . قال :

أَنا ابن عمِّ الليلِ وابنُ خالِه إذا دَجَا دخلتُ فى سِربالِهِ

* لَستُ كمن يَفرَقُ من خَيالِه *

انتهى .

٤٧١

وبه يُدفع قول ابن هشام (فى المغنى): مزءُودة مذعورة ، ويروى بالجرِّ صفة لليلة وبالنصب حالاً من المرأة ، وليس بقوىٍّ مع أنَّه الحقيقة ، لأَنَّ ذكر الليل حينئذٍ لا كبير فائدة فيه . انتهى .

وقال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) : مزءُودة : فيها زُؤْد وذُعر ، كذلك قال الأَصمعى . ويرويه بعضهم بالنصب ويجعله حالاً من المرأة. ويقال إنَّ المرأة إذا حملت وهى مذعورة فأَذكرَتْ جاءت به لا يُطاق . انتهى .

ومثله قول ابن جنى : الغرض من ذكر الزُّؤْد فى الروايتين جميعاً أَنَّ المرأة إذا حملت بولدها وهى مذعورة كان أَنجبَ له. أَلا ترى إلى قوله :

* فأَتت به حُوشَ الجَنان مبطَّنا * ... البيت

وقال التِّبريزى : ويجوز أن يكون جرّ مزءُودة على الجوار وهو فى الحقيقة للمرأة، كما قيل: جُحر ضبٍّ خربٍ ، وهذا لميلهم إلى الحمل على الأقرب ، ولأَمنهم الالتباس . ومزءُودة بالرفع صفة أُقيمت مقام الموصوفة[(١)] . وانتصب كُرْهاً على أنَّه مصدرٌ فى موضع الحال، أى كارهة. وكذلك جملة « وعقد نطاقها لم يحلل » حال . والنِّطاق : ما تنتطق به المرأة تشدُّ وسَطها للعمل. والمنطقة أُخِذت من هذا . والمعنى أنَّها أُكرِهَتْ ولم يُحلَّ نطاقها .

وقوله : « فأَتتْ به حُوش الفؤاد» إلخ حوش الفؤاد: حالٌ من الضمير فى به ، والإضافة لم تفد شيئاً من التعريف . وبه استشهد ابن هشام (فى شرح الألفية) عليه . و [أيضاً[(٢)]] استشهد به صاحب الكشاف فى سورة المزَّمِّل لشىءٍ آخر[(٣)] . وكذلك مبطَّناً وسُهُداً حالان منه .

قال ابن السِّيد (فى شرح الكامل) : حُوشَ الفؤاد، أى مجتمع الذِّهن جيِّد الفهم .

وقال القارى وابن قتيبة : يعنى وحشىّ الفؤاد .

وقال التبريزى : حُوش الفؤاد وحُوشىّ الفؤاد: وَحشيُّه ، لحِدَّته وتوقُّده . ورجلٌ حُوشىّ : لا يخالط الناس . وليلٌ حوشىٌّ: مظلم هائل، كما يقال ليلٌ سخَّام وسُخامىٌّ للأسود . وكذلك إبل حُوشٌ وحُوشيَّة ، أى وحشيَّة . وقيل الحوشية بلاد الجن .

---

(١) وكذا النصر فى التبريزى ، وهى صحيحة .

(٢) التكملة من ش .

(٣) أتى به شاهداً فى الآية الأولى من المزمل ، على إيقاظ الرسول صلى الله عليه وسلم ليتلقى الأمر الخطير بالقيام بالليل ، وترتيل القرآن .

و (فى الأَساس) : رجلٌ حوش الفؤاد : ذكىٌّ كيِّس ، وأَصله من الإِبل الحوشية ، وهى التى يزعمون أَنَّ فحولَ نَعَم الجنِّ قد ضربتْ فيها . ومبطَّناً : ضامر البطن .

والسُّهُد بضمتين : قليل النوم . وإِذا ظرف لِسُهُداً . قال التبريزى : قوله نامَ ليل الهوجل جعل الفعلَ للَّيل لوقوعه فيه . أَى نام الهوجل فى ليله . والهَوْجل : الثَّقيل الكسلان ، وقيل الأَحمق لا مُسْكة به . وبه سمِّيت الفلاة التى لا أَعلامَ بها ولا يُهتدَى فيها : الهوجلَ . أَى أَتت الأُمُّ بهذا الولد ذكيًّا حديد الفؤاد ، يسهر إِذا نام الهوجل .

قال العينى : ما زائدة ، ويحتمل أَن تكون مصدرية ، أَى حين نومِ ليلِ الهوجَل . انتهى .

والصواب الأَوّل ، لأَنَّ إِذَا لا تضاف إِلى مفرد .

وقوله : « ومبرَّأً من كلِّ » إِلخ ، هو معطوف على حوش الفؤاد ، وقد وقع فى الحماسة قبل البيتين قبله (١) . وقال التبريزى : ويروى بالنصب والجر ، فالنصب عطفٌ على غير مهبَّل ، كأَنه قال : شبَّ فى هاتين الحالتين . وإِذا جررته كان عطفاً على قوله : جلدٍ من الفِتيان .

وغُبَّرُ الحيض ، بضم المعجمة وتشديد الموحدة المفتوحة : بقاياه ، وكذلك غُبْره بسكون الموحَّدةِ ، وكذلك غُبْر اللبن : باقيهِ فى الضَّرع . والحِيضة بالكسر : الاسم ، وبالفتح المرَّة . وكلّ للتأْكيد ، كأَنَّه نفى

---

(١) ط : « على البيتين قبله » ، صوابه فى ش . والواقع أن البيت الذى أوله « ومبرأ » وقع فى الحماسة سابقاً ترتيبه فى الحماسة للأول منهما ، ويليه بيت « حملت به فى ليلة مزءودة » ، ثم بيت « فأتت به حوش الفؤاد » ، .

قليلَ ذلك وكثيرَه. وأضاف الفساد إلى المرضعة لأنَّه أراد الفساد الذى
٤٧٢ يكون من قِبَلها. وهم يضيفون الشيءَ إلى الشيءِ لأدنى ملابسة. والمُغْيِل، بضم الميم وكسر الياء، من الغَيْل، وهو أن تُغشَى المرأةُ وهى تُرضِع، فذلك اللَّبن الغَيْل. يقال أغالت المرأة، إذا أرضعته على حَبَل. ويروى بدله: «معضل»، وهو الذى لا دواءَ له، كأنَّه أعضل الأطباءَ وأعياهم. وأصل العَضْل المنع. يقول: إنَّها حملت به وهى طاهرٌ ليس بها بقيَّةُ حيض، ووضعتْه ولا داءَ به استصحبَه من بطنها فلا يَقْبلُ علاجاً، لأنَّ داءَ البطن لا يفارق. ولم تُرضِعْه أُمُّه غيلا، وهو أن تسقيه غَيْلا وهى حُبلى بعد ذلك

وقوله: «وإذا نبذتَ له» إلخ، نبذتُ الشيءَ من يدى، إذا طرحتَه. وروى السكرى: «وإذا قذفت» يعنى أنَّك إذا رميتَه بحصاةٍ وهو نائمٌ وجدته ينتبه انتباهاً من سمع بوقعتها هدَّةً عظيمة، فيطمِر طمورَ الأخيل، وهو الشقِرَّاق. وانتصاب طمور بما دلَّ عليه قوله: «فزعاً لوقْعتها» كأنَّه قال: رأيته يطمِرُ طموره. لأنَّ الخائف المتيقِّظ يفعل ذلك. والطُّمور: الوثب. وقال بعضهم: الأخيل: الشاهين، ومنه قيل تخيَّل الرجل، إذا جَبُنَ عندَ القتال فلم يثبت. والتخيُّل: المضىُّ والسرعة والتلوُّن.

وقوله: «وإذا يهبُّ من المنام» أى يستيقظ. ورأيتَه، أى رأيتُ رُتوبه فحذف المضاف. ورُتوب الكعب: انتصابه وقيامُه. يقول: إذا استيقظ من منامه انتصب انتصابَ كعبِ الساق. وكعب الساق منتصبٌ أبداً فى موضعه. والزُّمَّل بضم الزاى: الضَّعيف النؤُوم.

وقوله : « ما إن يمسُّ الأَرضَ » إلخ . إن زائدة. قال القارى: يقول إذا اضطجع لم يندَلق بَطْنُه ، إنَّما يمسُّ منكبه الأَرض وهو خميص البطن. ولمَّا قال لا يمسُّ الأَرض إلا مَنكبٌ عُلم أنَّه خميص البطن ، فاكتفى بمعناه عن ذكره. يقول : مِنْ ضُمرِ بطنه وخُمْصه إذا اضطجع لا يمسُّ الأَرضَ منه شيءٌ إلاَّ منكبُه . ثم جعله لطيفاً مثل مِحْملٍ فى طَيِّه .

وقوله : « طىّ المِحْمل » يريد حمائل السَّيف ، بكسر الميم الأُولى . أَراد أَنَّه مدمج الخلق كطى المِحمل ، كأَنَّه قال : طُوِىَ طىَّ المحمل . وقال التبريزى : انتصب على المصدر بما دلَّ عليه ما قبله ، لأَنَّه لمَّا قال : يمسُّ الأَرض منه إذا نام جانبُه وحرفُ الساق ، عُلم أَنَّه مطوىٌّ غير سمين . والمعنى إذا نام لا ينبسط على الأَرض ولا يتمكَّن منها بأَعضائه كلِّها حتَّى لا يكاد يتشمَّر عند الانتباه بسرعة .

وهذا البيت أَورده ابن هشام (فى شرح الأَلفية) على أَنَّ طىَّ المحمل نصب بتقدير : يطوى طىَّ المِحمل .

وقوله : « وإذا رميتَ به الفِجاج » إلخ . قال القارى : أَى حملتَه عليها . والفَجّ : الطريق الواسع فى قُبل جبل ونحوه . قال التبريزى : الهُوِىّ بضم الهاء هو القصد إلى أَعلى . وبفتح الهاء إلى أَسفل . وعلى ذلك قول زهير .

* هوىَّ الدَّلو أَسلمَها الرِّشاءُ (١) *

---

(١) صدره فى ديوان زهير ٦٧ :

* فشج بها الأماعز وهى تهوى *

فلا تخيُّر [1] في رواية البيت على الضم ، وإن كان قد قيل غير ذلك . انتهى .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ تَهْوِى إليهم [2] ﴾ من سورة إبراهيم ، على أنَّ تهوى بمعنى تسرع إليهم وتطير شَوقاً . كما في البيت.

والمخارم : جمع مَخرَم كجعفر ، وهو منقطع أنف الجبل . والخَرم : أنف الجبل . والأَجدل : الصَّقر .

وقوله : « وإذا نظرتَ إلى أسرَّة وَجهِه » قال التبريزى : الخطوط التى فى الجبهة الأَغلب عليها سِرار ، وتجمع على الأَسرَّة . والتى فى الكفّ الأَغلب عليها سِرَرٌ وسُرٌّ ، وتجمع على الأَسرار . وقد قيل الأَسرَّة الطرائق. والعارض من السحاب : ما يَعرِض فى جانب من السماءِ . وتهلَّل الرجل مَرَحاً واهتَّل ، إذا افترَّ عنأسنانه فى التبسُّم . يقول : إذا نظرتَ فى وجهه رأَيتَ أَسارير وجهه تُشرق إشراق السحاب المتشقِّق بالبرق . يَصِفُهُ بحُسن البشر وطلاقة الوجه .

٤٧٣

قال السيوطى (فى شرح أبيات المغنى): أخرج أبو نُعيم (فى الدلائل) والخطيب ، وابن عساكر ، بسندٍ حسن عن عائشة قالت :

كنت قاعدةً أغزِل ، والنبىُّ صلى الله عليه وسلم يَخْصِفُ نعله ، فجعل جبينُه يعرَق ، وجعل عرقه يَتولَّد نُورًا ، فبُهِتُّ فقال : مالكِ بُهِتِّ ؟ فقالت : جعلَ جبينُك يعرق ، وجعل عرَقك يتولَّد نوراً ، ولو رآك أَبو كبير الهذلىُّ لعلم أنَّك أَحقُّ بشعره حيث يقول :

---

(١) ط : « فلا تخثر » .

(٢) الآية ١٣٧ من سورة إبراهيم .

* ومبرَّأً أَمِن كلِّ غبَّر حيضةٍ * ... البيت

* وإذا نظرت إلى أَسرَّة وجهه * ... البيت

وقوله : « يحمى الصِّحابَ » إلخ ، العُيَّل ، بضم العين وتشديد المثناة التحتية : جمع عائل ، وهو الفقير .

أبو كبير الهذلى

وأبو كبير الهذلى : شاعرٌ صحابى، اشتهر بكنيته . واسمه عامر بن الحُلَيس ، أَحد بنى سهل بن هذيل . كذا قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) وغيرُه .

والحُليس : مصغر الحِلس ، بكسر الحاءِ المهملة وسكون اللام وآخره سين مهملة . والحلس للبعير : كِساءٌ رقيق يكون تحت البَرْذعة .

وأَبو كبير ، بفتح الكاف وكسر الموحَّدة، على وزن خلاف الصَّغير .

وقد أَورده ابن حجر (فى القسم الأَول من الإصابة) ولم يذكر اسمه فقال : أَبو كبير ، بالموحَّدة ، الهذلى ، ذكره أَبو موسى وقال : ذكر عن أَبى اليقظان أَنَّه أَسلم ثم أَتَى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : أَحِلَّ لىَ الزِّنى . فقال :«أَتحبُّ أَن يؤتَى إليك مثلُ ذلك؟ » قال : لا . قال : « فارضَ لأَخيك ما تَرضَى لِنفسك » . قال : فادعُ الله لى أَن يُذهِبَ عنِّى . انتهى .

* * *

وأَنشد بعده :

(الحافِظُو عَورة العشيرةِ لا يأْتيهمُ من ورائهم وكَفُ)

على أَنَّ الأَصل : الحافظون عورةَ العشيرة ، فحذفت النون تخفيفاً .

وهذا على رواية نصب عورة . وأَمَّا على رواية جرِّها فالنونُ حذفت للإضافة .

وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلا فى الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين[١] .

والوكف ، بفتح الواو والكاف : العيب والعار .

* * *

وأنشد بعده :

(أَبَنِى كُليبٍ إنَّ عمَّى اللَّــذا قَتلاَ الملوكَ وفَكَّكا الأَغلالا)

على أَنَّ أَصله اللذان قتلا الملوك ، فحذفت النون من الموصول تخفيفاً. وتقدَّم الكلام عليه أَيضاً فى الشاهد الثالث والعشرين بعد الأَربعمائة[٢]

* * *

وأنشد بعده :

(وإنَّ الذى حانَتْ بفَلْجٍ دماؤُهم همُ القومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خَالِدِ)

على أَنَّ أَصله إن الذين حانت ، فحذفت النون منه تخفيفاً .

وتقدَّم الكلام عليه أَيضاً فى الشاهد السادس والعشرين بعد الأَربعمائة[٣] .

وحانت : هلكت ، من الحَيْن ، وهو الهلاك . وفلج ، بفتح الفاء وسكون اللام وآخره جيمٌ : موضعٌ فى طريق البصرة .

* * *

٤٧٤ وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٤] :

٦٠٩ (وكَرَّارُ خَلفَ المجْحَرِينَ جوادِهِ
إذا لم يُحَامِ دُونَ أُنثَى حَليلُها)

(١) الخزانة ٤ : ٢٧٢ - ٢٨٣ .
(٢) الخزانة ٦ : ٦ ، ١٣ .
(٣) الخزانة ٦ : ٢٥ ، ٣٤ .
(٤) فى كتابه ١ : ٩٠ . وانظر ديوان الأخطل ٢٤٥ ومعانى الفراء ٢ : ٨١ .

على أنَّه قد فُصل اسم الفاعل المضافُ إلى مفعوله عنه بظرفٍ ، والأَصل : وكرَّارُ جَوادِهِ خلف المُجْحَرين .

وهذه رواية الفراءِ ، قال (فى تفسيره): إذا اعترضت صفةٌ بين خافض وما خَفَض جاز إضافته ، مثل قولك : هذا ضاربُ فى الدار أخيهِ ، ولا يجوز إلَّا فى شعر ، مثل قوله :

مؤخَّرُ عن أنيابه جِلدِ رأْسه فهنَّ كأَشباه الزِّجاج خُروجُ[1]

بخفض جلد . وقال الآخر :

* وكرار دون المجحرين جوادِه * . . . البيت

بخفض جواده .

وزعم الكسائى أنَّهم يُؤْثرون النصب إذا حالوا بين الفعل والمضاف بصفة[2] ، فيقولون : هو ضاربُ فى غير شىءٍ أخاه ، يتوهَّمون إذْ حالوا بينهما[3] أنَّهم نوَّنوا . انتهى .

والصفة عند الكوفيين : الجار والمجرور والظرف .

وتقدَّم نقلُ كلامِ الفراءِ برُمَّته فى الشاهد الحادى والتسعين بعد المائتين[4] .

وأمَّا عند سيبويه فهو مضافٌ إلى خلفِ ، وجوادَه منصوب . وهذا نصُّه :

---

(١) فى معانى الفراء : « لهن » موضع « فهن » .
(٢) فى معانى الفراء : « بين الفعل المضاف بصفة » ، وما هنا صوابه .
(٣) ط : « إذا حالوا » ، وأثبت ما فى ش ومعانى الفراء .
(٤) الخزانة ٤ : ٢٣٤ — ٢٣٥ .

ولا يجوز : يا سارق الليلةِ أهلَ الدار إلَّا فى الشِّعر ، أى بنصب الليلة وجرِّ أهل ، كراهية أن يفصلوا بين الجارِّ والمجرور[١] . وإذا كان منوَّناً ، فهو بمنزلة الفعل الناصب ، تكون الأسماء فيه منفصلة . قال الشمّاخ :

رُبَّ ابنِ عمٍّ لسليمى مُشمَعِلّْ طبَّاخِ ساعاتِ الكرى زادَ الكَسِلْ[٢]

وقال الأخطل :

* وكرار خلف المجحَرين جواده * . . . البيت »

قال الأعلم فى البيت الأوَّل : الشاهد فيه إضافة طباخ إلى ساعات ونصب زادَ على التعدِّى ، والتقدير : طباخ ساعات الكرى ، على تشبيه الساعات بالمفعول به ، لا على الظرف . ولا يجوز الإضافة إليها وهى مقدَّرة على أصلها من الظرف ، لأنَّ الظرف يقدَّر فيه حرف الوعاء ، وهو فى ، والإضافة إلى الحرف غير جائزة ، وإنَّما يضاف إلى الاسم . ولمَّا أضاف الطباخ إلى الساعات على هذا التأويل اتِّساعاً ومجازًا عدَّاه إلى الزاد لأنَّه المفعول به فى الحقيقة . انتهى .

وتقدَّم شرحه فى الشاهد المذكور .

وقال فى البيت الثانى : الشاهد فيه إضافة كرَّار إلى خلف ونصب الجواد ، والقولُ فيه كالبيت الذى قبله ، إلَّا أنَّ الإضافة إلى خلف أضعف، لقلَّة تمكُّنها فى الأسماء . ويجوز فيه من الفصل ما جاز فى الأوَّل ، والأوَّل أجود . انتهى .

---

(١) يعنى المضاف والمضاف إليه .
(٢) ديوان الشماخ ١٠٩ . وقد نسب فيه إلى جبار بن جزء بن ضرار ، ابن أخى الشماخ .

وقال ابن خلف : الشاهد إضافة كرّار إلى خلف وهو ظرف ، فإذا نُصِب نصبَ المفعول به على السَّعة جاز أن يضاف إليه كما يضاف إلى المفعول به ، وهذا هو الوجه . وقد أنشد[١] بعضُهم بجرِّ جواده ، فهذا مثل التفسير الذى فى :

* طباخ ساعاتِ الكرى زاد الكسل *

وهو فى كرّار خلف أحسن ، لأنَّ خلفَ أقل تمكُّنا وأضعف من ساعات. انتهى .

وكرّارُ بالرفع معطوف على عروفٌ فى بيت قبله كما يأْتى . وهو فعَّال من كرَّ الفارس كرًّا من باب قتل ، إذا فرَّ للجَوَلان ثم عاد للقتال . وضمَّنه معنى العطف والدفع ، ولهذا تعدَّى إلى المفعول . والمجحرين[٢] اسم مفعول من أجحره ، بتقديم الجيم على الحاءِ المهملة ، أى ألجأَه إلى أن دَخل جُحرهُ فانجحر ، أى يكرُّ كرًّا كثيراً جوادَه خلف المجحرين ، وهم الملجئون المغشيُّون ، ليحامىَ عنهم ويقاتلَ فى أدبارهم . والجواد : الفرس الكريم . و(لم يحام) : لم يدافع ، بإشباع كسرة الميم للوزن . ودونَ بمعنى أمامَ وقُدَّام . وأراد بالأُنثى أعمَّ مِن الزوجةِ والبنت والأُخت والأُمّ. و (الحليل) : الزَّوج . والحليلة : الزَّوجة ، سمِّيا بذلك لأَنَّ كلَّ واحد منهما يَحلُّ للآخر دون غيره ، أو لأَنَّه يحُلّ من صاحِبه محَلاً لا يحُلُّه غيره . وصَفه بالشَّجاعة والإقدام . يقول : إذا فرَّ الرجال عن نسائهم وأَسلموهنَّ للعدوّ قاتل عنهم وحماهم .

٤٧٥

ورواية البيت فى ديوان الأَخطل كذا :

---

(١) ش : « أنشده » ، مع أثر تغيير .

(٢) ما بعده إلى كلمة « خلف » التالية ساقط من ش .

وكَرَّارُ خلفَ المرهَقين جوادَه حِفاظاً إذا لم يَحْمِ أُنثى حليلُها

و (المرهَق) : اسم مفعول من أرهقته ، إذا أعْسرته وضيَّقت عليه .
وقال السكرى (فى شرح ديوانه) : المُرهق : الذى قد غَشِيه السلاح .
و (الحفاظ) : الحماية ، علّة لقوله كرّار . وإذا ظرفٌ لكرّار .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدة للأَخطل النَّصرانىّ ، مدح بها همّام بن مطرِّف التغلبى . وهذه أَبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

(رأَيتُ قُروم ابنَىْ نزارٍ كليهما إذا خطرت عندَ الإمام فُحولُها
يَرَون لهمَّـام عليهـم فضيـلةً إذا ما قُروم الناس عُدَّت فضولُها
فتى الناسِ هَمَّامٌ وموضعُ بيته برابيةٍ يعـلو الـرَّوابىَ طولُها
فلو كان همَّامٌ من الجنِّ أَصبحت سجودًا له جِنُّ البـلاد وغولُها)

إلى أن قال :

(جوادٌ إذا ما أَمحَلَ الناسُ مُمرعٌ كريمٌ ، لجَوْعات الشِّتاءِ قَتولُها[1]
إذا نائباتُ الدهر شَقَّت عليهم كفاهم أذاها واستُخفَّ ثقيلُها[2]
عَروفٌ لإضعاف المرازئِ مالُه إذا عجَّ منحوتُ الصَّفَاة بَخيلُها[3]
وكرار خلف المرهقين جواده) . . . البيت

القروم : الأَشراف والسادة . وابنا نزار هما ربيعة ومضر . وأَمحلَ النَّاسُ : أَقحطوا . ومُمرِع : ذو خِصْب ونَعْمة . وشَقَّت من المشقّة .

(١) فى الديوان ٢٤٤ : « لجوعات النساء » .
(٢) فى الديوان : « شفت عليهم » بالفاء ، يقال شف عليه ثوبه يشف شفوفاً ، وشفيفاً ، أى رق حتى يرى ما خلفه . وفى الديوان أيضاً : « فاستخف ثقيلها » ، مبدوءاً بالفاء .
(٣) ش : « لأصناف » ، تحريف . وفى الديوان : « لأضعاف » بالهمزة المفتوحة .

والعروف : الصَّبور هنا ، ومبالغة العارف . وإضعاف مصدر أَضعف يضعف ، وهو من الضَّعف ضدِّ القوَّة . والمرازئ: جمع المرزأ، بفتح الميم فيهما ، مصدرٌ بمعنى المصيبة ، وهو حدوث أَمرٍ يَذْهب به المالُ . قال (فى المصباح) : «الرزيَّةُ :المصيبة ، وأَصلها الهمز ، يقال رزأْتُه ترزَؤُه[١] مهموز بفتحتين[٢] ، والاسم الرُّزءُ كقفل . ورزأْته أَنا ، إذا أَصبتَه بمصيبة . وقد يخفَّف فيقال رزَيْته أَرزَاهُ » . وماله فاعل عَروف ، أَى هو عروفٌ مالُه . وعَجَّ : صاح . والصَّفاة ، بالفتح : الصَّخرة . قال السكرىّ: ومنْحوت الصَّفاة : الذى إذا سئل لم يُعطِ ، كما لا يبضُّ الحجر إذا نُحِت .

وقال ابن خلف : المنحوت الذى يؤخذ منه شىءٌ بعد شىءٍ بشدَّة . يقول : هذا الرجل يُعطِى إذا ضجَّ من السؤال الرجلُ الذى يُعطِى اليسير بعد شِدَّة ، ويكون ما يؤخَذ[٣] منه بمنزلة ما ينحت من الصَّخر . وبخيلها يريد بخيل النفس ، فأَضمر .

وترجمة الأَخطل تقدَّمت فى الشاهد الثامن والسبعين[٤] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٥] : ٤٧٦

٦١٠ (هلْ أَنتَ باعثُ دينارٍ لحاجتنا ... أَو عبدَ ربٍّ أَخا عونِ بنِ مخراقِ)

على أَنَّ سيبويه أَنشده بنصب عبد ربّ ، ونصبُه بتقدير اسم الفاعل أَولى من تقدير الفعل ، ليوافق المقدَّر الظاهر .

(١) ط : « ترزأه » ، صوابه فى ش والمصباح . يريد : رزأته المصيبة ترزؤه .
(٢) يريد فتح عين الماضى وفتح عين المضارع .
(٣) ط : « ما يأخذ » ، صوابه فى ش .
(٤) الخزانة ١ : ٤٥٩ - ٤٦٢ .
(٥) فى كتابه ١ : ٨٧ . وانظر المقتضب ٤ : ١٥١ والجمل ٩٩ والعينى ٣ : ٥٦٣ والهمع ٢ : ١٤٥ والأشمونى ٢ : ٣٠١ .

وفيه أَنَّ الأَولَى عند سيبويه تقدير الفعل ، فإنَّه قَبْلَ أَنْ قال : «وزعم عيسى أَنَّهم ينشدون هذا البيتَ بنصب عبد ربٍّ ، قال أَبو الحسن : سمعته من عيسى [1] ـ قال :

وتقول فى هذا الباب : هذا ضاربُ زيدٍ وعمرٍو ، إذا أَشركتَ بين الآخِرِ والأَوَّل فى الجارِّ ، لأَنَّه ليس فى العربية شىءٌ يعمل فى حرف فيمتنع أَن يُشرَك بينه وبين مثله . وإن شئت نصبتَ على المعنى ، تضمر له ناصباً فتقول : هذا ضاربُ زيدٍ وعمرًا ، كأَنه قال : ويضرب عمرًا ، أَو وَضاربٌ عمرًا . انتهى .

وقال ابن خلف : الشاهد فيه نصب عبد ربّ بإضمار فعل ، كأَنه قال : أَو تبعث عبدَ ربّ . ولا يجوز أَن يضمَر إلاَّ الفعل المستقبل ، لأَنَّه مستفهم عنه ، بدليل قوله « هل » . ويجوز أَن ينتصب عبد ربّ بالعطف على موضع دينار ، لأَنَّه مجرورٌ فى اللفظ منصوبٌ فى المعنى . انتهى .

ولم يُصِب الأَعلمُ فى قوله : الشاهد فيه نصب عبد ربّ حملاً على موضع دينار ، لأَنَّ المعنى هل أَنت باعثُ ديناراً أَو عبدَ ربّ . انتهى .

وإلى تقدير الوصف ذهب ابن السرَّاج (فى الأُصول) قال : أَراد بباعث التنوين ، ونصب الثانى لأَنَّه أَعمل فيه الأَوّل ، كأَنه قال : أَو باعث عبد ربّ . ولو جرَّه على ما قبله كان عربيًّا ، إلاَّ أَن الثانىَ كلَّما تباعد من الأَوّل قوىَ النصب . انتهى .

وإلى تقدير الفعل لا غير ذهب الزّجاجىُّ (فى الجمل) .

---

(١) من عيسى ، ساقط من ش . على أن عبارة « قال أبو الحسن : سمعته من عيسى » ليست فى صلب كتاب سيبويه ، وهى بلا ريب من تعليقات الأخفش .

قال ابن هشام اللخمى : الشاهد فيه نصب عبد ربّ بفعل مضمر وهو مذهب سيبويه. وقد خطَّأ بعضُهم الزجَّاجىَّ فى قوله : تنصبه بإضمار فعل ، وقال : لا يحتاج هنا إلى الإضمار ؛ لأَنَّ اسم الفاعل بمعنى الاستقبال وموضع دينار نصب ، فهو معطوفٌ على الموضع ، ولا يُحتاج إلى تكلُّف إضمار ، وإنَّما يُحتاج إلى تكلُّف الإضمار إذا كان اسم الفاعل بمعنى المضىِّ لأَنَّ إضافته إضافة محضة لا يُنوَى بها الانفصال . والذى قال الزجَّاجىُّ هو الذى قال سيبويه ، وتمثيلُه يشهد لما قلناه ، وإن كان جائزًا أن يعطف عبد رب على موضع دينار ، ولكنَّ ما قدَّمنا هو الذى نصَّ عليه سيبويه .

والدليل على أَنَّ المراد بباعثُ فى البيت الاستقبالَ دخولُ هل ، لأَنَّ الاستفهام أَكثر ما يقع عمَّا يكون فى الاستقبال ، وإن كان قد يستفهم عمَّا مضى ، كقولك : هل قام زيد ؟ لكنَّه لا يكون إلاَّ بدليل . والأَصل ما قدَّمنا . انتهى .

وقد نقل العينىُّ كلام اللخمى برُمَّته ولم يعزُه إليه .

والبيت أَورده الزَّمخشرىّ ، عند قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَنتم مُجتمِعُون [1] ﴾ قال : هو استبطاءٌ لهم فى الاجتماع ، وحثٌّ على مبادرتهم إليه ، كما يقول الرجل لغلامه إذا أَراد أَن يحثَّه على الانطلاق : هل أَنت منطلق ؟ وهل أَنت باعثٌ دينارًا ، أَى ابعثْه سريعاً ولا تبطئْ به .

قال ابن خلف : ومعنى باعث موقظ ، كأَنَّه قال : أَوقظْ ديناراً [2] أَو عبدَ ربّ . وهما رجلان .

---

(١) الآية ٣٩ من سورة الشعراء .
(٢) كذا وردت فى النسختين ، والمعروف « أيقظ » بالياء .

وقال اللخميّ : باعث هنا بمعنى مرسل ، كما قال تعالى : ﴿ فابعَثُوا أَحدَكُم بوَرِقِكم هذِهِ إلى المدينة[١] ﴾ . وقد يكون بمعنى الإيقاظ : كقوله تعالى : ﴿ من بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا[٢] ﴾ . غير أنَّ الأَحسن هنا أن يكون بمعنى الإرسال ، إذ لا دليل على النَّوم في البيت . ٤٧٧

قال الأَعلم : يحتمل دينار هنا وجهين : أَحدهما أَن يكون أَراد أَحد الدنانير ، وأَن يكون أَراد رجلاً يقال له دينار .

وكذا قال اللخمي : دينار وعبد ربٍّ : رجُلان ، وقيل : أَراد بدينار واحدَ الدَّنَانير ، كما قال بعض الشعراء :

إذا كنْتَ فى حاجةٍ مرسلاً وأَنت بهـا كلفٌ مغـرَمُ
فأَرسلْ حكيمـاً ولا تُوصِه وذاك الحكيمُ هو الدِّرهمُ[٣]

وقال ابن خلف : عبد ربّ الاسمُ إنَّما هو ربِّه ، لكنه تركَ الإضافة وهو يريدها . وأَخا عون : وصف لعبد رب . ويجوز : أَوْ عبدِ ربٍّ أَخي ، بالجرِّ . وزعم عيسى بن عمر أَنَّه سمع العرب تنشده منصوباً .

وقال العينى : أَخا عون بدل من عبد رب ، بدل الشيء من الشيْ ، وهما لعين واحدة .

وقال خضْرٌ الموصليّ : أَخاعون إمَّا عطف بيان لعبد ربِّه أَو نعتٌ له على رواية النصب ، أَو منادًى عليهما . انتهى .

---

(١) الآية ١٩ من سورة الكهف .

(٢) الآية ٥٢ من سورة يس .

(٣) أى الحكيم مستغن بحكمته عن الوصية . ويقال فى أمثالهم أيضاً : « أرسل حكيما وأوصه » ، أى إنه وإن كان حكيما فإنه يحتاج إلى معرفة غرضك . الميدانى ١ : ٢٧٧ والمستقصى للزمخشرى ١ : ١٤٠ . والبيتان لابن فارس صاحب المقاييس فى ترجمته فى معجم الأدباء ٤ : ٨٧ والثعالبى ، وابن خلكان ، واليافعى ، وابن العماد . وانظر حواشى المقاييس ١ : ١٣ من مقدمة الناشر .

وعلى النداءِ يكون أَخا عون هو المخاطَب فى قوله : هل أَنت . وكأَنَّ هذا الوجْهَ لبعض من شرح الكشَّاف . ولم أَر لخضرٍ الموصليِّ فى تـأْليفه بنتَ فكر . والله أَعلم .

و (مخراق) بكسر الميم وسكون الخاءِ المعجمة : اسم .

والبيت من أَبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف قائلها . وقال ابن خلف : وقيل هو لجابر بن رأَلان السِّنبِسى . وسِنبس : أَبو حىّ من طيِّىءٍ .

ونسبه غير خدَمة سيبويه إِلى جرير ، وإِلى تـأَبط شرًّا ، وإِلى أَنَّه مصنوع . والله أَعلم بالحال .

اسم المفعول

أنشد فيه :

(أَدنُو فأَنظُورُ[١])

هو قطعةُ بيتٍ تقدَّم شرحه فى باب الإعراب من أوّل الكتاب ، وهو :

(وأَنَّنى حيثُما يَثْنِى الْهَوَى بَصَرِى
من حيثُما سلكُوا أدنُو فأَنظُورُ)

الصفة المشبهة

أَنشد فيها :

(أَقامتْعلى ربعيهما جارتَا صفاً كُميتا الأَعالى جَونتا مُصْطَلاهُما)

تقدَّم شرحُه بما لا مزيد عليه فى الشاهد الموفى الثلثمائة[٢] .

* * *

وأَنشد بعده :

(روانفُ أَليتيكَ وتُستَطارا)

هذا عجز ، وصدره :

(متَى ما تَلقَنِى فردَيْنِ ترجُفْ)

والروانف : جمع رانفة ، وهى طرف الأَلية ، فالأَليتان لهما رانفتان. وإنَّما قال روانف باعتبار ما حولَ كلِّ رانفة ، فتكون الأَلف فى تستَطارا ضمير الرَّوانف ؛ لأَنَّها بمعنى رانفتين .

وهذا قولُ أَبى على (فى المسائل البصرية) .

---

(١) الشاهد الحادى عشر فى الخزانة ١ : ١٢١ - ١٢٢ .
(٢) الخزانة ٤ : ٢٩٣ - ٣٠٣ .

وقد تقدَّم شَرح هذا البيت أَيضاً مستوفى مفصَّلاً فى الشاهد التاسع والستين بعد الخمسمائة من شواهد باب المثنى[1] .

* * *

٤٧٨

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الستمائة[2] :

٦١١ (أنعتُها إِنِّىَ من نُعَّاتِها كُومَ الذُّرى وادقةً سُرَّاتِها)

على أنوادقة صفة مشبهة ، وفاعلها ضمير مستتر فيها . و (سُرَّاتها) منصوب بالكسرة على التشبيه بالمفعول للصِّفة المشبَّهة .

قال أَبو على (فى المسائل البصرية) : أنشد الفرَّاءُ عن الكسائى ، وقد رويناه عن ثعلب عنه (فى نوادر ابن الأَعرابى) :

أَنعتُها إِنِّى من نُعَّاتِها مُدارةَ الأَخفافِ مُجمراتِها
غُلبَ الذَّفارَى وعَفَرْنَيَاتِها كُومَ الذُّرى وادقةً سُرَّاتِها

قال أَبو على : هذا على : هند حسنةٌ وجهَها . فوادقة ذكرٌ من الإبل وليست للسُّرَّاتِ . فافهم . انتهى .

وعدَّ ابن عصفور هذا من ضرورة الشعر ، قال (فى كتاب الضرائر) : ومنه نصب معمول الصِّفة المشبهة باسم الفاعل فى حال إضافته إلى ضمير موصوفها ، نحو قولك : مررت برجل حسنٍ وجهَه بنصب الوجه ، ولا يجوز ذلك إلَّا فى ضرورة نحو قوله :

أَنعتُها إِنِّىَ من نُعَّاتِها كُومَ الذُّرى وادقةً سُرَّاتِها

---

(١) الخزانة ٧ : ٥٠٧-٥٢١ .
(٢) ابن يعيش ٦ : ٨٣ ، ٨٨ والمقرب ٢٨ والضرائر ٢٨٦ والعينى ٣ : ٥٨٣ والدرر اللوامع ٢ : ١٣٥ عرضاً والأشمونى ٣ : ١١ والأصمعيات ٣٤ .

ألا ترى أنَّه قد نوَّن وادقة ونصب معمولها وهى مضافة إلى ضمير موصوفها ، وكان الوجه أن ترفع السُّرَّات[١] ، إلاَّ أنَّه اضطُرَّ إلى استعمال النصب بدل الرفع ، فحمَّل الصفة ضميراً مرفوعاً عائدًا على صاحب الصفة ، ونصب معمول الصِّفة إجراءً له فى حال إضافته إلى ضمير الموصوف مُجراه إذا لم يكن مضافاً إليه . وكذلك أيضاً لا يجوز خفض معمولها فى حال إضافته إلى ضمير الموصوف إلاَّ عند الاضطرار ؛ لأنَّ الخفض لا يكون إلاَّ من نَصْب . ومن ذلك قولُ الأعشى :

فقلتُ له هذه هاتِها إلينا بأَدماءِ مقتادِها[٢]

ألا ترى أنَّه أضاف الصِّفة ، وهى أدماءُ ، إلى معمولها وهو مقتاد فى حال إضافته إلى ضمير موصوفِه . وقولُ الآخر فى الصَّحيح من القولين :

أقامتْ على ربعيهما جارتَا صَفاً
كُميتَا الأعالى جَونتَا مُصطلاهما[٣]

ألا ترى أنَّه أضاف الصفة وهى جونتا إلى معمولها وهو مُصطلًى فى حال إضافته إلى ضمير موصوفه . انتهى .

ونقل ابنُ الناظم (فى شرح الألفيَّة) عن سيبويه أنَّ الجرَّ فى هذا النحو من الضرورات ، وأنَّ النصب من القِسْم الضعيف . وأنشد البيت. ولم يصب العينىُّ فى قوله : الاستشهادُ عند ابن الناظم فى نصب سُرَّاتِها ، لأنَّ فيه شاهدًا على جواز زيد حسنٌ وجهَه بالنصب . انتهى .

---

(١) ط : « السراة » ، خطأ كتابى ، صوابه فى ش والضرائر .
(٢) ديوان الأعشى ٥١ . والرواية فيه :
* بأدماء فى حبل مقتادها *
(٣) للشماخ فى ديوانه ٨٦ . وانظر الخزانة ٤ : ٢٩٣ وهو الشاهد الموفى الثلاثمائة .

وقال بعض فضلاءِ العجم (فى شرح أبيات المفصل): قوله وادقة سرَّاتِها نظير حسن وجهَه . وسُرَّاتها بالكسر فى مَوْضع النصب على التمييز . انتهى .

وهذا إنَّما هو على مذهب الكوفيِّين ، والبصريون يقولون: منصوب على التشبيه بالمفعول .

ثم نقل عن صاحب المقتبس أنَّ عبد القاهر قال : الأَصل وادقة السُّرَّات[1] ، فنابت الإضافة عن اللام كما تنوب اللام عن الإضافة . انتهى .

ولا يخفى أَنَّ المعهود عند النحاة هو الثانى لا الأَوَّل .

٤٧٩ [قال[2]] : والرجز المذكور أنشده ابن الأَعرابى (فى نوادره) على ذلك الترتيب . وبعد البيت الشاهد :

* حَمَّلت أَثقالى مصمِّماتِها *

ثم سبعة أَبيات أُخر لا حاجة لنا بإيرادها . وإنَّما جمعوا فى الاستشهاد بين البيت الأَوَّل والبيت الرابع للاختصار ، ولظهور المعنى إجمالاً .

وقوله : (أَنعتُها) إلخ، الضمير للإبل، فإنَّ النعوت الآتية إنَّما هى لها. نَعَتَه نعتاً من باب نفع : وصفَه .و (نُعَّات) بالضم والتشديد :جمع ناعت .

وقوله : « مُدارة الأَخفاف » منصوب بتقدير أَعنى ونحوِه على المدح ، وكذا الحالُ فى الأَوصاف الآتية . والمعنى أَنَّ أَخفافها مدوَّرة . مُجْمراتها ، أَى مجمرات الأَخفاف . والمُجمَر بضم الميم وسكون الجيم

---

(١) ط : « السراة » ، تحريف .
(٢) التكملة من ش .

وفتح الميم الثانية قال صاحب الصحاح [١] : حافر مُجْمَر ، أى صلب .

وقوله : «غُلب» إلخ الغَلَبُ بفتح الغين المعجمة واللام : غِلظُ الرَّقبة ، والوصف أغلب والجمع غُلْب . والذَّفارَى ، بفتح الذال المعجمة بعدها فاءٌ آخره ألف مقصورةٌ : جمع ذِفرى بكسر الأَوَّل وسكون الثانى والقصر ، قال صاحب الصحاح [٢] : الذِّفرَى من القفا هو الموضع الذى يعرق من البعير خلفَ الأُذن ، والألف للتأْنيث وقيل للإلحاق بدرهم .وأراد بالذِّفرى العُنق ، من قبيل المجاز المرسل. وعَفَرْنَياتها : جمع عَفَرْناة بفتح العين المهملة والفاء وسكون الراء والنون ، والألف للإلحاق بسفرجل ، والتاءُ للتأْنيث . قال صاحب الصحاح : وناقة عَفَرْناة أى قويَّة . وأنشد هذا البيت .

وقوله : (كُومَ الذُّرى) منصوب على المدح كالذى قبله كما تقدَّم. وهو بضمِّ الكاف: جمع كَوماءَ بفتحها وبالمدِّ ، وهى الناقة العظيمة السَّنام. والذُّرى بضم الذال: جمع ذِروة بكسرها [٣] ، وهى أعلى السَّنام. و(وادقةً) منصوب أيضاً ، من ودق ، إذا دنا ، لأَنَّها إذا سمنت دنَتْ إلى الأَرض من سِمَنها . يقال بعيرٌ وديق السُّرَّة ، أى سمينها . ووادقة صفة مشبَّهة ، لأنَّه أُريد به ثبات معناه ودوامُه ، وإن كان بزنة اسم الفاعل الموازن يفعل ، لأَنَّه لا يراد به تجدُّد معناه وانقطاعُه . وقال الخوارزمى: ودَق : دنا ، والمراد به السِّمَن ههنا ، لأَنَّها متى سمنت خرجت من السِّمَن سُرَّتُها ودنت إليك . وسُرَّاتها بضم السين وتشديد الراء: جمع سُرّة ، وهى موضعُ ما تقطعه القابلة من الولد .

---

(١) الكلام بعده إلى « صاحب الصحاح » الثانية ساقط من ش .
(٢) هنا ينتهى السقط الذى نبهت عليه .
(٣) الحق أنها بكسر الذال وضمها أيضاً ، كما فى المعاجم .

قال التبريزى (فى شرح الكافية الحاجبيَّة) بعد إيراد هذا البيت :
ولا يجوز تقديم المنصوب على العامل لأنَّه مرفوع فى المعنى . ويجوز فى هذه المسألة وفى مررت بزيد الحسنِ وجهَه، بنصب وجهه ، أن تُثنَّى[١] الصفة فيهما وتجمعَ وتؤنَّث وتذكَّر ، بحسب المعنى . انتهى .

وقوله : «حمَّلتُ» إلخ ، هو بتشديد الميم يتعدَّى إلى مفعولين ، الأوّل أثقالى وهو جمع ثَقَل بفتحتين ، وهو المتَاع، كسَبَبَ وأسباب . والثانى : مصمِّماتها ، جمع مصمِّمة، بكسر الميم المشدَّدة ، من صمَّم فى الأمر ، إذا مضى فيه .

وجميع القوافى ما عدا الأُولى منصوبة بالكسرة ، لأنَّها جمع مؤنث سالم .

والزَّمخشرى إنما أوردَ البيت الشاهد . وزعَم بعضُ شرّاح أبياته من فضلاءِ العجم أنَّه عجز ، وصدره :

* رعَتْ كما شاءَت على غِرَّاتها *

وقال : الغِرَّة بالكسرِ: الغفْلة . وكومُ الذرى بالرفع : فاعل رعَتْ. وهذا من عدم تمييزه بين الرجز والشِّعر ، مع أنَّ الذى ضَمَّه ليس من الرجز[٢] .

وهذا الرجز لم ينسُبه ابن الأَعرابى إلى أحد ، وإنما قَال : هو لبعض الأَسديِّينَ يصف إبلاً . وقال العينى :قائله عُميربن لَحَا ،بالحاءالمهملة ،التيمى. ٤٨٠

(١) ش : « يثنى »
(٢) يعنى بالذى ضمه السبعة الأبيات التى أشار إليها البغدادى فى ص٢٢٣ بقوله « ثم سبعة أبيات أخر لا حاجة لنا بإيرادها » . وقد ظن مصحح طبعة بولاق أن البغدادى يشير إلى الشطر الأخير هنا وهو « رعت كما شاءت على غراتها » . وقال معترضاً « بل هو رجز كما هو ظاهر » . فأخطأ هو فى تخطئته للبغدادى .

ولم أَعرفْ شاعراً كذا ، وإنَّما المعروف عُمَر[1] بن لجإٍ التَّيْمىّ . وعُمَر[2] مكبَّر لا مصغَّر . ولجأٌ بفتح اللام والجيم مهموز الآخِر . والله أَعلم بحقيقة الأَمر .

والبيت الذى أَنشده ابن عُصفور لأَعشى بكر إنَّما الرواية فيه :

فقلتُ له هذهِ هاتِها بأَدماءَ فى حبل مُقتادها

فلا ضرورة فيه . وقبله :

فقمنا ولمَّا يصِحْ دِيكنا إلى جَوْنةٍ عند حدَّادِها

ويعنى بالحدَّاد الخمّار ، لأَنَّه يَمنع من الخمر ويَحفظها . وكلُّ من حفظ شيئاً ومَنَع منه فهو حدَّاد . وهذه إشارة إلى الجَوْنة المذكورة ، وهى الخابية ، جعلها جَوْنة لاسْوِدادها من القار . والمعنى : هات هذه الخابية وخُذْ هذه الناقةَ الأَدماء ، أَى البيضاء ، بحَبل قائدها . والأُدْمة فى الإبل: البياض، وفى الناس: السُّمرة ، وفى الظباء : سمرةٌ فى ظهورها وبياضٌ فى بطونها . وضمير له للحدَّاد . وبأَدماءَ حال ، كأَنَّه قال : مشتراة بأَدماءَ . وفى حبل صفة لأَدماء ، كأَنه قال : بأَدماء مشدودة فى حبل قائدها ، أَو خبر لمبتدإٍ محذوف ،أَى وهى فى حبل قائدها، والجملة حال . والجَوْنة بفتح الجيم ، معناه السوداءُ .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[3] :

---

(١) ط : « عمرو » ، صوابه فى ش . وقد تقدمت ترجمته فى ٢ : ٢٩٩ — ٣٠٢ . وانظر الشعر والشعراء ٦٨٠ — ٦٨١ .
(٢) ط : « وعمرو » ، صوابه فى ش .
(٣) فى كتابه ١ : ١٠٣ . وانظر العينى ٣ : ٦١٧ وديوان رؤبة ١٥ .

٦١٢ (الحَزْنُ باباً والعَقُورُ كَلْبَا)

على أنّه كناية عن البخل ، كما أن جبان الكلب كناية عن الجود.

وأنشده سيبويه على أنَّ نصب باب وكلب على حَدّ الحسن وجهاً .

صاحب الرجز

والبيت من رجز لرؤبة بن العجاج . وقبله :

* فذاك وخْمٌ لا يبالى السَّبَّا *

والوخْم : الثقيل . يقول : ذاك من الرجال وخمٌ ثقيل لا يرتاح لفعل المكارم ، ولا يَهشُّ للجود ، ولا يبالى أن يُسَبَّ ، ويرى المال أحَبَّ إليه من عِرضه .

و(الحزن) بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى : صفة مشبَّهة ، وهو خلاف السَّهل . وكذلك (العقور) صفة مشبهة . قال الأزهرى : الكلب العقور : هو كلُّ كلب يَعقِر ، من الأَسَد والفَهْد والنَّمر والذئب . يقال عَقَر الناسَ عقراً، من باب ضرب ، أى جرحهم ، فهو عقور، والجمع عُقُرٌ مثل رسول ورُسُل . و (باباً) و (كلباً) تمييزان .

وصف رؤبة رجلاً بشدَّة الحجاب ومنْع الضَّيف ، فجعل بابه حزناً وثيقاً لا يُستطاع فتحه ، وكلبَه عقورًا لمنْ حلَّ بفنائه طالباً لمعروفِهِ . يقول : إنَّ من أتاه لقِيَ قبل الوصول إليه مايكره من حاجب أو بوّابٍ أو صاحب . وجعل له كلباً على طريق الاستعارة ، كما يكون فى البادية .

وترجمة رؤبة تقدَّمت فى الشاهد الخامس من أول الكتاب[١] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٨٩ - ٩٣ .

وأنشد بعده :

(لحافِى لحافُ الضَّيف والبُرد برْدُه)

على أنَّ اللام فى قوله و « البرد » بدل من الضمير، والتقدير : وبردى برده .

وهذا صدرٌ وعجزه :

(ولم يُلهنى عنه غزالٌ مقنَّعُ)

وقد تقدَّم شرحه فى الشاهد الثالث والتسعين بعد المائتين[١] .

* * *

وأنشد بعده :

(رحيبُ قِطابُ الجيبِ منها)

تمامه :

(. . . . . رفيقةٌ بجسِّ الندامى بَضَّة المتجرَّدِ)

على أن رحيبٌ مضاف إلى قطاب ، وقطاب مضاف إلى الجيب .

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الحادى بعد الثلثمائة من باب الإضافة[٢] .

والرِّواية الصحيحة تنوين رحيبٌ ورفع قِطابُ على الفاعلية . وضمير منها لقَيْنَة فى بيت قبله .

و (الرحيب): الواسع . و (قِطاب الجَيْب) : مجتَمَعُه حيث قُطِب، أى جُمِع ، وهو مَخرج الرأس من الثَّوبِ . وإنَّما وصف قطاب جيبها بالسَّعة لأَنَّها كانت توسِّعه ليبدوَ صدرُها فيُنظَر إليه ويُتلذَّذ به . ورفيقة

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٥١ - ٢٥٥ .
(٢) الخزانة ٤ : ٣٠٣ - ٣٠٧ .

بالفاء ثم القاف : الملائمة والليِّنة . (والجَسُّ) بفتح الجيم : اللمس . و (بضَّة) : ناعمة رقيقة. والمراد بالمتجرِّدِ حيث يتجرَّد من بدنها، أى يُعَرَّى من الثوب ، وهو الأطراف . وخصَّه بالذكر مبالغةً فى نعومتها ، لأَنَّه إذا كان ما تصيبه الرِّيحُ والشمس والبرد من اليدين والرجلينِ بَضًّا ناعمًا رقيقًا، كان المستتر بالثياب أَشدَّ بضاضة ونعومة . وهذا هو المعنى الجيِّد بخلاف ما أسلفناه هناك تبعاً لشرَّاح المعلقات ، وهو قولنا المتجرَّد : ما ستره الثياب من الجسَد، أى هى بضَّة الجسم عند التجريد من ثيابها . ولا يخفى ضعفه وركاكته . وهذا المعنى لاحَ لنا والله الحمد.

والبيت من معلَّقة طرَفة بن العبد ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[1] .

---

(١) الخزانة ٢ : ٤١٩ - ٤٢٥ .

أفعل التفضيل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالثَ عَشرَ بعد السمّائة[١] :

(أَبيضُ من أُختِ بنى أَبَاضِ)

على أَنَّ الكوفيِّين أَجازوا بناءَ أفعل التفضيل من لفظَىِ السَّواد والبياض كما هنا ، وهو شاذٌ عند البصريين .

قال شارح اللباب : أَجاز الكوفيون التعجُّب من السَّواد والبياض لأَنَّهما أُصول الأَلوان . وأَنشدوا :

إذا الرجالُ شتَوْا واشتدَّ أُكلهمُ فأَنتَ أَبيضهُم سِربالَ طبَّاخِ[٢]

وأَنشدوا أَيضاً :

جاريةٌ فى دِرعها الفَضْفاضِ أَبيضُ من أُختِ بنى أَباضِ

وجاءَ فى شعر المتنبى :

* لأَنْتَ أَسودُ فى عينى من الظُّلَمِ[٣] *

وقالوا : لمَّا جاءَ منهما أَفعل التفضيل جاءَ بناءُ التعجب . والاستشهادات ضعيفة ، لأَنَّها من ضرورة الشعر لا فى سَعَة الكلام ، فيكون نادرًا .

---

(١) أمالى المرتضى ٢ : ٣١٧ والإنصاف ١٤٩ والجمل ١١٥ وابن يعيش ٦ : ٩٣ / ٧ : ١٤٧ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٦ .

(٢) لطرفة بن العبد فى ديوانه ١٥ . وانظر معجم الشواهد .

(٣) من قصيدته التى مطلعها فى الديوان ٢ : ٣٠٠ :

ضيف ألم برأسى غير محتشم والسيف أحسن فعلا منه باللمم

وهو التالى لهذا المطلع . وصدره :

* أبعد بعدت بياضاً لا بياض له *

والبيت هو الشاهد ٦١٤ فيما سيأتى .

وقولهم : إنَّهما أَصلان للأَلوان ممنوع ، وبعد تسليمه فدليلُ المنع قائمٌ فيهما وإن كانا من أُصول الأَلوان .

وقال أيضاً فى آخر الكتاب : هذه الأَبيات ليست بحجَّة للشُّذوذ ، مع أَنَّه يحتمل أن يكون أَبيض فى البيتين أَفعل الذى مؤنثه فعلاء ، فلا يكون للتفضيل ، فكأَنَّه قال : أَنت مبيضُّهم . وانتصب سربال على التمييز . وكذا البيت الآخَر لا يكون بالتفضيل[1] أيضاً ، بل معناه مبيضَّة هى من أُخت بنى أَباض . انتهى .

٤٨٢ وهذا محصَّل كلام ابن الأَنبارى (فى مسائل الخلاف) وقال : الأَبيات ضرورة ، أَو أَبيض فيهما أَفعل الذى مؤنثه فعلاءُ ، لا الذى يراد به المفاضلة ، فكأَنَّه قيل فى الأَول : مبيضُّهم ، وفى الثانى : جسَدٌ مبيضٌ من أُخت بنى أَباض ، ويكون من أُخت فى موضع الصفة[2] .

وقال ابن يعيش (فى باب التعجب) : فإن قيل : لو كان الأَمر كما قلتم لقيل بيضاءُ ، لأَنَّه من صفة الجارية . قيل : إنَّما قال أَبيض لأَنَّه أَراد فى درعها الفضفاض جسدٌ أَبيض ، فارتفاعه بالابتداء ، والجارّ والمجرور قبله الخبر ، والجملة من صفة الجارية . انتهى .

وكذا صنيع الشريف المرتضى (فى أَماليه الغرر والدرر) وزاد فى البيت الأَوَّل أَنَّ أَبيض وإن كان فى الظاهر عبارةً عن اللَّون فهو فى المعنى كناية عن اللُّؤم والبُخل ، فحمل لفظ التعجُّب على المعنى دون

---

(١) ش : « للتفضيل » .

(٢) فى الإنصاف : « ويكون من أخت هنا فى موضع رفع ، لأنها صفة لأبيض ، كأنه قال : أبيض كائن من أخت ، كقولهم : أنت كريم من بنى فلان » .

اللفظ . ولو أنّه أراد بـأبيضهم بياضَ الثّوب ونقاءَهُ على الحقيقة لما جاز أن يتعجَّب بلفظ أفعل . فالذى جوَّز تعجُّبه بهذه اللفظة ما ذكرناه .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ البياض لم يُستعمل قطُّ فى اللؤم والبخل ، وإنّما استعماله فى المدح ، وإنّما كان هنا ذمًّا بالنسبة إلى الطبَّاخ . والكلمة فى البيت أفعل تفضيل لا تعجُّب. وهذا ظاهر. ولما كان الظاهر باقتضاء المعنى أنَّ أفعل فى الأبيات الثلاثة للتفضيل لم يتعسَّف الشارح المحقق فى تأويلها بإخراجها عن التفضيل ، بل أجاب بأنَّها من قبيل الشُّذوذ وضرورة الشِّعر . فللَّه دَرُّه ما أبعد مرماه ، وما أحكم مغزاه !

وأغرب ما رأيته قولُ بعضهم : شبَّه كثرة أولادها لغيرِ رِشدةٍ بالبَيْض . وأبيضُ بمعنى كثيرِ البيض جائزٌ . هذا كلامُه ولا وجه له .

وقال ابن يعيش (فى باب أفعل التفضيل) : من اعتلَّ بأنَّ المانع من التعجُّب من الألوان أنَّها معانٍ لازمة كالأعضاء الثابتة ، نحو اليَدِ والرجل ، فهذان البيتان شاذَّان قياساً واستعمالاً عنده . ومنَ علَّل بأنَّ المانع من التعجُّب كونُ أفعالها زائدة ، فهما شاذَّان عند سيبويه وأصحابِه من جهة القياس والاستعمال . أمَّا القياس فإن أفعالها ليست ثلاثيَّة على فعَلَ ولا على أفعل ، إنّما هو افعلَّ وافعالَّ . وأما الاستعمال فأمره ظاهر . وأمَّا عند أبى الحسن الأخفش والمبرِّد فإنَّهما ونحوَهما شاذَّانِ من جهة الاستعمال ، صحيحان من جهة القياس ، لأنَّ أفعالهما بزيادة ، فجاز تقدير حذف الزوائد . انتهى .

صاحب الشاهد

قال ابن هشام اللخميُّ (فى شرح أبيات الجمل) : البيت الشاهد من رجز لرؤبة بنَ العجَّاج . وقبله :

لقد أتى فى رمضانَ الماضى جاريةٌ فى دِرعها الفَضفاضِ
تُقَطِّعُ الحديثَ بالإيماض أبيضُ من أُخت بنى أباضِ

قال : كذا أنشده ابن جنى . انتهى .

ولم أره فى ديوانه . ورأيت (فى نوادر ابن الأعرابىِّ) ، ولم ينسبه إلى أحد :

ياليتَنى مثلُكِ فى البياضِ أبيضُ من أُخت بنى أباضِ
جاريةٌ فى رمضَانَ الماضى تُقطِّعُ الحديثَ بالإيماضِ

قال ابن السِّيد واللخمى : وزاد غير ابن الأعرابى على هذا :

٤٨٣ مثلُ الغزال زينَ بالخِضَاضِ قَبَّاءُ ذات كَفَلٍ رضراضِ

قال ابن الأعرابى بعد الإنشاد : إذا أومضَتْ تركُوا حديثَهم ونظَروا إليها من حُسْنها . وقوله « فى رمضان الماضى » كان الربيع جمَعَهم فى ذلك الوقت .

وأورده الفراءُ (فى كتاب الأيَّام والليالى) شاهدًا على أنه يقال رمضان بدون شهر ، كما يقال معه .

وقال أبو عُمر الزاهد المطرِّزى ، الشهير بغلام ثعلب (فى كتاب اليوم والليلة) بعد إنشاد الأبيات عن ابن الأعرابى وعن الفراء ، قالا : يقال هذا شهر رمضان ، وهذا رمضان ، بلا شهر . وأنشد فيمن قال بلا شهر :

* جاريةٌ فى رَمضانَ الماضى *

وأخبرنا ثعلب عن سَلمة عن الفرَّاء عن الكسائى ، قال : كان

الرُّؤاسيُّ يكره أن يُجمَع رمضان ، ويقول : بلغني أنه اسمٌ من أسماء الله تعالى . انتهى .

وقال اللَّخمى : قال أبو عمرو : والعرب تركوا الشُّهور كلَّها مجرّدةً إلا شهر ربيع وشهر رمضان. ويَرِدُ عليه أنَّ رؤبة أتى برمضان هنا مجرَّداً من الشَّهر ، وهو من فُصَحاء العرب . وجاء فى الحديث الصحيح : « من صامَ رمضان إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه[1] » . ولكنَّ إثبات الشهرِ أفصح ، كما نطق به القرآن . انتهى .

والدِّرع : القميص . والفضفاض : الواسع . و (أُخت بنى أباض) بفتح الهمزة بعدها موحَّدة، قال اللخميُّ : معروفة بالبياض . وقال ابن السِّيد : وبنو أَباضٍ قوم . والخضاض بكسر المعجمة[2] : اليسير من الحَلْى وقيل هو نوعٌ منه . قال الشاعر :

ولو أَشرفَت من كُفَّة السِّترِ عاطلاً
لقُلتَ : غزالٌ ما عليه خِضاضُ[3]

والقبَّاءُ : الضامرة البطن ، فَعْلاءُ من القبَب ، وهو دقَّة الخَصْر . والرضراض ، بالفتح : الكثير اللحم :

وقوله : « تقطِّع الحديث » . إلخ أورده ابن هشام (فى المغنى) مع قوله :

* جارية فى رمضان المـــاضى *

(١) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . الجامع الصغير ٨٧٧٥ .

(٢) ضبط فى القاموس كسحاب . ونحوه فى اللسان .

(٣) بدون نسبة فى تهذيب اللغة ٦ : ١٦٥ / ٦ : ٥٤٩ واللسان (خضض ، عطل) . وهو من إنشاد القنانى . وفى ط : « لو أشرقت » بالخرم وبالقاف ، صوابه فى ش والتهذيب واللسان .

وقال : إنّ تقطّع حكايةٌ للحالِ الماضية . وقال الفراءُ : إنَّها إذا تبسَّمت وكان الناس علىحديثٍ قطعوا حديثَهم ونظروا إلى حُسن ثغرها . وكذلك قال ابن السِّيد : الإيماض ما يبدو من بياض أسنانها عند الضَّحك والابتسامِ . وشبَّهه بوميض البرق . وقد بيَّن ذلك ذو الرمة بقوله :

وتَبْسَمُ لمحَ البرقِ عن متوضِّحٍ
كَلونِ الأَقاحِى شافَ ألوانَه القَطْرُ(١)

وقال آخر :

كأَنَّ وميضَ البرقِ بينى وبينهـا
إذا حـانَ من بعض البُيـوت ، ابتسامُها(٢)

وقال اللَّخمى : معنى الإيماض أَنَّهم إذا تحدَّثوا فأَومضَتْ إليهم ، أى نظرتْ ، شغلهم حسنُ عينيها فقطَّعوا حديثهم . وقيل : الإيماض هنا التبسُّم . شبَّه ابتسامَها بوميض البرق فى لمعانه ، فيكون معناه كمعنى القول الأوَّل . ويحتمل أن تكون هى المحدِّثة وأنَّها تقطِّع حديثها بالتبسُّم . يصفها بطلاقةالوجه وسَماحة الخلق ، كما قال ذو الرمة :

يُقطِّع موضوعَ الحديث ابتسامُها تقطُّعَ ماءِ المزن فى نُزَفِ الخمرِ(٣)

واقتصر الدَّمامينى (فىالحاشية الهندية) فى تفسير الإيماض على

---

(١) فى الديوان ٢١٣ : « كنور الأقاحى شاف ألوانها القطر » . شافه : جلاه .

(٢) نحوه قول ذى الرمة فى ديوانه ٦٤٢ :

أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة شموس كإيماض الغمام ابتسامهـا

(٣) الموضوع : الخافت المنخفض . والنزف : القليل من الماء والخمر ، واحدته نزفة بالضم . ط : « ترف » بالتاء ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، والديوان ٢٦٤ واللسان (نزف) . وفى أساس البلاغة : « فى نطف الخمر » .

٤٨٤ قول اللخمى أوّلاً ، ولكنّ قوله : يجوز رفع جارية على أنّها خبر مبتدإ محذوف ، أى محبوبتى جارية ، ويجوز جرُّها بربَّ محذوفة . انتهى غيرُ جيِّد .

قال اللخمى : جارية فاعل يأْتى الواقع فى البيت الذى قبل هذا ، والفضفاض نعتٌ للدِّرع ، وأَبيض نعتٌ للجارية . انتهى .

والعجب من غلام ثعلب حيثُ قال بعدما نقل تفسيرَ الفراء للإيماض : هذا خطأٌ لأَنَّ الإيماض لا يكون فى الفم ، إنَّما يكون فى العَينين ، وذلك أَنَّهم كانوا يتحدَّثون ، فنظرتْ إليهم واشتغلوا بحسن نظرها عن الحديث ومَضَتْ . انتهى .

ويردُ عليه ما تقدَّم ، وقولُ المبرِّد (فى الكامل) عند قول الشاعر[1] :

لا أُحِبُّ النديمَ يُومض بالعيـ ـنِ إذا ما انتشى لِعرسِ النَّديمِ

قال : الإيماض تفتُّح البرق ولمحه ، يقال : أَومضت المرأَةُ[2] إذا ابتسمت . وإنَّما ذلك تَشبيهٌ للمعِ ثناياها بتبسُّم البرق . فأَراد أَنَّه فتح عينَه ثم غمَّضَها بغمزٍ . انتهى .

وأَما قوله : « إذا الرِّجال شتَوْا » إلخ فهو من أَبياتٍ لطرفة بن العبد ، هجا بها ملك الحيرة عَمرو بن هند . ويروى كذا :

أَنت ابنُ هندٍ فأَخبِرْ من أَبوك إذَنْ
لا يُصلح الملكَ إلاَّ كـلُّ بذَّاخ

---

(١) الكامل ٧٣ ليبسك والعقد ٦ : ٣٤٤ . وفى البيان ٣ : ٣٤٧ : « وقال بعضهم لزائر له ورآه يومئ إلى امرأته ، وهو أبو عطاء السندى ». وفى الأغانى ١٦ : ٨٤ مع هذه النسبة أيضاً أن الزائر كان يلاحظ جاريته .

(٢) ط : « البرق » ، صوابه فى ش والكامل .

إن قلت نصرٌ فنصرٌ كان شرَّفنِى
قِدْماً وأبيضَهم سربالَ طبَّاخِ
ما فى المعالى لكم ظلٌّ ولا ورَقٌ
وفى المخازى لكم أسناخُ أسناخِ

مع أبيات(١) أُخر .

قال ابن الكلبى : هذا الشعر منحول .

وقوله : « واشتدَّ أُكلهم » أراد بالأُكل القوت ، وهو مضموم الهمزة ، أى غلت أسعارهم . ومن روى « أَكلهم » بفتح الهمزة جعل الأَكل بمعنى المأْكول ، وقد يكون معناه أنَّهم إذا شتَوْا لا يجدون الطَّعامَ إلاَّ بعد جهد وشدَّة وجُوع ، فإذا وجدوه بالغُوا فى الأَكل . ومن روى : «أُكَّلُهم » بضم الهمزة وتشديد الكاف فهو جمع آكل ، وهو راجعٌ إلى المعنى الذى قدَّمت آنفاً . والسِّربال : القميص . يقول : إذا دخل فصلُ الشتاءِ الذى يمنع من التصرُّف ، وانقطعت المِيرةُ وغَلت الأَسعار ، واشتدَّ القُوت فسِربال طبَّاخك نقىٌّ للؤمك . ولو كنتَ كريماً لاسودَّ لكثرة طبخه ، على ما عُهِد من سربال الطبَّاخين . وهذا ضدُّ قول مِسكينٍ الدَّارمى :

كأَنَّ قدورَ قومِى كلَّ يوم قِبابُ التُّركُ مُلْبَسَةَ الجِلالِ
كأَنَّ الموقِدينَ لها جِمالٌ طلاها الزِّفتَ والقَطِرانَ طالى
بأَيديهمْ مغارفُ من حديدٍ أُشبِّهها مقيَّرَةَ الدَّوالى

وأنشد ابن السكيت (فى أَبيات المعانى) بيت طرفة .

ومثله قول الآخر :

---

(١) الأبيات كلها خمسة فى ديوان طرفة ١٥ قازان .

ثيابُ طُهاتكَ عند الشّتـا ءِ بيضٌ تـلألأُ لا تَدْنَسُ
وقدرُك لم يَعْـرُها طـارقٌ وكَلْبُـك منجَحِـرٌ أخـرسُ

قال : كلبه ينجَحر لأنّه لا يـأتيه طارق ، ولا يكون فى مكان يـأتيه فيه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابعَ عشرَ بعد السِّتّمائة (١) :

٦١٤ (لأَنتَ أَسودُ فى عينى من الظُّلَمِ)

لما تقدَّم قبله ، من أن أسود أفعل تفضيل من السَّواد ، جاء على الشذوذ .

٤٨٥ والمعنى عليه ، لأَنَّ الغرضَ كونُ بياض الشَّيب فى نظره أشدَّ من سواد الظلم ، مبالغةً فى كراهة الشيب .

وهو عجزٌ ، وصدره :

(ابعَدْ بعِدْتَ بياضاً لا بياضَ له)

والبيت ثانى بيتٍ من قصيدةٍ لأَبى الطيِّب المتنبِّى ، قالها فى صباه . وقبله وهو مطلعها :

(ضيفٌ أَلمَّ برأسى غيرَ مُحتَشِمِ والسَّيفُ أَحسنُ فعلاً منه باللِّمَمِ)

وتقدم بيتٌ منها فى باب الحال .

قال الإمام الواحدى (فى شرح ديوان المتنبي): جميع من فسَّر هذا الشعر قال فى قوله :

---

(١) أمالى المرتضى ٢ : ٣١٧ ودرة الغواص ١٨ والمغنى ٥٤٣ وديوان المتنبى ٢ : ٣٠٠ .

* لأنت أَسودُ فى عينى من الظُّلَمِ *

إنَّ هذا من الشاذِّ الذى أَجَازَهُ الكوفيون ، من نحو قوله :

* أَبيضُ من أُختِ بنى أَباضِ *

وسمعت العَرُوضى[1] يقول : أَسود ههنا : واحدُ السُّود . والظُّلَمُ : الليالى الثلاث فى آخر الشهر ، التى يقال لها « ثلاثٌ ظُلَمٌ » . يقول لبياضِ شيبهِ : أنت عندى واحدٌ من تلك الليالى . على أَنَّ أَبا الفتح قد قال ما يقارب هذا . وقد يمكن أَن يكون « لأَنت أَسود فى عينى » كلاماً تامًّا ، ثم ابتدأَ يصفه فقال : « من الظلم » ، كما يقال هو كريمٌ من أَحرار . وهذا يقارب ما ذكره العروضى ، غير أَنَّه لم يجعل الظُّلم الليالىَ فى آخر الشهر . انتهى .

وهذا التأْويل محصِّل للمبالغة المذكورة بجعل الأَسود من أَفراد الليالى الحنادس ، مع تفصِّيهِ من الشذوذ .

وقد مشى على هذا التأْويل جماعةٌ ، منهم الشريف المرتضى (فى أَماليه) ، قال : لأَنت أَسود فى عينى كلام تام ، ثم قال من الظُّلَمِ ، أَى من جملة الظُّلم ، كما يقال حرٌّ من أَحرار ، ولئيم من لئام ، أَى من جملتهم . قال الشاعر :

وأَبيضُ من ماءِ الحديد كأَنَّه   شهابٌ بدَا ، والليلُ داجٍ عساكرُه

---

(١) العروضى هذا شيخ الواحدى ، وهو أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضى الصفار الشافعى ، حدث عن الأصم وأبى منصور الأزهرى ، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدى . وأنفق عمره على مطالعة العلوم وتدريس مؤدبى نيسابور . ولد سنة ٣٣٤ ومات بعد سنة ٤١٠ . بغية الوعاة ١٦٠ وتتمة اليتيمة ٢ : ٢٣ .

كأنه قال : وأبيض كائن من ماءِ الحديد . فقوله « من ماءِ الحديد » وصفٌ لأَبيض ، وليس يتّصل به كاتصال من بأَفضل فى قولك : هو أَفضل من زيد ، وكذلك من الظلم فى بيت المتنبى .

ومنهم الحريرى (فى درَّة الغوَّاص) قال : وقد عِيب على المتنبى هذا البيت . ومَن تأَوَّل له فيه جعل أَسود هنا من قبيل الوصف المحض الذى تأْنيثُه سوداءُ ، وأَخرجه عن حيِّز أَفعل التفضيل ، ويكون على هذا قد تمَّ الكلام فى قوله : لأَنت أَسود فى عينى ، وتكون من [التى[1]] فى قوله من الظلم لتبيين جنس السَّواد ، لا أَنَّها صِلة أَسود .

ومنهم ابن هشام (فى المغنى) قال : علَّقَ بعضُهم من بأَسود ، وهذا يقتضى كونه اسمَ تفضيل ، وذلك ممتنعٌ فى الأَلوان . والصحيح أَنَّ من الظُّلم صفة لأَسود ، أَى أَسود كائن من جملة الظُّلم . وكذلك قولُه أَيضاً :

يلقاك مرتدياً بأَحمر من دمٍ ذهبتْ بخُضرته الطُّلَى والأَكبُدُ[2]

من دم إِمَّا تعليل ، أَى أَحمر من أَجل التباسه بالدم ، أَو صفة. كأَنَّ السيف لكثرة التباسه بالدم صار دماً .

وقوله : (ابعَدْ) هو بكسر الهمزة وفتح العين أَمرٌ من بَعِدَ يبعَد ، من باب فرِح ، بمعنى هلك وذلّ . قال الواحدى : وعنَى بالبياض الأَوَّل الشَّيب. يقول : يا بياضاً ليس له بياض! يعنى به معنىَ قولِ أَبى تمَّام :

له منظرٌ فى العين أَبيضُ ناصعٌ ولكنَّه فى القلب أَسودُ أَسفعُ

(١) زيادة من ش لم ترد فى درة الغواص ١٨ .

(٢) البيت للمتنبى فى ديوانه ١ : ٢١٠ . يقول : ذهبت بسواد حديده دماء الأعناق والأكباد .

وقال الشريف المرتضى قُدِّس سرُّه : المعنى الظاهر للناس فيه أنَّه أراد لا ضياءَ له ولا نورَ ولا إشراق ، من حيث كان حلوله محزِناً مؤذناً بتقضِّى الأَجل . وهذا لَعمرى معنًى ظَاهر، إلَّا أنَّه يمكن فيه معنًى آخر وهو يريد : إنَّك بياضٌ لا لونَ بعده ، لأَنَّ البياض آخر أَلوان الشعر ، فجعل قوله لا بياض له بمنزلة قوله لا لون بعده . وإنَّما سوَّغ ذلك له أَنَّ البياض هو الآتى بعد السَّواد ، فلمَّا نَفَى أن يكون للشيب بياضٌ كان نفْياً لأَنْ يكون بعدهُ لون . انتهى .

وبياضاً: تمييز محوَّل عن الفاعل، والعرب تكنى بالبياض عن الحُسْن ومنه يد بيضاءُ . أى أَهلك الله مَن لا بياضَ له . والظُّلَم : جمع ظُلمة بمعنى الظلام ، ويكون اسماً لثلاثِ ليالٍ من آخر الشَّهر .

وقوله: « ضيفٌ أَلمَّ برأْسى » إلخ ، قال الواحدى : عنَى بالضَّيف الشَّيب ، كما قال الآخر :

أَهلاً وسهلاً بمَضِيفٍ نَزَلْ   أَستودعُ الله أَليفاً رحَلْ

يريد الشَّيب والشباب . والمحتشم : المتقبِّض والمستَحِى . يريدأَنَّ الشيب ظهر فى رأْسه شائعاً دفعةً من غير أَن يظهر فى تراخ ومُهلة . وهذا[(١)] معنى قوله : « غير محتشم» . ثم فضَّلَ فِعلَ السَّيف بالشعر على فعلالشَّيب لأَنَّ الشيب يبيِّضه ، وذاك أَقبح أَلوان الشعر، ولذلك سُنَّ تغييره بالحُمرة، والسَّيف يُكسبه حمرة . على أَنَّ ظاهر قوله : « أَحسن فعلاً منه باللِّمم » يوجب أَنَّ الشعر المقطوع بالسَّيف أَحسن من الشعر الأَبيض بالشَّيب ، لأَنَّ السيف إذا صادفَ الشَّيب قطعه ، وإنَّما يكسبه حمرةً إذا قَطَعَ اللَّحم . وقد قال البحتُرىّ :

---

(١) ش : « هذا » بدون واو .

وَدِدتُ بياضَ السَّيفِ يومَ لقينني مكانَ بياضِ الشَّيبِ حَلّ بِمَفْرِقى

فجعل نزول السيف برأسه أحبَّ إليه من نزول الشيب . انتهى .

وقد ضمَّن البوصيرىُّ ، صاحبُ البردة ، مطلع المتنبىِّ فقال وأجاد :

ولا أعدَّت من الفِعل الجميل قِرَى

ضيفٍ ألمَّ برأسى غيرَ محتشم

وقد تقدَّمت ترجمة المتنبى فى الشاهد الواحد والأربعين بعد المائة[١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامسَ عشر بعد الستمائة[٢] :

٦١٥ (إنَّ الذى سمَكَ السماءَ بَنَى لنا بيتاً دعائمُهُ أعزُّ وأطوَلُ)

على أنَّه يجوز أن يكون حُذف منه المفضول ، أى أعزُّ من دعائم كلِّ بيت أو من دعائم بيتك .

وعليه اقتصر صاحب المفصَّل واللُّباب .

وقدَّره بعضهم : أعزُّ من سائر الدعائم . وقال ابن المستوفى : قالوا أعزُّ وأطولُ من السَّماء ، على مبالغة الشعراء .

ونقل التِّبريزى (فى شرح الكافية) عن الطِّرِمَّاح أنَّه قال للفرزدق : ياأبا فراس ، أعزُّ ممَّ وأطول ممَّ؟ فأذَّن مؤذِّن وقال: الله أكبر ! فقال الفَرزدق : يالكع ألم تسمع ما يقول المؤذِّن ، أكبر ممَّ ذا ؟ فقال : من كلِّ شىء . فقال : أعزُّ من كل عزيز ، وأطول من كلِّ طويل . انتهى .

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧ - ٣٦٣ .

(٢) ابن يعيش ٦ : ٩٧ ، ٩٩ ، والعينى ٤ : ٤٣ ، ومعاهد التنصيص ٢ : ٣٧ ، والأشمونى ٣ : ٥١ ، وديوان الفرزدق ٤١٧ .

ويجوز أن يكون المحذوف مضافاً إليه ، أى أعزُّ دِعامةٍ وأطولُها .

وبقى احتمالٌ ثالث ، وهو أن يكون أفعل فيه بمعنى فاعل . قال المبرِّد (فى الكامل) : وجائز أن يكون التقدير : دعائمه عزيزة وطويلة .

وبه أورده ابن الناظم وابن عقيل (فى شرح الألفية) .

قال العينى : الاستشهاد فيه أنهما على وزن أفعل التفضيل ، ولكنْ لم يُقصد بهما تفضيل ، فإنَّهُمَا بمعنى عزيزة وطويلة .

٤٨٧ وعمَّم الخلخالى (فى شرح تلخيص المفتاح) فقال : أى من كلِّ شىءٍ ، أو من بيتك يا جرير ، أو من السماء ، أو عزيزٍ طويل .

ونقل أبو حيان (فى تذكرته) عن أبى عبيدة أنه قال : يكون أفعل بمعنى فعيل وفاعل ، غيرَ موجب تفضيلَ شىءٍ على شىءٍ ، كقوله تعالى : ﴿ وهو أهْوَنُ عليه[1] ﴾ ، وبقول الأحوص :

* قسماً إليك مع الصُّدود لأَمْيَلُ[2] * .

وبقول الفرزدق :

* بيتاً دعائمه أعزُّ وأطوَلُ *

وبقول الآخر :

تمنَّى رجالٌ أن أموت وإن أمُتْ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحَدِ[3]

---

(١) الآية ٢٧ من سورة الروم .

(٢) صدره فى ديوانه ١٥٣ :

* إنى لأمنحك الصدود وإننى *

(٣) البيت من أبيات ثلاثة فى أمالى القالى ٣ : ٢١٨ . وانظر شرح المرزوقى للحماسة ١٠١ ، ٩٧٢ . وأشار الميمنى فى الجزء الثالث من سمط اللآلى ص١٠٤ إلى أنها منسوبة فى كتاب الاختيارين للأخفش إلى مالك بن القين الخزرجى . قلت : وهى فى النسخة المطبوعة منه بتحقيق فخر الدين قباوة ص١٦١ .

قال أبو حيان : وزرَى النحويُّون عليه هذا القولَ ، ولم يسلِّموا له هذا الاختيار وقالوا : لا يخلو أفعل من التفضيل . وعارضوا حججه بالإبطال ، وتأوَّلوا ما استدَّل به . انتهى .

ونقل الخلافَ ابن الأنبارى (فى الزاهر) ، قال : قولهم الله أكبر ، سمعت أبا العباس يقول : اختلف أهل العربية فقالوا : معناه كبير ، واحتجوا بقول الفرزدق :

* دعائمه أعزُّ وأطولُ *

أراد : دعائمه عزيزة طويلة . واحتجُّوا بقول الآخر :

* لستُ فيها بأوحدِ *

وبقول معن :

* لعمركَ ما أدرى وإنِّى لأَوْجَلُ *

أراد: لوَجِلٌ . وبقول الأحوص :

* قسماً إليك مع الصدود لأَمْيَلُ *

أراد: لمائل . واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وهو أَهْوَن عليه[٢] ﴾ قالوا : معناه هيِّن عليه . وقال الكسائىُّ والفراءُ وهشام : الله أكبر معناه أكبر من كلِّ شىءٍ ، فحُذفت مِن لأنَّ أفعل خبر . واحتجُّوا بقول الشاعر :

إذا ما سُتورُ البيتِ أُرخِينَ لم يكنْ
سِراجٌ لنا إلَّا ووجْهُكَ أنْوَرُ[٣]

(١) عجزه كما فى الديوان : * على أينا تعدو المنية أول *

(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .

(٣) شرح القصائد السبع لابن الأنبارى ٤٦٧ والأزهية للهروى ٢٤٨ .

أراد : أنور من غيره . وقالَ معن :

ولا بلغَ المهْدُونَ نحوَكَ مِدحةً

ولو صَدَقوا إلَّا الذى فيك أفضلُ

أراد: أفضلُ من قولهم . انتهى .

وقال المبرد (فى الكامل) فى تفسير قوله تعالى: ﴿يعلمُ السِّرَّ وأَخْفَى[1]﴾ تقديره فى العربية : وأخفى منه . والعرب تحذف مثلَ هذا فيقول القائل: مررت بالفيل أو أعظمَ ، وإنَّه كالبقَّة أو أصغر[2] . فأمَّا قوله تعالى: ﴿ وهو أهْوَنُ عليه ﴾ ففيه قولان : أحدهما وهو المرضىُّ عندنا إنَّما هو: وهو عليه هيِّن ، لأنَّ الله جلَّ وعزَّ لا يكون شىءٌ أهون عليه من شىءٍ آخر . وقال معن بن أوس :

* لعمرك ما أدرى وإنِّى لأوجَلُ *

أراد : وإنِّى لَوَجِلٌ . وكذلك يكون[3] ما فى الأذان : « الله أكبر الله أكبر » ، لأنَّه إنَّما يفاضَل بين الشيئين إذا كانَا من جنس واحد ، فيقال : هذا أكبر من هذا ، إذا شاكله فى بابٍ . فأمَّا: الله أجود من فلان والله أعلم بذلك منه ، فوجهٌ بيِّن[4] لأنَّه من طريق العلم والمعرفة ، والبذل والإعطاء . وقوم يقولون : الله أكبر من كلِّ شىءٍ . وليس يقع هذا على

(١) الآية ٧ من سورة طه .

(٢) فى الكامل ٤٢٣ : « وإنه لكالبقة أو أصغر » ولو قال : رأيت زيداً أو شبيهاً لجاز ، لأن فى الكلام دليلا . ولو قال : رأيت الجمل أو راكباً وهو يريد عليه ، لم يجز ، لأنه لا دليل فيه . والأول إنما قرب شيئاً من شىء ، وها هنا إنما ذكر شيئاً ليس من جنس ما قبله » .

(٣) فى الكامل : « وكذلك يتأول » .

(٤) الكامل : « فوجهه بين » .

محضِ الرُّؤية[١] لأنّه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء . وكذلك قول الفرزدق :

إنَّ الذى سمَكَ السماءَ . . . البيت

جائز أن يكون[٢] قال للذى يخاطبه : مِنْ بيتك ، فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة . وجائز أن يَكون[٣] دعائمه عزيزة طويلة ، كما قال الآخر :

قُبِّحْتُمُ ياآلَ زَيْدٍ نَفَرَا ألأَمَ قَوْمٍ أَصْغَرًا وأَكبرا[٤]

يريد صغارًا وكباراً . فأَمَّا قول مالك بن نويرة فى ذؤاب[٥] بن رُبَيِّعة[٦] حيثُ قتل عُتيبة بن الحارث بن شهاب وفخر ببنى أَسد بذلك مع كثرة من قتل بنو يربوع منهم :

٤٨٨

فخرَتْ بنو أَسدٍ بمقتل مالك صدَقَتْ بنو أَسد ، عُتيبةُ أَفضلُ

فإنَّما معناه أَفضل ممن قتلوا . على ذلك يدلُّ الكلام . وقد أَبانَ ما قلنا فى بيته الثانى بقوله :

فخرَوا بمقتله ولا يُوفِى به مَثْنى سَرَاتِهِمُ الذين نقتِّلُ

والقول الثانى فى الآية : وهو أَهون عليه عندكم ، لأَنَّ إعادة الشىء عند الناس أَهون من ابتدائه حتَّى يُجعَل شيءٌ من غير شيء . انتهى

---

(١) ط : « الروية » ، صوابه فى ش والكامل .

(٢) ط : « يقول » ، صوابه فى ش والكامل .

(٣) ط : « تكون » ، وأثبت ما فى ش والكامل .

(٤) هو الشاهد ٦٢١ فيما سيأتى ص ٢٧٦ .

(٥) ط : « دواد » ، ش : « دؤاد » ، صوابهما فى الكامل وجمهرة ابن حزم ١٩٤ - ١٩٥ والمحبر ٢٢٠ .

(٦) ربيعة ، بهيئة التصغير ، كما فى الجمهرة ، وضبط بالقلم فى الكامل : « ربيعة » بفتح الراء .

وقوله : (سَمَكَ السَّماءَ) إلخ سَمَكَ بمعنى رفع ، وأراد بالبيت بيت العزِّ والشرف . وقال الخلخالى : المراد بالبيت هو الكعبة ، وقيل هو العزّة . وتبعه العينى والعباسى (فى المعاهد) . قال ابن يعيش : « وأطول » ههنا من الطَّول بالفتح الذى هو فى الفضل ، لا من الطُّول بالضم الذى هو ضدُّ القِصَر . ودلَّ على إرادةِ مِنْ امتناعُه من التصرُّف .

وهذا البيت أورده علماءُ المعانى على أَنَّ فيه جعلَ الإيماءِ إلى وجْه الخبَر وسيلةً إلى التعريض بالتعظيم لشأْنه . وذلك فى قوله إن الذى سَمَكَ، ففيه إيماءٌ إلى أَنَّ الخبر المبنىَّ عليه أمر من جنس الرِّفعة ، بخلاف مالو قيل إنَّ الله ، ونحوه . ثم فيه تعريضٌ بتعظيم بنائه ، لكونه فِعلَ من رفع السماءَ التى لا أرفعَ من بنائها ولا أعظم . قال الخلخالى : وإدراك مثل ذلك يحتاج إلى لطفِ طَبع .

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدةٍ عدَّتُها تسعةٌ وتسعون بيتاً للفرزدق[١] يفخر بها على جرير ويهجوه . وبعده :

أبيات الشاهد

(بيتـاً بنـاه لنـا المليكُ، وما بَنَى	حَكَمُ السمـاءِ فإنَّه لا يُنقَـلُ
بيتاً زُرارةُ محتبٍ بفنـائه	ومُجاشـعٌ وأبو الفوارس نَهشَلُ
يَلِجونَ بيتَ مجاشعٍ وإذَا احتَبَوْا	برَزُوا كأَنَّهم الجبالُ المُثَّلُ
لا يَحتبِى بفناءِ بيتِك مثلهـم	أَبداً إذا عُدَّ الفَعَالُ الأَفضلُ)

وتقدَّم بعضُ أَبيات منها فى باب الظروف فى الشاهد السابع والتسعين بعد الأَربعمائة[٢] .

---

(١) فى ديوانه ٧١٤ - ٧٢٥ وعدتها مائة وخمسة أبيات ، لا تسعة وتسعون كما ذكر البغدادى هنا ، وما ذكره سابقاً فى ٦ : ٥٣٤ .

(٢) الخزانة ٦ : ٥٣٤ - ٥٣٩ .

و (بيتاً) فى البيتين بالتنوين بدل من الأوّل . وزُرارة بالضمّ هو زرارة بن عُدُس بالضم أيضاً ، ابن زيد بن عبد الله بن دارم . ومجاشع : ابن دارم . ونهشل : ابن دارم. ومُحتبٍ : اسم فاعل من الاحتباء . أراد أنَّهم متمكنون فى بيت العزّ كتمكُّن المحتبى .

روى صاحبُ الأغانى بسنده عن سَلَمَة بن عيَّاش قال : دخلتُ على الفرزدق السجنَ وهو محبوسٌ فيه ، وقد قال قصيدته :

إنّ الذى سمَكَ السماءَ بَنَى لنا . . . البيت

وقد أُفحِم وأَجْبَل ، فقلت له : أَلا أَرفِدك ؟ فقال : وهل ذلك عندك ؟ فقلت : نعم . ثمّ قلت :

بيتاً زُرَارةُ محتبٍ بفنائه . . . البيت

فاستجادَه ، وغاظه قولى فقال لى : ممن أنت ؟ قلت : من بنى عامر ابن لؤىّ . فقالَ : لئامٌ واللهِ، جاورتُهم بالمدينة فما أَحمَدْتُهم . فقلت : أَلأَم والله منهم قومُك ، جاءك رسولُ مالك بن المنذر وأنت سيِّدهم وشاعرُهم فأَخذ بِأُذُنِك يقودك حتَّى حبسك،فما اعترضَه أَحدٌ ولا نصرك. فقال : قاتلك الله ماأَمكرك[1] ! وأخذ البيت فأَدخله فى قصيدته . انتهى .

و « يلجُون » من الولوج ، وهو الدُّخول . والمثَّل : جمع مائل ، كركَّع جمع راكع . والفَعال ، بالفتح : الجميل .

٤٨٩ وقد عارضه جريرٌ بقصيدةٍ مثلِها، عدَّتها اثنان وستُّون بيتاً ، منها[2] :

(١) فى الأغانى ٢١ : ٨٥ : « ما أكرمك » .

(٢) المألوف فى المناقضات أن تكون المناقضة مطابقة لأختها فى الوزن والقافية . والروى هنا مكسور لا مضموم كروى الفرزدق . والقصيدة فى ديوان جرير ٤٤٢ - ٤٤٨ . وعدتها ثلاثة وستون، لا اثنان وستون .

أخزَى الذى سمكَ السماءَ مجاشعا
وبنى بناءَكَ بالحضيضِ الأسفلِ[(١)]

إلى أن قال :

وقضَتْ لنا مضرٌ عليك بفَضْلنا ... وقَضَتْ ربيعةُ بالقضاءِ الفَيصلِ
إنَّ الذى سمك السماءَ بنى لنــا ... عزًّا عــلاك فما له من مَنقلِ

وترجمة الفرزدق وجرير قد تقدَّمت فى أوائل الكتاب[(٢)]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادسَ عشر بعد السمائة[(٣)] :

٦١٦ (سَتعلم أيُّنا للموتِ أدنَى ... إذا دَانيتَ لىَ الأَسَلَ الحِرارا[(٤)])

على أنّ المفضول محذوف ، والتقدير أدنى من صاحبه . ويجوز أن يكون أفعل بمعنى اسم الفاعل . أى قريب . ويجوز أن يكون المحذوف مضافاً إليه ، والتقدير : أقربنا وأدنانا ، أو أقرب رجلين منّا .

صاحب الشاهد
والبيت من قصيدةٍ لعنترةَ العبْسىّ ، خاطب بها عُمارة بن زياد العبسىّ ، وتقدَّم شرح أبياتٍ منها قبل البيتِ فى الشاهد التاسع والستين بعد الخمسمائة من باب المثنى[(٥)] . وما بعده من الأبيات لا تعلّق لها بِه[(٦)] فلذا تركناها .

(١) فى الديوان : « فى الحضيض » .
(٢) الخزانة ١ : ٧٥ - ٧٨ و ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .
(٣) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٢ وديوان عنترة ١٠٩ .
(٤) ش : « قبله إليه » ، ومعها تعليق للناسخ : « كذا بخط المؤلف ، ولم يظهر معناه وصحح عليه . فتأمل » .
(٥) الخزانة ٧ : ٥٠٧-٥٢١ .
(٦) ط : « لنا به » ، صوابه فى ش .

و (أدنَى) و (دانيت) فاعَلْتُ ، كلاهما من الدنوّ وهو القُرب .
قال ابن الشَّجرى (فى أماليه) : أراد إلى الموت أدنى ، وإذا دانيت[1] إلىّ الأَسل . فوضع اللام فى موضع إلى ، لأَنَّ الدنوّ وما تصرَّف منه أَصله التعدِّى بإلى . ومثله فى إقامة اللام مقام إلىقولُ الله سبحانه : ﴿ بأَنَّ ربَّك أَوحَى لها[2] ﴾ ، أى أوحى إليها . اهـ .

و (الأَسَل) بفتحتين : أَطراف الرِّماح ، وقيل هى الأَسنَّة ، الواحدُ أَسلة بزيادة الهاء . و (الحِرار) بكسر المهملة : جمع حَرَّى ، كعطاشٍ جمع عَطْشى وزناً ومعنى .

يقول لعُمارة العبْسى : ستعلم إذا تقابلْنا ودانيتَ الرماحَ بيننا أَيُّنا أَقرب إلى الموت . أى إنك زعمت أَنَّك تقتلنى إذا لقيتنى ، وأَنت أَقربُ إلى الموت عند ذلك منِّى .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابعَ عشر بعد السِّتمائة[3] :

٦١٧ (ولستَ بالأَكثرِ منهم حَصاً وإنَّما العـــزَّةُ للـــكاثِرِ)

على أَنَّ (من) فيه ليست تفضيلية ، بل للتبعيض ، أى لست من بينهم بالأكثر حصاً ، إلى آخر ماذكره .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للأَعشى ميمون ، فضَّل فيها عامر بن الطفيل عدوَّ الله على علقمة بن عُلاثة الصحابى قبل إسلامه . وتقدَّم شرح أَوائل

(١) ط : « إذا » بدون واو . وأثبت ما فى ش وابن الشجرى .
(٢) الآية ٥ من سورة الزلزلة .
(٣) نوادر أبى زيد ٢٥ ، والخصائص ١ : ٣/١٧٥ : ٢٣٤ ، وابن يعيش ٣ : ٦/٦ : ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، والخزانة ١ : ٢٣٠ بولاق عرضاً و ٢ : ١١ ، هارون والمغنى ٥٧٢ والتصريح ٢ : ١٠٤ ، والأشمونى ٣ : ٤٧ ، وديوان الأعشى ١٠٦ .

هذه القصيدة وسببُ تفضيله على عَلقمة ، فى الشاهد الخامس والثلاثين والثلاثين بعد المائتين[1] .

وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

(إنْ تُرجعِ الحقَّ إلى أهله — فلستَ بالمُسدِى ولا النائرِ
ولستَ فى السِّلم بذى نائلٍ — ولستَ فى الهيجاء بالجاسرِ
ولستَ بالأكثر منهم حصاً — وإنَّما العزة للكاثرِ[2]
ولستَ فى الأثْرَيْنَ من مالكٍ — ولا أبى بكر أولى النـاصرِ
هم هامةُ الحىِّ إذا ما دُعُـوا — ومالكٌ فى السُّودُد القاهرِ
سُدت بنى الأحوص لم تَعْدُهم — وعـامرٌ سادَ بنى عـامرِ
سادَ وألفى قومَـهُ سـادةً — وكابرًا سادُوك عن كابرِ[3]
فاصبْر على حظِّك مما تـرَى — فإنَّما الفُلْج مـع الصَّابرِ)

٤٩٠

المسدِى، من السَّدى بالفتح والقصر، وهو ما مدَّ من الثوب . يقال أَسدى الثَوب ، وسَدَّاه ، وتسدَّاه . والنائر : اسم فاعل من نِرْت الثوب نَيْرًا بالفتح ، ونيَّرته وأنرته : جعلت له نِيراً بالكسر، وهو علمٌ للثَّوب، وهُدبه ولُحمته . وهذا هو المراد هنا . وهذا مثلٌ يضرب فى التبرِّى من الشىء، كقولهم : «لا فى العِير ولا فى النَّفير». وهذا خطابٌ مع علقمة ابن علاثة .

والسِّلم، بالكسر : خلاف الحرب . والنائل بمعنى النوال ، وهو العطاء

---

(١) الخزانة ٣ : ٣٩٨ - ٤٠٣ .

(٢) هذه هى الرواية المشهورة ، وحورت فى ش إلى « منه حصا » . وكلتاهما صحيحة ، فإنه بصدد تفضيل على الرجل أو على قبيلته .

(٣) ط : « مكابر » ، صوابه فى ش والديوان .

والهيجاءُ : الحرب . والجاسر ، بالجيم ، من الجسَارة ، وهى الجراءَة [١] والشَّجاعة .

و (الحصا) : العدد ، والمراد به هنا عدد الأَعوان والأَنصار ، وإنَّما أُطلق الحصا على العدد لأَنَّ العرب أُمِّيُّون لا يعرفون الحساب بالقلم ، وإنَّما كانوا يعدُّون بالحصا ، وبه يحسُبُون المعدود . واشتقُّوا منه فعلا فقالوا : أَحصيت . و (العِزَّة) : القوَّة والغلبة . قال الدماميني : بهذا المعنى فسَّرها الجوهرى فى البيْت ، ولا مانع من جعلها بمعنى خلاف الذِّلَّة.

أَقول : الجوهريُّ لم يذكر البيت هنا ، والمعنى الذى ذكره لازمٌ للقوّة والغلبة . و (الكاثر) بمعنى الكثير ، كذا فى الصحاح . ويجوز أَن يكون اسم فاعل من كَثَرْتُهم ، إذا غلبتَهُم فى الكثرة . قال صاحب القاموس: وكاثروهم : غالبوهم فى الكثرة فَغَلبوهم . وعليه اقتصر بعضُ شرَّاح شواهد المفصل ، قال : الكاثر : الغالب ، من كاثرته فكثرته .

و « الأَثْرَيْن » جمع أَثرى جمع تصحيح ، بمعنى ذى ثروة وذى ثراءٍ ، أَى ذى عـــدد وكثرةِ مال . قال الأَصمعى : ثَرا القومُ يَثْرُون ، إذا كثُروا ونَمْوا .

ومالك هو جدُّ عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وأَبو بكر : عمُّ جدِّه ، واسمه عُبيد بالتصغير ابن كلاب بن ربيعة المذكور . فأَبو بكر أَخو جعفر بن كلاب . والأَحوص هو جدُّ والدِ علقمة بنِ علاثة ، لأَنَّ علقمة هو علقمة بن عوف ابن الأَحوص بن جعفر المذكور . فالأَحوص ومالكٌ أَخوان ، والطفيل وعوف ابنا عمّ .

(١) ش : « الجرأة » .

« والفُلج » بضم الفاء: اسمٌ من فلج الرجلُ على خصمه يَفلُجُ فَلْجا، من باب نصر ، وهو الظَّفر والفوز . وهذا من قبيل التهكُّم .

وقوله : (ولست بالأكثر منهم حصاً) ظاهره الجمع بين أل بين من فى أفعل التفضيل . وجوّزه أبو عُمَر [١] الجَرْمىُّ فى الشعر . رأيت (فى نوادر أبى زيد) عند الكلام على هذا البيت ، قال أبو عُمَر [٢] : هذا يجوز فى الشعر ، يقال أنت أكثر منه مالاً وأنت الأفضل ، إذا لم تأْت بمن ، فإذا اضطُرَّ الشاعر قال : أنت الأفضل منهم . ولا يجوز إلَّا فى اضطرار . ولو قال: أنت الأكبر من هؤلاء، وهو منهم ، لكان معناه أنت أكبر منهم . انتهى .

ونسب ابن جنِّى جوازَ الجمع بينهما إلى الجاحظ (فى موضعين من الخصائص) قال فى أوائله ، فى باب الردِّ على من اعتقد فسادَ علل النحويِّين : يُحكى عن الجاحظ أنَّه قال : قال النحويُّون إنَّ أفعل الذى مؤنَّثه فَعْلى لا تجتمع فيه الألف واللام ومن ، وإنَّما هو بمن ، أو بالألف واللام . ثم قال : وقد قال الأعشى : ٤٩١

ولستَ بالأكثرِ منهم حصًا . . . البيت

رحم الله أبا عثمان ، أما إنَّه لو علم أنَّ مِنْ فى هذا البيت ليست التى تصحب أفعلَ للمبالغة ، لضرب عن هذا القولِ إلى غيره، مما يعلُو فيه قوله ، ويعنو لسَدادِهِ وصحَّته خَصْمُه .

---

(١) فى النسختين : « أبو عمرو » ، صوابه « أبو عمر »، وهى كنية صالح بن إسحاق الجرمى البصرى ، كما فى كتب التراجم .

(٢) فى النسختين : « أبو عمرو » ، وانظر ما سبق . على أن هذا النص لم يرد فى نوادر أبى زيد .

وكذلك نسب ابن هشام (فى المغنى) هذا القولَ إلى الجاحظ ووهّمه .
ومنَع النحاةُ الجمعَ بينهما .

وبيَّن ابن جنِّى وجهَ المنع (فى أواخر الخصائص) فى باب الامتناع من نقض الفرض ، ومثَّل له أمثلة ثم قال :

ومن ذلك امتناعُهم ، أى امتناع العربِ ، من إلحاق مِن بأفعل إذا عرَّفتَه باللام ، نحو الأحسن منه . وذلك أن (مِن) تُكسب ما يتَّصل به من أفعل هذا تخصيصاً مَا . ألا تَراك لو قلت دخلت البصرة فرأيت أفضلَ من ابن سيرين ، لم يسبق الوهمُ إلاّ إلى الحسَن . وإذا قلت الأحسن أو الأفضل أو نحو ذلك فقد استوعبت اللامُ من التعريف أكثرَ ممَّا تفيده من حصَّتها من التخصيص . وكرهوا أن يتراجعوا بعدما حكموا به من قوّة التعريف إلى الاعتراف بضعفِهِ إذا همْ أتبعوه مِن الدالَّةِ [1] على حاجته إليها، وإلى قَدْر ما تفيدهُ من التخصيص المُفاد منه . فأمَّا ما ظنَّ أبو عثمانَ الجاحظُ من أنَّه يدخل على قول أصحابنا فى هذا مِن قول الشاعر :

ولستَ بالأكثر منهم حصا . . . البيت

فساقطٌ . وذلك أنَّ مِنْ هذه ليست هى التى تصحب أفعلَ هذا لتخصيصه . انتهى .

ووجَّه الشارحُ المحقِّق، تبعاً لغيره، ما فى هذا البيت من ظاهر الإشكال بثلاثة أجوبة :

أحدها : أنَّ من فيه ليست تفضيلية ، بل للتبعيض ، أى لست من بينهم بالأكثر حَصًا .

(١) وصف لمن ، وفى النسختين : « الدلالة » ، صوابه من الخصائص ٣ : ٢٣٤ .

يُحتمل من هذا التقرير[1] أن يكون مرادُه أنَّ الظرف حالٌ من التاءِ في لستَ ، كما قال ابن جنى (فى الموضع الثانى من الخصائص) ، وعبارته : ومِن إنَّما هى حالٌ من تاءِ لستَ ، كقولك : لستَ فيهم بالكثير مالًا ، أى لست من بينهمْ وفى جملتهم بهذه الصفة ، كقولك : أنتَ والله من بين الناس حُرٌّ ، وزيد من جملة رَهطِه كريم . هذا كلامه .

ويحتمل أن يكون متعلِّقاً بليس كما قال بعضهم ، ونقله ابن هشام (فى المغنى) . ويردُ عليه شيئانِ : أحدهما أنَّ ليس لا تدلُّ على الحدَث[2] ، فلا تعمل فى الظرف . وثانيهما : لزوم الفَصْل بين أفعل وتمييزه بالأجنبىّ .

وأجاب ابن هشام (فى المغنى) عن الأوَّل بأَنَّ الظرف يجوز تعلُّقه بما فيه رائحةُ الفعل ، وفى ليس رائحة النفى . وعن الثانى بأَنَّ الفصل قد جاءَ للضَّرورة فى قوله :

* ثلاثون للهجر حولاً كميلا[3] *

وأفعل أقوى فى العمل من ثلاثون . انتهى .

وزاد ابن يعيش (فى شرح المفصل) قال : ويجوز أن يكون متعلِّقاً بالأكثر على حدِّ ما يتعلق به الظَّرف ، لا على حدِّ : هو أفضل من زيد ، كأنَّه قال : ولست بالأكثر فيهم ، لأنَّ أفعل بمعنى الفعل أظهر منه فى ليس ، يدلُّ على ذلك نصب الظَّرف فى قوله :

---

(١) ط : « التقدير » .

(٢) ط : « الحديث » ، صوابه فى ش .

(٣) هو الشاهد ٢١٦ فى الخزانة ٣ : ٢٩٩ . وصدره :

* على أننى بعد ما قد مضى *

فإنَّا رأينا العِرضَ أَحوجَ ساعةً
إلى الصَّونِ من ريطٍ يمانٍ مسهَّمِ [١]

ألا ترى أنَّ الظرف هنا لا يتعلَّق إِلَّا بأحوج ، وتعليق الظرف بليس ليس بالسَّهل ، لجريه مجرى الحروف . انتهى .

ولو جُعل الظَّرف حالاً من الضمير فى أكثر لاستغنى عن هذا .

٤٩٢ والأكثرون على أن مِن هنا للبيان . قال أبو حيان : من فى البيت للبيان لا للتفضيل ، والمفضَّل عليه معلومٌ من العهد . وبيان ذلك : أنَّك تقول لمخاطَبك : زيد أفضل من عمرو ، ثم تقول له بعد ذلك : زيد الأفضلُ من تميم ، فمِن هنا للبيان ، أى إنّ زيدًا الذى هو أفضل من عمرو هو من تميم . ولك أن تجمع بينهما فتقول : زيد أفضل من عمرو من تميم . انتهى .

وعلى هذا فالظرفُ حالٌ لا غير .

وقال بعضهم : من هنا بمعنى (فى) ، ويتعلَّق بالأكثر . نقله شارح أبيات الموشَّح .

وهذا كلُّه جوابٌ واحد لإخراج مِنْ مِنَ التفضيل ، لا أجوبةٌ متعدِّدة كما زعم العينى . غاية ما فى الباب الذاهبون إلى إخراجها من التفضيل اختلفوا فى معناها .

---

(١) لأوس بن حجر . وهو الشاهد ٦١٩ فى ص ٢٩٣ .

الجواب الثانى : أَنَّ اللام زائدة ، ومن تفضيلية . وهذا الجواب لأَبى زيد (فى نوادره) .

الثالث : أَنَّ مِن تفضيلية لكنَّها متعلِّقة بأَفعلَ آخرعارياً من اللام ، أَى بالأَكثر أَكثر منهم . فأَكثر المنكَّر المحذوف بدلٌ من الأَكثر المعرَّف المذكور. وإنَّما ضعَّفه بقوله « على ماقيل» ، لما ذكره فى باب البدل من أَنَّ النكرة إذا كانت بدل كلٍّ من معرفة يجب وصفُها ، وليس هنا وصف .

هذا والراوية الصحيحة فى هذا البيت ، كما رواه أبو زيد (فى نوادره) ، وهى ثابتةٌ فى ديوانه ، ويدلُّ عليها سِياق الأَبيات ، إنما هى : « ولست بالأَكثر منه » ، أَى من عامر . وعليها فيسقط الجوابُ الأَوَّل ، ويجاب بأَحد الجوابين الأَخيرين .

ولما وصلتُ إلى هنا رأَيت شرحَ المنافرة التى بين علقمة وبين عامر بأَبسط مما مرَّ ، (فى أَوّل شرح المقامات الحريريَّة للشَّريشى) ، فلا بأْس بإيرادهِ ، قال :

نافر : حاكمَ فى النَّسب . وكانوا فى الجاهلية إذا تنازع الرَّجلان فى الشرف تنافرَا إلى حكمائهم ، فيفضِّلون الأَشرف . وسميت منافرة لأَنهم كانوا يقولون عند المفاخرة : أَنا أَعزُّ نفراً .

منافرة عامر وعلقمة

وأَشهر منافرةٍ فى الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب[1] مع علقمة بنِ علاثة بن عوف بن الأَحوص

---

(١) ش : « مالك بن كلاب » ، صوابه فى ط وشرح المقامات للشريشى ٢ : ٤٨ .

ابن جعفر ، حين قال له علقمة : الرِّياسة لِجدِّى الأَحوص ، وإنَّما صارت إلى عمِّك أَبى براءٍ من أَجله ، وقد استسنَّ عمُّك[١] وقَعَدَ عنها فأَنا أَولى بها منك ، وإن شئتَ نافرتُك .

فقال له عامر : قد شئتُ والله ، لأَنا أَشرفُ منك حسبًا ، وأَثبَت نسباً ، وأَطول قَصَبا .

فقال علقمة : أَنافرك وإنِّى لبَرٌّ وإنَّك لفاجر ، وإنِّى لولود وإنَّك لعاقر[٢] ، وإنِّى لوافٍ وإنَّك لغادر .

فقال عامر : أَنافرك إنِّى أَسمَى منك سُمَّة[٣] وأَطولُ قِمَّة ، وأَحسن لِمّة ، وأَجعدُ جُمّة ، وأَبعد هِمّة .

فقال علقمة : أَنا جميل وأَنت قبيح ، ولكن أُنافرك ، إنِّى أَولى بالخيرات منك .

فخرجت أُمٌّ عامر فقالت : نافِرْه أَيُّكما أَولى بالخيرات . ففعلوا على أَنْ جعلوا مائةً من الإبل يعطيها الحكَمَ الذى يُنفِّر عليه صاحبَه . فخرج علقمة ببنى خالد بن جعفر وبنى الأَحوص ، ومعهما القباب والجُزر والقُدور[٤] ، ينحرون فى كلِّ منزلٍ ويطعمون . وخرج عامرٌ ببنى مالك وقال : إنَّها المقارَعة[٥] عن أَحسابكم ، فاشخصوا بمثل ما شخَصوا

---

(١) فى شرح المقامات : « وقد أسن عمك » .

(٢) بعده فى شرح المقامات : « وإنى لعف وإنك لعاهر »

(٣) السمة ، بضم السين وتشديد الميم : الخاصة من القوم ، كالسامة أيضاً مقابل العامة . وفى شرح المقامات : « أسنى منى سنة » ولا تستقيم مع السجع . وانظر اللسان (سمم ١٩٥) .

(٤) فى شرح المقامات : « والجزور والقدر » ، وما هو صوابه .

(٥) ط : « لقارعة » ، صوابه فى ش والشريشى .

به . وقال لعمه أبي براءٍ : أعنِّي . فقال : سُبَّنى . فقال : كيف أَسُبُّك وأنتَ عمِّي ؟ فقال : وأنا لا أَسبُّ الأَحوص وهو عمِّي ! ولم ينهض معه .

فجعلا منافرتَهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أُمية ، ثم إلى أبي جهل بن هشام ، فلم يقولا بينهما شيئاً .

٤٩٣ ثم رجَعا إلى هرم بن قُطبة بن سِنَان[1] الفَزارى فقال : نَعمْ لأَحكمنَّ بينكما ، فأَعطِياني موثِقاً أَطمئنُّ به أَنْ ترضَيا بحكمي وتسلِّما لما قضيت بينكما[2] .

ففعلا فأَقامَا عنده أَيَّاماً . ثم أَرسل إلى عامر فأَتاه سرًّا فقال : قد كنت أَحسب أَنَّ لك رأْياً وأَنَّ فيك خيرًا ، وما حبَستُك[3] هذه المدَّةَ إلا لِتَنصرِفَ عن صاحبك . أَتنافر رجلاً لا تفخر أَنت ولا قومُك إلَّا بآبائه ، فما الذى أَنت به خيرٌ منه ؟ فقال عامر : نشدتُك اللهَ والرَّحِمَ أَن لا تفضِّل علىَّ علقمة ، فوالله لئن فعلتَ لا أُفلح بعدها أَبدًا . هذه ناصيتى فاجزُزْها واحتكمْ فى مالى ، فإنْ كنتَ لا بدَّ فاعلاً فسوِّ بيني وبينه . فقال : انصرفْ فسوفَ أَرى من آرائى[4] .

فانصرف عامر وهو لا يشكُّ أَنه ينفِّره عليه . ثم أَرسل إلى علقمة

---

(١) كذا فى ط وأصل ش ، وفى هامش ش : « بخط المؤلف : سنان ، والصواب سيار » . لكنى أبقيت ماثبت أنه بخط المؤلف حفاظاً على حقه ، مع ظهور الخطأ فيه ، فالصواب « سيار » بالراء ، كما فى شرح الشريشى . ويؤيده مافى الاشتقاق ٢٨٣ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٥٨ . وسبب الالتباس فى هذا مشابهته لهرم بن سنان بن أبي حارثة ممدوح زهير ، فهذا بنونين .

(٢) الشريشى : « وتسلما ماقضيت بينكما » .

(٣) هذا مافى الشريشى والأغانى ، وفى النسختين : « وما حسبتك » ، تحريف .

(٤) الشريشى والأغانى : « فسوف أرى رأيى » .

سرًّا فقال له ما قال لعامر وقال : أتفاخر رجلاً هو ابن عمِّك فى النسب وأبوه أبوك ، وهو مع ذلك أعظمُ منك غَناءً ، وأحمد لِقاءً ، وأسمح سماحاً ، فما الذى أنت به خيرٌ منه ؟ فردَّ عليه علقمةُ ما ردَّ به عامر ، وانصرف وهو لا يشكُّ أنَّه ينفِّر عامرًا عليه .

فأرسل هرمٌ إلى بنيه وبنى أخيه وقال لهم : إنِّى قائلٌ فيهم غدًا مقالةً ، فإذا فرغتُ فليطَّرد بعضكم عشر جزائر فلينحرْها عن علقمة ، وليطَّرد بعضكم مثلَها فلينحرْها عن عامر ، وفرِّقوا بين الناس لا يكونوا بينهم جماعةً(١) .

ثم أصبح هرمٌ فجلس مجلسَه ، وأقبل عامر وعلقمة حتَّى جلسا ، فقال هرم : « إنَّكما يا ابنى جعفر قد تحاكمتما عندى ، وأنتما كركبتَى البعير الآدَمِ الفحلِ تقعان الأرضَ(٢) ، وليس فيكما واحدٌ إلَّا وفيه ما ليس فى صاحبه ، وكلاكما سيِّد كريم » . ولم يفضِّل واحدًا منهما على صاحبه لكيلا يَجلب بذلك شرًّا بين الحيَّين . ونحرَ الجُزر وفرَّق الناس(٣) .

وعاش هرمٌ حتَّى أدرك خلافة عمر ، فقال : ياهرم ، أىَّ الرجلين كنتَ مفضِّلا لو فعلتَ ؟ قال : لو قلت ذلك اليومَ عادت جَذَعةً ، ولبلغَتْ شَعَفاتِ هَجر ! فقال عمر : نِعْمَ مُستودَعُ السِّرِّ أنت ياهرم ، مثلُك فليستودعِ العشيرةُ أسرارَهم !

---

(١) الشريشى : « لا يكون بينهم جماعة » . الأغانى : « لا تكون لهم جماعة » .

(٢) الشريشى : « تقعان على الأرض » ، الأغانى : « تقعان إلى الأرض » .

(٣) فى الأغانى : « وفرقوا الناس » ، وأثبت ما فى ش . لكن فى ط والشريشى : « وفرق على الناس » ، ولا إخالها صحيحة .

والحكاية طويلة قد اختصرناها[١] .

وقال فيه الأعشى :

حكَّمتموه فقضى بينكم أبلجَ مثلَ القَمرِ الباهرِ
لا يأْخذُ الرّشوةَ فى حكمه ولا يبالى غَبَنَ الخاسِرِ

انتهى كلام الشريشى .

وقد شرحها بأكثر من هذا مرّتين أو ثلاثاً الأصبهانىُّ (فى الأغانى) ، ومن أراد بسطَ الكلام فلينظرْه فى الجلد الخامسَ عشر من تجزئة عشرين[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامنَ عشَرَ بعد الستمائة[٣] :

٦١٨ (ورِثتُ مُهلهِلاً والخيرَ منه زُهيرًا نِعْمَ ذُخرُ الذَّاخِرينا)

على أن اللام فى (الخير) زائدة ، ومن فى منه تفضيلية . ويجوز أن يقدر أفعل آخر عارياً من اللام يتعلّق به منه ، والتقدير: والخيرَ خيراً منه .

وقال الإمام البيضاوى (فى لب اللباب) : ولا يستعمل ، أى اسم التفضيل ، إلّا بمِنْ ، أو اللام ، أو الإضافة . و « الخيرَ منه» قليل . وهذه[٤] إشارةٌ إلى البيت .

وأجاب شارحه السيِّد عبد الله بما أجاب به الشَّارح المحقِّق ، من التخريجين .

(١) الشريشى : « والحكاية طويلة » ، فقط .
(٢) انظر الأغانى ١٥ : ٥٠ — ٥٥ .
(٣) لم أجد له تخريجاً فى الشواهد .
(٤) ط : « وهذا » .

ولم يقل إنَّ من ليست فيه تفضيلية كما قال فى البيت الذى قبله ، لأَنَّه لم يتأَتَّ ذلك هنا .

صاحب الشاهد ٤٩٤

والبيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى ، وتقدَّم سبب نظمها مع شرح أَبياتٍ منها فى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة[1] ، وبعده :

(وعتَّاباً وكُلثوماً جميعاً بهم نِلنا تُراثَ الأَكرمينا)

وقوله : (ورِثْتُ مهلهِلاً) إلخ ، هو بالتكلُّم . ومهلهل : اسم جدِّ الشاعر من قِبَل أُمّه . وهو أَخو كليب بن وائل ، وصاحب حرب البسوس أَربعين سنة . وتقدَّمت ترجمته مع سبب تسميته بمهلهل فى الشاهد العاشر بعد المائة[2] .

وقوله : (والخيرَ مِنْه) أَى ورثت خيرًا من مهلهل . و (زهيرًا) عطف بيان للخير ، وإنَّما كان زهير خيرًا من مهلهل لأَنَّه جدُّهُ من قبل أَبيه ، فإنَّ صاحبَ المعلَّقة كما تقدَّمت ترجمته ، هو عمرو بن كلثوم ابن عَتَّاب بن مالك بن ربيعة بن زهير بن جُشَم بن بكر بنِ حبيب ابن عمرو بن غَنْم بن تغلب بن وائل .

والمخصوص بالمدح فى (نعم ذخر الذاخرينا) زهير على حذف مضاف ، يريد : ورثتُ مجدَ مهلهل ومجد زهير ، فنعم ذخر الذاخرين زهير ، أَى مجده وشرفه ، للافتخار به .

وقوله : « وعتَّابا وكلثوما » إلخ . عتَّاب جدُّ الشاعر . وكلثوم أَبوه . يقول : ورثنا مجدَ عتَّابٍ وكلثومٍ ، وبهمْ بلغنا ميراثَ الأَكارم ، أَى حُزْنَا مآثرهم ومفاخرَهم فشرُفْنا بها وكَرُمنا .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ١٧٧ — ١٨٥ .
(٢) الخزانة ٢ : ١٦٤ — ١٧٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسعَ عشرَ بعد الستمائة ، وهو من أبيات الإيضاح للفارسى[١] :

٦١٩ (فإنَّا رأينا العِرضَ أحوجَ ساعةً إلى الصَّونِ مِن رَيْطٍ يَمانٍ مُسَهَّمِ)

على أنَّه يجب أنْ يلىَ أفعلَ التفضيل إمَّا من التفضيلية ، كما فى قولهم : زيد أفضل من عمرو ، وإمَّا معمولُه كما فى البيت ، فإنَّ ساعةً ظرف لأحوج .

ومثله قوله تعالى : ﴿ النبىُّ أولَى بالمؤمنين مِنْ أنفسهم[٢] ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قال رَبِّ السِّجْنُ أحبُّ إلَىَّ ممَّا يدعوننى إليه[٣] ﴾ .

وقد يفصَل بالنداء أيضاً . قال جرير :

لم ألقَ أخبثَ يافرزدقُ منكم ليلاً وأخبث بالنَّهار نهارَا[٤]

قال أبو البقاء (فى شرح الإيضاح) : رأينا هنا بمعنى علِمْنا . وأحوج اسمٌ يراد به التفضيل ، وهو مفعول ثانٍ لرأينا ، وساعة منصوب بأحوج وإلى الصَّون متعلِّق به أيضاً ، وكذلك « من رَيْط » . وجاز أنَّ يتعلق حرفَا الجرّ بأفعل لأنَّ معناهما مختلف ، ومِن هى التى يقتضيها[٥] أفعل . والأقوى أن يتقدَّم من على إلى ،لأنَّ تعلُّق من بأفعل يوجب معنًى فى أفعل وهو التخصيص ، فإذا فصلتَ بينهما ضعفت عُلقته به ، ومع هذا فهو

---

(١) ابن يعيش ٢ : ٦١ / ٦ : ١٦٤ وشذور الذهب ٤١٥ وديوان أوس بن حجر ١٢١ .
(٢) الآية ٦ من سورة الأحزاب .
(٣) الآية ٣٣ من سورة يوسف .
(٤) ديوان جرير ٢٣٢ والهمع ٢ : ١٠٤ .
(٥) ش : « تقتضيها » .

جائزٌ ورَدَ القرآنُ به . قال تعالى : ﴿ ونحنْ أَقربُ إليهمِن حَبْلِ الوَرِيد[1] ﴾ وقال تعالى : ﴿ونحن أَقربُ إليه مِنْكم[2]﴾ . وهو أَكثر من أَن أُحصيَه . وإِنَّما ذكره أَبو على ليبيِّن لك أَنَّ عمل أَحوج فى ساعة ليس على حدِّ عمله فى من التى للمفاضلة ، كما أَنَّ قوله بالأَكثر منهم لا يتعلَّق من بالأَكثر على هذا الحدِّ ، بل على حدِّ تعلُّق ساعةً بأَحوج . وأَمّا إلى ، ومِن رَيْط ، فيتعلَّقان بأَحوجَ لا محالة . فإنْ قيل : لِمَ لا تعلِّق ساعة برأَينا ؟ قيل : يمتنع من وجهين : أَحدهما أَنَّ المعنى ليس على هذا ، بل المعنى على شدَّة حاجة العِرض إلى الصَّون فى أَىِّ ساعةٍ كانت . والثانى : أَنَّك لو نصبتَها برأَينا لفصَلْتَ بها بين أَحوج وما يتعلَّق به وهو أَجنبىٌّ ، فلم يجُزْ . انتهى كلام أَبى البقاء .

٤٩٥

والبيت من قصيدةٍ طويلة جدًّا لأَوس بن حجر[3] ، وقبله :

(ومستعجبٍ مما يرى من أَناتنا ولو زبنَتْهُ الحربُ لم يترمرم

فإِنَّا وجدنا العرض . . . . البيت

أَرى حربَ أَقوامٍ تَدِقُّ وحربُنا تجِلُّ فنَعْرَوْرِى بها كلَّ مُعظَمِ

ترى الأَرضَ منَّا بالفضاءِ مريضةً

معضِّلةً منَّا بجمْعٍ عَرَمرمِ)

---

(١) الآية ١٦ من سورة ق .

(٢) الآية ٨٥ من سورة الواقعة .

(٣) فى ديوانه ١١٧ – ١٢٤ وليست طويلة جداً فإنها فى ٤٨ بيتاً فقط .

وقوله: «ومستعجبٍ مِمَّا» إلخ[1] الواو واوُ ربّ، ومستعجب: اسم فاعل. قال صاحب العباب: واستعجبت منه: تعجَّبت منه. وأنشد هذا البيت.

والأناة بالفتح: اسمٌ للتأنِّي، يقال تأنَّى في الأمر: تمكَّث ولم يعجَلْ. وزبَنْتُه: دفعته، يقال زبنَت الناقةُ حالبَها زَبْنًا، من باب ضرب: دفعتْه برِجلها، فهي زَبونٌ. وحربٌ زبونٌ أيضاً، لأنها تدفع الأبطال عن الإقدام خوفَ الموت. ومنه الزَّبانيَة، لأنَّهم يدفعون أهلَ النارِ إليها. قال صاحب الصحاح: وترمرمَ، إذا حرَّك فاهُ للكلام. وأنشد هذا البيت.

وقوله: «فإنَّا وجَدْنا العِرض» إلخ العِرض، بالكسر، قال الشريف (في أماليه): هو موضع المدح والذمِّ من الإنسان. فإذا قيل ذُكِر عرضُ فلانٍ، فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقُط بذكره ويُمدَح أو يذمُّ به. وقد يدخل بذلك ذكر الرجل نفسِه وذكر آبائه وأسلافه؛ لأنَّ كلَّ ذلك مما يمدح به ويذَمُّ. والذى يدلُّ على هذا أنَّ أهل اللغة لايفرقون في قولهم شَتَم فلانٌ عِرضَ فلان، بين أن يكون ذكَره في نفسه بقبيح أو شتَم سلفَه وآباءَه. ويدلُّ عليه قولُ مسكينٍ الدارميِّ:

رُبَّ مهزولٍ سمينٍ عِرضُه ... وسمينِ الجسم مَهزُولِ الحسَبْ

فلو كان العِرض نفسَ الإنسان لكان الكلام متناقضاً، لأن السِّمَن والهُزال يرجعان إلى شيءٍ واحد. إلى آخر ما فصَّله[2].

---

(١) في النسختين: «منا»، صوابه ما أثبت.

(٢) أمالي المرتضى ١: ٦٣٢ - ٦٣٣.

وردَّ على ابن قتيبة فى زعمه أنَّ العِرض هو النَّفْس ، ونقَضَ ما استدلَّ به .

وقد أحكمَ الكلامَ على معنى العِرض ابنُ السِّيد البطَلْيَوسىُّ أيضاً (فى أوائل شرح أدب الكاتب لابن قتيبة) . وكذلك حقَّق المراد من العِرض ابنُ الأنبارىّ (فى كتابه الزاهر) ، ولولا خوفُ الإطالة لأوردتُ كلامَهما .

ويؤيِّد كلامَ الشَّريف المرتضى قولُ ابن السكيت فى شرح هذا البيت (من شرح ديوان أوس) يقول : العِرض يحتاجُ سُويعةً إلى أن يُصان . فإن سَفِهَ الرجلُ عليه قطع عرضَه ومزَّقه إن لم يحتمل فيصونه . انتهى.

وقوله : « أحوج » قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : هذا خلاف القياس ، لأنَّه أفعل تفضيلٍ من المزيد ، قالوا : ما أحوجَه إلى كذا ، وقياسُه : ما أشدَّ حاجته ، أو ما أشدَّ احتياجه . وأنشد هذا البيت.

وفيه نظر ، فإنّ الثلاثىَّ المجرَّد منقول ثابت . قال صاحب الصحاح وغيرُه : وحاجَ يحُوجُ حَوْجاً ، أى احتاج ، قال الكميت[1] :

غَنِيتُ فلم أرددكُمُ عند بُغيةٍ وحُجْت فلم أكدُدْكمُ بالأصابع [2]

وأحوجه إليه غيره . وأحوج أيضاً بمعنى احتاج . انتهى .

٤٩٦ وروى بدله : « أفقَر ساعَةً » وهذا عند الجوهرىّ شاذّ . قال : وقولهم : فلانٌ ما أفقره وما أغناه ، شاذٌّ لأنَّه يقال فى فعلهما افتقر واستغنى ، فلا يصحُّ التعجُّبُ منه . انتهى .

---

(١) هو الكميت بن معروف ، كما فى اللسان (حوج) ، وفى اللسان (كدد) : « وأنشد الكميت » . وانظر ملحقات ديوان الكميت ١ : ٢٥١ .

(٢) وروى أيضاً : « حجت » بكسر الحاء ، من قولهم : حاج يحيج .

وفيه نظرٌ أيضاً؛ فإنَّ ثلاثيه مسموعٌ أيضاً . قال صاحب المصباح : الفقير فعيل بمعنى فاعل ، يقال فَقِرَ يَفقَرُ ، من باب تعب ، إذا قلَّ ماله . قال ابن السَّرَّاج : ولم يقولوا فقُرَ أى بالضم ، استغنوا عنه بافتقر. انتهى .

وتنوين ساعةً للتنكير والتقليل ، كما فهم من كلام ابن السِّكِّيت . وقال ابن بَرّى : قال أبو الفتح بن جنى : قوله ساعة يريد ساعةَ الغضب ، فاستغنى عن الإضافة لدلالة اللفظ عليه . انتهى .

والمعنى أنَّ العرضَ يُصان عند ترك السَّفه فى أقلَّ من ساعة إذا ملك نفسَه ، فكيف لا يصان إذا داومَ عليه . والعرض أكثر احتياجاً إلى الصَّون من الثياب النفيسة ، فإنَّ عرض الرجلِ أحوجُ إلى الصِّيانة عن الدَّنَس والرَّين من الثوب الموشَّى المزيَّن . وعنى بالساعة ساعةَ الغضب والأَنفة ، فإنَّه كثيراً ما أهلك الحلمَ وأتلفه . وفى المثل السائر : « الغضَب غُول الحِلم » .

والرَّيط واحدُه ريطة ، قال صاحب المصباح : الرَّيْطة بالفتح : كلُّ ملاءة ليست لِفْقَين ، أى قطعتين ، والجمع رياط ورَيْطٌ أيضاً ، مثل تمرة وتمر . وقد يسمَّى كلُّ ثوبٍ رقيق رَيْطة . انتهى .

والمعنى الأخير هو المراد هنا . قال ابن السكيت : ومُسَهَّمٌ : فيه وشيٌ مثل أفواق السِّهام[1] . وقال الجوهرى : المسهَّم : البرد المخطَّط .

وقوله : « أرى حَربَ أقوام » إلخ . قال صاحب المصباح : الدَّقيق :

(١) الأفواق : جمع فوق ، بالضم ، وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . وفى ط : «أفراق» صوابه فى ش .

خلاف الجليل . ودقَّ يدِقُّ من باب ضرب دِقَّةً : خلاف غَلُظ ، فهو دقيقٌ . ودقَّ الأمرُ دقَّةً أيضاً ، إذا غَمُض وخفِيَ معناه ، فلا يكاد يفهمه إلَّا الأذكياءُ . وجَلَّ الشيءُ يَجِلّ بالكسر : عظُم فهو جَليل . قال ابن السكيت : يقول : نحن نسرعُ إلى هذه الحربِ كما يعجَل الرجلُ إلى فرسه فيَعْرَوْرِيه ، أي يركبُه عرياناً . ويقال : قد اعرورَى فرسَه ، إذا ركبه عُرِياً ، بالضم . انتهى .

وقوله : « ترى الأرض منَّا » إلخ ، في الصحاح : وعضَّلت الشَّاةُ تعضيلاً إذا نشِب الولد فلم يسهُل مخرجه ، وكذلك المرأة ، وهي شاةٌ معضِّلة ومعضِّل أيضاً بلا هاءٍ . وعضَّلت الأرضُ بأهلها : غصَّت بهم . وأنشد هذا البيت .

والعَرَمرم : الجيش الكثير . قال ابن السكيت : هذا مثَلٌ ضربه ، شبَّه الأرض بالحُبلَى التي تتمخَّضُ وقد نَشِب ولدُها في بطنها . فيقول : قد نَشِبنا بالأرض من كثرتنا .

وأوس بن حجر شاعر جاهلي ، تقدَّمت ترجمته في الشاهد الرابع عشر بعد الثلثمائة[1] .

وحَجَر ، بفتح الحاء والجيم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفي للعشرين بعد الستمائة[2] :

٦٢٠ (واستنزلَ الزَّبَّاءَ قَسْراً وهي مِنْ
عُقابِ لُوحِ الجوِّ أعلَى مُنتمَى)

---

(١) الخزانة ٤ : ٣٧٩ – ٣٨٠ .
(٢) من مقصورة ابن دريد .

على أَنَّ تقدُّم (من) على أَفعل التفضيل إذا لم يكن مجرورُها اسم استفهام خاصٌّ بالشعر .

وهذا مذهبُ الجمهور ، وهو قليلٌ عند ابن مالك لا ضرورة . وأَمَّا تقدُّمها على المبتدإ نحو : من زيد أَنت أَفضل ، فضرورةٌ اتِّفاقاً .

وقال ابن هشام اللخمى فى شرح هذا البيت : من عقاب متعلق بأَعلى وإِنَّما قدَّمه ضرورة ، لأَنَّ أَفعل لا يقوى قوّةَ الفعل فيعملَ عمله فيما قبله فلا يجوز. مِن زيد أَنت أَفضل، فتُقدِّم الجارِّ عليه ، لضعفه ، إِلَّا أَنَّه جاز هنا للضَّرورة ، كما قال الفرزدق :

٤٩٧

وقالت لنا أَهلاً وسهلاً وزوّدت
جَنَى النَّحْل أَو ما زَوَّدَتْ منه أَطيَبُ[1]

انتهى . ولا يخفى أَنَّ المثالَ مخالفٌ للبيتين؛ فإِنَّه مما تقدَّمت من فيه على المبتدأ والخبر ، والبيتان مما تقدَّمت من فيه على الخبر فقط .

صاحب الشاهد

والبيت من مقصورةِ ابن دريد المشهورة . وقبله :

(وقد سمَا عَمرُو إِلى أَوتاره فاحتطَّ منها كلَّ عالى المستَمى)

سما يسمو سموًّا : ارتفع . والأَوتار : جمع وِتْر بكسر الواو وفتحها وهو طلبُ الإِنسان بجناية . واحتطَّ : افتعل من الحَطِّ بالمهملتين : أَنزل . وعالٍ : مرتفِع . ومستمىً : مفتعَلٌ من سما يسمو.

عمرو بن عدى

وعمرُو هو عمرو بن عدىٍّ بن نصر بن ربيعة بن عبد الحارث بن معاوية بن مالك بن غَنم بن نمارة بن لَخْم ، مِلك الحيرة . ملَكَ بعد خاله

---

(١) ديوان الفرزدق ٣٢ والعينى ٤ : ٤٣ وابن يعيش ٢ : ٦٠ .

جَذيمة مائة وثمانيَ عشرة[(١)] سنة . وهو أوّل مَن ملك من ملوك لَخم . وكان مدّةُ ملك لَخْمٍ بالحيرة خمسَمائة سنة .

وكان من حديث عديّ أن جَذيمة قال ذاتَ يوم لنُدَمائه : لقد ذُكر لى غلامٌ من لخمٍ فى أخواله من بنى إياد ، له ظَرفٌ وأَدب ، فلو بعثتُ إليه وولَّيتُه كأْسى ، والقيامَ على رأسى ، لكَان الرأى . فقالوا : الرأى مارآه الملكُ فليبعَثْ إليه . ففعلَ ، فلمَّا قدِم عليه قال : من أنت ؟ قال : أنا عدىٌّ بن نصر . فولَّاه مجلسَه ، فعشِقَته رَقاشِ بنتُ مالك ، أُخت جذيمة ، فقالت له : ياعدىُّ إذا سقيتَ القوم فامزُجْ لهم وعرِّق للملك ، أَى امزُجْ له قليلا كالعَرَق ، فإذا أخذَتِ الخمر منه فاخطبْنى إليه فإنَّه يزوّجُك ، فأَشهِدِ القومَ إنْ[(٢)] فعل . ففعل الغلامُ وخطبها ، فزوَّجه وأَشهد عليه ، وانصرف إليها فعرّفها ، فقالت : عرِّسْ بأَهلك . فلمَّا أَصبحَ غدَا متضمِّخاً بالخَلُوق ، فقال له جذيمة : ما هذه الآثار ياعَدىّ ؟ قال : آثارُ العُرس . قال : وأَىُّ عُرس ؟ قال : عُرس رَقاش . فنخر وأَكبَّ على الأَرض ، ورفع عدىٌّ جراميزه[(٣)] فأَسرع جذيمةُ فى طلبه فلم يجدْه ، وقيل بل قتله وبعث إليها :

حدِّثينى وأَنت لا تَكْذبينى ... أَبِحُرٍّ زنيتِ أَم بهَجينِ[(٤)]
أَم بعبْدٍ فأَنتِ أَهلٌ لعبدٍ ... أَم بدونٍ ، فأَنتِ أَهل لدُون

فأَجابته رقاش :

(١) ط : « : « وثمان عشرة » ، وهى لغة جائزة . انظر اللسان (ثمن ٢٣١) .
(٢) فى الأغانى « إن هو فعل » .
(٣) أى استعد للفرار . والجراميز : اليدان والرجلان .
(٤) الأغانى ١٤ : ٧٠ والشريشى ٢ : ٤ .

أنتَ زوَّجتَنى وما كنتُ أدرى
وأتانى النسـاءُ للتَّزيينِ[1]
ذاكَ من شُرْبِكَ المُدامةَ صِرفاً
وتمـاديك فى الصِّبـا والمجونِ

فنقلها جذيمةُ إليه وحصَّنها فى قصره ، فاشتملتْ على حَمْلٍ وولدت غلاماً فسمَّته عمرًا ، حتى إذا ترعرعَ حَلَّته وعطَّرته[2] ثم أزارتْه خالَه فأُعجبَ به ، وأُلقيتْ عليه محبَّةٌ منه . ثم إنَّ جذيمة نزل منزلاً وأمر الناس أن يجتنوا له الكمأة ، فكان بعضُهم إذا وجد شيئاً منها يعجبه آثر به نفسَه على جذيمة ، وكان عمرو بن عدى يأْتيه بخيرِ ما يجد ، فعندها يقول عمرو :

هـذا جناىَ وخيارُه فيه إذْ كلُّ جانٍ يدُه إلى فيه

ثم إنَّ الجنَّ استهوتْه فطلبه جذيمة [فى آفاق الأرض[3]] فلم يسمع له خبراً ، إذْ أقبل رجلان من بنى القَيْن ، يقال لأحدهما مالك وللآخر عقيل ابنا فالج[4] ، ويروى فارج ، من الشَّام ، وهما يريدانِ الملك بهديَّة ، فنزلا على ماءٍ ومعهما قينة يقال لها أُمُّ عمرو ، فنصبَت لهما قدرًا وهيَّأَتْ لهما طعاماً ، فبينما هما يأْكلان إذْ أقبل رجلٌ أشعثُ الرأس قد طالت أظفاره ، وساءت حاله ، ومدَّ يدَه فناولتْه القينةُ طعاماً فأكله ، ثم مدَّ يدَه فقالت القينةُ : « أُعطِىَ العبدُ كُراعاً فطَلبَ ذِراعاً[5] » ، فأرسلتْها

٤٩٨

(١) البيتان أغفلهما أبو الفرج ، وهما عند الشريشى برواية : « فأتانى » .
(٢) بعده فى الأغانى والشريشى : « وألبسته كسوة مثله » .
(٣) التكلة من ش . وفى الأغانى : « فلم يزل جذيمة يرسل فى الآفاق فى طلبه » .
(٤) ط : « ابنا فالح ، ويروى : فارح » بالحاء المهملة فيهما ، والصواب فى ش والأغانى والشريشى ، حيث ذكر الأول « فالج » والآخر « فارج » .
(٥) فى الأغانى : « إن يعط العبد كراعاً يتسع ذراعاً » . وانظر جمهرة الأمثال ١ : ١٠٧ .

مثلا . ثم ناولت صاحبيها من شرابِهَا ، وأَوكت سقاءها ، فقال عمرو ابن عدىّ

صددتِ الكأْسَ عنا أُمَّ عمرو وكان الكأْسُ مجراها اليمينا
وما شرُّ الثلاثة أُمَّ عمرٍو بصاحبك الذى لا تصبَحِينا

ويروى هذا الشعر لعمرو بن كلثوم التغلبى . ويقال إن عمرو بن كلثوم أَدخله فى معلقته . والله أَعلم .

وهما من شواهد سيبويه . ومجراها بدلٌ من الكأْس ، واليمين خبر كان . وإن شئت جعلت مجراها مبتدأً واليمين ظرفاً ، كأَنه قال : ناحية اليمين ، وهو خبر عن مجراها ، والجملة خبر كان .

فقال له الرجلان : من أَنت ؟ قال : أَنا عمرو بن عدىّ . فقاما إليه وسلّما عليه ، وقلّما أَظفارَه وقصَّرا من شعره ، وأَلبساه من طرائف ثِيابِهما وقالا : ما كنَّا نهدى إلى الملك هديّةً هى أَنفسُ عنده ولا هو عليها أَحسنُ عطاءً من ابن أُختِه ، قد ردَّه الله عليه . فلمَّا وقفا بباب الملك بشَّراه فسُرّ به ، وصرفه إلى أُمّه وقال : لكما حكمُكما . فقالا : حُكمُنا مُنادَمتُكَ ما بقِيتَ وبَقِينا . قال : ذلك لكما .

فهما ندمانَا جذيمة المعروفان . وإيَّاهما عنى متمِّم بن نويرة بقوله فى مرثيته لأَخيه مالك بن نويرة :

وكنَّا كَنَدمانَىْ جَذِيمة حِقبةً من الدَّهر حتَّى قيل لن يتصدَّعا[1]
فلمَّا تفرَّقْنا كأَنِّى ومالكاً لطول اجتماعٍ لم نبِتْ ليلةً معا

(١) المفضليات ٢٦٧ .

وقال أبو خِراش الهذلىّ يرثى أخاه عروة :

أَلم تعلمى أَنْ قد تفرَّقَ قبلنا نديمَا صَفاءٍ مالكٌ وعقيلُ(١)

وروى أَنَّ جذيمة كان لا ينادم أَحدًا كِبْرًا وزَهْواً . وكان يقول : أَنا أَعظم من أن أُنادم إلَّا الفرقدين . فكان يشرب كأْساً ويصبُّ لكلِّ واحدٍ منهما كأْساً ، فلما أَتى مالك وعقيل نادماه أَربعين سنة ما أَعادا عليه حديثاً .

ثم إنَّ أُمَّ عمرو جعلت فى عنقه طوقاً من ذهب لنذرٍ كان عليها ، ثم أَمرته بزيارة خاله ، فلمَّا رأَى لحيته والطَّوقَ فى عنقه قال : « شبَّ عمرٌو عن الطَّوق ! » . فذهبت مثلاً .

وأَقام عمرٌو مع خاله جذيمة قد حَمَل عنه عامَّة أَمره ، إلى أَنْ قُتل .

وقوله : (فاستَنزَل الزَّبَّاءَ قَسْرًا) البيت ، أَى أَنزل الزَّبَّاءَ . وفاعله ضمير عمرٍو المذكور فى البيت قبله ، والزَّبَّاءَ مفعوله .

الزباء

والزَّبَّاءُ ملكة اسمها نائلة ، وقيل فارعة ، وقيل ميسون . وكانت زرقاءَ . ومن النساءِ الموصوفات بالزَّرَق زرقاءُ اليمامة . وكانت البسوس أَيضاً زرقاءَ .

والزَّبَّاءُ تمدَّ وتقصر . فمن مدَّ جعل مذكرها أَزبّ ، ومن قصَر جعل مذكرها زَبَّان .

وكان لها شَعَرٌ ، وإذا مشت سحبته وراءَها ، وإذا نشرته جلَّلها فسمِّيت الزَّبَّاءَ . والأَزَبُّ : الكثير الشعر .

---

(١) ديوان الهذليين ٢ : ١١٧ وشرح السكرى ١١٩٠ .

واختُلف فى نسبها ، فقيل كانت روميَّة وكانت تتكلم بالعربيَّة ، ومدائنها على شاطىء الفرات من الجانب الشرقىّ والغربىّ . وقيل إنَّها بنتُ عمرو بن ظَرِب بن حسَّان ، من أهل بيت عاملة من العماليق ، ملَكت[1] الشام والجزيرة .

٤٩٩

وقيل إنَّ الزَّبَّاءَ بنت مليح بن البَرَاء ، كان أبوها ملكاً على الحَضْر ، وهو الذى ذكره عدىُّ بن زيد بقوله :

وأَخُو الحَضْرِ إذْ بناه وإذ دِجْـ ـلة تُجْبَى إليه والخابورُ[2]

قتله جذيمة وطرد الزبَّاءَ إلى الشام فلحقت بالروم . وكانت عربيَّةَ اللِّسان ما رُئِىَ فى نساءِ زمانها أجملُ منها . وكانت كبيرة الهمَّة ، وبلغت من همَّتها أَنْ جمعت الرجال وبذلت الأَموال ، وعادت إلى مملكة أبيها فأَزالت جذيمةَ عنها ، وبنَتْ على الفرات مدينتين متقابلتين ، وجعلتْ بينهما أنفاقاً تحتَ الأَرض ، وتحصَّنت ، وهادنت جَذيمة مدَّة ، ثم خطبها فاستدعته وقتلته ، كما تقدَّم شرحه فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الخمسمائة من باب العلم[3] .

وقوله : (من عقاب لُوح) الخ ، العُقاب بالضمِّ : طائر معروف . واللُّوح بالضم : الهواءُ ، والجوُّ ما بين السماءِ والأَرض . ونظم ابنُ دريد قولَ عمرو بن عدى لقصير : « كيف أَقدر على الزَّبَّاءِ وهى أَمْنَعُ من عُقاب لُوح الجوّ » كما يأْتى .

ومنتمًى : مرتفَع ، فى القاموس : وانتمى البازى : ارتفع من

---

(١) ش : « ملكة » .
(٢) ديوان عدى بن زيد ٨٨ .
(٣) الخزانة ٧ : ٢٩٣ – ٢٩٥ .

موضعه إلى آخر . ويروى : « أعلى منتهى » أى أعلى ما يُنتهَى إليه . قيل قد غلِط فيه ، لأنَّ العرب لا تقف بالتنوين ، ومنتمى هنا منصوب على التمييز ، والوقف فيه عند سيبويه على الألف المبدلةِ من التنوين .

وقد حقَّق الشارح المحقق فى باب الوقف (من شرح الشافية) أنَّ هذا ليس مذهب سيبويه ، وأنَّ هذه الألف لام الكلمة لا الألف المبدلة من نون التنوين .

وقَسْرًا : قهراً ، إمَّا مفعول مطلق وإمَّا حال . أى فاستنزل الزباءَ كارهةً . يريد أنَّ عمراً أخذ ثأْره منها فقتلها ، وإنَّما قدَر عليها بإعانة قَصير بن سعد ، من أصحاب جذيمة ، فإنَّه قال لعمرو بن عدى بعد قتل جذيمة : ألا تطلبُ بثأْر خالك ؟ فقال : وكيف أقدر على الزَّبَّاءِ وهى أمنع من عقاب لُوحِ الجوّ ! فأرسلها مثلاً . فقال له قصير : « اطلبُ الأَمرَ وخَلاَك ذمٌّ ! » ، فذهبت مثلاً أيضاً .

ثم إنَّ قصيرًا جدع أنفه وقطع أُذنَه بنفسه ، وفيه قيل : « لأَمر مَا جدَع قصيرٌ أنفه » . ثم لحق بالزّبّاءِ زاعماً أنَّ عمرو بن عدىّ صنع به ذلك ، وأنَّه لجأَ إليها هارباً منه ، ولم يزل يتلطَّف بها بطريق التجارة وكسب الأَموال ، إلى أن وثِقَتْ به وعلِم خفايا قصْرِها وأنفاقَه . فلما كان فى السَّفرة الثالثة اتَّخذ جُوَالقاتٍ كجَوالق المال ، وجعلَ رُبُطَها من داخل الجَوَالق فى أسفله ، وأَدخل فيها الرجالَ بالأَسلحة ، وأَخذ عَمرو بنَ عدىٍّ معه ، وقد كان قصيرٌ وصفَ لعمرو شأْن النَّفق ، ووصف له الزبَّاءَ ، فلمَّا دخلت الجمالُ المدينة جاءَ عمرو بن عدى على فرسِه فدخل الحِصن بعَقِب الإبل ، وبركت الإبلُ ، وحَلَّ الرجالُ الجوالقات

ومَثَلوا بالمدينة ، ووقف عمرٌو على باب النفق ، فلما جاءت الزباءُ هاربة جلَّلها بالسَّيْف واستباح بلادها .

وقد تقدَّم شرح هذه القصة بأَبْسَطَ من هذا فى شرح الشاهد المذكور .

وترجمة ابن دريد تقدمت فى الشاهد الثامن والسبعين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والعشرون بعد الستِّمائة[2] :

٥٠٠ **٦٢١** (قُبِّحتُمُ يا آل زيدٍ نَفَرَا   أَلأَمَ قومٍ أَصغرًا وأَكبرًا)

على أَن أَفعل قد يأْتى بمعنى اسم الفاعل أَو الصفة المشبهة قياساً عند المبرِّد ، سماعاً عند غيره . وهو الأَصحُّ كما فى البيت فإِنَّهما بمعنى صغير وكبير .

وهذا البيت أَورده المبرِّد (فى الكامل) عند شرح قول الفرزدق :

إِنَّ الذى سمَكَ السَّماءَ بنى لنـا   بيتاً دعائمُهُ أَعزُّ وأَطـوَلُ

قال : وجائزٌ أَن يكون التقدير : دعائمه عزيزة طويلة ، كما قال الآخر :

* قبحتم ياآل زيد نفـرَا *   .... البيت

قال : يريد صغارًا وكباراً .

و (فى التسهيل وشرحه لابن عقيل) : واستعمالُه عارياً دون من

(١) الخزانة ٣ : ١١٩ – ١٢١ .

(٢) المقرب ٣ : ٣٤٧ والكامل ٤٢٣ .

مجرّدًا عن معنى التفضيل مؤوَّلاً باسم الفاعل : ﴿هو أعلمُ[١] بكم﴾ أى عالمٌ أو صفةً مشبهة : ﴿وهو أهْوَن عليه[٢]﴾ أى هيِّن ــ مطَّردٌ عند المبرد . وعليه المتأخِّرون . وحكى ابن الأنبارىّ الجوازَ عن أبى عبيدة ، والمنعَ عن النحويِّين . والأَصحُّ قصرُه على السَّماع . قِيل لقلَّة ما وَرَد[٣] من ذلك . وفيه نظر ظاهر ، ولعلَّ وجهه أنَّ الوارد قابلٌ للتأْويل ، إلا أنَّ فى بعضِ التأْويل تكلُّفاً ، وموضع التكلُّف قليل ، ومنه : ﴿بناتى هُنَّ أطهَرُ لكم[٤]﴾ أى طاهرات ، ﴿لا يَصْلَاها إلَّا الأَشقَى[٥]﴾ أى الشقىّ . والوجه ، أنَّ ذلك مطَّرد ، ولزومُ الإِفراد والتذكير فيما ورد كذلك أكثر من المطابقة . فالإِفراد : ﴿خيرٌ مستَقرًّا وأَحسَنُ مَقِيلاً[٦]﴾ ، ﴿نحن أعلمُ بما يستمعون[٧]﴾ والمطابقة :

إذا غاب عنكم أَسْوَدُ العَين كنتمُ كراماً وأَنتم ما أَقام أَلائِمُ[٨]

فأَلائم جمع أَلأَم بمعنى لئيم . وإذا صحَّ جمع أَفعل العارى المجرَّد عن معنى التفضيل إذا جرى على جمعٍ ، جاز تأْنيثه إذا جرى على مؤنَّث . وعلى هذا يكون قول الحَسن بن هانئ :

كأَنَّ كبرى وصُغرى من فقاقعها حصباءُ درٍّ على أَرضٍ من الذَّهبِ

صحيحاً ، لأَنَّه تأْنيث أَصغر وأَكبر ، بمعنى صغير وكبير ، لا بمعنى التفضيل . انتهى .

---

(١) الآية ٣٢ من سورة النجم .
(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .
(٣) ط : « أورد » .
(٤) الآية ٧٨ من سورة هود .
(٥) الآية ١٥ من سورة الليل .
(٦) الآية ٢٤ من سورة الفرقان .
(٧) الآية ٤٧ من سورة الإسراء .
(٨) نسب إلى الفرزدق فى العينى ٤ : ٥٧ وليس فى ديوانه .

وقال الشاطبي عند قول ابن مالك :

وأَفعلَ التَّفضيل صِلْهُ أبدَا تقديراً أو لفظاً بمن إنْ جُرِّدا

قوله : « أبدا » فيه تنكيت[1] وتنبيه على أنَّ المجرد لا يأْتي بمعنى اسم الفاعل مجرّداً من معنى من قياساً أصلاً ، خلافاً للمبرِّد القائل بأنه جائز قياساً ، فيجوز عنده أنْ تقول : زيد أفضل ، غير مقصودٍ به التفضيل على شيءٍ ، بل بمعنى فاضل . وزعم أنَّ معنى قولهم فى الأَذان وغيره : الله أكبر : الله الكبير ، لأَنَّ المفاضلة تقتضى المشاركة فى المعنى الواقع فيه التفضيل ، والمفاضلة فى الكبرياء هنا تقتضى المشاركة إن قدِّرَ فيه : من كل شيءٍ . ومشاركة المخلوق للخالق فى ذلك أَوْ فِى غيره من أَوصافِ الرَّبِّ مُحالٌ ، بل كلٌّ كبير بالإضافة إلى كبريائه لا نسبة له ، بل هو كلا شيءٍ . وكذلك قال فى قوله :﴿ وهو أَهوَنُ عليه[2]﴾ تقديره معنىً : وهو هيِّنٌ عليه ، لأَنَّ جميع المقدورات متساويةٌ بالنسبة إلى قُدرة الله ، فلا يصحُّ فى مقدورٍ مفاضلةُ الْهُونِ فيه على مقدورٍ آخر . ومنه قوله تعالى : ﴿هو أَعلم بكم﴾ إذ لا مشاركة لأَحدٍ بين علمه وعلم الله تعالى . ومن ذلك قول الفرزدق :

إن الذى سَمَكَ السماءَ بنى لنا بيتاً . . . البيت

أى عزيزة وطويلة . فهذه مواضعُ لا يصحُّ فيها معنى المفاضلة ، ٥٠١

---

(١) المراد بالتنكيت هنا الإشارة . وفى اللسان : « ونكت فى العلم بموافقة فلان أو مخالفة فلان : أشار » . والفعل فيه ثلاثى لا مضعف ، ومثل فى تاج العروس . والنكتة أصل معناها النقطة ، وفى الأساس : « ومن المجاز : جاء بنكتة وبنكت فى كلامه . . وقد نكت فى قوله ، ورجل منكت ونكات » . وفى تاج العروس عن الفنارى : « النكتة هى اللطيفة المؤثرة فى القلب من النكت ، كالنقطة من النقط ، وتطلق على المسائل الحاصلة بالنقل ، المؤثرة فى القلب ، التى يقارنها نكت الأرض غالباً بنحو الإصبع » .

(٢) سبق تخريج هذه الآية وتاليتها .

فثبت أنَّها صفات مجرَّدة عن ذلك ، مساويةٌ لسائر الصفات . ومثل ذلك كثير .

فقاس المبرِّد على ذلك ما فى معناه . فالناظم نكَّت عليه[1] ، وارتضى مذهب سيبويه ومن وافقه ، وأنَّ أفعل التفضيل لا يتجرَّد من معنى من إذا كان مجرَّدًا أصلا . وما جاء ممَّا ظاهرُه خلافُ ذلك فهو راجعٌ إلى تقدير معنى مِن ، أو إلى بابٍ آخر . فأمَّا المفاضلة فيما يرجع إلى الله تعالى فهى بالنسبة إلى عادة المخلوقين فى التخاطب ، وعلى حسب توهُّمهم العادىّ . فقوله : الله أكبر ، معنى ذلك أكبر من كلِّ شىءٍ يُتوهَّم له كِبْر ، أو على حسب ما اعتادُوه فى المفاضلة بين المخلوقين ، وإن كان كبرياءُ الله تعالى لا نسبة لها إلى كبْر المخلوق .

وكذلك قوله : ﴿ وهو أهْوَنُ عليه ﴾ يريد على ما جرت به عادتكم ؛ أنَّ إعادة ما تقدَّم اختراعُه أسهل من اختراعه ابتداءً .

وقوله : ﴿ هو أعْلَم بكُم ﴾ أى منكم ، حيث تتوهَّمون أنَّ لكم علماً ولله تعالى علماً ، أو على حدِّ ما تقولون : هذا أعلم من هذا .

وهى طريقة العربِ فى كلامها ، وبها نزل القرآن . خُوطبوا بمقتضى كلامهم ، وبما يعتادون فيما بينهم .

وقد بيَّن هذا سيبويه فى كتابه حيث احتاج إليه . ألا ترى أنَّه حين تكلَّم على لعلَّ فى قوله تعالى : ﴿ لعلَّه يَتَذَكَّرُ أو يَخْشَى[2] ﴾ صرف

(١) انظر التعليق السابق .
(٢) الآية ٤٤ من سورة طه .

مقتضاها من الطَّمع إلى المخلوقينَ فقال : والعلم قد أتى من وراءِ ما يكون ولكن اذهبا على طَمعكما ورجائكما ومبلغِكما من العلم . قال : وليس لهما إلاَّ ذاك[1] مالم يعلما .

وهذا من سيبويه غايةُ التحقيق . وكثيراً ما يذكر أمثال هذا فى كتابه .

وأمَّا بيت الفرزدق فغير خارج عن تقدير مِن ، فقد رُوِىَ عن رؤبة ابن العجَّاج أنَّ رجلاً قال له : يا أبا الجَحَّاف، أخبرنى عن قول الفرزدق : « أطولُ »، من كل شىءٍ ؟ فقال له : رُويدًا ، إن العربَ تجتزئُ بهذا . قال : وقال المؤذِّن : الله أكبر ، فقال رؤبة : أما تسمع إلى قوله : الله أكبر ، اجتزأ بها من أنْ يقول من كلِّ شىءٍ . هذا ما قال، وهو ظاهرٌ فى صحَّة التقدير ، وأنَّه مرادُ العرب .

ثم إنَّ الذى يدلُّ على أنَّ المراد معنى مِن ، أنَّ أفعل فى هذه المواضع ونحوِها لا يثنَّى ولا يجمع ، ولا يؤنَّث ، وما ذاك إلاَّ لمانع تقدير مِنْ ، كقوله تعالى : ﴿أصحاب الجنَّةِ يومَئِذٍ خيرٌ مُسْتَقَرًّا[2]﴾ وقوله : ﴿نحن أعلم بما يَسْتَمِعُونَ[3]﴾ ونحو ذلك .

والذى جاءَ من ذلك على الجمع شاذٌّ ، نحو ما أنشده الفارسى من قول الشاعر :

إذا غابَ عنكم أسودُ العين . . . البيت

أنشده المؤلف فى الشَّرح على أنَّه جمع ألأَم مجرّداً عن تقدير مِنْ .

---

(١) الذى فى سيبويه ١ : ١٦٧ بولاق و ٣٣١ من نسختى : « وليس لهما أكثر من ذا » .
(٢) الآية ٢٤ من سورة الفرقان .
(٣) الآية ٤٧ من سورة الإسراء .

وحمله الفارسىُّ على أنَّه جمع لئيم ، كقطيع وأقاطيع ، وحديث وأحاديث وحذف الزيادة . انتهى كلام الشاطبى .

ولم يذكر البيت الذى أنشده الشَّارح المحقق .

والتفضيل فيه غير مراد ، فإنَّ (أصغر) حالٌ من الضمير فى ألأَم ، والمعنى نسبتُهم إلى أشدِّ اللؤم فى حال صغرهم وفى حال كبرهم ، والتفضيل لا وجهَ له إلاَّ بتكلُّف ، وهو أن يكون التقدير : أصغر من غيره وأكبر منه . وهذا معنى سخيف . ويجوز أن يكون أصغر صفة لألأم للتعميم ، فيرجع إلى معنى الحاليَّة . ولا وجه لجعْله صفة لقوم . فتأَمَّل .

و (ألأَم) منصوب على الذمِّ ، ويجوز أن يكون صفةً لقوله نفرًا ، وَيجوز أيضاً رفعه على أنَّه خبر لمبتدإٍ محذوف ، والتقدير : أنتم ألأَم قومٍ ، والقطعُ للذمِّ أيضاً . واللُّؤم بالهمز : ضد الكرَم ، يقال لؤُم على وزن كرُمَ ، لُؤْماً ، فهو لئيم ، وهو الشحيح ، والدَّنِىءُ النَّفس ، والمهِين. ٥٠٢

وقوله : (قُبِّحتم) هو بالبناءِ للمفعول وتشديد الباء . يقال قَبَحه الله يَقْبَحه بفتح الباءين المخفَّفتين ، أى نحَّاه عن الخير . وفى التنزيل : ﴿ هُمْ مِنَ المَقْبُوحِين[1] ﴾ أى المبعَدين عن الفوز . وقبَّحه الله بتشديد الباء للمبالغة . والجملة دعائية . ويُقرأُ بضم التاءِ والميم للوزن .

و (نفراً) : تمييزٌ محوَّل عن الفاعل ، والتقدير : قُبِّح نفرُكم ياآل زيد . والنَّفَر بفتحتين : جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، وقيل إلى سبعة . ولا يقال نفر فيما زاد على العشرة . قاله صاحب المصباح . وفى ذكر النفر ذمٌّ أيضاً .

(١) الآية ٤٢ من سورة القصص .

والبيت لم أقفْ له على خبر . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد الستمائة[1] :

٦٢٢ (ملوكٌ عظامٌ من مُلوكٍ أعاظِمِ)

على أنَّ (أعاظم) بمعنى عظام ، وهو جمع أعظم بمعنى عظيم ، غير مراد به التفضيل . ولو كان مرادًا للزم الإفراد والتذكير .

ويأتى فيه ما نقله الشاطبىُّ عن الفارسىّ من أنّه جمع عظيم مع حذف الزيادة[2] .

والمصراع من أبياتٍ لأعرابىٍّ . والرواية كذا :

أبيات الشاهد

(توسَّمتُه لمَّا رأيتُ مهابةً ... عليه وقلتُ : المرءُ من آل هاشمِ

وإلاَّ فمِنْ آل المُرار فإنَّهمْ ... ملوكٌ عظامٌ من كرام أعاظمِ

فقمتُ إلى عنزٍ بقيّةِ أعنزٍ ... لأذبحَها فعلَ امرئٍ غير نادمِ

فعوَّضنى عنها غِنَاىَ ، ولم تكن ... تُساوِىُ عنزى غيرَ خمسِ دراهمِ

فقلت لأهلى فى الخلاءِ وصِبْيتى ... أحقًّا أُرى أم تلك أحلام نائمِ

فقالوا جميعاً : لا بل الحقُّ هذه ... تخبُّ بها الرُّكبانُ وسْطَ المَواسمِ

بخمسِ مئينٍ من دنانير عُوِّضت ... من العنز ما جادت به كفُّ حاتِمِ)

رُوى أنَّ عُبيد الله بن العبَّاس ، رضى الله عنهما ، خرجَ مرّةً من المدينة يريد مَعاوية فى الشَّام ، فأصابته سماءٌ ، فنظر إلى نُويرةٍ عن يمينه[3] ، فقال لغلامه : مِلْ بنا إليها . فلما أتيَاها إذا شيخ ذو هيئة

---

(١) لم أجد له تخريجا .

(٢) انظر نهاية نص الشاطبى السابق فى ٢٨١ س ٢ .

(٣) النويرة : مصغر النار .

رثَّة ، فقال له : أَنِخ انزلْ حُيِّيت ! ودخل إلى منزله فقال لامرأته : هَيِّئى شَاتَكِ أَقضى بها ذمامَ هذا الرجل ، فقد توسَّمتُ فيه الخير ، فإن يكن من مُضَر فهو من بنى عبد المطَّلب ، وإن يكن من اليمن فهو من بنى آكل المُرار . فقالت له : قد عرفتَ حالَ صبيتى وأنَّ معيشتهم منها ، وأخاف الموتَ عليهم إن فقَدُوهَا . فقال : موتهم أَحبُّ إلىَّ من اللؤم . ثم قبض على الشاة فأَخذَ الشَّفرةَ وأنشد :

قريبتى لا تُوقِظى بَنِيَّـــه ... إن يُوقَظُوا يَنسحبوا عليَّه
وينزِعُوا الشَّفرةَ من يديَّه ... أُبغِض هذا أن يُرَى لديَّه

ثم ذبحَهَا وكشط جلدها وقطَّعها أَرباعاً وقذفها فى القِدر ، حتَّى إذا استوت أَثَّرَدَ فى جَفنةٍ فعشَّاهم ثم غدَّاهم ، فأَراد عبيدُ الله الرحيل فقال لغلامه : ارمِ للشيخ ما مَعَك من نفقة . فقال : ذَبَح لك الشاة فكافأْتَهُ[(١)] بمثل عشرةِ أَمثالِها ، وهو لا يعرفك؟ فقال : ويحك ، إنَّ هذا لم يكن يملك من الدنيا غير هذه الشاة ، فجاد لنا بها وإن كان لا يعرفنا ، فأَنا أَعرِف نفسى ، ارمِ بها إليه . فرماها إليه فكانت خمسمائة دينار . فارتحل عُبيد الله فأَتى معاويةَ فقضى حاجتَه ثم أَقبل راجعاً إلى المدينة ، حتَّى إذا قرُبَ من ذلك الشيخ قال لغلامه : ملْ بنا إليه ننظرْه فى أَىِّ حالة هو ؟ فانتَهيَا إليه فإذا برجلٍ سرىٍّ عنده دُخَانٌ عالٍ ورَمَاد كثير ، وإبل وغنم ففرح بذلك وقال له الشيخ : انزل بالرُّحْب والسَّعة . وقال : أتعرفنى ؟ فقال : لا والله فمن أنت ؟ فقال : أنا نزيلُك ليلة كذا وكذا . فقام إليه فقبَّل رأْسه ويدَيه ورجليه ، وقال : قد قلتُ أَبياتاً أَتسمعها منِّى ؟

٥٠٣

(١) ط : « فكافئه » ش : « فكافنه » ، كلاهما محرف عما أثبت .

فقال : هات . فأنشد هذه الأبياتَ ، فضحك عُبيد الله وقال : أعطيتنا أكثرَ ممَّا أخذْتَ منَّا ، ياغلام أعطِه مثلَها !

فبلغَتْ فَعلتُه معاويةَ فقال : لله درُّ عُبيد الله ، من أىِّ بيضةٍ خرج ، وفى أىّ عُشٍّ درج ، وهى لعَمرِى من فَعَلاته !

وقوله :« توسَّمته » بمعنى تفرَّسته ، من التوسُّم ، يقال توسَّمت فيه الخير أى طلبت سِمَتَه .

وقوله : « وإلاَّ فمن آل المرار » أى إن لم يكن من آل هاشم فهو من آل المرار ، على حذف مضاف أى آل آكِل المُرار ، وهم ملوك اليمن . قال صاحب القاموس : والمرار بالضم : شجرٌ مِن أفضل العُشب وأضخمِه ، إذا أكلته الإبلُ قلَصت مشافرُها فبدَت أسنانُها ، ولذلك قيل لِجدِّ امرئ القيس : « آكلُ المرار » ؛ لكثرِ كان به .

وقال الشريف الجوَّانى : إنَّ فى آكل المُرار خِلافاً ، هل هو الحارث ابن عمرو بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتِّع [(١)] ؟ أم هو حُجر بن عمرو بن معاوية ؟ وإنَّ الحارث إنَّما سُمِّىَ آكلَ المرار لأنَّ عمرو بن الهَبُولَةَ الغسَّانىَّ أغار عليهم ، وكان الحارث غائباً ، فغنِم وسَبى ، وكان فيمن سبى أُمُّ أُناسٍ بنتُ عَوف بن محلِّم الشَّيبانىِّ امرأةُ الحارث ، فقالت لعَمرو بن الهَبُولة فى مسيرِه : لكأنِّى برجلٍ أدلمَ أسودَ ، كأنَّ مشافرَهُ مشافرُ بعيرٍ آكلِ المرار ، قد أخذ برقبتك ! تعنى الحارث . فسمِّىَ آكل المرار . والمُرار ، كغراب : شجر مرٌّ إذا أكلت منها الإبل تقلَّصت مشافرها . ثم تبعه الحارث فى بكر بن وائل فلحقَه فقتله ، واستنقذ امرأته وما كان أصاب .

---

(١) ابن الأنبارى فى شرح القصائد ٤ : « وإنما سمى مرتع مرتعاً لأنه كان من أتاه من قومه تعه ، أى جعل له مرتعا لماشيته » .

وقال ابن دريد (فى كتاب الاشتقاق) : إنَّ آكل المرار الحارث جدُّ امرئ القيس الشاعر ابن حُجر .

وقوله : « مُلوكٌ عظامٌ » إلخ ، بتنوين ملوك ، وعظامٌ وصْفُه ، وكذلك ما بعده .

وقوله : « فعوَّضنى » الخ ، فاعله ضمير المرءِ من آل هاشم ، المراد به عبيد الله بن عباس . و « غناى » المفعول الثانى لِعوَّض . والغنى : ضد الفقر ، وضمير عنها لِلعنز .

وقوله : « تُساوىُ » بضم الياءِ للضرورة ، أورده ابن عصفور (فى كتاب الضرائر[1]) وقال : أجرى حرف العلَّة مجرى الحرف الصحيح فأظهر الضمَّة عليه .

وكذا أورده المرادىُّ (فى شرح الألفية) .

وقوله : « فقلت لأَهلى » إلخ ، الخلاءُ بالفتح والمد : الفضاء . وصِبية : جمع صبىّ ، أى قلت لزوجتى وأولادى .

وقوله : « أَحَقًّا[2] أرى » إلخ . يقول : من شدَّة سرورى بالدنانير دُهِشت فقلت لهم مستفهماً : أما أراه حقًّا ، أم تلك الدنانير أضغاثُ أحلام ؟ وقوله : « تخبُّ بها » أى بذكرها ، أى بذكر الدنانير . وتخُبُّ ، تسرع من الخَبَب ، وهو ضربٌ من العَدْو ، وفعله من باب نصر . ورُكبان جمع راكب . والمواسم : جمع مَوسِم الحج .

وقوله : « بخمس مئينٍ » إلخ ، هو بدلٌ من قوله بها . ومئين بالكسر والتنوين لغةٌ ، أَوْ ضرورة جمع مائة . وعُوِّضت : جُعِلت عوضاً من العنز . ٥٠٤

(١) الضرائر ٤٦ ، ٢٧٣ .
(٢) ط : « أحق » ، صوابه فى ش .

عبيد الله بن العباس

وقوله : « ما جادت » إلخ . ما نافية ، أى لم تجُدْ كفُّ حاتم بهذا الجود . ويحتمل أن تكون ما موصولة خبر مبتدإ محذوف ، أى هى ماجادت به كفُّ حاتم . المراد به عُبيد الله بن العباس بالتصغير . وهو أخو عبد الله بن العباس رضى الله عنهم ، حَبْرُ هذه الأُمَّة . والأَوَّل مشهورٌ بالجود معدودٌ من الأَجواد ، والثانى مشهورٌ بالعلم ، وإن كانا فى العلم والجُود مشتركين .

وقد أورد ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) بعضَ ما يتعلَّق بجود عبيد الله[1] .

منها : أَنَّه أول من فَطَّر جيرانَه فى رمضان ، وأَوّل من وضع الموائد على الطُّرُق ، وأَوّلَ من حيَّا على طعامه[2] ، وأَوّل من أَنهبه .

ومن جوده : أَنَّه أَتاه رجلٌ وهو بفِناءِ داره ، فقام بين يديه فقال يا ابن عبَّاس ، إنَّ لى عندك يدًا وقد احتجتُ إليها . فصعَّد فيه بصَره وصوَّبه فلم يعرِفْه ، ثم قال له : ما يدُك عندنا ؟ قال : رأَيتك واقفاً بباب زمزم[3] وغلامُك يمتَح لك من مائها ، والشَّمسُ قد صهرتك ، فظَلَّلْتُك بطرَف كسائى حتَّى شربت . قال : إنِّى لأَذكر ذلك ، وإنَّه يتردَّد بين خاطرى وفكرى . ثم قال لقيِّمه : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم . قال : ادفعها إليه وما أُراها تَفِى بحقِّ يده عندنا . قال له الرجل : والله لو لم يكن لإسماعيل ولدٌ غيرك لكان فيه ما كفاه ، فكيف

(١) العقد ١ : ٣٤٠ – ٣٤٣ .

(٢) أى قال حى على الطعام ، أى هلموا إليه وأقبلوا .

(٣) فى العقد : « بزمزم » .

وقد وَلَد سيِّدَ الأوَّلين والآخِرين محمدًا صلى الله عليه وسلم . ثمَّ شفَعَ[١] بأبيك وبك .

ومن جوده أيضاً : أنَّ معاوية حَبس عن الحسين بن عليٍّ صِلاتِه حتَّى ضاقت حالُه عليه ، فقيل[٢] : لو وجَّهت إلى ابن عمكَ عُبيد الله ، فإنَّه قَدِم بنحو ألف ألف درهم . فقال الحسين : وأين تقع ألف ألفٍ من عُبيد الله ، فوالله لهو أجْوَد من الرِّيح إذا عَصَفت ، وأسخى من البحر إذا زخَر . ثم وجَّه إليه مع رسوله بكتابٍ ذكر فيه حبسَ معاوية عنه صِلاتِه وضيقَ حاله ، وأنَّه يحتاج إلى مائة ألف درهم . فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان من أرقِّ الناس قلبًا انهملتْ عيناه ، ثم قال : ويلك يا معاوية ما اجترحَتْ يداك من الإثم حين أصبحت ليِّن المهاد ، رفيعَ العماد ، والحسينُ يشكو ضِيقَ الحال ، وكثرةَ العيال ! ثم قال لِقَهرمانه : احمل إلى الحسين نصفَ ما أملكه من فضَّة وذهب ، وثوبٍ ودابَّة ، وأخْبِرْه أنِّى شاطرتُهُ مالى ، فإن أقنعَه ذلك وإلاَّ فارجعْ واحملْ إليه الشَّطر الآخر . فقال له القيم : فهذه المؤن التى عليك من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بلغنا ذلك دللتُك على أمرٍ يُقيم حالك . فلما أتى الرسولُ برسالته إلى الحسين قال : إنَّا لله ، حملتُ والله على ابن عمِّى ، وما حسبته يتَّسع لنا بهذا كلِّه . فأخذ الشَّطرَ من ماله . وهو أوّلُ من فعل ذلك فى الإسلام.

ومن جوده : أنَّ معاوية أهدَى إليه وهو عندَه بالشام من هدايا النَّيرُوز حُللًا كثيرة ، ومِسكًا ، وآنيةً من ذهبٍ وفضَّة ، ووَجَّهها مع حاجبه ، فلمَّا وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها فقال : هل فى

---

(١) فى العقد : « ثم شفعه » .

(٢) العقد : « فقيل له » .

نفسك منها شيءٌ ؟ فقال : نعم ، والله إنَّ فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام ! فضحك عُبيد الله وقال : فشأْنَكَ بها فهى لك . قال : جُعِلتُ فداك ، أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجِدَ علىَّ . قال : فاختِمْها بخاتَمك ، وارفَعْها إلى الخازن ، فإذا حان خروجُنا حملَها إليك ليلا . فقال الحاجب : والله لهذه الحيلةُ فى الكرم أكثر من الكرم ، ولوددتُ أنِّى لا أموت حتى أراك مكانه ، يَعنى معاوية ، فَظَنَّ عُبيد الله أنَّها مكيدة منه . قال : دع عنك هذا الكلام فإنَّا قومٌ نَفِى بما وعَدْنا ، ولا ننقُض ما أكَّدَنا .

٥٠٥

ومن جوده أيضاً : أنَّه أتاهُ سائلٌ وهو لا يعرفه ، فقال له : تصدَّقْ فإنِّى نبِّئتُ أنَّ عُبيد الله بنَ العباس أعطى سائلاً ألفَ درهم واعتذرَ إليه . فقال له : وأين أنا من عُبيد الله ؟ قال : أين أنت منه فى الحسَب أم كثرة المال ؟ قال : فيهما . قال أمَّا الحسَب فى الرجُل فمروءته وفعله ، وإذا شئتَ فعلتَ ، وإذا فعلتَ كنت حسيباً . فأعطاه ألفى درهم واعتذر إليه من ضيق الحال ، فقال له السائل : إن لم تكن عُبيدَ الله بن عبَّاس فأنت خيرٌ منه ، وإنْ كنته فأنت اليوم خيرٌ منك أمس ! فأعطاه ألفاً أخرى ، فقال السائل : هذه هِزَّة كريم حسيبٍ ، والله لقد نقرتَ حبَّةَ قلبى فأفرغتَها فى قلبك فما أخطأْتَ إلَّا باعتراض الشدِّ من جوانحى [1]

ومن جوده أيضاً : أنَّه جاءه رجلٌ من الأنصار فقال : ياابن عمِّ رسول الله ، وُلد لِى فى هذه الليلةِ مولودٌ وإنِّى سميته باسمكَ تبرُّكاً منِّى به ، وإنَّ أُمَّه ماتت . فقال عُبيد الله : باركَ الله لك فى الهبَة ، وأجزل لك

(١) العقد : « إلا باعتراض الشك بين جوانحى » .

الأَجر على المصيبة . ثم دعا بوكيله فقال : انطلق الساعة فَاشترِ للمولود جاريةً تحضُنه ، وادفعْ إليه مائتى دينارٍ للنفقة على تربيته . ثم قال للأنصاريّ : عُد إلينا بعد أيام فإنَّك جئتَنا وفى العيش يُبس ، وفى المالِ قِلَّة ! قال الأنصاريّ : لو سبقتَ حاتماً بيومٍ واحد ما ذكرَتْه العرب أبداً ولكنّه سبقَك فصرتَ له تالياً ، وأنا أشهد أنَّ عفوك أكثر من مجهوده[1] وطَلَّ كرمِك أكثرُ من وابله .

هذا ما اخترناه من العِقد ، وفيه كفاية ، وقصَدْنا بتسطيره الثواب وإن كنَّا أطلنا به الكتاب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد السِّتمائة[2] :

٦٢٣ (لَعَمْرُكَ ما أَدرِى وإنِّى لَأَوْجَلُ
على أَيِّنا تَعْدُو المنيَّةُ أَوَّلُ)

على أنَّ (أَوَّلُ) بنى على الضم لحذفِ المضافِ إليه ونيّةِ معناه . والأَصل : أَوَّلَ أوقاتِ عَدْوِها .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : إنَّما بنيت أوّل هنا لأنَّ الإضافة مرادةٌ فيها ، فلما اقتُطعت منها وهى مرادة فيها بنيت كقَبْلُ وبعد ، فكأنَّه قال : تعدو المنيَّة أَوَّلَ الوقت . وأصلها قبل الإضافة أن

---

(١) العفو : ماكان بغير مسألة .

(٢) المقتضب ٣ : ٣٤٦ والكامل ٣٥٧ ، ٤٢٣ والمنصف ٣ : ٤٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٢٨ / ٢ : ٢٦٣ وابن يعيش ٤ : ٦/٨٧ : ٩٨ وشذور الذهب ١٠٣ والعينى ٣ : ٤٣٩ والأشمونى ٢ : ٢٦٨ ٢ : ٢٦٨ ويس على التصريح ٢ : ٥٢ وديوان معن ٥٦ . وشرح الحماسة للمرزوقى ١١٢٦ والتبريزى ٣ : ١٣٢ .

تكون معها مِنْ لِيتِمَّ بها قبل الظرفية صفة ، فتكون كقديم وحديث[١] لم تنقل عن الوصف إلّا إلى الظرّفيّة[٢] . فإذا صحّ فيها مذهب الصّفة فلابدَّ فيها من معنى مِن قبل الإضافة ، فإذا تصوِّرت صفةً قبل ذلك أمكن حينئذ نقلها إلى الظرف كسائر ما نقل إلى الظروف من الصِّفات ، نحو قديم وحديث ، ومَلِيّ وطويل . وأَوجَلُ ممَّا جاء على الصفات على أفعل لا فعلاء له . أَلا تراهم لايقولون وَجْلاءُ ، استغنَوْا عنها بِوَجِلة .اهـ .

وظنّه العينى فعلا مضارعاً فقال : قوله : لأَوجل أَى لأَخافُ ، من وجِل يَوجَل .

و (عمرك) ، بفتح العين : مبتدأٌ محذوف الخبر ، أَى قسمي ، وجملة ما أَدرى جواب القسم . والمصراع الثانى فى محل نصب على أَنَّه سادٌّ مسدَّ مفعولَىْ دَرى ، معلَّق عن العمل فى لفظه بسبب الاستفهام ، وعلى متعلقة بتَعدُو . وأَخطأَ العينى فى قوله : مفعول أَدرى محذوف تقديرهُ : ما أَدرى مايُفعل بنا أَو مايكون ، ونحوُ ذلك . ولم يتعرَّض لجملة على أَيِّنا تعدُو إلخ . وهو بالعين المهملة مِن عدا عليه يعدو عَدْوًا ، بمعنى ظَلم وتجاوزَ الحد . وروى بالغين المعجمة ، من غدا غَدْوًا[٣] ، أَى ذهب غُدوة ، وهى ما بينَ صلاة الصُّبح وطلوع الشمس . هذا أَصله ، ثم كثُر حتى استعمل فى الذهاب والانطلاق أَىَّ وقت كان . والمنيَّة : الموت . وأَوّلُ : ظرفٌ مبنىٌّ ، وموضعه النصب بتعدو ، وجملة وإنِّى لأَوجل جملة معترضة بين أَدرى وبين السادِّ عن مفعوليها . وأَوجَل معناه خائف . والمعنى :

---

(١) فى إعراب الحماسة : « كلى وقديم وحديث » .
(٢) فى إعراب الحماسة : « ثم تنقل عن الوصف إلى الظرفين » .
(٣) يقال غدا يغدو غدواً ، وغدواً أيضاً على فعول .

أُقسم ببقائك ما أعلم أَيُّنا يكون المقدَّم فى عَدْوِ الموت عليه . وهذا كما قال الآخر :

فأَكرِمْ أخاك الدَّهرَ ما دمتما معاً ... كفى بالممات فُرقةً وتنائيا

والبيت مطلع قصيدةٍ لمعن بن أَوسٍ المُزَنِىِّ، أَورد بعضَها أَبو تمام (فى الحماسة) . ونحن نقتصر عليه .

سبب الشعر

قال شُرَّاحها : وسبب هذا الشعر أَنَّه كان لمعن بن أَوس صديقٌ ، وكان معنٌ متزوِّجاً بأُخته ، فاتَّفق أَنَّه طلقها وتزوَّج بأُخرى ، فحَلف صديقُه أَن لا يكلِّمه أبدًا . فقال معن هذه القصيدة يستعطف بها قلبَه ويسترقُّه له . وفيها ما يدلُّ على القصَّة ، وهو قوله :

فلا تغضَبَنْ أَن تُستعارَ ظعينةٌ ... وتُرسَلَ أُخرى ، كلُّ ذلك يُفعلُ

والأَبيات التى أَوردها أبو تمام بعد المطلع هى هذه :

(وإنِّى أخوك الدائمُ العَهدِ لم أَحُـلْ
إنَ ابزَاكَ خَصمٌ أَو نبـا بك منزلُ

أُحاربُ من حاربتَ من ذى عـداوةٍ
وأَحبسُ مالى إنْ غَـرِمْتَ فأَعقـلُ

كأَنَّك تَشفِى منك داءَ مسـاءَتى
وسُخطى ، وما فى رَيْثِى ما تَعجَّـلُ

وإن سُؤْتَنى يومـاً صَبَرتُ إلى غـدٍ
ليُعقِبَ يوماً مِنك آخرُ مقبـلُ[1]

(١) فى الحماسة والديوان ٣٦ : « صفحت » . وفى الديوان أيضاً : « ليعقب يوم » .

وإنِّى على أشياءَ منكَ تَرِيبُنى
قديماً لذو صفحٍ على ذاكَ مُجمِلُ
ستقطعُ فى الدُّنيا ، إذا ما قطعتَنى
يمينكَ ، فانظرْ أىَّ كفٍّ تبدَّلُ
وفى النَّاس إن رثَّتْ حبالُك واصلٌ
وفى الأَرض عن دار القِلى متحوَّلُ
إذا أنتَ لم تُنصِف أخاك وجدتَه
على طَرَف الهِجران إنْ كانَ يَعقِلُ
ويركبُ حدَّ السَّيف من أنْ تَضِيمَه
إذا لم يكنْ عن شَفرة السَّيفَ مَزْحَلُ
وكنتُ إذا ما صاحبٌ رامَ ظِنَّتى
وبَدَّلَ سُوءى بالذى كنت أفعَل [١]
قلبتُ له ظَهرَ الْمِجنِّ ولم أَدُم
على ذاكَ إلَّا ريثَما أَتحوَّلُ
إذا انصرفتْ نفسى عن الشَّىءِ لم تكَدْ
إليه بوجهٍ آخرَ الدَّهرِ تقبلُ [٢])

وقوله : « وإنِّى أخوك » إلخ . يقول : إنِّى أخوك الذى يدوم عهدُه ولا يزول ولا يَحُول إن أبزاك خصم ، أى غلبَك وقهرك . يقال بزَوت الخصمَ بَزْواً ، وأَبزيته إبزاءً ، بالباءِ الموحَّدة والزاى . ويجوز أن يكون أَبزاك من بَزِىَ يبزَى بزًى فهو أبزَى ، وهو دخول الظهر وخُروج البطن

(١) هذا مافى ش . وفى ط والحماسة والديوان : « سوءاً » .
(٢) فى الديوان : « عليه بوجه » .

ويكون المعنى : إن حمَّلك خَصمٌ من الثقل ما يَبزَى له ظهرُك فلا تطيق الثَّباتَ تحته والنهوضَ به .

وقوله : « أُحارب مَن حاربت » إلخ ، هذا تفسير دوام عهده ، أى تجدنى ذاباً عنك ، وإن أصابك غُرم حبستُ مالى عليك . وأَعقل عنك ، يقال عقَلت عنه إذا غرمت ما لزمه فى ديته . وعَقلتُه ، إذا أعطيتَ ديتَه . ويجوز أن يكون معنى فأَعقل : أَشدُّها بعُقُلها بفنائك لتدفَعَها فى غرامتك . والمال إذا أُطلِق يراد به الإبل . ٥٠٧

وقوله : « كأَنَّك تشفِى » إلخ ، يريد : إساءتك إلىّ وسخطك علىّ ، فأَضافهما إلى المفعول . والمعنى : إنَّك تستمر فى إساءتك إلىَّ حتَّى كأَنَّ بك داءً ذاك شِفاؤُه . والرَّيثة : ضدُّ العجلة . يقول : ليس فى أناتى وتركى مكافأتك ما يجبُ أن يتعجَّل علىَّ بما يسوءُنى .

وقوله : « وإن سُؤْتَنى يوماً » إلخ ، أى إنْ فعلتَ ما يسوءُنى تجاوزتُ إلى غدٍ ليجىءَ يومٌ آخر مقبلٌ منك بيومٍ يسرُّنى .

وقوله : « ستقطع فى الدنيا » إلخ ، يقول : أنا لك بمنزلة يدك اليمنى ، فإذا قطعتَنىَ فإنَّما تقطع يمينك .

وقوله : « وفى الناس إنْ رثَّتْ » إلخ ، يقول : إذا انقطعت حبالُ الودِّ بينى وبينك ورَثَّت ففى الناس واصلٌ غيرك . وإذا نبا بِى جوارُكَ ففى جوانب الأَرض متحوَّلٌ عن دار البُغض .

وقوله : « إذا أنت لم تُنصف » إلخ ، أى إذا لم تُنصف أَخاك ولم توفِّه حقوقَ إخائه وجدته هاجراً لك مستبدِلاً بك إن كان له عقل ، ثم لا يبالى أَنْ يركب من الأُمور ما يقطِّعه تقطيع السيف ، ويؤثِّر فيه تأْثيره ، مخافة أن يصيبه ضيمٌ مَتَى لم يجد عن ركوبه معْدِلاً .

وقوله: « من أن » أى بدلاً من أن. وشَفرة السَّيف بالفتح: حدُّه. ومَزحل، بالزاى والحاء المهملة: مصدر زحَل عن مكانه، إذا تنحَّى عنه وتباعد.

وقوله: « وكنت إذا ما صاحبٌ » إلخ، رام ظِنَّتى بالكسر: عرَّضنى لاتِّهامِ عَقْده والارتياب بودِّه، بأن عدَّ إحسانى إليه إساءة. ومعناهُ: رام إيقاعَ التُّهمة علىّ.

وقوله: « قلبتُ له ظهر » إلخ، أى اتَّخذته عدوًّا وقلبت له ظهر التُّرس متَّقياً منه، ولم أَدُمْ على الحال المذكورة معه إلاَّ قدر ما أتحوَّل، وبُطء ما أتَنَقَّل.

قال المبرد (فى الكامل): دخلَ عبد الله بن الزَّبِير[1] يوماً على معاوية فقال: اسمعْ أبياتاً قلتُها. وكان واجداً عليه. فقال معاوية: هاتِ. فأنشده:

إذا أنت لم تُنصفْ أخاكَ وجدتَه على طَرَف الهِجرانِ إنْ كان يَعقلُ

مع البيت الذى بعده. فقال له معاوية: قد شَعَرت بعدنا يا أبا بكر! ثم لم ينشَب معاويةُ أن دَخلَ عليه معنُ بن أوسٍ المُزَنىُّ فقال: أقلتَ بعدنا شيئاً؟ فقال: نعم. فأنشده:

لعمركَ ما أدرى وإنِّى لأَوْجَلُ على أيِّنا تَعدو المنيَّة أوّلُ

حتى صار إلى الأبيات التى أنشدها ابنُ الزَّبِير، فقال له معاوية: يا أبا بكر، أمَا ذكرت آنفاً أنَّ هذا الشعرَ لك؟ قال أصلحتُ المعانىَ وهو ألَّف الشعر، وهو بعدُ ظِئرى، فما قال من شىءٍ فهو لى. وكان عبد الله مُسترضَعاً فى مُزينة. انتهى.

(١) عبد الله بن الزبير، بفتح الزاى وكسر الباء، ترجم فى ١ : ٢٦٤ – ٢٦٦.

والظِّئر ، بكسر الظاءِ المعجمة بعدها همزة ساكنة : المرأة الأجنبية تحضُن ولد غيرها . ويقال للرجُل الحاضن ظئر أيضاً . وهذا هو مراد ابن الزَّبير .

وقال الحُصْرىّ (فى زهر الآداب) بعد إيراد هذه الحكاية : أراد ابنُ الزبير معاتبة معاوية بشعرِ معن ، وليس ادّعاؤه على حقيقةٍ منه .

وهذان البيتان قد أوردهما صاحب تلخيص المفتاح فى السرقات الشعرية .

وترجمة معن بن أوس المزنى تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين بعد الخمسمائة[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(ولا ناعبٍ إلاَّ ببين غُرابُها)

هو عجزٌ ، وصدره :

(مشائيمُ ليسوا مصلِحِين عشيرةً)

على أنَّ (ناعبا) عَطف بالجرِّ على مصلحينَ المنصوب على خبر ليْسُوا ، لِتَوَهُّم الباءِ ، فإنها تزاد فى خبر ليس . ٥٠٨

وقد تقدَّم الكلام على هذا البيت فى الشاهد الثامن والسبعين بعد المائتين[2] .

---

(١) الخزانة ٧ : ٢٦٠ – ٢٦٣ .
(٢) الخزانة ٤ : ١٥٨ – ١٦٥ .

ومشائيم : جمع مشؤوم ، من شئِم عليهم بالبناء للمفعول ، فهو مشئوم ، إذا صار شُؤماً . يقول : لا يُصلحون أمر العشيرة إذا فسد ما بينهم ، ولا يأْتمرون بخيرٍ ، فغرابُهم لا ينعَب إلَّا بالتشتيت والفراق . وهذا مثَلٌ للتطيُّر منهم والتشاؤم بهم . والنعيب : صوتُ الغراب ومدُّ عنقِه عند ذلك.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الستمائة[1] :

٦٢٤ (فى سَعْيِ دُنْيا طالما قد مُدَّتِ)

على أنَّ (دنيا) قد جُرِّدت من اللام والإضافة لكونها بمعنى العاجلة.

يريد أنَّ الاسمية غلبت عليها لِكثرة استعمالها ، ولهذا لم تجر على موصوف غالباً ، كما غلبت الاسمية على نحو الأَجرع والأَبطَح .

قال ابن يعيش : القياس فى دنيا أن يكون بالألف واللام ، لأَنَّه صفة فى الأَصل على أنه فُعلى ومذكره الأَدنى ، مثل الأَكبر والكبرى . وهو من دنوت ، فقلبت الواو فى الأَدنى ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها ، وذلك بعد أَنْ قُلبت ياءً لوقوعها رابعة . وقد تقدَّم أَنَّ الأَلف واللام تلزم هذه الصفة ، إِلَّا أَنَّهم استعملوا دنيا استعمالَ الأَسماء ، فلا يكادون يذكرون معه الموصوف ، ولذلك قلبوا اللام منه ياءً لضربٍ من التعادل والعوض[2] ، كأَنَّهم أَرادوا بذلك الفرقَ بين الاسم والصفة[3] ، فلمَّا غلب عليها حكم

---

(١) الكشاف ٢ : ٣٠ وابن يعيش ٦ : ١٠ وديوان العجاج ٥ .

(٢) أى لئلا يجتمع ثقل الضمة فى أول الكلمة والواو فى آخرها ، فقلبت الواو ياء ليتحقق التعادل والخفة .

(٣) أى إنهم إنما أجروا التعديل فى الاسم لأنه أسبق من الصفة وأولى بالتعديل والتخفيف فقلبت واوه ياء فى نحو : الدنيا والعليا والقصيا . وأما الصفة التى على فعلى بالضم ، فقد بقيت على ثقلها ، بضم أولها وبالواو فى آخرها ، وذلك نحو : الغزوى والقصوى . وانظر شرح الشافية ٣ : ١٧٧ — ١٧٩ .

الأسماء أجرْوها مجرى الأسماء . وكانت الألف واللام لا تلزم الأسماء فاستعملوها بغير ألف ولام ، كسائر الأسماء . انتهى .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى: ﴿إنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحرٍ[1]﴾ من سورة طه . قال : إنَّ تنكير ساحر مع كونه معلوماً معيَّناً لأجل تنكير المضاف ، وهو كَيْد ، كما نكَّر الشاعر دنيا ، لِأَجلِ تنكير سَعى . والمراد كيدٌ سحريٌّ وسعْيٌ دنيويٌّ . ولو عرِّف السحر والدُّنيا لصار الكيد والسعى معرفتين ، والمراد تنكيرهما ، إذِ الغرض كيدٌ مَا وسعيٌ ما .

وقال أبو حيان : البيت محمولٌ على الضرورة ، إذ دنيا تأْنيث الأدنى، لا يستعمل إلّا بالألف واللام أو بالإضافة. وأمّا قول عُمر : « إنِّى لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا فى عمل دُنيا ولا فى عمل آخرة »، فيحتمل أنْ يكون من تحريف الرُّواة . انتهى .

ولا يخفى أنَّه ورد فى الحديث الصحيح : « فإنْ كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها » . ولم يقل غيره إنَّ دنيا ضرورة . نعم تنوينه ضرورة[2] ، ذكره ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند[3] قول المثلَّم بن رياح المرّى :

إنى مقسِّمٌ ما ملكتُ فجاعلٌ ... أجراً لِآخرةٍ ودنيًا تنفعُ[4]

قد استعملت العرب فى غير هذا دنيا نكرة كما ترى ، قال العجاج:

---

(١) الآية ٦٩ من سورة طه .

(٢) فى هامش ش : « أقول : أى ضرورة تدعو إلى صرف دنيا والوزن مستقيم بالألف كما هو ظاهر . فليتأمل » . وكذلك أثبت فى هامش ط على أنه ثابت فى هامش أصلها .

(٣) ط : « عن » ، صوابه فى ش .

(٤) ضرائر ابن عصفور ٣٥ والحماسة بشرح المرزوقى ١٦٥٧ .

* فى سَعْىِ دُنْيَا طالما قد مُدَّت *

وروى ابنُ الأَعرابى «دنيا» بالصَّرف، وقال أيضاً فى ذلك[1]: إنهم شبهوها بفُعْلل فنوَّنوها.

وهذا نادرٌ غريب، ولم نعلم شيئاً مما فى آخره ألف التأْنيث مفردًا مصروفًا غير هذا الحرف. ولو قال قائلٌ إن دنيا هذه المصروفة تكون ملحقة فى قول أبى الحسن بجُخْدَبٍ، وكالألف فى بُهماةٍ[2] لم أر بأْساً.

فإن قلت: فلو كانت ألف دنيا للإلحاق لوجب فيها دُنْوًا، وذلك أنَّ اللام فى نحو هذا إذا كانت واوًا فإنَّها إنَّما تبدل ياءً فى فعلى التى ألفها للتأْنيث، وجاءت هذه للإلحاق؟ فالجواب: أنَّ هذا النحو لمَّا غلب عليه مثال فُعلَى التى ألفُها للتأْنيث، وجاءت هذه للإلحاق، أجرَوْها على المعتاد من القلب فيها. وأيضاً فإنَّ ألف الإلحاق قد تجرى مجرى ألف التأْنيث. ألا تراها زائدةً مثلَها، وذاتَ معنًى مثلها. نعْم، وإذا جعلت ما فيه ألفُ الإلحاق عَلماً لم ينصرف، لمشابهتها حينئذ ألف التأْنيث.

فإن قلْت: فأَجزْ أيضاً أن يكون دنيا فُعْلل كسُودَد؟ قيل: يمنع من هذا أنَّ حرف الإلحاق من حيث ذَكَرنا أَشبه بحرف التأْنيث من لام الفعل، فإذا كان إنَّما لتشبيه الملحق بحرف التأْنيث على ضعف وضرب من التأَوُّل لم يتجاوز ذلك إلى تشبيه الأَصلىّ بحرف التأْنيث، لإفراط تباعدهما. فلو كانت دنيا على هذا فُعلَلا لكانت دُنْوًا. ولو قال قائل:

---

(١) ط: «فى غير ذلك»، صوابه فى ش وإعراب الحماسة الورقة ٢٢٦.

(٢) البهماة: واحدة البهمى بالقصر، لضرب من النبات. وفى ط: «بهمات»، صوابه فى وإعراب الحماسة.

إن دنيا فيمن صرف فُعْيَل بمنزلة عُلْيَب لكان له وجهٌ من التصريف ، ولكنَّه يبقى عليه شيئان : أحدهما قلَّة عُلْيَب فلا يقاس عليه . والآخر : أنَّ دنيا تأْنيث الأَدنى . وهذا أشدُّ شيءٍ تبايناً من[1] حديث فُعْيَل وفعلل ، وهو أيضاً أحدهما يضعِفُ كونَها ألفَ إلحاق. فاعرف ذلك. انتهى .

والبيت من رجز للعجاج ، أوّله :

أشعار الشاهد

(الحمدُ لله الذى استقلَّت ... بإذنهِ السَّماءُ واطمأنَّت
بإذنه الأرضُ فما تعنَّت[2] ... وَحَى لها القَرارَ فاستقرَّت
وشدَّها بالراسياتِ الثُّبَّت ... والجاعلُ الغيثَ غياثَ المُسْنِت
والجامعُ الناسَ ليوم المَوْقِتِ ... بعد الممات ، وهو مُحيِي المُوَّتِ
يومَ ترى النفوسُ ما أعدَّت ... من نُزُلٍ إذا الأُمورُ غبَّت
فى سَعْيِ دنْيا طالما قد مُدَّت ... حَتَّى انقضى قضاؤها فأدَّت)

قال أبو القاسم الزجاجى (فى أماليه الوسطى والصُّغرى) : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدى قال : أخبرنا أبو الفضل الرِّياشيّ عن الأصمعيّ ، عن عبد الله بن رؤبة بن العجَّاج ، عن أبيه عن جدِّه قال : أنشدتُ أبا هريرة قصيدتى التى أولها :

* الحمد لله الذى استقلَّت *

حتى أتيتُ على آخرها ، فقال : أشهد إنَّك لمؤمن . انتهى .

---

(١) ش : « تبايناً عن » ، وفى إعراب الحماسة « تباعداً عن » مع إثبات « تباينا » فى هامش المخطوطة تصحيحاً لها .

(٢) وهكذا ضبطت بالنون فى تفسير البغدادى . ورواية الديوان ٢٦٦ ، والتهذيب ٣ : ١٤٣ ، واللسان (عتا) : « وما تعتت » بالتاء . وفى شرح الديوان : « وعتت : عصت ، يقال عتا فلان على فلان ، إذا عصى عليه » .

وقوله « استقلَّت » ، أى ارتفعت . والسماءُ فاعله . واطمأَنَّت ، أى سكنت ، والأَرض فاعله . و « تعنَّت » بالنون : تعبت. فى الصحاح : وَعَنِى بالكسر عناءً أى تعب ونَصِب ،وعنَّيته تعنية فتعنَّى . والوحى : الإشارة والإلهام : قال صاحب الصحاح : والكلام الخفىُّ وكلُّ ما ألقيته إلى غيرِكَ . يقال : وَحَيت إليه الكلام وأوحيت ، وهو أن تكلمه بكلام تُخفيه[1] . وأنشد هذا البيت .

و « الراسيات » ، هى الجبال الثَّوابت والرَّواسخ . و « الثُّبَّت » : جمع ثابت و« الغيث » : المطر . وفى المصباح : أغاثه : أعانه ونصره . وأَغاثنا الله بالمطر ، والاسم الغِياث . و«المُسنِت»: اسم فاعل من أسنتَ القومُ أى أجدبوا ، وأصله من السَّنة[2] وهو القحْط . و « الموَّت » : جمع مائت . و « أَعَدَّت » ، أى هيَّأَت وجعلته عُدَّة . و«من نُزُل» بالضمِّ بيانٌ لما. والنُّزُل : ما يهيَّأُ للنزيل ، أى الضيف . وغبَّت بالغين المعجمة والموحدة ، أى بلغتْ غِبَّها وعاقبتَها . وفى الصحاح : وقد غبَّت الأُمور ، إذا صارت إلى أواخرها . وفى سعى متعلِّق بغبَّت. و« مُدَّت » بالبناءِ للمفعول أى امتدَّت وتطاولت . و « أدَّت » بتشديد الدال . يقال أَدَّت فلانًا داهية تؤدُّه أَدًّا بالفتح ، من الإِدِّ ، والإِدَّة ، بكسر أوّلهما ، وهى الداهية والأَمر الفظيع .

٥١٠

وترجمة العجَّاج تقدَّمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب[3] .

* * *

(١) ش : « أن يكلمه بكلام يخفيه » ، وأثبت ما فى ط والصحاح .
(٢) ش : « السنت » ، صوابه فى ط .
(٣) الخزانة ١ : ١٧٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد السمائة[1] :

٦٢٥ (وإنْ دعَوتِ إلى جُلَّى ومَكْرُمة

يوماً سَراةَ كِرامِ النَّاسِ فادْعِينَا)

على أنَّ (الجُلَّى) قد تجرد من اللام والإضافة لكونها بمعنى الخُطَّة العظيمة .

والخُطَّة بالضم : الشأْن والحالة والخَصْلة ، فتكون الجُلَّى[2] اسماً للشأْن والحال ، كما قال الزمخشرى (فى المفصل) .

وقال ابن يعيش (فى شرحه) : الجيِّد أَن تكون مصدراً كالرُّجعَى بمعنى الرُّجوع ، والبُشْرَى بمعنى البِشارة . وليس بتأْنيث الأَجلّ ، على حد الأَكبر والكبرَى ، لأَنَّه إذا كان مصدرًا جاز تعريفُه وتنكيره .

وإلى هذا ذهب الحريرى (فى درَّة الغوَّاص) قال : وأَمَّا طوبى فى قولهم : طوبى لك ، وجُلَّى[3] فى قول بشامة النهشلىّ :

وإن دعوتِ إلى جُلَّى ومكرمة ... البيت

فإنَّهما مصدرانِ كالرُّجعى ، وفُعلى المصدريَّة لا يلزم تعريفها .

والبيت وقع فى شعرَين : أَحدهما للمرقِّش الأَكبر رواه المفضَّل بن محمد الضبى له ، وكذلك ابن الاعرابى (فى نوادره) ، وأَبو محمد الأَعرابى (فيما كتبه على شرح الحماسة للنمرى) ، وهو :

(يا دارَ أَجوارِنا قُومى فحيِّينا وإنْ سَقيتِ كرامَ النَّاس فاسْقِينَا

---

(١) المؤتلف ٦٦ وابن يعيش ٦ : ١٠٠ ، ١٠١ ويس على التصريح ٢ : ٣٨١ والحماسة بشرح المرزوقى ١٠١ وبشرح التبريزى ١ : ٩٩ والمفضليات ٤٣١ .

(٢) ش : « الجلة » ، صوابه فى ط .

(٣) فى النسختين : « وجلى لك » ، صوابه من درة الغواص ٢٦ .

وإنْ دعوتِ إلى جُـلَّى ومـكرُمةٍ يومًا سَراة خِيارِ النّاسِ فادعينـا
شُعثٌ مَقادمُنا نُهْبى مراجلنـا نأْسُو بأَموالنا آثارَ أَيدينا[1]
المطعِمُون إذا هبَّتْ شآمية وخيرُ نادٍ رآهُ النّاسُ نادينا)

قوله: « يادار أَجوارِنا » إلخ ، قال فى العباب: الجارُ يجمع على جيران ، وجِيرة ، وأَجوار . وأَنشد الليث :

* ورسمِ دارٍ دارس الأَجـوار *

وروى : « يا ذات أَجوارنا » .

وقوله : « شُعْثٌ مقادمنا » إلخ ، رُوى أَيضاً :

* بيضٌ مفارقنا تغلى مراجلُنا *

قال أَبو محمد الأَعرابيُّ : سأَلتُ أَبا النَّدَى عن هذه الرواية قال : هذه روايةٌ ضعيفة ، فإنَّ بيضَ المفارق قُرع ، ومرجل الحائك يغلى كما يغلى مِرجل الملك . قال : والرِّواية الصحيحة الأُولى، ومعناها إنّنا أَصحاب حروب وقِرًى . انتهى .

والشعر الثانى لبشامة بنَ حَزْنٍ النهشلى ، رواه المبرِّد (فى الكامل) وأَبو تمّام (فى الحماسة) ، وهو :

(إنَّا محيُّوكِ ياسَلْمَى فحَيِّينـا وإنْ سَقَيتِ كرامَ النَّاسِ فاسقِينا
وإنْ دعوتِ إلى جُلَّى ومكرمةٍ يوماً سَراةَ كرامِ النَّاس فادعِينا
إنَّا بنى نهشلٍ لا ندَّعى لأَبٍ عنه ، ولا هو بالأَبناءِ يَشرينا
إنْ تُبتدَرْ غايةٌ يوماً لمكرُمة تَلقَ السوَّابقَ مِنَّـا والمصلِّينـا
وليس يَهلِك منَّا سيِّدٌ أبـدًا إلاَّ افتلينـا غُلاماً سيِّدًا فينـا

(١) ط : « نهى مراجلنا » ، صوابه فى ش وسائر المراجع .

نَكفيه إن نحن مِتْنا أَن يُسَبَّ بنا
وهْو إذا ذُكر الآباءُ يَكفينا
إنَّا لنُرخِصُ يومَ الرَّوعِ أَنفسَنا ولو نُسامُ بها فى الأَمن أُغلِينا
بيضٌ مَفارقُنا تَغلِى مَراجلُنَا نأسو بأَموالنا آثارَ أَيدينا
إنَّا لمن مَعْشرٍ أَفنى أَواثلَهُمْ قولُ الكماةِ أَلا أَينَ المُحامونا
لو كان فى الأَلف مِنَّا واحدٌ فدعَوْا
مَن فارسٌ خالَهم إيّاهُ يَعنونا
إذا الكماةُ تنَحَّوا أَن يُصيبهمُ حدُّ الظُّبات وَصَلْناها بأَيدينا[1]
ولا تَراهُمْ وإنْ جلَّت مصيبتُهُمْ مع البُكاة على مَن مات يبكونا
ونركب الكرْه أَحياناً فيَفرِجُه عنَّا الحِفاظُ وأَسيافٌ تُواتينَا)

قوله : « إنا محَيُّوك يا سلمى » الخ ، قال التبريزى : أى إنَّا مسلِّمون عليك أَيَّتها المرأَة فقابلينا بمثله ، وإنْ سقيتِ الكرامَ فأَجرينَا مُجراهم ، فإنَّا منهم . والأَصل فى التحية أَنْ يقال عند اللقاء ، ثمَّ استعمل فى غيره من الدعاء . وقيل فى سَقيت معناه إنْ دعوتِ لأَماثل الناس بالسُّقيا فادعِى لنا أَيضاً . والأَشهر فى الدُّعاءِ أَن يقال فيه سقَّيْت فلاناً بالتشديد . والحُجَّة بالتخفيف قول أَبى ذؤيب الهذَلى :

* سَقيتُ به دارَها إذْ دنَتْ[2] *

وقوله : « وإن دَعوتِ إلى جُلَّى » إلخ ، جُلَّى : فُعلى أَجراها مجرى الأَسماء ويراد بها جليلة ، كما يراد بأَفعل فاعل وفعيل . يقول : إن أَشدْتِ بذكر

(١) فى النسختين : « الظباة » ، والوجه ما أثبت .

(٢) لم يرد فى ديوان الهذليين ، لكنه فى شرح السكرى ٢٠١ . وعجزه :

* وصدقت الخال فيه الأنوحا *

خيار الناس بجليلةٍ نابت ، أو مكرُمةٍ عرضت . فأَشيدى بذكرنا أيضاً.
وهذا الكلام ظاهرُهُ استعطافٌ لها ، والقَصدُ به التوصُّل إلى بيان شرفه
واستحقاقه ما يستحقُّه الأَشراف . ولاسَقْى ثَمَّ ولا تحيَّة. قاله التبريزى[1] .

و (المكرمة) ، بفتح الميم وضم الراءِ : اسم من الكرَم . وفعلُ الخير
مكرُمة ، أَى سببٌ للكرم أَو التكريم . قاله صاحب المصباح .

و (السَّراة) بالفتح : اسمٌ مفرد بمعنى الرئيس ، وقيل اسم جمع ، وقيل
جمعُ سَرىّ ، وهو الشريف. وقد تقدَّم الكلام عليه مشروحاً فى الشاهد
السبعين بعد الأَربعمائة[2] .

ولم يتكلَّم ابن جنى (فى إعراب الحماسة) على هذا البيت إلَّا من
جهة القافية. قال : يروى فادعينا ، بإشمام الضم فى كسرة العين . ويروى
بإخلاص الكسرة . فأَمَّا من أَخلص الكسرة فلا سؤال فى إنشاده من جهة
الرِّدف . وأَمَّا من رواه بإشمام الضم ففيه السؤال . وذلك أَنَّ الحركة قبل
الردف ، وهى التى يقال لها الحذْو ، لم تأْت عنهم مُشَمَّةً ولا مَشُوبة ، وإنَّما
هى إحدى الحركات مُخْلصةً البتَّة . ولم يذكر الخليلُ ولا أَبو الحسن
ولا أَبو عَمرو ، ولا أَحدٌ من أَصحابنا[3] ، حالَ هذه الحركة المشوبة كيف
اجتماعُها مع غيرها . فدلَّ ذلك على أَنَّ الحركة فى نحو هذا ينبغى أَن
تكون مُخْلَصة . ومذهب سيبويه فى هذا النَّحو ، [مثل[4]] : ادعى واغزى
الإمالة وإشمام الكسرة شيئاً من الضمة . ولم يستثن رِدفاً من غيره . ووجهُ

---

(١) ش : « قال التبريزى » صوابه فى ط .
(٢) الخزانة ٦ : ٣٥٣ – ٣٥٤ حيث سبق تحقيق السرى .
(٣) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٦ : « ولا واحد من أصحابنا » .
(٤) التكملة من إعراب الحماسة .

جواز هذه الحركة المشوبة مع الكسرة والضمة الصَّريحتين : أنَّ ما فيها من الإشمام لا يعتدُّ به ، ولا يُنظَر إلى قدره ، وإنَّما هو كإمالة الفتحة إلى الكسرة فى نحو سالم وحاتم . وأنت تجيزهما فى شعر واحد مع قادم وغانم ، ولا تحفل بما بين الحركتين ، بل إذا جاز سالم مع قادم ، وسلاح مع صباح ، وقنا مع فتى ، كان اجتماع ادعينا مع يَشرينا ونحو ذلك أسهلَ وأسوغ . وإنما كان أسهلَ من قِبَل أنَّ الفتحة إذا نُحِيَ بها قِبَل الألف نحو الكسرة انتحيتَ أيضاً بالألف بعدها نحوَ الياءِ لا بدَّ من ذلك ؛ من حيث كانت الألف ناشئة عن الحركة قبلها على احتذاءٍ ، وموازنة اتباع[1] . فإذا[2] أملتَ الفتحة والألف فهناك عملان فى الحركة والحرفِ جميعاً كما ترى . وأمَّا الياءُ فى ادعينا وقيل وبيع ، فإنَّها وإن شِيبَت الحركة قبلها خالصة البتة ، وغير مَشُوبة شَوْبَ ماقبلها ، وجاز ذلك فيها من حيث كانت الطاقة حاملة ، والقدرة ناهضةً بالنُّطق بالياءِ الساكنة ، بعد الضَّمَّة الناصعة ، فكيف بها بعد الكسرة التى إنَّما اعتلَّت بأَن انتُحِيَ بها نحو الضمة . والعملُ فى ذلك خَلْس خفيٌّ . وأمَّا الألف الخالصة فليس فى الطَّوق أن يُنطَق بها بعد غير الفتحة الخالصة ، ففى سالم إذن تغييران ، وفى قيل وبيع واغزى وادعى تغييرٌ واحد . فإذا جاز اجتماع ما فيه تغييران نحو سالم وسلاح ، مع قادم وصباح ، كان اجتماع ما فيه تغيير واحدٌ مع ما لا تغيير فيه نحو قيل واغزى وادعى ، مع قيل وبيع ، وحَيِّينا واسقينا ، أحجَى بالجواز ، فاعرف ذلك . وإذا جاز اجتماعُ هذا الخلاف فى المجرى ، وهو أغلظ حُرمة وأَمسُّ مذمَّة من

٥١٢

(١) ط : « موازنة إتباع » ،بدون واو ، وأثبت مافى ش وإعراب الحماسة .

(٢) ش : « فإن » .

الحذْو . أعنى اجتماع فَتى مع عَتَا[1] والروى التاء ، كان ذلك فى الحذو أسهل ، وأخفّ وأدون . وقد كان يجب أن نودع هذا الموضع كتابنا فى تفسير قوافى أبى الحسن ، لامتزاجه به ومماسَّته إيَّاه ، لكنَّه لم يحضرنا حينئذٍ ، والخاطر أَجْوَل ممَّا نذهب إليه ، وأشدُّ ارتكاضاً وذهاباً فى جهات النَّظر من أن يقف بك على انتهائه ، أو يُمْطيَك ذِروة أَجواله وأَقصائه[2] . انتهى .

وقوله : « إنَّا بنى نهشل » إلخ ، قال المبرد (فى الكامل) : من قال إنا بنو فقد خَبَّرك وجعل بنو خبر إنَّ . ومن قال بَنِى فإنَّما جعل الخبر إن تُبتدرْ غاية إلخ . ونصب بنى على فعلٍ مضمرٍ للاختصاص ، وهو أمدح . وأكثر العرب ينشد :

إنَّا بنىمنقر قومٌ ذوُو حسَبٍ فينا سَراةُ بنى سعد وناديها[3]

وكتب أبو الوليد الوَقَشى (فيما كتبه على الكامل) بعد بيت « إنَّا بنى منقر » إلخ : هذا وإن وافق الأوَّل بوجهٍ فإنَّه يخالفه بوجهٍ أخصَّ منه وأليقَ به فى قانون النَّحو ، لأنَّ هذا نصب على المدح ، والأوَّل نصب على الاختصاص ، والمسمَّى مُضارِع النِّداء . ألا ترى أنَّه يرفع هنا ما يرفع فى النِّداءِ ، كقولهم : اللهمَّ اغفرْ لنا أيَّتها العصابة . اهـ .

وقال التبريزىّ : بَنِى نصب على الاختصاص والمدح ، وخبر إنَّ لا ندَّعى ، ولو رفع وقال بنو كان خبراً ولا ندَّعى فى موضع الحال .

(١) ط : « غنى » صوابه فى ش وإعراب الحماسة .
(٢) رسمت فى إعراب الحماسة بدون نقط للقاف .
(٣) لعمرو بن الأهتم المنقرى ، كما فى حواشى الكامل ٦٥ .

والفرق بين أنْ يكون اختصاصاً وبين أن يكون خبراً صُراحاً : هو أنّه لو جعلَه خبراً لكان قَصده إلى تعريف نفسِه عند المخاطب ، وكان لايخلو فعله لذلك من خمولٍ فيهم[١] أو جهل بشأْنهم[٢] . فإذا جعل اختصاصاً فقد أَمِنَ الأَمرين جميعاً . وإنّما قلت خبراً صراحاً لأَنَّ لفظ الخبر قد يستعار لمعنى الاختصاص، لكنَّه يُستَدلُّ على المراد منه بقرائنه . وعلى هذا قوله :

* أَنا أَبو النَّجم وشِعرى شِعرِى[٣] *

وقوله : « لا ندَّعى لأَبٍ عنه » ندَّعى نفتعل ، وعنه تعلَّق به . يقال ادَّعى فلانٌ فى بنى فلان ، إذا انتَسبَ إليهم . وادَّعى عنهم ، إذا عدل نسبَه عنهم . وهذا كقولهم : رغبت فى كذا ورغبت عنه . وقوله لأَبٍ ، أى من أَجل أَب . ومعناه إنَّا لا نرغب عن أَبينا فننتسبَ إلى غيره ، وهو لا يرغب عنَّا ، قد رضىَ كلٌّ منَّا بصاحبه . وقوله : « يشرينا » قال المبرِّد : يريد يبيعنا . يقال شراهُ يشريه ، إذا باعه . فهذه اللغة المعروفة ، قال الله عز وجل : ﴿ وشَرَوْهُ بثمنٍ بَخْس[٤] ﴾ ، ويكون شريت فى معنى اشتريت ، وهو من الأَضداد .

٥١٣

وقوله : « إن تُبتَدَرْ غايةٌ » إلخ ، يقال بادرت مكانَ كذا وإلى مكانِ كذا وكذلك ابتدرنا[٥] الغايةَ وإلى الغايةِ . وقوله : « لمكرمة » أى لاكتساب مكرُمة . ويجوز أن تكون اللام مُضيفة للغاية إلى المكرمة ، كأَنَّه يريد

---

(١) ط : « فهم » ، صوابه فى ش وشرح التبريزى ١٠٠ .
(٢) التبريزى : « أوجهل من عند المخاطب بشأنهم » .
(٣) واضح أنه لأبى النجم . وانظر الخزانة ١ : ٤٣٩ .
(٤) الآية ٢٠ من سورة يوسف .
(٥) ط : « يبتدرون » ، وأثبت مافى ش .

تسابقهم إلى أقصاها . وإنّما قال المصلّين ولم يقل المصَلّيات مع السوابق لأنَّ قصده إلى الآدميِّين وإنْ كان استعارهما من صفات الخيل . ويجوز أن يكون أخرج السابق لانقطاعه عن الموصوف فى أكثر الأحوال ، ولنيابتهِ عن المجلِّى ، وهو اسم الأوَّل من خيل الحابة ، إلى باب الأسماء فجمعه على السوابق ، كما يقال كاهل وكواهل . والمصلِّى : الذى يتلو السابق فيكون رأسهُ عند صَلاهُ . والصَّلوانِ : العظمان الناتئان من جانبى العجز . وقال ابن دريد : هو العظم الذى فيه مَغرِزَ عَجْب الذَّنب . وقال بعض أهل اللغة : هما عِرقان فى موضع الرِّدف .

وأسماءُ خيل الحَلْبة عشرة ، لأنَّهم كانوا يرسلونها عَشَرةً عَشَرة . وسُمِّى كلٌّ واحد منها باسمٍ . فالأوَّل : المجلِّى ، والثانى : المصلِّى ، والثالث : المسَلِّى ، والرابع : التالى ، والخامس : المرتاح ، والسادس : العاطف ، والسابع : المؤمَّل ، والثامن : الحظِىّ ، والتاسع : اللَّطيم ، والعاشر : السُّكَيت بالتصغير ، ويقال سُكَّيت بالتشديد .

وقوله : « إلا افتَلينا » الافتلاءُ : الافتطام والأخذُ عن الأُمِّ ، ومنه الفَلوّ . قال المبرِّد : مأخوذ من فلوت الفَلُوَّ ، إذا أخذتَه عن أُمِّه . وأخذ هذا المعنى من قول أبى الطَّمَحانِ :

* إذا مات منَّا سيدٌ قام صاحبه[1] *

وقوله : « إنا لنُرخص » إلخ ، قال المبرد : أخذه من قول الهمْدانىّ ،

---

(١) صدره كما فى الكامل ٣٠ والحيوان ٣ : ٩٣ مع نسبته فى الحيوان إلى لقيط بن زرارة :

* وإنى من القـــوم الذين هم هم *

وهو الأَجدع ، أَبو مسروق بن الأَجدع الفقيه[١] :

لقد علمتْ نِسوانُ همدانَ أَنَّنى لهنَّ غداة الرَّوع غيرُ خَذولِ
وأَبذل فى الهَيجاء وجهى وإِنَّنى له فى سِوى الهيجاءِ غيرُ بذولِ

ومن القَتَّال الكلابىّ حيث يقول :

أَنا ابن الأَكرمينَ بنى قشير وأَخوالى الكرامُ بنو كلابِ[٢]
نُعرِّض للسُّيوف إذا التقينا نفوساً لا تُعرَّض للسِّبابِ

وقوله : « ولو نسام بها » أَى نُحمَل على أَن نسام بها . ويقال سامَ بسلعته كذا ، وأَسمته أَنا ، أَى حملته على أَن يُسَام . ويحتمل أَن يكون من سُمْته خسفاً . وأُغلينا ، الأَلف للإِطلاق، والنون ضمير الأَنفس، ومعنى أُغْلينَ[٣] وُجدَت غالية . وقوله : « بيضٌ مفارقنا » إلخ ، قال التبريزى : ويروى : « بيض معارفنا » وهى الوجوه ، والمراد به نقاءُ العرض وانتفاءُ الذمّ ، جمع مَعرَفٍ ، بفتح الرَّاءِ وكسرها ، سمِّى الوجهُ به لأَنَّ معرفة الأَجسام وتمييزَها به . والأَشهرُ « مفارقنا » . والمراد ابيضَّت مفارقنا من كثرة ما نقاسى الشَّدائد ، كما يقال أَمرٌ يُشِيب الذَّوائب . وتغلى مراجلنا ، أَى حروبنا ، كقول الآخر[٤] :

٥١٤

(١) مسروق هذا هو الفقيه مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وداعة الهمدانى الكوفى العابد ، وكنيته أبوعائشة . كان من كبار التابعين، وروى عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى، وابن مسعود وغيرهم . وروى عنه ابن أخيه محمد بن المنتشر بن الأجدع ، وإبراهيم النخعى ، وأبو اسحاق السبيعى ، وغيرهم . مات سنة٦٣هـ وله ثلاث وستون سنة . وفى النسختين هنا : « قول الأجدع بن مسروق بن الأجدع » ، صوابه وتكملته ماأثبت من الكامل٦٧ . وانظر تهذيب التهذيب فى ترجمته وتاج العروس(جدع) .

(٢) ديوان القتال ٣٧ عن الكامل والخزانة .

(٣) ط : « أغلينا » .

(٤) هو النابغة الجعدى ، كما فى اللسان (فثأ ، جيش) . وأنشده فى (دوم) بدون نسبة . ونسب فى التهذيب كما فى اللسان إلى الكميت. ولم أجده بهذه النسبة فى التهذيب ١٤ : ٢١١ بل هو مجرد من النسبة . والبيت فى ديوان النابغة ١١٨ .

تفـور علينا قِدرُهم فنُديمهـا ونَفثؤها عنَّا إذا حَمْيُها غلا[١]

ويجوز: ابيضَّت مفارقُنا من كثرة استعمال الطيب ، كقول الآخر :

* جَلا الأَذفرُ الأَحوَى من المِسك فَرقه[٢] *

فقوله: « تغلى مراجلنا » أى قدورنا للضِّيافة . ويجوز أن يريد : مَشيبنا مَشِيبُ الكرام لا مشيب اللئام . كقوله :

وشَيبُ مَشيبِ العبدِ فى نُقرة القفـا
وشَيبُ كرامِ الناس فوقَ المفـارق[٣]

فالمراجل : قدور الضيافة . وقوله : « نـأْسُو بـأَموالنا » ، يريد تَرفُّعَهم عن القَوَد[٤] ودَفْعَ أَطماع الناس عن مقاصَّتهم[٥] . والأَسْوُ : المداواة ، أى نقتل ونَدِى .

وقوله : « لو كان فى الأَلْف » إلخ ، قال المبرد : أخذه من قول طرفة :

إذا القومُ قالوا مَن فتًى خلتُ أَنَّنى
عُنِيتُ فـلم أَكْسَلْ ولم أَتبلَّدِ

ومن قول متممٍّ :

---

(١) فى اللسان (جيش) : « تجيش علينا » .

(٢) البيت من أبيات بدون نسبة فى الحيوان ٣ : ٤٨٦ والبيان ١ : ٣٩٦ والكامل ١٠٣ والعقد ٥ : ٦/٣٤٣ : ٢٢٨ .
وعجزه كما فى تلك المراجع :
* وطيب الدهان رأسه فهـو أنزع *

(٣) البيت فى شرح الحماسة للتبريزى عن نوادر ابن الأعرابى .

(٤) القود ، بالتحريك : القصاص وقتل القاتل بالقتيل . وفى ش : « ندفعهم » ، وفى ط : « نرفعهم » ، صوابهما ما أثبت من التبريزى فى شرح الحماسة ١ : ١٠٤ .

(٥) ط والتبريزى : « ورفع أطماع الناس عن مقاصتهم » ، ووجهه : « دفع » بالدال كما أثبت من ش .

إذا القوم قالوا مَن فتًى لعظيمة
فما كُلُّهم يُدعَى ولكنَّه الفتى

وقوله: « إذا الكماةُ تنحَّوا » إلخ، قال المبرد: الظُّبَة: الحدُّ بعينه، يقال أصابته ظُبَةُ السَّيف وظُبَة النَّصل. وأراد بالنَّصل هنا موضع الضَّرب وأخذ هذا من قول كعب بن مالك:

نَصِلُ السيوفَ إذا قصُرْن بخطونا
قُدُمًا ونُلحِقُها إذا لم تَلحَقِ[1]

وقوله: « ولا تراهم وإن جلَّت » إلخ، يعني أنَّهم لا يموتون إلاَّ بالقتل فقد صار لهم عَادةً، وإنَّ كلَّ من يولد منهم يكون سيِّدًا، فلا يجزعون على من مات منهم.

وقوله: « ونركب الكَرْهَ » إلخ، يَفرجه: يَكشفه. وقوله: « أسياف تواتينا » يجوز أن يكون كقوله[2]:

* فحالفنا السُّيوفَ على الدهر[3] *

ويجوز أن يكون أراد بالسُّيوف رجالاً كأنَّهم السيوف مضاءً. والأوّل أولى. قاله التبريزى.

وهذه الأبيات قد اختُلف فى قائلها، والصحيح أنَّها لِبَشامة ابن حَزْن النهشلي. وعليه الآمديُّ (فى كتابه المؤتلف والمختلف)

---

(١) ديوان كعب ٢٤٥ والبيان ٣ : ٢٦.

(٢) هو يحيى بن منصور الذهلي، أو موسى بن جابر الحنفى، انظر الحماسة ٣٢٦ وما أثبت فى حواشيها من تحقيق.

(٣) البيت بتمامه، كما فى الحماسة:

فلما نأت عنا العشيرة كلها ... أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر

ونَسبها المبرد (فى الكامل) لأَبى مخزوم النَّهشلى . وقال ابن السِّيد البطليوسى (فيما كتبه على الكامل) : هذه الأَبيات لبَشامة بن حزن النهشلى . وقال السكرى : هو بشامة بنُ حرِّىّ . والأَول قول أَبى رياش . ويقال بشامة بن جَزْء . وقال ابن الأَعرابى : هو لحُجْر بن خالد[1] بن محمود القيسى . وزعم ابن قتيبة أَنَّها لابن غلفاء التميمى . انتهى .

أَقول : الذى قاله ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) أَنَّ الأَبيات لنهشَل بن حَرِّىّ .

وقال النمرى : هى لرجل من بنى قيس بن ثعلبة .

قال أَبو محمد الأَعرابى : لم يفرق النَّمَرىُّ بين بنى نهشل الذين هم مضريَّة ، وبين بنى قيس بن ثعلبة الذين هم رَبَعيَّة ، فلزَّهُما فى قَرَنٍ . والبيت الذى فيه « إنا بنى نهشل » لبشامة بن حزن النهشلى . والأَبيات الأُخر الأَربعة للمرقِّش الأَكبر ، وهو عمرو بن سعد بن مالك ابن ضُبيعة بن قَيس بن ثعلبة . انتهى .

وتقدَّمت الأَبيات الأَربعة أَوّلاً .

قال التِّبريزى : من قال إنَّ الشِّعر للقيسى ، روَى « إنا بنى مالك ».

المرقش

أَما المرقش فهو شاعر جاهلى . قال صاحب الأَغانى : المرقِّش لقَبٌ غلب عليه بقوله :

(١) فى النسختين : « لحجى بن خالد » . وإنما هو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . شاعر جاهلى كان معاصراً لعمرو بن كلثوم ، كان أنشد شعراً بين يدى الملك النعمان بن المنذر فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو فى مجلس الملك ثم اقتص منه حجر ، وأجار الملك حجراً ، فقال حجر أبياتاً يمدح بها النعمان ، رواها الجاحظ فى الحيوان ٣ : ٥٨ وأبوتمام فى الحماسة ١٦٤٠ بشرح المرزوقى. كما روى له أبوتمام مقطوعات فى الحماسة ٣٥١ ، ٥١٢ ، ٥١٧ بشرح المرزوقى .

٥١٥ الدار وحشٌ والرُّسومُ كما رقَّش فى ظهر الأَديم قلمْ[1]

وهو أحدُ من قال شعراً فلقِّب به ، واسمه فيما ذكر أبو عمرو الشَّيبانى عمرو . وقال غيره : عوف بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . وهو أحد المُتيَّمِين ، كان يهوَى ابنة عمِّه أسماءَ بنتَ عوف بن مالك بن ضُبيعة . ويقال له المرقِّش الأَكبر ، لأَنَّه عمٌّ المرقِّش الأَصغر . والمرقِّش الأَصغر عمٌّ طرفة ابن العبد .

وكان للمرقِّشَين معاً موقعٌ من بكر بن وائل فى حروبها مع بنى تغلب وبأْسٌ وشجاعة ونجدة ، وتقدُّمٌ فى الحروب ، ونكايةٌ فى العدوّ .

أوس بن غلفاء

وأمّا ابن غلفاءَ ، بالغين المعجمة والفاء ، فهو أَوس بن غلفاءَ ، من بنى الهُجَيم[2] بن عمرو بن تميم وهو شاعر جاهلى ، وهو القائل :

أَلَا قالت أمامةُ يوم غَـول تَقطَّعَ يا ابن غَلفاءَ الحبالُ[3]
ذرينى إنّمـا خطئى وصَوْبى علىَّ ، وإنَّ ما أنفقتُ مـالُ

يقول : إن الذى أهلكتُ مالٌ ، ولم أُتلف عرضاً . والمال يستخلف. كذا (فى كتاب الشعراء لابن قتيبة) .

بشامة بن حزن

وأمَّا بشامة بن حَزْن النهشلى ، فهو بفتح المَوَحَّدة وتخفيف الشين المعجمة . قال ابن جنى (فى المبهج) : معناه عودُ شجر يُستاك به . قال جرير :

---

(١) المفضليات ٢٣٧ وسمط اللآلى ٨٧٤ .

(٢) ط : « الجهيم » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر للهجيم جمهرة ابن حزم ٢٠٩ والاشتقاق ٢٠١ .

(٣) غول ، بالفتح : جبل للضباب حذاء ماء ، فيسمى الجبل هضب غول ، وكانت فى غول وقعة لضبة على بنى كلاب . معجم البلدان عند إنشاد هذا البيت .

أتنسى إذ تودِّعنا سُـليمى بعُود بَشامـةٍ سُقِيَ البَشَامُ

والحَزْن ، بفتح الحاءِ المهملة وسكون الزاى بعدها نون ، ومعناه الموضع الغليظ .

وذكره الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) ولم يزد فى نسبه على قوله : بشامة بن حزن النهشلى ، نهشل بن دارم .

ولم أر له ترجمة ، وليس له ذكر فى ترجمة الأنساب ، والظاهر أنَّه إسلامى. وكذا أبو مخزوم النَّهشلى كما يظهر من شرح المبرِّد لأبياته .

بشامة بن الغدير

وذكر الآمدى شاعراً آخر اسمُه بَشامة . قال : بشامة بن الغدير ، والغدير اسمه عَمرو بن هلال بن سَهم بن مُرّة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان . شاعر مُحسِن مقدَّم ، وهو خال زُهير بن أَبى سُلمى المزنى . وله أَشعارٌ جياد طوال . انتهى .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الستمائة[1] :

٦٢٦ (ولا يَجْزُونَ مِن حَسَنٍ بِسُوءَى ولا يَجْزُونَ من غِلَظٍ بلِينِ)

على أن (سُوءَى) مصدرٌ كالرُّجعى والبشرى وليس مؤنَّث أَسوأَ .

والبيت من أَبياتٍ لأَبى الغُول ، مذكورةٍ فى أَوائل الحماسة ، وتقدَّم شرحها فى الشاهد الثالث والثمانين بعد الأَربعمائة[2] .

قال شرَّاح الحماسة : وقد روى « سوءَى » فى البيت رِوايتين أُخْريين : إحداهما : « بِسَىْءٍ » بفتح السين وسكون المثناة التحتية بعدها همزة ، وهو

---

(١) ابن يعيش ٦ : ١٠٠ ، ٢٠٠ والحماسة ٤٠ بشرح المرزوق .
(٢) الخزانة ٦ : ٤٣٤ — ٤٣٨

مخفَّف سَيِّئٍ بتشديد الياء ، كما يخفَّف هيِّن وليّن فيكون وصفاً .
والثانية : « بِسِيٍّ » بكسر السين وتشديد الياء بلا همزة . والسِّيّ : المثل . ومعناه أنَّهم يزيدون فى الجزاءِ على قدر الابتداءِ . قال الطَّبَرْسى [1] وهذا ليس بشيءٍ ، لأَنه إخلالٌ بالمطابقة التى حسُن البيتُ بها ، لأَنَّه جعل سيِّئاً فى مقابلة حسن ، واللِّين فى مقابلة الغِلظ . وهذا من المطابقة الصحيحة ، لأَنَّه قابل الاسم بالاسم ، والمصدر بالمصدر . انتهى .

وروى شُرَّاح المفصل رواية أُخرى وهى : « بسَوْءٍ » وهو مصدر أيضاً كالرواية الأُولى . قال ابن المستوفى : الذى استشهد به الزمخشرىُّ هو بعض الروايات ، لكنَّه اختاره لمكان حاجته إليه . والمعنى واضح . وضدُّه قول قُريط بن أُنيف العنبرىّ :

٥١٦

يَجزُون من ظلم أَهل الظلم مغفرةً
ومِن إساءَةِ أَهلِ السُّوءِ إحسانا [2]

وروى ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) البيتَ هكذا :

ولا يَجْزُونَ من خير بشرٍّ ولا يَجزُون من غِلَظٍ بلينِ

تتمَّة

خطَّأَ الزمخشرىُّ (فى المفصَّل) أَبا نُواس فى قوله :

كأَنَّ صُغرى وكبرى من فقاقعها
حَصباءُ درٍّ على أَرض من الذَّهَبِ

لكونه استعمل صُغرى وكبرى نكرة . وهذا الضَّرب من الصِّفات

---

(١) الطبرسى ، ستأتى ترجمته فى ص ٣٨٥ . ونسبته إلى طبرستان . وفى ط : « الطيبرسى » صوابه فى ش .

(٢) البيت هو السادس من المقطوعة الأولى فى حماسة أبى تمام .

لا يستعمل إلَّا معرَّفاً ، وإنَّما يجوز التنكير فى فعلى التى لا أفعل لهـا نحو حُبلى . قال الأندلسىُّ : لم يقل إنَّه ضرورة لأنَّ المولَّد لا يسوغ له استعمال شئٍ على خلاف الأَصل للضَّرُورة إلَّا أن يردَ به سماع فَيُتَوقَّف فيه على محلِّ السماع ، ولا يقاس عليه . وصغرى ما ورد فيه سماع ، وقد حاولوا له أجوبة :

أحدها : أن صُغرى قد غلبت عليها الاسمية كما تقدم فى قوله :

* فى سَعْىِ دُنْيا طالما قد مُدَّتِ[1] *

قال ابن يعيش : والاعتذار عنه : أنَّه استعمله استعمالَ الأَسماءِ لكثرة ما يجىءُ منه بغير موصوف ، نحو صغيرة وكبيرة ، فصار كصاحبٍ والأبطح فاستعمله نكرة لذلك .

ثانيها : أنَّ فعلى فيه ليست مؤنث أفعل بل بمعنى فاعلة ، كأَنَّه قال : صغيرة وكبيرة من فقاقعها ، على حدِّ قوله تعالى: ﴿وهو أَهْوَنُ عَلَيْه[2]﴾ قاله[3] ابن يعيش أيضاً .

وإليه ذهب ابن هشام (فى المغنى)، قال فيه : ربَّما استُعمل أفعل التفضيل الذى لم يرد به المفاضلة مُطابقاً[4] . مع كونه مجرَّدًا، كقوله : « وأنتم ما أَقام أَلائم[5] » . . . البيت ، أى لئام . فعلى هذا يخرج بيت أَبى نواس ، وقولُ النحويِّين : جملة صغرى وجملة كبرى ، وكذلك

(١) الشاهد ٦٢٤ فى ص ٢٩٦ من هذا الجزء .
(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .
(٣) ط : « قال » ، صوابه فى ش .
(٤) ط : « مطابقة » ، » ، صوابه فى ش .
(٥) للفرزدق . وقد سبق فى ٢٧٧ ، ٢٨٠

قول العروضيين: فاصلة صغرى وفاصلة كبرى . انتهى .

ثالثها : قال الأندلسى : قيل إنَّ من المذكورةَ زائدة ، وكبرى مضافة ، وحذف مضاف الأوَّلِ كما فى قوله :

* ياتيمَ تيمَ عدىٍّ[1] *

لكنَّ حذفَ مِن فى الواجب لا يجوز إلّا عند الأخفش . والأجود أن يقال حذف المفضَّل الداخلَ عليه مِن ، اكتفاءً بذكره مرّة ، أى كأنَّ صغرى من فقاقعها وكبرى منها . انتهى .

ولا يخفى أنَّه كان يجب أن يقول : وزيادةُ مِن فى الواجب لا تجوز إلّا عند الأخفش بدل قوله : « لكنَّ حذف من فى الواجب» إلخ . وقد ردَّ ابن هشام (فى المغنى) هذا الجوابَ فقال : وقول بعضهم إنَّ من زائدة وإنَّهما متضايفانِ ، يردُّه أنَّ الصحيح لا تُقحَم[2] مِنْ فى الإيجاب ولا مع تعريف المجرور . انتهى .

والبيت فى صفة الخمر . والفقاقع : جمع فُقَّاعة . ويروى: « من فواقعها » جمع فاقعة ، ومعناهما النُّفَّاخات التى تكون على وجه الماءِ . وصف الخمر وما يعلوها من الحَبَاب فشبَّه الحَبَاب بالدُّرِّ ، وهو اللؤلؤ الكبير ، والخمرَةَ[3] التى تحته بأرض من ذهب .

---

(١) لجرير . وانظر الخزانة ٢ : ٢٩٨ – ٣٠٢ .

(٢) فى ش : « لايقحم » . والذى فى المغنى : « أن الصحيح أن من لاتقحم فى الإيجاب » .

(٣) ط : « والخمر »، وأثبت مافى ش. يقال خمر وخمرة . وفى اللسان : « والأعرف فى الخمر التأنيث ، يقال خمرة صرف ، وقد يذكر » .

والبيت أورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿حسِبْتَهم لؤلؤًا مَنْثُورًا[١]﴾ فى ضمن حكايةٍ حكاها عن المأْمون ، أَنَّه زُفَّتْ إليه بُورانُ بنت الحسن بن سهل ، وهو على بساطٍ منسوج من ذهب وقد نَثرت عليه نساءُ دار الخلافة اللؤلؤ ، فنظر إليه منثورًا على ذلك البساط فاستحسَنَ النظر إليه وقال : لله درُّ أَبى نواس ، كأَنَّه أَبصر هذا حيث يقول : ٥١٧

كأَنَّ صُغرى وكبرى من فقاقعها . . . البيت .

وهو من أَبيات أَوَّلها :

ساعٍ بكاسٍ إلى ناسٍ على طربِ
كلاهما عجبٌ فى منظرٍ عَجبِ[٢]

قامتْ تريني وسِترُ اللَّيل منسدلٌ
صُبحاً تولَّدَ بين الماء والعِنبِ[٣]

كأَنَّ صُغرَى وكُبرى من فقاقعها
حَصباءُ دُرٍّ على أَرضٍ من الذَّهبِ

كأَنَّ تُركاً صفوفاً فى جوانبها
تُواتِرُ الرَّمىَ بالنُّشَّاب مِنْ كَثبِ

فى كفِّ ساقيةٍ ناهيكَ ساقيةً
فى حُسْنِ قَدٍّ وفى ظرفٍ وفى أَدبِ

وبعد هذا ستَّةُ أَبياتٍ فى وصفها .

* * *

(١) الآية ١٩ من سورة الإنسان .
(٢) الذى فى الديوان ٢٤٣ : « إلى ناش » من النشوة .
(٣) فى الديوان : « واللهب » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الستمائة[١] :

٦٢٧ (وأضرَبَ منا بالسُّيوف القَوانِسا)

على أنَّ (القوانس) منصوب بفعل محذوف لا بـأَضرَبَ .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : القوانس منصوب عندنا بفعل مضمر يدُلُّ عليه أَضرَب ، أى ضرَبْنا أو نضربُ القوانسَ . فلا يجوز أن يتناوله أَضرَب هذه فى البيتِ ، لأَنَّ أفعل هذه للمبالغة تجرى مجرى فعل التعجُّب . وأنت لا تقول ما أَضربَ زيدًا عمرًا حتى تقول لعمرٍو ، وذلك لضعف هذا الفعل وقلَّةِ تصرفه . فإن تجشَّمت ما أَضرب زيداً عمرًا فإنَّما نصبت عمرًا بفعل آخر ، على ما تقدَّم . انتهى .

وقال ابن الحاجب (فى أماليه على المفصَّل) : القوانس منصوب بفعل مقدَّر ، كأنَّه سئل عمَّا يضربون فقال : نضرب القوانسَ . انتهى.

واستشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ أَيُّ الحِزبَينِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا[٢] ﴾ على أَنَّ أَمدًا منصوب بفعل دلّ عليه أَحصى الذى هو أَفعل تفضيل ، كما نصب القوانس بما دلّ عليه أَضربَ .

وقال بعض من شرح أبيات المفصَّل : المراد بالبيت أَضربَ منا بالسُّيوف للقوانس ، فحذف اللام لضرورة الشعر . فمِن لابتداءِ الغاية متعلِّق بـأَضربَ تعلُّقَ الظرف ، وبالسُّيوف تعلُّق الآلة ، واللام تعلُّق المفعول به . وهذا التقدير أَولى من الأَوّل لوجهين : الأَول أَنَّ إضمار :

---

(١) ابن يعيش ٦ : ١٠٥ ، ١٠٦ والمغنى ٦٧٨ والتصريح ١ : ٣٣٩ والأشمونى ٣ : ٥٦ والأصمعيات ٢٠٥ والحماسة بشرح المرزوقى ٤٤١ وبشرح التبريزى ٢ : ١٦ .

(٢) الآية ١٢ من سورة الكهف .

نضرب، يفسد معنى البيت، إذ مرادُ الشاعر أنَّهم ضاربون ونحن أضربُ منهم، فيحصل التفضيل. ولو قال نضرب القوانس لم يكن فيه تفضيل. والثانى: أنَّ أضربَ لا ينصب المفعول به، فكيف يدلُّ عليه والدَّال على عامل هو الذى يصحُّ أن يعمل فى معموله. وإذا لم يصحَّ عملُه فيه لم يدلَّ عليه. انتهى.

وقد ردَّ عليه الجارَبَردىُّ (فى رسالة ألَّفها على مسألة الكحل) قال: كِلا الوجهين فاسد. أما الأوّل فلأنَّ التفضيل إنَّما يفوت لو لزم تقدير فعل ناصبٍ للمفعول، إذْ لا يكون لاسم التفضيل تعلُّق معنوى بذلك المنصوب، لكنَّه ممنوع لجواز أن يكون أضرب متعلقاً بالقوانس من حيث المعنى، مع أن يكون انتصابُها بفعل مقدَّر. وإذَنْ تعلَّق به معنى يحصِّل مرادَ الشاعر وهو التفضيل.

٥١٨ وقال المصنف (فى أماليه) فى قولنا مررت بزيد قائماً: إنَّ العامل فى زيد فى اللفظ هو الباءُ، ومن حيث المعنى هو مررت، وفى قائماً بالعكس. يعنى أنَّ الفاعل فيه من حيث المعنى هو الباءُ، ومن حيث اللفظ هو مررت. هذا كلامه.

فأقول: لا يبعد فيما نحن فيه أيضاً أن يكون نضرب عاملاً لفظاً فى القوانس. ويكون لأضربَ تعلُّقٌ بها من حيث المعنى، فحينئذ يتم ما ذكرنا.

وأما الوجه الثانى فلأنَّ الدالَّ على عامل مقدَّر لا يلزم أن يكون مما يعمل عملَ ذلك العامل. ألا ترى أنَّ الدال على العامل المقدَّر فى

قولنا: زيد مررت به هو مررت، مع أنَّه لا ينصب زيداً. ونظائره كثيرة. فإن قلت: مررت مع الباء يصحُّ أن ينصب زيداً، فلذلك يدلُّ على الناصب المقدَّر. قلت: فكذا أضرب فيما نحن فيه مع اللام المقدَّرة يصح أن تنصب القوانس، لأنَّكم ذهبتم إلى أنَّ القوانسَ تعلَّق بأضربَ تعلُّق المضروب به، وإذا صحَّ أن يكون ناصباً لها مع اللام صحَّ أن يكون دالاًّ على عاملها. وإذا ثبت فساد الوجهين فلا يكون التقدير الثانى أولى من التقدير الأوَّل، بل الأمرُ بالعكس؛ لأنَّ تقدير الفعل أكثر من تقدير حرف الجر. وأيضاً التفصيل الذى ذكره للخوافض الثلاث مخالفٌ لما يُفهم من كلام المحقِّقين على ما لا يخفى على الأذكياء. انتهى كلام الجاربردى.

وأقول: لم يبيِّن الفساد الذى ادَّعاهُ على وجهين من تقدير اللام، وغاية ما أوردهُ تصحيح تقدير الفعل على زعمه. فتأملْ وأنصف. والله تعالى أعلم.

صاحب الشاهد

والمصراع من قصيدةٍ للعباس بن مرداس الصحابى، قالها فى الجاهليَّة قبل إسلامه ومطلعها:

(لأسماءَ رسمٌ أصبحَ اليومَ دارساً وأقفرَ إلاَّ رَحْرَحانَ فراكِسا[1])

واختار منها أبو تمام فى الحماسة أربعة أبيات، وهى:

(فلم أرَ مثلَ الحيِّ حيًّا مصبَّحاً ولا مثلَنَا يوم التقَينا فوارسَا
أكَرَّ وأحمَى للحقيقة منهمُ وأضربَ منا بالسُّيوف القَوانسَا
إذا ما حملنا حَملةً نَصبُوا لنا صُدورَ المَذاكى والرِّماحَ المَدَاعسا

(١) القصيدة ثمانية وعشرون بيتاً فى الأصمعيات ٢٠٤ – ٢٠٧.

إذا الخيل جالت عن صريع نكرُّها
عليهمْ فما يرجِعْنَ إلاَّ عوابسَا)

قال أبو عبيدة (فى كتاب أيام العرب) : غزت بنو سُليم ورئيسهم عبّاس بن مرداسٍ مُرادًا ، فجمع لهم عمرو بن معديكرب فالتَقوا بتثليث من أرض اليمن ، بعد تسع وعشرين ليلة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فقُتل من كبارِ مُرادٍ ستة ، وقُتل من بنى سُليم رجلان ، وصبر الفريقان حتَّى كره كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه ، فقال عبَّاس بن مرداس قصيدتَه التى على السِّين ، وهى إحدى المنصِفات . انتهى .

وقوله : « فلم أر مثلَ الحىّ » إلخ ، أراد بالحىّ المصبَّح بنى زُبيد بن مراد . قال المرزوقى : لم أر مُغارًا عليه كالذين صَبَّحناهم ، ولا مغيرًا مثلَنا يوم لقيناهم ، فقسَم الشَّهادة قَسْم السَّواء بين أصحابه وأصحابهم وتناول بالمدحِ كلَّ فرقة منهم . وانتصب حيًّا مصَبَّحاً على التمييز ، وكذلك فوارساً تمييزٌ وتبيين ، ويجوز أن يكونا فى موضع الحال . فإن قيل : لم قال فوارس والتمييز يؤتى به مفردَ اللفظ ؟ قلت : إذا لم يتبيَّن كثرةُ العدد واختلاف الجنس من المميَّز يؤتى بالتمييز مجموعَ اللفظ ، متى أُريد التنبيه على ذلك . وعلى هذا قول الله تعالى : ﴿ هلْ ننبِّئكم بالأَخسَرِينَ أعمالا[1] ﴾ ، كأنَّه لما كانت أعمالهم مختلفةً كثيرة نبَّه على ذلك بقوله : « أعمالا » . ولو قال عملاً كان السامع لا يبعدُ فى وهْمه أنَّ خُسرَهم كان لجنسٍ واحد من أجناس المعصية ، أو لعمل واحد من الأعمال الذميمة . وكذلك قوله : « فوارس » ، جمعَه حتَّى يكونَ فيه إيذانٌ بالكثرة . انتهى .

٥١٩

(١) الآية ١٠٣ من سورة الكهف .

وقال ابن الحاجب (فى الأمالى) : إنْ أُريد بالرؤية العلم فحيًّا منصوب بها مفعول أوّل ، ومثلَ مفعول ثان . وإن أُريد رؤية العين فيحتمل أن يكون حيًّا مصبَّحاً هو المفعول ، ومثلَ الحيِّ صفة قدِّمت فانتصب على الحال . ويجوز أن يكون مثل الحى هو المفعول ، وحيًّا مصبحاً إما عطفُ بيان لقوله مثل الحيّ وإمّا حالٌ من الحَىّ ، كأنَّه قال : مثل الحيِّ مصبَّحاً ، وأتى بحيّ للتوطئة للصفة المعنويَّة ، كقولهم : جاءَنى الرجل الذى تعلم رجلاً صالحاً . وصحَّ الحال من المضاف إليه لأنَّه هنا فى معنى المفعول ، أى لم أر مماثلا للحىِّ فى حال كونهم مصبَّحين . والمضاف إليه إذا كان فى معنى فاعل أو مفعول صحَّ منه الحال كغيره . ويجوز أن يكون تمييزًا كقولك : عندى مثلُه تمراً أو قمحًا ، لما فى مثل من إبهام الذات ، فصحَّ تمييزها كتمييز ما أشبهها ، وكلُّ ما ذكر فى ذلك فهو جارٍ فى قوله مثلنا فوارساً ، ففوارساً مثل قوله مصبَّحاً ، ومثلنا مثل قوله مثل الحيّ . انتهى كلام ابن الحاجب .

ونقله [الجارَبَرديُّ [1]] فى تلك الرسالة وقال : على تقدير أن يراد بالرُّؤية العلمُ يجوز أن يجعل مثل الحيِّ مفعولا أوّل وحيًّا مصبَّحاً مفعولا ثانياً . فإن قلت : لا يجوز أن يكون مثل الحى مفعولاً أوّل ، لأنَّه فى أفعال القلوب حكمُه حكم المبتدأ ، فيجب أن يكون معرفة أو نكرة مخصَّصة بوجهٍ مّا . وهنا ليس كذلك ، لأنَّ المِثل كما لا يتعرَّف بالإضافة فلا يتخصَّص أيضاً ، فلا يصلح لأن يكون مفعولاً أوّل .

---

(١) التكملة من ش . يعنى رسالته فى مسألة الكحل .

فالجواب بعد تَسليم ذلك أن يقال : المِثل هنا إمّا تخصّص بالإضافة أَوْ لا ، بل بقى على ما كان ، يصلح لأَن يكون مفعولاً أول . أَمّا على التقدير الأَوّل فظاهر ، وأمّا على التقدير الثانى فلأَنّه إذا كان نكرةً وقد وقع فى سياق النفى فيعمّ ، ولا شكَّ أَنَّه يصح الابتداءُ به ، فيصحُّ أَن يكون مفعولاً أَوّل . انتهى .

وقوله : « أَكرَّ وأَحمى » إلخ ، قال المرزوقى : المصراع الأَوّل ينصرف إلى أَعدائه وهم بنو زُبيدٍ ، والثانى إلى عشيرته وأَصحابه . والمراد لم أَر أَحسنَ كرًّا وأَبلغ حمايةً للحقائق منهم ، ولا أَضربَ للقوانس بالسُّيوف منًّا . وانتصب القوَانسَ مِن فعلٍ[1] دلَّ عليه قوله : وأَضربَ منّا . ولايجوز أَن يكون انتصابه عَن أَضربَ ، لأَنَّ أَفعل الذى يتمُّ بمِنْ لا يَعمل إلاّ فى النكرات ، كقولك : هو أَحسنُ [منك[2]] وجهاً . وأَفعل هذا يجرى مجرى فِعل التعجُّب ، ولذلك تعدى[3] إلى المفعول الثانى باللام فقلت : ما أَضرب زيداً لعمرو . قال الدُّريدىُّ : القَونس هو أَعلى البيضة . وقال غيره : قونس الفَرس : ما بين أُذنيه إلى الرأْس . ومثله قونس البيضة من السِّلاح . انتهى .

وقال ابن الحاجب : قولهُ : « أَكرَّ وأَحمَى » إلخ ، تبيين لما ادَّعاه فيما تقدَّم ، فيجوز أَن ينتصب بفعل مقدَّر لا صفة لما تقدَّم ، لئلّا يفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأَجنبى إذا جُعل تمييزاً . ويجوز أَن يكون صفةً لما تقدَّم ، كأَنَّها صفة واحدة . وإذ جُعلا غير تمييز كأَنَّه

٥٢٠

(١) وكذا فى المرزوقى . وفى ش : « عن فعل » .
(٢) هذه التكملة الضرورية من المرزوقى .
(٣) ش فقط : « يعدى » بالباء .

قال : جاءَنى زيدٌ وعمرو العاقل والعالم . وذلك جائز . فأَكرَّ وأحمَى صفة لحيًّا مصبَّحاً ، وأضربَ منَّا صفةٌ لِفوارسًا . انتهى .

ونقله الجارَبَردى فى تلك الرسالة وقال : كلامُه مشعرٌ بأنَّه على تقدير كون ماتقدَّم على أكرّ وأحمى تمييزاً لو جُعل أكرّ وأحمى صفةً يلزم الفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبىّ ، وأمَّا على تقدير كون المتقدِّم غير تمييز لو جعل أكرّ وأحمى صفةً لا يلزم ذلك . والفرق مشكلٌ جدًّا . انتهى .

و (أكرَّ) من كرّ عليه ، إذا صالَ عليه . (وأحْمَى) من الحماية . وحقيقة الرجل : ما يحقُّ عليه حفظه من الأهل والأولاد والجار .

وقوله : « إذا ما حملنا حملة » إلخ ، قال المرزوقى : يروى : « إذا ماشددنا شَدَّة » . يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا فى وجوهنا ونصبوا صُدورَ الخيل القُرَّحِ والرِّماحَ المعَدَّة للدَّفع . والدَّعْس : الدفع فى الأصل ، ثم يستعمل فى الطَّعن وشدَّة الوطء والجماع . والذَّكاءُ : ضد الفتاء ، يقال فرسٌ مُذَكٍّ إذا تَمَّ سنُّه وكمُل قوَّته . وفى المثل : « جَرْىُ المذَكِّياتِ غِلابٌ »[1] . ويقال « غِلاءٌ » . ويقال فتاءُ فلانٍ كذكاءِ فلان وكتذكية فلان ، أى حَزَامته على نُقصان سنِّه كحزامة ذاك مع استكماله . قال زهير :

يفضِّله إذا اجتهدَا عليه   تمامُ السِّنِّ منه والذَّكاءُ

انتهى .

وقال بعض شراح الحماسة : المذاكى : المُسِنَّات من الخيل . والمذكى من الخيل بمنزلة المُخْلِف من الإبل .

---

(١) أمثال الميدانى ١ : ١٤٣ ، وجمهرة العسكرى ١ : ٢٩٩ .

وقوله : « إذا الخيلُ جالت » قال المرزوقى : أى إذا الخيل دارت عن مصروع منَّا كرَرْنا عليهم لنصرعَ مثل ما صَرَعوا منَّا . ويجوز أن يريد : إذا جالت الخيل عن صريع منهم لا يُقنعنا ذلك فيهم ، بل نكرُّها عليهم لمثله وإن كرِهت الكرَّ لشدَّة البأْس ، فلم ترجع إلاَّ كوالح . والعامل فى إذا نكرُّها ، وهو جوابه . وعوابس حال ، والخيل فاعل فعل يفسِّره ما بعده . انتهى .

وقال شارحٌ آخر : جالت : انكشفت . جال القومُ جولة : انكشفوا ثم كرُّوا . ولم ترجع الخيل إلاَّ عابسةً لما وجدت منْ مسِّ السِّلاح .

وقد ردَّ على العباس عمرو بن معديكرب ، واعتذر بأنَّ خيلهم لم تكن سِماناً ، وأنَّه لولا ذلك لم تنالوا الذى نلتم ، فى قصيدة يقول فيها :

أَعبَّاس لو كانت شِيارًا جيادُنا
بتثليثَ ما ناصيتَ بعدِى الأَحامسا[1]

لَدُسْناكُمُ بالخيل من كلِّ جانبٍ
كما داسَ طبَّاخُ القُدور الكَرادسا

يقال ناصيتُ الرجل ، إذا أَخذتَ بناصيته . والكُردوس : كلُّ ملتقى عظمين ، كالمنكِبين والرُّكبتين والوِركين . ودُسناكم : وطِئناكم . انتهى .

قال الطبرسىّ (فى شرحه أبيات العباس من باب المنصفات) : وهو

(١) يقال فرس شير وخيل شيار ، مثل جيد وجياد ؛ من الشارة والشورة ، بالفتح ، وهو السمن . والبيت فى اللسان (شور ١٠٤) .

من باب التناصف . وللعرب قصائدُ قد أنصف قائلوها أعداءهم [فيها[١]] وصَدقُوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلَوْه من حَرِّ اللقاء ، وفيما وصَفوه من أحوالهم فى إمحاض الإخاء ، قد سمَّوها المنصفات . ويروى أنَّ أوّلَ من أنصف فى شعره مُهلهِلُ بن ربيعة حيث قال :

كأنَّا غُدوةً وبنى أبينا بجنبِ عُنيزَةٍ رَحَيا مُديرِ[٢]

ومن التناصف فى الإخاء قول الفضل بن العبّاس رضى الله عنهما فى أبى لهب : ٥٢١

لا تَطمَعوا أن تهينونا ونكرمَكم
وأن نكفَّ الأذى عنكم وتؤذونا

انتهى .

والعباس وعمرو بن معديكرب صحابيَّان ، تقدَّمت ترجمة الأول فى الشاهد السابعَ عشر[٣] ، وترجمة الثانى فى الشاهد الرابعِ والخمسين بعد المائة[٤] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٥] :

٦٢٨ (مررتُ على وادِى السِّباعِ ولا أرى
كوادى السِّباعِ حين يُظْلِمُ واديَا)

---

(١) التكلة من ش .

(٢) ط : « فانا غدوة » ، صوابه فى ش ، وأمالى القالى ٢ : ١٣٣ ، والبلدان (عنيزة) والأصمعيات ١٥٥ .

(٣) الخزانة ١ : ١٥٢ — ١٥٤ .

(٤) الخزانة ٢ : ٤٤٤ — ٤٤٦ .

(٥) سيبويه ١ : ٢٣٣ ، والعينى ٤ : ٨٨ ، ومعجم البلدان (وادى السباع) .

أَقلَّ به ركبٌ أَتَوه تئيَّةً
وأَخْوَفَ إلاَّ ما وقَى اللهُ ساريا)

على أن أفعل فيه من قبيل : ما رأَيتُ كعينِ زيدٍ أَحسنَ فيها الكُحْل .

قال سيبويه : إنَّما أَراد أَقلّ به الرَّكبُ تَئيةً منهم ، ولكنَّه حذف استخفافاً ، كما تقول : أَنت أَفضل ، ولا تقول من أَحد . وتقول : الله أَكبر ، ومعناه الله أَكبر من كل شيء . انتهى .

قال ابن خلف : حذف منهم وبه اختصاراً ، لعلم السامع . والهاءُ فى به الأُولَى ضمير (واديا) ، والهاءُ فى به التى بعد منهم ضميرُ وادِى السِّباع .

وقال الجاربردى (فى رسالة أَلَّفها لمسأَلة الكُحْل) على عبارة الكافية : ولوقوع التغيير الكثير فى العبارة الثالثة من الحذف والتقديم والتأْخير ، ربَّما يتوهَّم أَنَّها غير جائزة ، فلذلك احتاج إلى إيراد نظيرٍ لها جاءَ فى كلام العرب ، وقد أَنشدَه سيبويه ، وهو قوله :

مَررتُ على وادِى السباعِ . . . البيتين

والاستشهاد إنَّما يحصل من البيتين بقوله : ولا أَرى كوادى السباع أَقلَّ به ركبٌ أَتوه تئيَّة فى وادى السباع . فأَفعَلَ ههنا وهو أَقَلَّ ، جَرَى لشيءٍ وهو فى المعنى لمسبَّبٍ هو الرَّكب مفضَّل باعتبار مَنْ هوله ؛ وهو قوله به ، على نفسه ، باعتبار وادى السباع . انتهى .

وقد شرح الشارح المحقِّق البيتين بما لم يُسبَق به .

وقوله : « الواو فى ولا أَرى اعتراضيَّة » هذا بالنظر إلى مايأْتى بعد البيت الثانى .

وجعل العينى جملة « ولا أرى » حاليَّة . وقوله : « وهو بمعنى المفعول » يعنى أنَّ أَخْوَف فى البيت مأْخوذ من الفعل المبنىِّ للمجهول ، أى أشدّ مخُوفيَّة ، كما أُخِذ أَشهَر وأحمَد من المبنى للمجهول ، أى أَشدُّ مشهوريَّة ومحموديَّة . وقوله : « وهو منصوب على التمييز من أَقلّ » ، هذا هو الظاهر وعليه اقتصر شارح اللباب قال : التئيَّة : التوقُّف والتثبت . وتئية تمييز ، من قوله أَقلّ ، أى أَقلّ توقُّفاً . فأَقلّ : أَفعل من القلة منصوب لأَنَّه صفة لمفعول أرى . وقال الجاربردىُّ : تئيَّة إمّا مصدر على أصلِه ، لأَنَّ الإِتيان قد يكون تَئيّة أى بتوقُّف ، وقد يكون بغيره . وإمّا مصدرٌ فى تأْويل المشتقّ ، أى متوقِّفين ، فيكون حالاً . وأَخوفَ عطف على أَقلّ أو على تئيّة إن جعلت حالا . وإلاّ ماوقَى الله : استثناءٌ مفرَّغ ، أى فى كلّ وقت إلاَّ وقتَ وقاية الله السَّارى . انتهى .

ومحصَّل المعنى أنَّ ثبوت الرَّكب فى وادى السباع أقلُّ من ثبوته فى غيره .

صاحب الشاهد والشعر لِسُحَيم بنَ وثيل ، وهو شاعِرٌ عصرىُّ الفرزدق ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين [1] .

ووادِى السِّباع : اسم موضع بطريق البَصرة . قال أبو عُبيدٍ البكرى (فى معجم ما استعجم) : وادى السباع جمع سبع ، بالبصرة معروف ، وهو الذى قُتل فيه الزُّبير بن العوَّام ، سمِّىَ بذلك لأَنَّ أسماءَ — بنتَ عمران بن الحاف بن قضاعة . وقال ٥٢٢

---

(١) الخزانة ١ : ٢٦٥ — ٢٦٧

أسماء بنت دريم

الكلبي : هي أَسماءُ بنتُ دُريم بن القَين بن أَهْوَدَ[١] بن بهراءَ – كانت تنزلُه . ويقال ، لها أُمُّ الأَسبُع ، لأَنَّ ولدَها أسد ، وكلب ، والذئب ، والدُّبّ ، والفهد ، والسِّرحان . وأقبل وائلُ بن قاسط فلمّا نظر إليها رآها امرأةً ذاتَ جمال ، فطمِعَ فيها ، ففطنت له فقالت : لو هَممتَ بي لأَتاك أَسبُعِي ! فقال : ما أَرى حولك أسبعاً . فدعَتْ بنيها فأتوا بالسُّيوف من كلِّ ناحية . فقال : والله ما هذا إلاَّ وادي السباع : فسمِّي به . انتهى .

وقال ياقوت (في معجم البلدان) : وادي السباع جمع سَبُع . والسبع يقال على ما له نابٌ ويَعدُو على الناس والدوابِّ فيفترسُها ، مثلُ الأَسد ، والذئب ، والنَّمر ، والفهد . فأَما الثعاب فإنه وإنْ كان له ناب فإنَّه ليس بسبعٍ لأَنَّه لا عُدوانَ له . وكذلك الضَّبُع . ووادي السِّباع هو الذي قتل فيه الزُّبير بن العوَّام بين البصرة ومكة ، بينه وبين البصرة خمسة أَميال[٢] . كذا ذكره أبو عبيدة . ووادي السباع من نواحي الكوفة ، سمِّيَ بذلك لما أَذكُره لك ، وهو : أَنَّ أَسماءَ بنت دُرَيْم بن القَين بن أَهْوَدَ[٣] بن بَهراءَ كان يقال لها أُمُّ الأَسبُع . وولدُها بنو وَبَرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، يقال لهم السِّباع ، وهم : كلب ، وأَسد ، والذئب ، والفهد ، والثعلب ، وسِرحان . ونَزْكٌ ، بفتح النون

---

(١) ط : « أهوذ » ، صوابه بالدال المهملة كما في ش معجم البلدان ومعجم ما استعجم والاشتقاق ونهاية الأرب ٢ : ٢٩٢ والقاموس (هود) .

(٢) في النسختين : « خمسة أجبل » ، صوابه من معجم البلدان . وفي هامش المطبوعة مانصه : « قوله بينه وبين البصرة إلخ . المعروف الآن أن قبر الزبير بقرب البصرة ، بينهما أربعة أميال أو خمسة ، ولا يعرف جبل هناك ، فلعل أجبل مصحفة عن أميال . انتهى من هامش الأصل » . ولم ترد هذه الحاشية في ش . وقد صح توقع ناشر الطبعة الأولى بما صححته به .

(٣) ط : « أهوذ » . وانظر ماسلف من تحقيق .

وسكون الزاى ، وهو الحَرِيش ويقال له الكركَدَّنُ ، له قرنٌ واحد يَحمل الفيلَ على قَرنه على ما قيل . وجُعْشم[١] ، وهو الضبع . والفِزْر ، وهو البَبْر : نوع من الضِّباع دون جِرم الفهد إلاّ أنّه أشدُّ وأجرَأُ منه . وعَنْزة وهى دابّةٌ طويلة الخَطْم يُعدُّ من رءُوس السِّباع ، يأْتى الناقةَ فيُدْخل خطمَه فى حيائها ويأْكل ما فى بطنها ، ويأْتى البعير فيمتلخ عينيه . وهرّ ، وضبع . والسِّمع بالكسر ، وهو ولد الذئب من الضَّبع . ودَيْسَم ، وهو الثعلب ، وقيل ولد الذئب . ونِمْس ، وهو دويْبّة فوق ابن عِرس يأْكل اللحم ، وهو أسود ملمَّع ببياض . والعِفْر : جنس من الببر . وسِيد[٢] . والدُّلدل . والظَّرِبانُ : دويْبّةٌ منتنة الفُساء . ووَعوَع ، وهو ابن آوى الضخم . وكانت تنزل مع أولادها بهذا الوادى فسمِّى وادىَ السباع بأولادها .

قال ابن حبيب : مرَّ وائل بن قاسط بأسماء هذه أُمِّ ولد وَبَرة وكانت امرأَة جميلة ، وبنوها يرعَون حَولها ، فهَمَّ بها فقالت له : لعلَّك أسررت فى نفسك منِّى شيئًا ؟ فقال : أجلْ . فقالت : لئن لم تنته لأَستصرخنَّ عليك ! فقال : والله ما أرى بالوادى أحدًا . فقالت : لو دعوتُ سِباعَه لمنعَتنى منك وأعانتنى عليك . فقال : أوَ تفهم السِّباعُ عنكِ ؟ قالت : نعم . ثم رفعت صوتَها : ياكلبُ ، ياذئبُ ، يافهدُ ، يادُبُّ ، ياسِرحان ، ياأسد[٣] . فجاءُوا يتعادَون ويقولون : ما خبرُكِ ياأُمّاه ؟ قالت : ضيفكم هذا أحسِنُوا قِراه . ولم تر أنْ تفضح نفسَها عند بنيها ، فذبحوا له وأطعموه ، فقال وائل : ما هذا إلاّ وادِى السِّباع ! فسمِّى بذلك . انتهى .

---

(١) فى معجم البلدان : « خثعم » .
(٢) السيد ، بالكسر : الذئب . وفى ش : « سليع » .
(٣) فى معجم البلدان : « يا أسد ياسيد » .

الفعل الماضى

أَنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الستمائة[1] :

٦٢٩ (واللهِ لا عَذَّبَتْهُمْ بَعدَها سَقَرُ)

٥٢٣ على أنَّ الماضى المنفىَّ بلا فى جواب القسم ينصرف إلى الاستقبال كما فى البيت . وهو عجزٌ وصدرُه :

(حَسْبُ المحبِّينَ فى الدنيا عذابُهُمُ)

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للمؤمَّل بن أُمَيْل المحاربىّ ، قالها فى امرأةٍ كان يهواها من أهل الحيرة يقال لها « هند » ، وهى قصيدة مشهورة ، ومنها :

(شفَّ المؤمَّلَ يومَ الحِيرة النَّظرُ ليت المؤمَّل لم يُخلق له بصرُ)

ومنها :

(قَتلتِ شاعرَ هذا الحىِّ من مُضرٍ والله يعلم ما تَرْضَى بذا مُضرُ)

روى الأَصبهانى (بسنده فى الأَغانى) عن على بن الحسن الشَّيبانى قال : رأَى المؤمَّل فى نومه قائلاً يقول : أَنت المتأَلِّى على الله أَنَّه لا يعذِّب المحبِّين ، حيث تقول :

يكفى المحبِّين فى الدُّنيا عذابُهمُ والله لاعذبَتْهُمْ بعدها سَقَرُ

فقال : نعم . فقال : كذبتَ يا عدوَّ الله ! ثم أَدخل إصبعيه فى عينيه ، وقال له : أَنت القائل :

شفَّ المؤمَّل يوم الحِيرة النَّظرُ ... البيت

---

(١) الأغانى ١٩ : ١٥٠ ، والخزانة ٤ : ٢٢٨ بولاق ، والمغنى ٢٤٣ .

هذا ما تمنَّيت ! فانتبَه فزِعاً فإذا هو قد عَمِىَ[1] .

وروى بسنده أيضاً عن مُصعب الزُّبيرى أنَّه قال : أُنشِد المهدىُّ :

قتلتِ شاعرَ هذا الحىِّ من مُضرٍ . . . البيت

فضحك وقال : لو علمنا أنَّها فعلتْ لمَا رضينا ، ولغضبناله وأنكرنا .

انتهى .

و (شفَّ) بالشين المعجمة والفاء بمعنى أرقَّه وأهزله ونقصه . والمتألِّى بمعنى الحالف : اسم فاعل من تألَّى من الأَليَّةِ وهى اليمين . ويقال منها آلى إيلاءً ، وائْتلى أيضاً : افتعل من الأَليَّة .

المؤمل بن أميل

والمؤمَّل : ابنُ أُمَيْل بن أَسِيد المحاربى . والمؤمَّل بصيغة اسم المفعول ، والثانى بالتصغير ، وكلاهما مأخوذان من الأَمل ، والثالث بفتح الهمزة وكسر السين المهملة .

وهذه ترجمته من الأَغانى قال : هو المؤمَّل بن أُميل بن أَسِيد المحاربىّ ، محارب بن خصفة بن قيس بن عَيلان بن مضر . شاعرٌ كوفىٌّ من مخضرمى الدولتين الأُمويَّة والعباسيَّة . وكانت شهرتهُ فى العباسيَّة أكثر ، لأَنَّه كان من الجُند المرتزقة معهم ، ومن يخصُّهم ويخدُمهم من أوليائهم . وانقطعَ إلى المهدىِّ فى حياة أَبيه وبعده . وهو صالحُ المذهبِ فى شعره ، ليس من المبرِّزين الفُحُولِ ولا المرذولين . وفى شعره لين[2] . وله طبعٌ صالح .

وروى عنه بالسَّنَد أنَّه قال : قدمتُ على المهدىِّ وهو بالرَّىّ ، وهو إذْ ذاك ولىُّ عهد ، فامتدحْتُه بأَبيات فأَمر لى بعشرين ألفَ درهم ، فكتب

---

(١) انظر معجم المرزبانى ٣٨٤ .

(٢) ش : « ولا المرذولين فى شعره » فقط .

بذلك صاحبُ البريد إلى أَبى جعفر المنصور وهو بمدينة السلام ، يُخبره أَنَّ الأَمير المهدىَّ أمر لشاعرٍ بعشرين أَلفَ درهم ، فكتب إليه يعذُلُه ويلومه ويقول له : إنَّما كان ينبغى [له[١]] أَن تعطيَه بعد أَن يقيم ببابك [سنة[٢]] أَربعةَ آلاف درهم . وكتب إلى كاتب المهدى أَن يوجِّه إليه بالشاعر . فطلب فلم يقدر عليه ، وكتب إلى أَبى جعفر : إنه قد توجَّه إلى مدينة السلام . فأَجلسَ قائدًا من قوّاده على جسر النَّهْرَوانِ وأَمره أَن يتصفَّح الناس رجلاً رَجُلًا . فجعل لا تمرُّ به قافلة إلاَّ تصفَّحَ من فيها حتَّى مرَّت القافلة التى فيها المؤمَّل ، فتصفَّحهم فلما سأَله من أَنت؟ قال : أَنا المؤمَّل بن أُمَيل المحاربى الشاعر ، أَحدُ زوَّار الأَمير المهدى . فقال : إيَّاك طلبتُ . قال المؤمَّل : فكاد قلبى ينصدع خوفاً من أَبى جعفرٍ المنصور . فقبض علىَّ وأَسلمنى إلى الربيع[٣] ، فأَدخلنى إلى أَبى جعفر وقال له : هذا الشاعر الذى أَخذ من المهدى عشرينَ أَلف درهم ، قد ظَفِرْنا به . فقال : أَدخلوهُ إلىَّ[٤] . فأُدخلت عليه فسلَّمت تسليمَ مذعورٍ مروَّع[٥] فردَّ علىَّ السلام وقال : ليس ههنا إلاَّ خيرٌ ، أَنت المؤمَّل بن أُميل ؟ قلت : نعمْ يا أَمير المؤمنين . قال : أَتيتَ غلامًا غِرًّا فخدعتَه . قلت : نعم ، أَصلح الله أَمير المؤمنين ، أَتيتُ غلاماً غِرًّا كريماً فخدعته فانخدع . قال : فكأَنَّ ذلك أَعجبه ، فقال : أَنشِدْنى ما قلتَ له . فأَنشدته :

٥٢٤

(١) هذه من ش فقط .

(٢) التكملة من ش ، والأغانى ١٩ : ١٤٧ .

(٣) فى ش : « وسلمنى من الربيع » ، وفى حواشيها : « كذا بخط المؤلف ، والصواب : وأسلمنى إلى الربيع » . وما أثبت من ط والأغانى .

(٤) ط : « قال أدخله إلى » ، وأثبت ما فى ش والأغانى .

(٥) فى الأغانى « تسليم مروع » .

هـو المهدى إلاَّ أنَّ فيـــه ... مشابهـةً من القمر المنير[١]
تَشابهَ ذا وذا ، فهُما إذا ما ... أنارا مشكلانِ على البصيرِ
فهذا فى الظَّلام سراجُ ليـلٍ ... وهذا فى النهار ضياءُ نورِ
ولـكنْ فضَّل الرحمنُ هـذا ... على ذا بالمنابر والسَّريرِ
وبالمُلْك العزيزِ فـذا أميرٌ ... وما ذا بالأمير ولا الوزيرِ
وبعضُ الشَّهر ينقص ذا ، وهذا ... منيرٌ عند نقصان الشُّهورِ[٢]
فيا ابنَ خليفةِ الله المصفَّى ... به تعلو مُفاخَرةُ الفَخورِ
لئن فُتَّ الملوكَ وقد توافَوْا ... إليك من السُّهولة والوعورِ
لقد سبق الملوكَ أبوك حتَّى ... بَقُوا من بين كابٍ أو حسيرِ
وجئتَ مصلّياً تجـرى حَثيثاً ... وما بك حين تجرى من فتورِ
فقال الناس : ما هذان إلاَّ ... كما بين الخليقِ إلى الجديرِ
لئن سَبَق الكبيرُ فأهلُ سبق ... له فضلُ الكبير على الصغيرِ
وإنْ بلغ الصغير مدى كبيرٍ ... فقد خُلِق الصَّغيرُ من الكبيرِ

فقال : والله لقد أحسنت ، ولكن هذا لا يساوى عشرين ألف درهم، فأين المال ؟ قلت : ها هو هذا . قال : يا ربيع امضِ معه فأعطه أربعة آلاف درهم وخذْ منه الباقى . قال المؤمَّل : فخرج معى الربيعُ فحطَّ ثَقَلى ووزَن لى من المال أربعة آلافِ درهم ، وأخذ الباقى . فلمَّا وَلِىَ المهدىُّ الخلافَة ولَّى ثوبان[٣] المظالم ، فكان يجلسُ للناس بالرُّصافة ، فإذا ملأ كِسَاءه رقاعاً رفَعها إلى المهدىّ ، فرُفعت إليه رقعةٌ فلمَّا دخل بها

(١) الأغانى والطبرى ٨ : ٧٤ : « مشابه صورة القمر » .
(٢) الأغانى : « ونقص الشهر ينقص ذا » ، وفى الطبرى : « ونقص الشهر يخمدذا » .
(٣) فى النسختين « أبو ثوبان » فى هذا الموضع وتاليه، صوابه فى الأغانى ١٩ : ١٤٨ ، والطبرى ٨ : ٤٧ .

ابن ثَوْبان جعل المهدىُّ ينظر فى الرِّقاع ، حتَّى إذا وصل إلى رقعتى ضحك ، فقال له ابنُ ثَوبان : أَصلح اللهُ أَميرَ المؤمنين ، ما رأَيتُك ضحكتَ من شىءٍ من هذه الرِّقاع إلاَّ من هذه الرقعة . فقال : هذه رقعة أَعرف سببها ، ردُّوا إليه عشرين أَلف درهم . فرَدُّوها إلىّ وانصرفْت .

وروى بسنده أَيضاً عن أَبى محمد اليزيدىّ عن المؤمَّل بن أُمَيل قال : صرتُ إلى المهدىِّ بجُرجان ، فمدحتُه بقولى :

تعزَّ ودعْ عنك سَلمى وسِرْ ... حثيثاً على سائراتِ البغالِ
وكـلِّ جـوادٍ له مَيْعةٌ ... يخبُّ بسَرجك بعد الكلالَ
إلى الشَّمس شمسِ بنى هاشم ... وما الشَّمْس كالبدر أَو كالهلالِ
ويُضحكه أَن يدومَ السؤالُ ... ويتلفُ من ضِحكِه كلّ مالِ[1]

٥٢٥

فاستحسنها المهدىُّ وأَمر لى بعشرة آلاف درهم .

وشاع الشعر ، وكان فى عسكره رجلٌ يغنِّى ، فغنَّى فى الشعر لرفقائه وبلغ ذلك المهدىَّ فبعث إليه سرًّا فدخل عليه فغنَّاه ، فأَمر له بخمسة آلاف درهم ، وأَمر لى بعشرة آلاف درهم أُخرى ، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور . ثم ذكَر باقىَ الخبر نحو ما تقدَّم ، وزاد فيه أَنَّ المنصورَ قال له : جئتَ إلى غلامٍ غِرٍّ فخدعتَه حتَّى أَعطاك من مال الله عشرين أَلف درهم ، لشعرٍ قُلتَه غير جيِّد ، وأَعطاك من رقيق المسلمين مالاَ يملكه ، وأَعطاك من الكُراع والأَثاث ماأَسرفَ فيه ، ياربيعُ خذْ منه ثمانية عشر أَلف درهم وأَعطه أَلفين ، ولا تَعرِض لشىءٍ من الأَثاث والدواب والرَّقيق ، ففى ذلك غِناه[2] . فأُخِذَتْ منِّى والله بخواتمها . فلمَّا وَلِىَ المهدىُّ

(١) الأغانى : « أن يديم السؤال ويتلف فى ضحكة » .
(٢) الأغانى : « غناؤه » . والغنى يمد ويقصر .

دخلتُ عليه فى المتظلِّمين ، فلمَّا رآنى ضحك وقال : مظلُمَةٌ أعرفها ولا أحتاج إلى بيِّنةٍ عليها . وجعل يضحك ، وأمر بالمال فردَّ علىَّ بعينه ، وزادنى فيه عشرة آلاف درهم . انتهى .

ومن شعره :

حَلَمْتُ بكم فى نومتى فغضبتمُ
ولا ذنبَ لى إن كنتُ فى النَّوم أحلُمُ

سأطردُ عنِّى النَّومَ كيلا أراكمُ
إذا ما أتانى النَّومُ والنَّاسُ نُوَّمُ

تُصارِمُنى ، والله يعلم أنَّنى
أبرُّ بها من والدَيْها وأرحمُ[(١)]

وقد زعموا لى أنَّها نذرَتْ دمى
وما لى بحمدِ الله لحمٌ ولا دمُ

بَرى حبُّها لحمى ولم يُبقِ لى دماً
وإنْ زَعموا أنِّى صحيحٌ مسلَّمُ[(٢)]

فلم أرَ مثلَ الحبِّ صحَّ سقيمُه
ولا مثْلَ مَنْ لا يعرف الحبَّ يَسقمُ[(٣)]

ستَقتل جِلدًا بالياً فوق أعظُم
وليس يُبالى القتلَ جِلدٌ وأعظُمُ

(١) الأبيات بعده لاتتصل به مباشرة ، بل هى صوت خاص من القصيدة كما فى الأغانى .

(٢) ش : « ولم يبق لى دم » .

(٣) الأغانى : « ولا مثل من لم يعرف » .

روى صاحب الأغانى بسنده إلى حذيفة بن محمد الطائى قال : حدثنى أبى قال : رأيت المؤمَّل شيخاً كبيراً نحيفاً[١] أعمى ، فقلت له لقد صدقتَ فى قولك :

وقد زعَموا لى أَنَّها نذرَتْ دمى . . . البيت

فقال : نعم فديتُك ، لا أَقول إلاَّ حَقًّا[٢] !

---

(١) الأغانى : « شيخاً مصفراً نحيفاً » .

(٢) الأغانى : « وما كنت أقول إلا حقاً » .

الفعل المضارع

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الستمائة[١] :

٦٣٠ (أَبيتُ أَسرِى وتبيتِى تَدلُكِى جِلدَكِ بالعنبرِ والمِسْكِ الذَّكِى)

على أنَّ النون من الأفعال الخمسة قد يندُر حذفها لا للأشياء المذكورة نظماً ونثراً . والأصل تبيين تدلكين .

قال ابن جنى (فى باب ما يرِدُ عن العربىِّ مخالفاً لما عليه الجمهور ، من كتاب الخصائص) : سألت أبا على رحمه الله عن قوله :

أَبيتُ أَسرِى وتبيتِى تدلُكى وجهَك بالعنبر والمِسكِ الذَّكِى

فخُضْنا فيه ، واستقرَّ الأمر فيه على أنَّه حذف النون من تبيتين ، كما حذف الحركة للضرورة فى قوله :

* فاليومَ أَشربْ غير مستحقبٍ[٢] *

٥٢٦ كذا وجَّهته معه . فقال لى : فكيف تصنع بقوله : « تدلكِى » ؟ قلت : نجعله بدلاً من تبيتى أو حالا ، فنحذف النون كما حذفَها من الأَوَّل فى الموضعين[٣] . فاطمأنَّ الأَمرُ على هذا . وقد يجوز أن يكون تبيتى فى موضع النصب بإضمار أن فى غير الجواب ، كما جاء بيت الأعشى :

لنا هضْبةٌ لا ينزل الذُّلُّ وسْطَها ويأْوِى إليها المستجيرُ فيعصما[٤]

---

(١) الخصائص ١ : ٣٨٨ والمحتسب ٢ : ٢٢ والتصريح ١ : ١١ والهمع ١ : ٥١ ويس على التصريح ١ : ٧٦ ، ٣٣٢ .

(٢) لامرئ القيس فى ديوانه ٢٥٨ .

وعجزه :

* إثماً من الله ولا واغل *

(٣) أى أول الموضعين ، وهو قوله : « تبيتى » .

(٤) الصحيح نسبته إلى طرفة . وانظر معجم الشواهد .

انتهى . وأورده ابن عصفور أيضاً (فى كتاب الضرائر) قال : ومنه حذف النون الذى هو علامة للرفع فى الفعل المضارع لغير ناصبٍ ولا جازم ، تشبيهاً لها بالضمة ، من حيث كانتا علامتَى رَفْع ، نحو قول أيمن بن خُرَيم :

وإذ يغصِبُوا الناسَ أموالَهم إذا مَلَكُوهم ولم يُغْصَبوا

وقول الآخر :

أبيت أسرى . . . البيت

وقول الآخر ، أنشده الفارسى :

والأَرض أَورثْتَ بَنِى آداما ما يَغرسوها شجرًا أَيّاما[1]

أَلا ترى أَنَّ النون قد حُذفت من يَغصبون ، وتبيتين ، وتدلكين ، ويغرسون ، لغير ناصب ولا جازم كما فعل بالحركة فى أَشربْ من قوله :

* فاليوم أَشرَبْ غيرَ مستحقب *

ولا يحفظ شىءٌ من ذلك فى الكلام إلاَّ ما جاءَ فى حديث خرَّجه مسلم[2] فى قتلى بدر ، حين قام عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداهم . . . . الحديث . فسمع عمر قول النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « يارسول الله ، كيف يسمعُوا ، وأَنَّى يجيبوا وقد جيَّفوا[3] ! » . فحذف النون من يسمعون ويجيبون . انتهى .

---

(١) كذا فى ش وضرائر ابن عصفور ١٠ ، وفى ط : « إذا ما » .

(٢) فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، فى باب عرض مقعد الميت من الجنة عليه وإثبات عذاب القبر . ج ٨ ص ١٦٣ . وقد أخرجه كذلك النسائى فى كتاب الجنائز ، كما أخرجه أحمد ١ : ٣/٤٧٢ : ١٠٤ ، ١٧٢ ، ٢٢٠ ، ٦/٢٦٢ : ١٧٠ .

(٣) ط : « أجيفوا » ، صوابه فى ش وصحيح مسلم . وتمام الحديث : « قال : والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا . ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر » . وفى نسخة من مسلم كما فى الحواشى : « كيف يسمعون وأنى يجيبون ». لكن حذف النون هو الوارد فى معظم النسخ المعتمدة ، كما فى الحواشى .

وهذا البيت لم أقف على قائله :

وقوله : « أبيت أسرى » إلخ ، أَبيت مضارع بات بيتوتة ومَبيتاً ومَباتاً ، ومعناه اختصاص الفعل باللّيل ، كما اختص الفعلُ فى ظَلّ بالنّهار. فإذا قلت بات يسرى ، فمعناه فَعلَ السُّرى بالليل ، ولا يكون إلاّ مع سهر الليل . وأَسرِى: مضارع سريت الليل وسَريتُ به سَرياً ، والاسم السِّراية ، إذا قطعتَه بالسَّير . وجملة أسرى خبَر بات . و (تدلُكى) دلَكت الشىء دلْكاً من باب قتل ، إذا مَرسْتَه بيدك . ودلكتُ النَّعلَ بالأَرض : مسَحْتَها بها . وروى : (وجْهَك) بدل جلدك . والذكىُّ : الشَّديد الرائحة . قال أبو القاسم البصرى (فى كتاب أغلاط الدِّينَوَرىّ فى كتاب النبات) : يستعمل الذَّكاءُ أيضاً فى حدَّة الرائحة ، فيقال مسكٌ ذكىٌّ بيِّن الذكاء . ويستعمل أيضاً فيما أنتن فيقال منهما : رائحةٌ ذكيَّة ، وقد ذكَت الرائحة تذكو ذُكُوًّا وذَكاءً ، وهى فى الطِّيب أَشهر ، وهم لها أَكثر استعمالاً . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون[1] بعد الستمائة[2] :

٦٣١ (كجوارِي يَلْعَبْنَ بالصَّحراءِ)

على أنَّ ظهور الجرّ والتنوين على الياء ضرورة .

وقال فى شرح الشافية : وقومٌ من العرب يُجْرُون الياءَ والواو مُجرى

(١) ش : « الواحد والثلاثون » والأفصح القلب ، أى الحادى . وفى التصريح ٢ : ٢٧٧ : « وحكى الكسائى عن بعض العرب واحد عشر على الأصل ، فلم يلتزم القلب كل العرب » . وفى الأشمونى ٤ : ٧٧ : « وأما ما حكاه الكسائى من قول بعضهم واحد عشر فشاذ نبه به على الأصل المرفوض . قال فى شرح الكافية : ولا يستعمل هذا القلب فى واحد إلا فى تنييف ، أى مع عشرة أو مع عشرين وأخواته » .

(٢) ابن يعيش ١٠ : ١٠١ وشرح شواهد الشافية ٤٠٣ وأمالى الزجاجى ٨٣ .

الحرف الصحيح فى الاختيار ، فيحرِّكون ياءَ الرامى رفعاً وجرًّا ، وياءَ يرى رفعاً ، وكذا واو يغزو رفعاً . وأنشد هذه الأَبياتَ وغيرها . والمشهور ما هنا .

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : فيه ضرورتان : إحداهما إثبات الياء وتحريكها ، وكان حقُّه أن يحذفها فيقول : كجوارٍ . ٥٢٧ والثانية أنَّه صرفَ مالا ينصرف، وكان الوجه لمّا أثبت الياءَ إجراءً لها مجرى الحرف الصحيح أن يمنع الصرف فيقول كجواريَ . انتهى .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

* ما إنْ رأيتُ ولا أرى فى مُدَّتى *

وإنْ زائدة مؤكِّدة لما النافية ، وجملة (ولا أرى فى مُدَّتى) أى فى عمرى، معترضة بين أرى البصرية وبين مفعولها، وهو الكاف من قوله كجوارٍ ، فإنَّها اسميَّةٌ ولا يصحُّ جعلها حرفية ، فإنَّ التقدير حينئذ ما رأيت نساءً كجوارى ، وحذف الموصوف من مثل هذا لا ينطبق عليه ضابطُه ، فإنَّ الصِّفة إذا كانت جارًّا ومجروراً فلا بدَّ لجواز حذف الموصوف أن يكون بعضاً من مجرور بمن أوفى، كما هو المعروف . ومفعول لا أرى محذوف ، أى مثلَهن . والجوارى : جمع جارية ، وهى الشَّابَّة . قال صاحب المصباح : الجارية السَّفينة، سمِّيت بذلك لجريها فى البحر؛ ومنه قيل للأَمَة جارية على التشبيه ، لجرْيها مستَسخَرة فى أشغال مَواليها . والأَصل فيها الشَّابَّة لخفتَّها . ثم توسَّعوا حتَّى سمَّوْا كلَّ أَمةٍ جارية وإن كانت عجوزًا لا تقدر على السَّعْى ، تسميةً بما كانت عليه . والصحراءُ : البرِّيَّة والخلاء .

وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصَّل) : والعامل[١] فى فِى والكافِ على الاختلاف فى توجيه العاملين (رأيت) الواقع ، دون أرى المتوقَّع . وإن جاز إعمال كلٍّ واحدٍ منهما على الخلاف فيه ، لكنَّ الأَولَى ما ذكرته ، لوجود الرؤية متحقِّقة مع إعمال الأوَّل ، وعدمها متوهَّمة مع إعمال الثانى . ويقوِّى ذلك زيادة إن مع ما . وموضع الكاف نصب ، وكذا موضع فى أيضاً . هذا كلامه .

والبيت مع كثرة تداوُله فى كتب النَّحْو واللُّغة لم أَقفْ على قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الستمائة[٢] :

٦٣٢ (أَبَى اللهُ أن أَسمُو بِأُمٍّ ولا أَبِ)

على أنَّ النصب على الواو يقدَّر كثيرًا لأَجل الضرورة .

وأورده أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعى الأَخفش (فى كتاب المعاياة) وقال : إنَّما جاز ذلك للشاعر لأنَّ الحركات مستثقلة[٣] فى حروف المدِّ واللين ، فلمَّا جاز إسكانها فى الاسم فى موضع الجرِّ والرّفع أَجرىَ عليه فى موضع النصب أيضاً لمَا أَخبرتُك به . انتهى .

وأورده ابن عصفور أيضاً (فى كتاب الضرائر) وقال : حذف الفتحة من آخر أسمو إجراءً للنَّصب مجرى الرفع .

---

(١) ش : « العامل » .
(٢) كامل المبرد ٩٣ والمحتسب ١ : ١٢٧ وابن يعيش ١٠ : ١٠٠ ، ١٠١ والمغنى ٦٧٧ والعينى ١ : ٢٤٢ والأشمونى ١ : ١٠١ وديوان عامر بن الطفيل ١٠ .
(٣) ط : « مستقلة » ، صوابه فى ش .

صاحب الشاهد — والمصراعُ من أربعة أبياتٍ لعدوِّ الله عامر بن الطفيل ، على ما فى ديوانه . وكانت كنيته فى السِّلم أبو على ، وفى الحرب أبو عَقيل ، وهى :

أبيات الشاهد

(وما سوَّدتْنى عامرٌ عن وِراثة — أَبَى اللهُ أَنْ أَسمو بأُمٍّ ولا أَبِ
ولا شَرّفتنى كُنيَةٌ عربيَّةٌ — ولاخالفَتْ نفسى مَكارمَ مَنصِبى
ولكنَّنى أحمى حِماها وأَتَّقى — أذاها ، وأَرمِى مَن رَماها بمَنكِبِ
وأَتركُها تسمو إلى كلِّ غاية — وتَفْخَر حَيَّىْ مشْرق بعد مغربِ)

٥٢٨ قال جامع ديوانه : أراد تغلبُ حيَّ المشرق وحيَّ المغرب .

وقوله : « وما سوَّدتنى عامر» أى جعلتنى سيِّد قبيلة بنى عامر بالإرث عن آبائهم ، بل سُدتهم بأفعالى . وقوله : « أَبى الله » إلخ ، أَبى له معنيان : أَحدهما بمعنى كرِهَ ، وهو المراد هنا . والثانى بمعنى امتنَع . و (أَنْ أسمو) مفعوله . والسموّ : العلوّ .

وهذا المصراع أورده ابن هشام (فى الباب الثامن من المغنى) قال فى القاعدة الأُولى : قد يُعطى الشيءُ حكمَ ما أَشبهه فى معناه أَوْ لفظه أَو فيهما . فأَمَّا الأَوَّل فله صور كثيرة . إلى أَنْ قال منها : العطف بِوَلاَ بعد الإيجاب ، فى نحو قوله :

* أَبَى اللهُ أَن أَسمُو بأُمٍّ ولا أَبِ *

لمَّا كان معناه قال الله لى : لا تسمو بأُمٍّ ولا أَب . انتهى .

وقال العينى : الإِباءُ : شدَّة الامتناع ، وأَنْ أَسمو مفعوله ، والتقدير : أَبَى اللهُ سموِّى وسيادتى بأُمٍّ ولا أَب . وقوله (ولا أَب) عطفٌ على قوله بأُمٍّ . وزاد كلمة لا تأْكيدًا للنفى . هذا كلامه فتأَمَّلْه .

وأَورده جامعُ ديوانه كذا :

* أَبَى اللهُ أنْ أَسمو بِأُمٍّ ولا أَبِ *

فلا شاهد فيه على ما ذكره ابن هشام . واللامُ فى الأب عوضٌ عن المضاف إليه ، أى بأُمِّى وأبى .

وأورد المصراعَ أبو العباس المبرِّد (فى الكامل) فى أبيات ثلاثة كذا :

إنِّى وإن كنتُ ابنَ فارسِ عامرٍ ... وفى السِّرِّ منها والصَّريح المهذَّبِ
فما سوَّدتنى عامرٌ عن وِراثةٍ ... أَبَى اللهُ أن أسمُو بأُمٍّ ولا أبِ
ولكنَّنى أحمى حِماها وأتَّقى ... أذاها وأرمى مَن رماها بِمِقْنَبِ

قال أبو الحسن الأخفش (فيما كتبه على الكامل) : هذه الأبياتُ الثلاثة أوَّلها :

تقول ابنةُ العَمْرىِّ مالكَ بعدما ... أراك صحيحاً ، كالسَّليم المعذَّبِ
فقلتُ لها : همِّى الذى تعلمينه ... من الثأْر فى حَيَّىْ زُبيدٍ وأرحَبِ
إنَ اَغْزُ زُبَيْدًا أغزُ قوماً أعِزَّة ... مُرَكَّبهم فى الحىّ خير مُركَّبِ
وإنْ أغزُ حَيَّىْ خثْعمٍ فدماؤهم ... شِفاءٌ ، وخير الثَّأْر للمتأوِّبِ
فما أدرك الأوتارَ مثلُ محقِّق ... بأَجردَ طاوٍ كالعسيب المشذَّبِ
وأسمرَ خَطِّى وأبيضَ باترٍ ... وزَغْفٍ دلاصٍ كالغدير المثوِّبِ
سلاحُ امرئٍ قد يعلم الناسُ أنَّه ... طَلوبٌ لثارات الرِّجال مُطلَّبِ

فإنى وإنْ كنتُ . . . . إلى آخر الأبيات الثلاثة .

قال الأخفش : السَّليم : الملدوغ ، وقيل له سليمٌ تفاؤلاً له بالسَّلامة . وزُبيد وأَرحبُ : قبيلتان من اليمن . والثَّأْر : ما يكون لك عند من أصاب حميمك من التِّرة . والمتأوِّب : الذى يأْتيك لطلب ثأْره عندك ،

يقال: آب يئوب، إذا رجع. والتأوّب في غير هذا: السَّيْر بالنهار بلا توقُّف. والأَوتار والأَحقاد واحدُهُما وِتر وحِقد. والأَجرد: الفرس المتحسِّر الشعر[١]. والضامر أيضاً. والعَسيب: السَّعفَة. والمشذَّب: الذى قد أُخذ ما عليه من العُقَد والسُّلاَّء والخُوص. ومنه قيل للطَّويل[٢] مشذَّب. وخطِّىٌّ: رمحٌ نسب إلى الخَطِّ، وهى جزيرة بالبحرين يقال إنَّها تنبت الرماح. وقال الأَصمعى: ليست بها رماح ولكنَّ سفينةً كانت وقعت إليها فيها رِماحٌ وأُرفِئتْ بها فى بعض السنينَ المتقدِّمة، فقيل لتلك الرماح الخطِّيَّة، ثم عَمَّ كلَّ رمحٍ هذا النسبُ إلى اليوم. والزَّغْف: الدُّروع الرَّقيقة الدقيقة النسج[٣]. والمثوِّب: الذى تصفِّقه الرياح فيذهب ويجىءُ. وهو من ثاب يثوب إذا رجع. وإنَّما سمِّى الغدير غديراً لأَنَّ السَّيل غادره. اهـ.

٥٢٩

وقد أورد العينى رواية الأَخفش وفسَّر جميع الأَبيات وقال: الأَوتار جمع وِتر بالكسر: الجناية. والطاوى: ضامر البطن. والأَسمر: الرُّمح. والأَبيضُ: السَّيف. والباتر: القاطع. والزَّغْف، بفتح الزاى وسكون الغين المعجمَة: جمع زَغَف بفتحتين، وهى[٤] الدرع الواسعة. ومَنْكِب، بفتح الميم وكسر الكاف: أعوان العرفان، وقيل رأس العرفاء

(١) تحسر الوبر عن البعير، والشعر عن الحمار، إذا سقط. ومنه قوله:

تحسرت عقـــة عنـــه فأنسلهـــا   واجتاب أخرى حديداً بعد ما ابتقلا

وفى النسختين: «المنحسر» صوابه فى الكامل.

(٢) فى الكامل: «للطويل المعرق».

(٣) الذى فى الكامل: «والزغف: الدرع الرقيقة النسج». والزغف لفظ مشترك بين المفرد والجمع، كما فى اللسان. وفى القاموس: «درع زغف ودروع زغف أيضاً». ومثله «الفلك» مشترك بين المفرد والجمع أيضاً للسفينة والسفائن، وكذلك «الجنب» للواحد والجمع.

(٤) ش: «وهو».

مِن النِّكابة، وهى العِرافة والنِّقابة . وروى بدله: «بمِقنب» بكسر الميم وفتح النون: جماعة الخيلَ والفُرسان . انتهى المراد منه .

وترجمة عامر بن الطفيل تقدَّمت فى الشاهد الثامن والستين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الستمائة[٢] :

٦٣٣ (كأَنَّ أَيدِيهِنَّ بالقاعِ القَرِقْ
أَيدِى جَــوارٍ يتعاطَيْنَ الوَرِقْ)

على أَنَّ تسكين الياءِ من (أَيدِيهِنَّ) ضرورة، والقياس فتحها .

قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة الحسن: ﴿أو يعفُو الذى﴾ ساكنة اللام: وسكونُ الواو من المضارع فى موضع النصب قليل، وسكون الياءِ فيه أكثر . وأصل السكونِ فى هذا إنَّما هو للأَلف لأَنَّها لا تحرَّك أَبداً، ثم شبهتْ الياءُ بالأَلف لقربها منها، فجاءَ عنهم مجيئاً كالمستمرّ، نحو قوله :

كأَنَّ أَيدِيهنَّ بالموماةِ أَيدى جوارٍ بِتْن ناعماتِ

وقال الآخر :

* كأَنَّ أَيديهنَّ بالقاع القَرِقْ *

وقال الآخر :

* يا دارَ هندٍ عَفَتْ إلاَّ أَثافِيها[٣] *

---

(١) الخزانة ٣ : ٨٠ – ٨٢ .

(٢) الخصائص ١ : ٣٠٦/٢ : ٢٩١ والمحتسب ١ : ١٢٦ ، ٢٨٩ والعمدة ٢ : ١٩٣ وأمالى المرتضى ١ : ٥٦١ وابن الشجرى ١ : ١٠٥ وشرح شواهد الشافية ٤٠٥ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٩ .

(٣) البيت للحطيئة فى ديوانه ١١١ . وعجزه :

* بين الطوى فصارات فواديها *

وكان أبو العباس المبرِّد يذهب إلى أنَّ إسكان هذه الياءِ فى موضع النَّصب من أحسن الضَّرورات ، وذلك لأنَّ الألف ساكنةٌ فى الأحوالِ كلِّها ، فكذلك جُعلت هذه ، ثم شبِّهت الواو فى ذلك بالياءِ ، فقال الأخطل :

إذا شئت أن تَلْهُو ببعضِ حديثها
رَفَعْنَ وأنزلْنَ القطينَ المولَّدا[1]

وقال الآخر :

* أَبَى اللهُ أن أسمو بأُمٍّ ولا أبِ *

فعلى ذاك ينبغى أن تُحمل قراءة الحسن: ﴿أو يَعْفُو الذى[2]﴾ فقال ابن مجاهد : وهذا إنَّما يكون فى الوقف . فأمَّا فى الوَصل فلا يكون . وقد ذكرنا ما فيه . وعلى كلِّ حال فالفتح أعرَف . ا هـ .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : قال المبرِّد : هذا من أحسن الضَّرورات لأنَّهم ألحقوا حالة بحالتين ، يعنى أنهم جعلوا المنصوب كالمجرور والمرفوع ، مع أنَّ السكونَ أخفُّ الحركات . ولذلك اعترضوا على إسكان الياءِ فى ذوات الياءِ من المركَّبات نحو مَعديكرب وقالى قلا . ا هـ .

والبيتان من الرَّجز نسبهما ابن رشيق (فى العمدة) إلى رؤبة بن العجَّاج ، ولم أرهما فى ديوانه .

وضمير أيديهن للإبل . والقاع هو المكان المستوى . والقرق ، بفتح القاف الأُولى وكسر الراءِ : الأملس . وجوارٍ ، بفتح الجيم : جمع جارية .

---

(١) ديوان الأخطل ٩١ . رفعن : أسرعن السير . أنزلن القطين ، أى أنزلن خدمهن لئلا يسمعوا كلامهن .

(٢) من الآية ٢٣٧ فى سورة البقرة .

ويتعاطين ، أى يناول بعضهن بعضاً . والوَرِق : الدراهم . وفى التنزيل : ﴿ فابعثُوا أحدكُمْ بورِقِكُم هذه[1] ﴾ : كذا فى أمالى ابن الشجرى .

٥٣٠ وقال الشريف المرتضى رحمه الله تعالى (فى أماليه) : القَرق : الخشن الذى فيه الحصى . وشبَّه حذف مناسمهن له بحذف جوارٍ[2] يلعبن بدَرَاهِمَ . وخصَّ الجوارىَ لأنَّهنَّ أخفُّ يداً من النساء . وقال آخرون : القرق هنا المستوى من الأرض الواسعُ . وإنَّما خُصَّ بالوصف لأنَّ أيدىَ الإبل إذا أسرعت فى المستوى فهو أحمدُ لها . وإذا أبطأت فى غيره فهو أجهَدُ لها[3] .

تتمـــــة

أورد الشَّارح المحقق بعد هذا الشعر المثلَ المشهور : « أعط القوسَ باريها » ، وقال : قد يقدر نصب الياءِ فى السَّعة أيضاً . وذكر المثل ، فإنَّ باريها مفعول أعط ، وهو ساكن الياءِ . وهو فى هذا تابعٌ للزمخشرىِّ (فى المفصل) . قال الميدانى (فى أمثاله) : أى استعنْ على عملك بأهل المعرفة والحِذق فِيهِ . ويُنشد :

يابارىَ القوس برياً لست تُحسِنها لا تُفسِدَنْها وأعط القوسَ باريها

قال شارح أبياته ابن المستوفى : قرأته على شيخنا أبى الحرم مَكّىِّ ابن ريَّان (فى الأمثال لأبى الفضل أحمد بن محمد الميدانى) : أعطِ القوس باريَها بفتح ، وكان فى الأصل « ليس يُحسنه » فأصلحه وجعلَه

---

(١) من الآية ١٩ فى سورة الكهف .

(٢) وكذا فيما نقل عنه البغدادى فى شرح شواهد الشافية . لكن الذى فى أمالى المرتضى : « شبه خذف مناسمهن له بخذف جوار » بالخاء المعجمة فى الموضعين ، وكلاهما صواب وإن كان استعمال الخاء المعجمة فى سير الإبل هو الأكثر فى الاستعمال .

(٣) أى أشد إجهاداً . وفى أمالى المرتضى : « فهو أحمد لها » ، وما هنا صوابه .

« بريًا لست تحسنها » وهو كذلك فى نسخ كتاب الميدانى . ولعلَّ الزمخشرى إنَّما أراد بالمثل آخر هذا البيت المذكور ، فأَورده على ما قاله الشاعر ، لا على ما ورد من المثل فى النثر ، فإنَّه ليس بمحلِّ ضرورة . ويُروَى :

يابارىَ القوس برياً ليس يصلحُه لا تظلم القوسَ وَاعطِ القوسَ باريها

والأَوَّل أَصحّ . ويجوز أَن يسكن ياءَ باريها وإن كان مثلاً برأسه ، على ما تقدَّم تعليله . ا هـ .

والمشهور تسكين يائه .

وقد أَورده الزمخشرى (فى أَمثاله) وقال : قيل إنَّ الرواية عن العرب : « باريها » بسكون الياءِ لا غير. يُضرَب فى وجوب تفويض الأَمر إلى من يحسنه ويتمهَّر فيه . انتهى .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س[1] :

٦٣٤ (فاليَومَ أَشْرَبْ غير مَستحقِبٍ إِثْمًا من اللهِ ولا وَاغِــــل)

على أَنَّه يقدر فى الضرورة رفع الحرف الصحيح ، كما فى أَشربْ فإِنَّ الباءَ حرفٌ صحيح وقد حذف الضمةُ منه للضَّرورة .

قال سيبويه : وقد يسكِّن بعضهُم فى الشعر ويُشِمّ ، وذلك قول امرئ القيس :

---

(١) فى كتابه ٢ : ٢٩٧ . وانظر النوادر ٣١٣ والخصائص ١ : ٧٤/٢ : ٣١٧ ، ٣٤٠/٣ : ٩٦ والمحتسب ١ : ١٥ ، ١١٠ وابن يعيش ١ : ٤٨ والمقرب ١١٦ وشذور الذهب ٢١٢ والتصريح ١ : ٨٨ والهمع ١ : ٥٤ وديوان امرئ القيس ١٢٢ ، ٢٥٨ .

فاليوم أشربْ غيرَ مستحقبٍ . . . البيت

قال الأعلم : الشاهد فيه تسكين الباءِ من قوله أشرب فى حال الرفع والوصل . اهـ .

وقال ابن جنى (فى المحتسب) : اعتراض أبى العباس المبرِّد هذا على الكتاب إنَّما هو على العربِ لا على صاحب الكتاب . لأنَّه حكاه كما سمعَه . ولا يمكن فى الوزن أيضاً غيره. وقولُ أبى العبَّاس: إنَّما الرواية : فاليوم فاشْربْ . فكأنَّه قال لسيبويه : كذبتَ على العرب ولم تسمع ما حكيتَه عنهم . وإذا بلغ الأمر هذا الحدَّ من السَّرَف فقد سقطت كُلفَة القول معه . وكذلك إنكاره عليه أيضاً قولَ الشاعر :

* وقد بدا هَنْكِ من المئزرِ[1] *

فقال : إنَّما الرواية :

* وقد بدا ذاكِ من المئزرِ *

و « ما أَطيب العِرْس لولا النَّفقَة[2] » . ولو كان إلى الناس تخيُّر ما يحتمله الموضعُ لكان الرجل أقومَ من الجماعة به . وأوصلَ إلى المراد منه . اهـ . ٥٣١

ووقع فى نسخ الكامل للمبرِّد :

* فاليوم أُسقَى غيرَ مستحقبٍ *

فلا شاهدَ فيه على هذا . ورواه أبو زيد (فى نوادره) كرواية المبرِّد :

---

(١) للأقيشر . وقد سبق فى الشاهد ٣٣٠ .

(٢) وكذا فى المحتسب . وسبق فى ٤ : ٤٨٥ : « ما أطيب العروس » . والعرس بالكسر والعروس : الزوجة . والعرس ، بالضم : طعام الوليمة فى الإملاك .

« فاليوم فاشرب » قالَ أَبو الحسن الأَخفش (فيما كتبه على نوادره) : الرواية الجيِّدة « فاليوم فاشرب » و « اليوم أُسقَى » . وأَما رواية من روى « فاليوم أَشرب » فلا يَجوز[1] عندنا إلاَّ على ضرورة قبيحة ؛ وإن كان جماعةٌ من رؤساءِ النحويِّين قد أَجازوا . اهـ .

وهو فى هذا تابعٌ للمبرِّد .

وأَورده ابن عصفورٍ (فى كتاب الضرائر) مع أَبياتٍ مثله وقال : ومن الضرورة حذف علامتَى الإِعراب : الضمة والكسرة ، من الحرف الصحيح تخفيفاً ، إجراءً للوصل مُجرى الوقف ، أَو تشبيهاً للضمة بالضمة من عَضُد ، وللكسرة بالكسرة من فخذ وإبل ، نحو قول امرئ القيس فى إحدى الروايتين :

* فاليوم أَشربْ غير مستحقبٍ *

إلى أَن قال : وأَنكر المبرِّد والزجَّاجيُّ التسكين فى جميع ذلك ، لما فيه من إذهاب حركة الإِعراب ، وهى لمعنىً ، ورَوَيا موضع فاليوم أَشرب : « فاليوم فاشرَبْ » . والصَّحِيح أَن ذلك جائزٌ سماعاً وقياساً .

أَمَّا القياس فإنَّ النحويِّين اتفقوا على جواز ذهاب حركة الإِعراب للإِدغام ، لا يخالف فى ذلك أَحدٌ منهم . وقد قرأَت القراءُ : ﴿ مالَكَ لا تأَمَنَّا[2] ﴾ بالإِدغام ، وخُطَّ فى المصحف بنون واحدة فلم ينكر ذلك أَحدٌ من النحويِّين . فكما جاز ذهابُها للإِدغام فكذلك ينبغى أَن لا يُنكَر ذهابُها للتخفيف .

وأَما السَّماع فثبوت التخفيف فى الأَبيات التى تقدَّمت ، وروايتُهما

---

(١) وكذا فى ملحقات نوادر أبى زيد ٣١٤ . وفى ش : « فلا تجوز » بالتاء .
(٢) الآية ١١ من سورة يوسف .

بعضَ تلك الأبيات على خلاف التخفيف لا يَقدح فى رواية غيرهما . وأيضاً فإنَّ ابن محارب قرأ : ﴿ وبُعولتْهنَّ أحقُّ بردِّهنَّ[(١)] ﴾ بإسكان التاء . وكذلك قرأ الحسَن[(٢)] : ﴿ وما يَعِدْهُمُ الشَّيطانُ[(٣)] ﴾ بإسكان الدال . وقرأ أيضاً مسلمة ومُحارب : ﴿ وإذْ يَعِدْكُمُ[(٤)] ﴾ بإسكان الدال . وكأنَّ الذى حسَّن مجىءَ هذا التخفيفِ فى حال السَّعة شدَّةُ اتصال الضمير بما قبله من حيث كان غير مستقلٍّ بنفسه ، فصار التخفيف لذلك كأنَّه قد وقع فى كلمة واحدة . والتخفيفُ الواقع فى الكلمة نحو عَضْد فى عَضُد سائغٌ فى حال السَّعة ، لأنَّه لغةٌ لقبائل ربيعة ، بخلاف ما شبِّه به من المنفصل ، فإنَّه لا يجوز إلاَّ فى الشعر . فإن كانت الضمة والكسرة اللتان فى آخر الكلمة علامتَىْ بناءٍ اتَّفق النحويُّون على جواز حذفِهما فى الشَّعر تخفيفاً . انتهى ما أردنا منه .

وما نقله عن الزجاج مذكورٌ (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ فتوبوا إلى بارِئِكم[(٥)] ﴾ من سورة البقرة قال : والاختيار ما رُوى عن أبى عَمرو أنَّه قرأ : ﴿ إلى بارئْكم ﴾ بإسكان الهمزة . وهذا رواه سيبويه باختلاس الكسر ، وأحسب أنَّ الرواية الصحيحة ما رَوَى سيبويه فإنَّه أضبط لما رُوى عن أبى عمرو . والإعراب أشبه بالرِّواية عن أبى عمرو ، ولأنَّ حذف الكسر فى مثل هذا وحذْفَ الضم إنَّما يأْتى باضطرارٍ من الشعر . وأنشد سيبويه وزعمَ أنَّه مما يجوز فى الشعر خاصَّة :

(١) الآية ٢٢٨ من البقرة .

(٢) ط : « أبو الحسن » صوابه فى ش . على أنى لم أجد من نسب هذه القراءة إلى الحسن . بل هى قراءة الأعمش ، فى المحتسب ١ : ١٩٩ وشواذ القرآن لابن خالويه ٢٩ وتفسير أبى حيان ٣ : ٣٥٤ وإتحاف فضلاء البشر ١٩٤ .

(٣) الآية ١٢٠ من سورة النساء و ٢٧ من سورة الإسراء .

(٤) الآية ٧ من سورة الأنفال .

(٥) الآية ٥٤ من سورة البقرة .

* إذا اعوجَجْنَ قلتُ صاحبْ قوِّمِ[1] *

بإسكان الباء . وأنشد أيضاً :

* فاليوم أشربْ غير مستحقبٍ *

فالكلام الصحيح أن يقول : ياصاحبُ أقبل ، أو ياصاحِبِ أقبل ، ولا وجه للإسكان . وكذلك : اليوم أشربُ ياهذا . وروى غير سيبويه هذه الأبياتَ على الاستقامة ، وما ينبغى أن يجوز فى الكلام والشِّعر . روَوْا هذا البيت على ضربين :

٥٣٢

* فاليوم أُسْقَى غيرَ مُستحقبٍ *

وروَوْا :

* إذا اعوجَجْنَ قلت صاحِ قوِّمِ[2] *

ولم يكن سيبويه ليروىَ إلاَّ ما سمع ، إلاَّ أنَّ الَّذى سمعه هؤلاءِ هو الثابت فى اللغة . وقد ذكر سيبويه أنَّ القياس غير الذى رُوى . اه .

والبيت من قصيدةٍ لامرئ لقيس . قال عبد الرحمن السَّعدىّ (فى كتاب مساوى الخمر) :

غزا امرؤ القيس بنى أَسدٍ ثائراً بأَبيه ، وقد جمع جموعاً من حِمْيرَ وغيرهم من ذُؤبان العرب وصعاليكها ، وهربَ بنو أَسدٍ من بين يديه حتَّى أنضَوُا الإبل وحسَروا الخيل ، ولحقَهم فظفر بهم ، وقتل بهم

---

(١) لأبى نخيلة الأعرابى . معجم الشواهد ٥٤٠ . وفى النسختين هنا وفى الموضع التالى : « قومى » ، صوابه من سيبويه .

(٢) فى النسختين : « قومى » . وانظر ما سبق .

مقتلة عظيمة ، وأبار[1] حُلْمةَ بن أسد[2]، ومثَّل فى عمرٍو وكاهل ابنى أسد .

وذكر الكلبيُّ عن شيوخٍ كندة أنَّه جعل يسمُل أعينَهم، ويُحمِى الدُّروعَ فيُلبسهم إيَّاها .

وروى أبو سعيد السكريُّ مثلَ ذلك ، وأنَّه ذبحهم على الجبل، ومزج الماءَ بدمائهم إلى أنْ بلغ الحضيض ، وأصاب قوماً من جُذامٍ كانوا فى بنى أسد . وفى ظَفَرِه ببنى أسد يقول :

قولا لُدودانَ عبيدِ العصا	ما غرَّكم بالأسدِ الباسِلِ
لا تسقينِّى الخمرَ إن لم يَرَوْا	قَتلَى فئاماً بأبى الفاضلِ[3]
حتَّى أُبيرَ الحىَّ من مالك	قَتلًا ومن يَشرُفُ من كاهلِ
ومن بنى غَنْمِ بن دُودانَ إذ	يُقذَفُ أعلاهمْ على السَّافلِ[4]
نَعلوهمُ بالبِيض مسنونةً	حتى يُرَوْا كالخَشَب الشائلِ
حلَّت لىَ الخمرُ وكنت امرأً	من شُربها فى شُغُلٍ شاغلِ
فاليومَ أشربْ غير مستحقبٍ	إثماً من اللهِ ولا واغلِ[5]

قوله : « لدودان عبيد العصا » دُودان بالضم، هو ابن أسد بن خزيمة ، وأراد القبيلة . وكان أبو امرئٍ القيس إذا غضِبَ على أحدٍ منهم ضربوه

(١) ش : « وأباد » . والإبارة والإبادة سيان ، كلاهما بمعنى الإهلاك . وانظر البيت الثالث من المقطوعة التالية .

(٢) حلمة ، بضم الحاء ، كما فى مختلف القبائل لابن حبيب ٢٤ . وانظر جمهرة ابن حزم ١٩٠ والعقد ٣ : ٣٤٠ . وهم حلمة بن أسد بن خزيمة .

(٣) فى الديوان ٢٥٧ : « لا تسقنى الخمرة إن لم يروا » .

(٤) فى الديوان : « إذ نقذف أعلاهم » .

(٥) فى الديوان : « فاليوم فاشرب » .

بالعصا ، فسُمُّوا عبيد العصا ، أى يُعطُون على الضَّرب والهوان . وأراد بالأَسد الباسل أَباه . والفِئام ، بكسر الفاء بعدها همزة ممدودة : الجماعة[١] .

وأُبير : أُفنِي . ومالك هو ابن أَسد . وأَراد بمن يَشرُف من كاهل عِلباءَ بنَ الحارث ، من بنى كاهل بن أَسد .

وقوله : يُقذَف ، أَى يُرمَى بعضُهم على بعض إذا قُتِلوا . والمسنونة : المحدَّدة . والشائل : الساقط .

وقوله : « حَلَّت لىَ الخمر » إلخ قال السعدى (فى مساوى الخمر) : إنَّما قال هذا لأَنه لم يكن حضر قتلَ أَبيه ، وكان أَبوه أَقصاه لأَنَّه كره منه قولَ الشعر ، وإنَّما جاءه الأَعور العجلى بخبره وهو يشرب فقال : « ضيَّعنى صغيراً ، وحمَّلنى ثِقْل الثأْر كبيراً . اليومَ خمرٌ وغداً أَمر . لا صحوَ اليومَ ولا سُكر غداً » . ثمَّ شرب سبعاً ، ثمَّ لمَّا صحا حلف أن لا يغسلَ رأْسه ولا يشربَ خمراً حتَّى يدركَ ثأْره . فذلك قوله : « حَلَّت لِىَ الخمر » . وهذا معنًى مازالت العرب تطرُقه . قال الشَّنفرَى يَرْثى خاله تأَبَّط شرًّا[٢] ، ويذكر إدراكه ثأْره ، من قصيدةٍ له :

فادَّركنا الثأْر فيهمْ ولمَّـا ... يَنجُ من لِحْيانَ إلاَّ الأَقلُّ

حلَّت الخمرُ وكانت حراماً ... وبلأْىٍ ما أَلمَّتْ تَحِلُّ[٣]

وافهَمْ أَنَّهم إنَّما حرموا الخمر على أنفسهم فى مدَّة طلبهم ، لأَنَّها مَشغلة لهم عن كريم الأَخلاق والإقبال على الشهرة[٤] . اهـ .

٥٣٣

(١) لا واحد له من لفظه .

(٢) عند التبريزى فى شرح الحماسة . « قال ابن أخت تأبط شراً » . وروى هذا الشعر أيضاً لخلف الأحمر . انظر التبريزى ٢ : ٣١٣ والمرزوقى ٨٢٧ .

(٣) بلأى : أى بعد جهد ومشقة . ط : « وبلائى » ، صوابه فى ش والحماسة . وفى ط أيضاً : « يحل » صوابه بالتاء كما فى ش والحماسة وأمالى المرتضى ١ : ٢٨٠ .

(٤) ش : « وإقبال على الشهرة » .

قال إسماعيل بن هبةِ الله الموصليُّ (فى كتاب الأوائل) أوَّل من اخترع هذا المعنى امرؤُ القيس فى هذا الشعر . . وأمَّا قولُ أبى نواس :

فى مجلسٍ ضَحِكَ السُّرورُ بـــه عن ناجذَيْهِ وحَلَّتِ الخمرُ

فكان نذَر لايشرَبُ حتى يظفر بمن يهوَى ، فلما ظفِر به وشرب قال هذا البيت . وكذا أيضاً قولُ البحتريِّ :

حتَّى تَحُلَّ ، وقد حَلَّ الشَّرابُ لنا جناتِ عدنٍ على السَّاجور ألفافا[١]

فإنَّه نذر أن لايشرب خمراً حتى يصير إلى بلده ، فلمَّا صار إليه حلّ له الشراب . اهـ .

وبيت أبى نواس ، قبلَه :

ظلَّتْ حُمَيَّا الكاسِ تبسُطُنـــا حتَّى تهتَّك بيننا السِّترُ

قال السيد المرتضى ، قدس الله روحه (فى أماليه) : قوله : « وحَلَّتِ الخمر[٢] » يحتمل أنَّ ماوصَف به من طِيب الموضع[٣] وتكامل السُّرور به وحضور المأْمول فيه[٤] ، صار مقتضياً لِشُربِ الخمر ، وملجئاً إلى تناولها ، ورافعاً للحَرَج فيها ، على مذهب الشُّعراءِ فى المبالغة . وتكون فائدة وصفها بأَنَّها حَلَّت ، المبالغةَ فى وصف الحالِ بالحُسْن والطِّيب . ويحتمل أيضاً أن يكونَ عقدَ على نفسه وآلَى أن لا يتناول الخمر إلَّا بعد

---

(١) من قصيدة له فى ديوانه ١٣٨٢ تحقيق الصيرفى ، يمدح بها أبا جعفر الطائى . وضمير « تحل » عائد إلى « الخيل » فى بيت سابق ، وهو :

أزاجر أنا جرد الخيــل أجشمهـــا سيراً إلى الشــام إغــذاذاً وإيجافا

جنات ألفاف يلتف : بعض شجرها ببعض . والساجور : نهر بمنبج من الشام .

(٢) ط : « حلت لى الخمر » ، صوابه فى ش ، وذلك لأن المرتضى إنما يعلق على بيت أبى نواس : « فى مجلس ضحك السرور » . وانظر أمالى المرتضى ١ : ٢٨٠ .

(٣) ط : « المواضع » ، صوابه فى ش وأمالى المرتضى .

(٤) فى بعض أصول الأمالى : « وحصول المأمول فيه » .

الاجتماعِ مع محبوبه ، فكان الاجتماعُ معه مُخرِجاً عن يمينه ، على مذهب العرب فى تحريم الخمر على نفوسهم إلى أَنْ يأْخذوا بثأْرهمْ. ويحتمل أَيضاً أَن يريد بحَلَّت : نزلت وأَقامت ، من الحلول الذى هو المُقام لا من الحَلال ، فكأَنَّه وصف [بلوغ[١]] جميع آرابه ، وحضورَ فنونِ لذَّاته ، وأَنَّها تكاملت بحلول الخمر التى فيها جماع اللذَّات . وهذا الوجه وإنْ لم يُشَرْ إليه[٢] فالقول يحتمله . ولا مانع من أَن يكون مرادًا . وقد قيل إنَّه أَراد : إذا استحللنا الخمر سكرنا[٣] ، وفقدنا العقول التى كنا نمتنع لها من الحرام . والوجوهُ المتقدِّمة أَشبَهُ وأَقرب إلى الصواب . ا ﻫ .

وقوله : « فاليوم أَشربْ » إلخ غيرَ حالٌ من ضمير أَشرب . (والمستحقب) : المكتسِب ، وأَصله من استحقب : أَى وَضَع فى الحقيبة ، وهى خُرجٌ يُربط بالسَّرج خلف الراكب . (وإثْما) مفعول مستحقب . كأَنَّ شربها بعد وفاءِ النذر لا إثم فيه بزعمه . و (واغل) معطوف على مستحقب ، والواغل : الذى يأْتى شرابَ القوم من غير أَن يدعَى إليه ، وهو مأْخوذٌ من الوغول وهو الدُّخول . ومعناه أَنَّه وَغْلٌ فى القوم وليس منهم .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين[٤] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد السمّائة[٥] :

---

(١) التكملة من أمالى المرتضى فقط .

(٢) فى الأمالى : « وإن لم يشر إليه أحد ممن تقدم » .

(٣) ش : « انا استحللنا الخمر » ، صوابه فى ط . على أن الذى فى الأمالى : « إنه أراد استحللنا الخمر لسكرنا » .

(٤) الخزانة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٥) الخصائص ١ : ٣٠٧ والمنصف ٢ : ١١٥ وسر الصناعة ١ : ٨٩ والمخصص ١٣ : ١٤/٢٥٨ : ٩ والإنصاف ٢٦ وابن يعيش ١٠ : ١٠٤ ، ١٠٦ والممتع ٥٣٨ وشرح شواهد الشافية ٤٠٩ والتصريح ١ : ٨٧ والعينى ١ : ٢٣٦ والهمع ٢ : ٥٢ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٩ .

٦٣٥ (ولَا ترضَّاها ولا تَملَّقِ)

على أَنَّ حرف العلة قد لا يحذف للجازم فى الضرورة .

قال أَبو على (فى إيضاح الشعر) فى باب ما كان لامه من الأَفعال حرفَ علَّة : قال الشاعر :

هجوتَ زبَّانَ ثم جئتَ معتذرًا من هجو زَبَّانَ لَمْ تهجُو ولم تَدَعِ

وقال :

* أَلم يأْتيكَ والأَنباءُ تنمِى[١] *

وقال آخر :

* ما أَنس لا أَنساه آخر عيشتى[٢] *

٥٣٤ هذه الحروف قد تحذف فى موضع الجزم فى الاختيار ، كما تحذف[٣] النون فى التَّثْنية والجمع وفعل المؤنَّثة المخاطبة . وربَّما لم تحذف فى الشعر . فقدَّر الشاعرُ فى الواو والياءِ الحركةَ كالأَبيات التى قدَّمناها ، فتشبَّه الأَلف بالياءِ فى نحو لا أَنساه فى البيت ، ونحو قوله :

إذا العجوزُ غضِبتْ فطلِّقِ ولَا تَرضَّاها ولا تَملَّقِ

ويدلُّ على تقدير الشاعر الحركةَ فى الياءِ والواوِ وحذفِها فى الضرورة أَنَّ سيبويه[٤] زعم أَنَّ أَعرابياً أَفصحَ الناس من كُليب ، أَنشَد لجرير :

فيوماً يُوافينَ الهوى غير ماضيٍ ويوماً ترى منهن غُولًا تَغَوَّلُ

اهـ . وكذا قال ابن جنى (فى سر الصناعة ، وفى الخصائص) ، وشرحَهُ

---

(١) لقيس بن زهير ، وهو الشاهد التالى .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٨٦ . وفى ش : « عيشى » تحريف .

(٣) ط : « كما حذفت » ، وأثبت ما فى ش .

(٤) فى كتابه ٢ : ٥٩ .

شرحاً واضحاً (فى شرح تصريف المازنى) . وزاد (فى سر الصناعة) أَنَّ بعضهم رواه على الوجه الأَعرف :

* ولا ترضَّها ولا تملَّقِ *

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : ينبغى أَنْ تجعل لا فى قوله « ولا ترضَّاها » نافية ، والواو فيه للحال ، مثلُها فى قُمْتُ وأَصكُّ وجهه ، فيكون المعنى إذا ذاك : فطلِّقْها غير متَرَضٍّ لها ، ويكون قوله ولا تَملَّقِ جملةَ نهى معطوفةً على جملة الأَمر التى هى طلِّقْ . ولا ينبغى أَن تجعل لاحرفَ نهى ، لأَنَّها لو كانت للنهى لوجب حذفُ الأَلف من ترضَّاها . ا هـ . وينبغى أَن يكون على هذا جملة « لا ترضَّاها » خبر مبتدإٍ محذوفٍ ، أَى وأَنت لاتترضَّاها .

صاحب الرجز — والبيتان من رجز لرؤبْة بن العجَّاج . وبعده :

واعمِدْ لأُخرَى ذاتِ دلٍّ مونقِ   ليِّنةِ المسِّ كمسِّ الخِرنقِ

هكذا أَورَده أَبو محمَّد الأَعرابى (فى ضالَّة الأَديب) .

وقولهُ : « إذا العجوزُ غضبت » روى أَيضًا : « كبرت » بدل غضبت. والترضِّى والاسترضاء بمعنًى . قال الجوهرى : يقال تملَّقه وتملَّق لهتملُّقا وتِملَّاقاً ، أَى تودَّد إليه وتلطَّف له . واعمِْد بمعنى اقصِد . والدَّلُّ بفتح الدال، بمعنى الدلالِ والغُنْج . ومونق : اسم فاعل من أَنِق الشىءُ أَنَقاً من باب تعب[1] ، أَى راع حسنُه وأَعجب . والخِرنق بكسر الخاء المعجمة والنون وسكون الراء بينهما : ولد الأَرنب .

وترجمة رؤْبة تقدَّمت فى الشاهد الخامس من أَول الكتاب[2] .

* * *

(١) كذا . والصواب أنه من آنقنى الشىء إيناقاً ، أى أعجبنى .

(٢) الخزانة ١ : ٨٩ — ٩٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الستمائة [وهو من شواهد س[١]] :

٦٣٦ (ألم يأْتِيكَ والأَنباءُ تَنْمِى)

لمـا تقدَّم فى البيت قبله .

وأورده سيبويه فى موضعين من كتابه على أنَّه أثبت الياءَ فى حال الجزم ضرورة ، لأَنَّه إذا اضطُرَّ ضمَّها فى حال الرفع تشبيهاً بالصحيح .

قال الأَعلم : وهى لغةٌ ضعيفة ، فاستعملها عند الضرورة . ا هـ .

وهذا قول الزجاجى (فى الجمل) ، وتبعه الأَعلم .

قال ابن السِّيد (فى شرح أبياته) : وقوله إنَّه لغةٌ خطأٌ .

ومثله للصَّفَّار (فى شرح الكتاب) قال : إثبات حرف العلة فى المجزوم ضرورةٌ ، نحو : ألم يأْتيك . وقيل إنَّه لغةٌ ، يعربُ بحركاتٍ مقدَّرة . والصحيح أنَّه ليس لغة ، ولا أعلم من قاله غير الزجَّاجى ، ولاسندَ له فيه . وممَّا يدلُّ على أنَّه غير معرب بحركات مقدَّرة أنَّهم لايقولون لم أخشى[٢] ؛ لأنَّه لا يظهر فيه حركة بوجهٍ ، بخلاف الياء . فإنْ قلتَ : أنَّه سمع فى قولِه تعالى : ﴿ لاتَخَفْ دَرَكاً ولاتَخْشَى[٣] ﴾ ، وقوله : ٥٣٥

إذا العجوزُ غضبت فطلِّقِ ...... البيت

---

(١) التكملة من الشنقيطية ، وانظر سيبويه ١ : ٥٩ : ٢/١٥ ونوادر أبى زيد ٢٠٣ والجمل ٣٧٣ والخصائص ١ : ٣٣٣ ، ٣٣٧ والمحتسب ١ : ٦٧ ، ١٩٦ ، ٢١٥ والمنصف ٢ : ٨١ ، ١١٤ ، ١١٥ وسر الصناعة ١ : ٨٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٨٤ ، ٨٥ ، ٢١٥ والإنصاف ٣٠ وابن يعيش ٨ : ١٠/٢٤ : ١٠٤ والمقرب ٤ ، ٤٣ والمغنى ١٠٨ ، ٣٨٧

(٢) ش : « لم أتخشى » .

(٣) الآية ٧٧ من سورة طه . وهذه هى قراءة حمزة والأعمش وابن أبى ليلى . تفسير أبى حيان ٦ : ٢٦٤ وإتحاف فضلاء البشر ٣٠٦ .

قلت : لا دليل فِيه كما زعمت ، لأَنَّ الأَول مقطوع ، أى وأَنت لا تخشى ، أى فى هذه الحال . وكذا ولاترضَّاها ، أَى طلقها وأَنت لا تترضَّاها ، ثم قال ولا تملَّق ، فلا دليل فيه . ا هـ .

وقال ابن خلف: هذا البيت أَنشده سيبويه فى باب الضَّرورات ، وليس يجب أَن يكون من باب الضَّرورات ، لأَنه لو أُنشد بحذف الياءِ لم ينكسر ، وإِنَّما موضع الضرورة ما لا يجد الشاعر منه بدًّا فى إِثباته ولا يقدر على حَذْفه لئلَّا ينكسر الشعر ، وهذا يسمَّى فى عروض الوافِر المنقوصَ ، أَعنى إِذا حُذف الياءُ من قوله : « أَلم يـأْتيك » .

هذا كلامه ، ولا يخفَى أَنَّ ما فسَّر به الضرورة مذهبٌ مرجوح . والتحقيق عند المحققين أَنَّها ما وقع فى الشِّعر سواءٌ كان للشَّاعر عنه مندوحةٌ أَم لا .

وقال ابن جنى (فى فصل الهمزة من سرِّ الصناعة) : رواه بعضُ أَصحابنا : « أَلم يـأْتِك » على ظاهر الجزم ، وأَنشدهُ أَبو العباس عن أَبى عثمان عن الأَصمعىّ :

* أَلا هَلَ آتاكَ والأَنباءُ تنمِى * ا هـ.

فالأَوّل فيه الكفّ ، والثانى فيه نقل حركة الهمزة من أَتاك إِلى لام هل وحذفُها . ورواه بعضهم :

* أَلم يبلغْك والأَنباءُ تنمِى *

فلا شاهد فيه على الروايات الثلاث .

والبيت أَورده ابن هشام (فى موضعين من المغنى) :

أَحدهما : فى الياءِ قال : الياءُ فى قوله بما زائدة فى الضرورة . وقال

ابن الضائع : الباءُ متعلقة بتَنْمِى وإنَّ فاعلَ يأْتى مضمر ، والمسأَلة من باب الإِعمال[(١)] .

وثانيهما : فى الجملة المعترضة من الباب الثانى، قال : جملة والأَنباءُ تنمى معترضة بين الفعل والفاعل ، على أَنَّ الباءَ زائدة فى الفاعل . ويحتمل أَنَّ يأْتى وتنمى تنازعَا، فأَعمل الثانىَ وأَضمر الفاعل فى الأَوّل ، فلا اعتراض ولازيادة . ولكن المعنى على الأَوّل أَوجَه ، إِذ الأَنباءُ من شأْنها أَن تنمِىَ بهذا وبغيره . ا هـ .

يريد أَنَّ يأْتى وتنمى تنازعَا قوله بما ، والأول يطلبه للفاعليَّة، والثانى يطلبه للمفعوليَّة ، فأَعمل الثانىَ على المختار ، وأَضمر الفاعل فى الأَوّل وهو ضمير ما لاقت .

وقال الأَعلم، وابن الشجرى (فى أَماليه) : الباءُ زائدة بمنزلتها فى : ﴿كفَىَ باللهِ شَهِيداً[(٢)]﴾ . وحسَّن دخولَها فى ما أَنَّها مبهمة مبنيَّة كالحرف، فأَدخل عليها حرف الجر إِشعاراً بأَنَّها اسم ، والتقدير : أَلم يأْتيك مالاقت . ويجوز أَن تكون متّصلة بيأْتيك على إِضمار الفاعل ، فيكون التقدير : أَلم يأْتيك النبأُ بما لاقت. ودلَّ على النبإِ قوله : «والأَنباءُ تنمى» أَى تشيع . وأَصله من نمى الشىءُ ينمِى ، إِذا ارتفعَ وزاد . ا هـ .

وعلى هذا لاتنازع . وفيه الاعتراض بالجملة . وقولُ ابن هشام إِنَّ زيادة الباءِ هنا ضرورة هو قول ابن عصفور ، قال(فى كتاب الضرائر) : ومنها زيادة حرف الجر فى المواضع التى لاتُزاد فيها فى سعة الكلام ،

(١) يعنى باب التنازع .
(٢) الآية ٧٩ ، ١٦٦ من سورة النساء .

نحو: أَلم يأْتيك . البيت فزاد الباءَ فى فاعل يأْتى ، وزيادتها لا تنقاس فى سَعة الكلام إلَّا فى خبر ما ، وخبر ليس ، وفاعل كفى ومفعوله ، وفاعل أَفعِلْ بمعنى ما أَفعله . وما عدا هذه المواضعَ لا تُزاد فيه الباءُ إلَّا فى ضرورةٍ ، أَوشاذٍّ مِن الكلام يُحفَظ ولا يقاس عليه . ا هـ .

وقال ابن جنى (فى المحتسَب) : زاد الباءَ فى « بما لاقت » لمَّا كان معناه : أَلم تسمع ما لاقت لبونُهم .

هذا كلامهُ . وكأَنه على التضمين . وفيه بعدٌ .

٥٣٦ وقال ابن المستوفى ، وابن خلف : ويجوز أَن يكون « لبون » فاعل يأْتى على تقدير مضاف ، أَى أَلم يأْتيك خبر لَبونهم . ويكون فى لاقت ضميرٌ يعود إلى لبون . ويكون لبون فى نيَّة التَّقديم . وعلى هذا تكون الباءُ متعلِّقة بيأْتى . وفيه التنازع على إعمال الأَوّل على خلاف المختار . وفيه تعسُّف لتقدير المضاف فى الأَوَّل وعدمه فى الثانى . والكاف فى يأْتيك لمخاطب غير معيَّن ، أَى يا من يصلُح للخطاب . و (الأَنباءُ) : جمع نبأ وهو خبَرٌ له شأْن . و (اللَّبُونَ) قال أَبو زيد : هى من الشاء و الإبل[1] : ذات اللبن ، غزيرةً كانت أَم بكيئة. فإذا قصَدُوا قَصْدَ الغزيرةِ قالوا لَبِنة. وقال ابن السِّيد ، وتبعه ابن خلف : اللَّبون : الإبل ذوات اللبن ، وهو اسمٌ مفرد أَراد به الجنس .

وبنو زياد هم الكمَلة : الربيع ، وعمارة ، وقيس ، وأَنس ، بنو زِياد ابن سفيان بن عبد الله العبسى . وأُمُّهم فاطمة بنت الخُرشُب الأَنماريّة . والمراد لبون الرَّبيع بن زياد ، فإنَّ القصَّة معه فقطْ كما يأْتى بيانها .

---

(١) ش : « هى من الإبل و الشاء » .

كما يقال: بنو فلان فَعَلوا كذا ، إذا كان الفاعل بعضهم ، وأسند الفعل إلى الجميع لرضاهم بفعل البعض .

ومثل هذا البيت قولُ عُفَيف بن المنذِر[1] :

أَلم يأْتيكَ والأَنباءُ تنمِى ... بما لاقت سَراةُ بنى تميمِ
تَداعَى من سَرَاتِهمُ رجالٌ ... وكانوا فى النوائر والصَّميمِ[2]

والبيت أول أبياتٍ لقيس بن زُهير بن جَذيمة بن رَوَاحة العبْسى ، وكان سيِّدَ قومِه ، ونشأَت بينه وبين الربيع بن زياد العبسى شَحناءُ فى شأْن درعٍ ساومه فيها ، ولمَّا نظر إليها وهو على ظهر فرسه وضعَها على القَرَبوس ثم ركض بها فلم يردَّها عليه ، فاعترض قيْسُ بنُ زهير أُمَّ الربيع : فاطمةَ بنتَ الخُرشب المذكورة ، فى ظعائنَ من بنى عبس ، فاقتاد جمَلها ، يريد أن يرتهنَها بدرعه ، فقالت له : ما رأيتُ كاليوم قطُّ فِعْلَ رجل ! أين ضلَّ حِلمك ياقيس ؟ أترجو أن تصطلح أنت وبنو زياد أبداً وقد أخذتَ أُمَّهم فذهبتَ بها يميناً وشمالا ، فقال الناسُ فى ذلك ما شاءُوا أن يقولوا ؟ وحسبُك من شَرٍّ سماعُه ! فأَرسلتْها مثلا . فعرفَ قيسٌ ما قالت فخلَّى سبيلَها ، ثم طرد إبلاً له ، وقيل إبلَه وإبلَ إخوته ، فقدِم بها مكَّة ، فباعها من عبد الله بن جُدْعان التيميّ ، معاوَضةً بأَدراعٍ وسيوف . ثمَّ جاورَ ربيعة بنَ قُرط بن سلمة بن قُشَير ، وهو ربيعة الخير ، ويكنى أبا هلال .

---

(١) أحد بنى عمرو بن تميم ، ذكره سيف فى الفتوح ، وأنه شهد مع العلاء بن الحضرمى فى قتال الحطم ، وأبلى فيه بلاء حسناً . الإصابة ٦٤٢٩ . وانظر الطبرى ٣ : ٢٦٩ فى خبر بنى تميم وأمر سجاح بنت الحارث بن سويد . وكان الحطم بن ضبيعة قد أدرك الإسلام فأسلم ثم ارتد .

(٢) الطبرى : « وكانوا فى الذوائب » ، وهو الوجه . والذوائب : الرؤساء ، وذؤابة كل شيء : أعلاه . ومنه قول الأخنس بن شهاب فى المفضليات ٢٠٨ :

أرى كل قوم ينظرون إليهم ... وتقصر عما يفعلون الذوائب

وفاطمة الأنمارية هى إحدى المنجبات . وسئلت عن بنيها : أَيُّهم أَفضل ؟ فقالت : الربيع ، لا بل عُمارة ، لا بل قيس ، لا بل أنس ، ثكلتُهم إنْ كنت أدرى أَيُّهم أفضل ، همْ كالحلْقة المفرَغة لا يُدرَى أين طرَفاها .

أبيات الشاهد

وكانت امرأةً لها ضيافةٌ وسُودُد . والأَبيات هذه بعد الأَوَّل :

(ومحبَسُها على القرشيِّ تُشرَى	بأَدراع وأَسيافٍ حِدادِ
كما لا قيتُ من حَمَل بن بدرٍ	وإخوتهِ على ذاتِ الإصادِ
همُ فخرُوا علىَّ بغير فخرٍ	وردُّوا دونَ غايته جَوادى
وكنتُ إذا مُنِيتُ بخَصمٍ سَوءٍ	دلفتُ له بداهيَةٍ نآدِ
بداهيةٍ تدُقُّ الصُّلبَ منهمْ	بقَصمٍ أَو تَجوبُ على الفؤادِ[1]
أُطوِّف ما أُطوِّف ثم آوِى	إلى جارٍ كجار أَبى دُوادِ
منيعٍ وسطَ عِكرمةَ بنِ قيس	وهُوبٍ للطَّريف وللتِّلاد
تظلُّ جيادُه يَعْسِلْن حولى	بذات الرِّمث كالحِدَإِ العوادِى
كفانى ما أَخاف أَبو هلال	ربيعةُ فانتهت عَنِّى الأَعادى
كأَنِّى إذْ أَنختُ إلى ابن قُرط	أَنختُ إلى يَلَمْلَم أَونَضَادِ)

٥٣٧

وقوله : « ومحبسُها » بالرفع معطوف على فاعل يأْتيك ، وهو ما لاقت ، أَو لبون ، وبالجرّ عطفاً على مدخول الباءِ إن كان الفاعل ضمير النَّبأ . والمحبَس : مصدر مِيمىّ .

والقرشىُّ هنا هو عبد الله بن جُدعان ، بضم الجيم ، ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مرَّة القرشى . وعبد الله من أجواد قريش فى

(١) ط : « عن الفؤاد » ، وأثبت ما فى ش والأغانى ١٥ : ٢٨ .

الجاهليَّة . وشذَّ ابن السِّيد فى قوله : إنَّ قيساً لمّا قدِم مكة بإبلِ الربيع باعها لِحربِ بن أُميَّة وهشامِ بن المغيرة ، بخَيلٍ وسلاح .

وتُشْرَى ، بالبناء للمفعول ، الجملة حال من ضمير المؤنث فى مَحبسها . وقالوا : هو بمعنى تباع . ويجوز أن يكون المعنى يشتريها القرشىُّ ، فالجملة حالٌ من القرشى .

وفى هذا البيت بيانٌ لما لاقته لبُونُ بنى زياد ، وافتخارٌ وتبجُّح بما فعله مِنْ أَخْذِ إبله وبيعها بمكة .

وقوله : « كما لاقيتُ » قال ابن الشجرى : العامل فيه محذوف تقديره : لاقيتُ منهم كما لاقيت من حَمَل بن بدر .

ومثله فى حذف الفِعل منه للدّلالة عليه ، قول يزيد بن مفرِّغ الحميرىّ :

لا ذَعرتُ السَّوامَ فى وَضَح الصُّبْـ ـحِ مغيرًا ولا دُعيتُ يزيـدا

يومَ أُعطَى من المخـافة ضَـيماً والمنايا يرصُدننى أن أَحيدا[1]

طالعـاتٍ أخذْنَ كلَّ سبيـل لا شقيًّا ولا يدَعْنَ سعيدا

أراد : لا يدعن شقياً ، فحذف . انتهى .

وذات الإصاد ، بكسر الهمزة : موضع .

حرب داحس والغبراء

وهذا البيت وما بعده إشارةٌ إلى حرب داحسٍ والغبراءِ ، وهذا إجمالها (من كتاب الفاخر للمفضَّل بن سلمة) قال : داحسٌ : فرسُ قيس بن زهير العَبْسى ، والغبراءُ : فرس حُذيفة بن بدرٍ الفَزارىّ . وكان من حديثهما أنَّ رجلا من بنى عبس يقال له قِرواش بن هُنَىّ ، مارَى حملَ

(١) ط : « يوم أعطى من النحافة » ، صوابه فى ش مع أثر تغيير . وفى ديوانه ٧٢ والأغانى ١٧ : ٥١ : « من مخافة الموت » .

ابن بدرٍ أخا حذيفة ، فى داحس والغَبْراء ، فقال حمل : الغبراءُ أجود . وقال قِرواش : داحسٌ أجود . فتراهنا عليهما عشرةً فى عشرة[١] . فأتى قِرواشٌ إلى قيس بن زهير فأخبره ، فقال له قيس : راهنْ من أحبَبْت وجَنِّبنى بنى بدر فإنَّهم يَظلمون ، لقُدرتِهم على النَّاس فى أنفسهم ، وأنا نَكِدٌ أَبَّاءٌ! فقال قرواش : فإنِّى قد أوجبتُ الرِّهان . فقال قيس : ويلك ، ما أردت إلى أشأَمِ أهل بيت ؟ والله لتنَفِّلنَّ علينا شرًّا[٢] . ثم إنَّ قيساً أتى حملَ بن بدر فقال : إنِّى أتيتُك لأُواضِعَك الرِّهانَ عن صاحِبِى . قال حمل : لا أُواضِعُك أو تجىء بالعشر ، فإن أخذتُها أخذتُ سَبَقى ، وإن تركتُها تركتُ حقاً قد عرفتَه لى وعرفتُه لنفسى . فأحفَظَ قيساً فقال : هى عشرون . قال حَمَلٌ : ثلاثون . فتزايدا حتَّى بلغ به قيس مائة ، وجعل الغاية مائة غَلوة — والغَلوة بفتح المعجمة : مقدار رميةِ سهم — فضمَّروهما أربعين يوماً ، ثم استقبل الذى ذرَعَ الغاية من ذات الإصاد ، وهى رَدْهة فى ديار عبس وسط هَضْب القليب — قال الأصمعىُّ : هضب القليب بنجد جبالٌ صغار ، والقليب فى وسط هـذا الموضع ، يقال له ذات الإصاد ، وهو اسم من أسمائها . والرَّدهةُ : نُقَيرة فى حَجَر يجتمع فيها الماءُ — فانتهى الذَّرْع إلى مكانٍ ليس له اسم . فقادوا الفرسَيْن إلى الغاية وقد عطَّشوهما وجعلوا السابق الذى يردُ ذاتَ الإصاد وهى ملأَى من الماء . ولم يكنْ ثَمَّ قصبةٌ[٣] . ووضع حملٌ حَيْسا فى دلاءٍ ، وجعله فى شِعْب من شعاب هَضْب القليب على طريق الفرسين ، وكمَّن معه فتياناً وأمرهم إنْ جاء داحسٌ سابقاً أن يردُّوا وجهَه عن الغاية وأرسلوهما من منتهى الذَّرْع ، فلما دنَوَا وقد برز داحسٌ وثب الفِتيانُ

٥٣٨

(١) فى الفاخر ٢١٩ : « عشراً إلى عشر ». فالتذكير للنوق ، والتأنيث للإبل .
(٢) التنفيل : الزيادة . وفى الفاخر : « لتنغلن » بالغين المعجمة ، وما هنا صوابه .
(٣) فى الفاخر : « ولم يكن ثم قصبة ولا شىء غير هذا » .

فلطموا وجهَ داحس فردُّوه عن الغاية . فقال قيس : ياحُذيفة أعطنى سَبَقِى . وقال الذى وُضِع عنده السَّبَق : إنَّ قيساً قد سبق ، وإنَّما أردتُ أن يقال سبق حذيفة ، وقد قيل[1] ، فأَمره أن يدفعه لقيس . ثم إنَّ حذيفة ندَّمه الناس فبعث ابنه يأْخذ السبق من قيس ، فقتله قيس ، فاجتمع الناس فاحتملوا ديتَه مائةَ عُشَراء ، فقبضها حذيفةُ وسكن النَّاس . ثم إنَّ حذيفة استفرد أَخا قيس ، وهو مالكُ بنُ زهير ، فقتله . وكان الربيع ابن زياد يومئذٍ مجاورَ بنى فزارة عند امرأته ، وكان مشاحناً لقيس بن زهير فى دِرعه التى اغتصبها من قيس ، كما تقدَّم ذكرُها ، فلما قُتل مالك بن زهير ارتحلَ الرَّبيع بن زياد ولحق بقومه ، وأَتاه قيس بن زهير فصالحه ونزل معه ، ثم دسَّ قيسٌ أَمَةً له إلى الربيع تنظر ما يعمل ، فأَتته امرأَته تَعرَّضُ له وهى على طُهر ، فزجَرها[2] وقال :

منَعَ الرُّقادَ فما أُغمِّضُ حارِ ... جَللٌ من النَّبإِ المهمِّ السارى

مَن كان مسروراً بمقتل مالكٍ ... فليأْتِ نسوتَنا بوجهِ نهارِ

يَجِد النِّساءَ حَوَاسراً يندُبنه ... يندُبن بين عَوانس وعَذَارِى

أَفبعدَ مقتلِ مالك بن زهيرٍ ... ترجو النِّساءُ عواقبَ الأَطهارِ[3]

فأَخبرت الأَمَة قيساً بهذا فأَعتقها .

ثم إنَّ بنى عبس تجمَّعوا ورئيسُهم الربيع بن زياد[4] ، وتجمَّع بنو ذبيان ورئيسهم حُذيفة بن بدر ، وتحاربوا مراراً .

---

(١) بعده فى الفاخر : « أفأدفع إليه سبقه » .

(٢) وكذا فى النسختين والفاخر ، وفى حواشى ش : « كذا بخط المؤلف : فزجرها ، والرواية : فدحرها ، أى طردها » .

(٣) فى هذا البيت الإتيان بعروض الكامل مقطوعة ، وهى فى سائر الأبيات تامة . وانظر العيون الغامزة للدمامينى ٢٧٤ والعقد ٥ : ٥٠٧ واللسان (قوى ٧٠) . وهو ما يسميه بعضهم الإقواء ، كأن عروض البيت نقصت قوة من قواه . وقال ابن عبد ربه : « والخليل يسمى هذا : المقعر » .

(٤) وذلك فى يوم الهباءة . وهو فى الفاخر ٢٢٦ .

ثم إنَّ الربيع بن زياد أظفره الله فى جفر الهباءة على حُذيفة بن بدر وأخويه : حملِ بن بدر ومالِك بن بدر ، فقتلهم ومثَّلوا بحذيفة فقطعوا ذكَره فجعلوه فى فِيه ، وجعلوا لسانه فى دُبره .

وقال الربيع بن زيادٍ يرثى حَمل بنَ بدر :

تَعَلَّمْ أنَّ خَير النَّاسِ طُـرًّا ... على جَفْـر الهبـاءَة مـايَريمُ
ولولا ظُلمُه مـا زلتُ أبـكى ... عليه الدَّهرَ ما طلَعَ النُّجومُ
ولكنَّ الفتى حملَ بنَ بدرٍ ... بَغى ، والبغىُ مرتعُه وخِيمُ
أظنُّ الحلمَ دَلَّ علىَّ قـومى ... وقـد يُستجهَل الرّجلُ الحليمُ
ألاقى من رجـالٍ منكراتٍ ... فأُنكرُها وما أنا بالظلومِ (١)
ومارستُ الرِّجالَ ومـارسونى ... فمعـوَجٌّ علـىَّ ومستقيمُ

٥٣٩ ودامت الحربُ بينهم أربعين سنة إلى أن ضعف قيسُ بن زهير ، فحالفَ ربيعةَ بن قُرط بن سَلمة بن قُشَير ، وهو ربيعة الخير ، ويكنى أبا هلال . وقيل هو ربيعة بن قُرط بن عبد بن أبى بكر بن كلاب . فنزل قيسٌ مع بنى عبس عندَه وقال :

أُحاول ما أُحاوِلُ ثم آوِى ... إلى جارٍ كجار أبى دُوادِ

إلى آخر الأبيات المذكورة .

وقوله : « وكنت إذا مُنِيت » الخ ، أى بُليت . ودَلَفت : أسرعت . والنآدُ بهمزة ممدودة قبلها نون وبعدها دال : الشَّديدة من الدَّواهى . وتَقصِم (٢) : تكسر . وتجُوب : تشُقّ .

وقوله : « كجار أبى دواد » الجار هنا : الناصر والحليف .

---

(١) فى هذا البيت إقواء كما ترى.
(٢) ط : « وانقصم » ، صوابه فى ش .

كان أَبو دُواد الإِيادىُّ فى الجاهلية جاورَ الحارث بن هَمَّام بن مُرّة ابن ذُهل بن شيبان ، فخرج صِبيانُ الحىِّ يلعبون فى غدير ، فغمَسوا ابن أَبى دُوادٍ فقتلوه ، فقال الحارث بن همَّام : لا يبق فى الحىِّ صبىٌّ إِلاَّ غُرِّق فى الغدير ! فوُدِىَ ابنُ أَبى دواد تسعَ دياتٍ أَو عشراً .

ويَعْسِلْن ، من العَسَلان ، وهو اهتزاز الذى يعدو . والحِدَأُ : جمع حِدأَة كعنب جمع عنبة : طائر معروف . ويَلملم ونَضَاد[1] : جبلان .

وقول الربيع بن زياد :

مَنْ كان مسروراً بمقتلِ مالك . . . الخ

يقول : من شَمِت من الأَعداءِ بمقتل مالك فليعلم أَنَّا قد أَدركنا ثأْره . وكانت العرب لا تندُب قتلاها حتَّى تدركَ ثأْرها . وكان قيسٌ قتل ابنَ حذيفة كما تقدَّم ، فقتل حذيفة مالكاً أَخا قيس . والمراد فليحضُر ساحتنا فى أَوَّل النَّهار ، ليعلم أَنَّ ما كان محرَّماً من البكاءِ قد حَلَّ ، ويجد النساءَ مكشوفاتِ الرءُوس يندُبنه . ورُوِىَ :

يجدِ النساءَ حواسراً يندُبنه يَلطِمْن أَوجهَهُنَّ بالأَسحار

وروى أَيضاً :

* قد قُمْنَ قبل تبلُّج الأَسحارِ *

وروى أَيضاً :

* بالصُّبح قبل تبلُّج الأَسحارِ *

قال ابن نباتة (فى سَرح العيون ، فى شرح رساله ابن زيدون) : لبعض الأُدباءِ اعتراضٌ فى قوله :

* بالصُّبح قبل تبلُّج الأَسحارِ *

---

(١) قال ياقوت فى (نضاد) : « يبنى عند أهل الحجاز على الكسر ، و بنو تميم ينزلونه بمنزلة ما لا ينصرف » .

فإنَّ الصُّبح لا يكون إلَّا بعد تبلُّج الأَسحار .

أُجيبَ بأَقوالٍ منها : أَنَّ الصبح هنا الحقُّ الواضح ، من وصفِه[1] الذى هو كالصُّبح ، لأَنَّها تندبه بخلاله الحسنة الواضحةِ . انتهى .

وقيس بن زهير جاهلىٌّ ، وهو صاحب الحروب بين عَبْس وذبيان بسبب الفرسين : داحس والغبراء كما تقدَّم . وكان فارساً شاعراً داهية ، يضرب به المثل فيقال : « أَدهى من قيس » .

ولمَّا طال الحربُ[2] ومَلّ ، أَشار على قومه بالرُّجوع إلى قومهم ومصالحتهم فقالوا : سِرْ نسرْ معك . فقال : لا والله لا نظَرَتْ فى وجهى ذُبيانيَّةٌ قتلتُ أَباها أَو أَخاها ، أَو زَوْجها أَو ولدها .

وتقدَّم ذكرُ الصُّلح فى شرح معلَّقة زهير بن أَبى سُلمى .

ثمّ خرج على وجهه حتَّى لحق بالنَّمر بن قاسط ، وتزوَّج منهم وأَقام عندهم مدَّة ، ثم رحل إلى عُمان فأَقام بها حتَّى مات . وقيل إنَّه خرج هو وصاحبٌ له من بنى أَسد عليهما المسوحُ يَسيحان فى الأَرض ويتقوَّتان مما تُنبت ، إلى أَن دَفَعا[3] فى ليلةٍ باردة إلى أَخبيةٍ لقومٍ ، وقد اشتدَّ بهما الجُوع ، فوجدَا رائحةَ شواءٍ فسَعَيا يُريدانِه ، فلمَّا قاربا[4] أَدركت قيساً شهامةُ النفس والأَنفةُ فرجع وقال لصاحبه : دُونَكَ وما تريد ، فإنَّ لى لُبْثاً على هذه الأَجارع ، أَترقَّب داهية القرون الماضية . فمضى صاحبُه ورجع من الغد فوجده قد لجأَ إلى شجرةٍ بأَسفل وادٍ فنال من ورقها شيئاً ثم مات .

* * *

(١) فى سرح العيون ١٥٨ : « من وصف القتيل » .

(٢) الحرب ، مؤنثة ، وحكى فيها ابن الأعرابى التذكير ، وأنشد :

وهو إذا الحرب هفا عقابه ... كره اللقاء تلتظى حرابه

(٣) دفع إلى المكان ، ودفع أيضاً بالبناء للمجهول ، كلاهما بمعنى انتهى إليه .

(٤) ش : « قارباه » .

وأنشد بعده :

(فأَنظورُ)

هو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(وأنَّنى حيثُما يثنى الهَوَى بصرى
من حَوْثُما سَلكُوا أَدْنُو فأَنظورُ)

أى فأَنظر . وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الحادى عشر من أَوائل الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(ينباعُ)

وهذا أَيضاً قطعةٌ من بيت تقدَّم فى الشاهد الثانى عشر[2] بعد بيت فأَنْظور ، وهو :

(يَنباعُ من ذِفرَى غَضوبٍ جَسْرَةٍ
زيَّافةٍ مثلِ الفنيق المُقْرَمِ)

أى يَنْبَع . والذِّفرى : الموضع الذى يعرَق من الإبل خلف الأُذن . والغضوب : الناقة العَبُوس الصَّعبة الشديدة الرأْس . والجَسرة : الجاسرة فى السَّير . والزَّيَّافة : المتبخترة . والفنيق : الفحل المكرَم لا يُركَب لكرامته عند أَهله . والْمُقرَم ، بضم الميم وفتح الراء : البعير الذى لا يُحمَل عليه ولا يذلَّل ، وإنَّما هو للفِحْلة .

وتقدَّم الكلام هناك مفصَّلا عليه .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٢١ - ١٢٢ .
(٢) الخزانة ١ : ١٢٢ - ١٢٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد السمائة[١] :

٦٣٧ (وما كِدتُ آيبًا)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(فأُبتُ إلى فَهْم وما كدتُ آيباً
وكم مِثْلُـِهَا فارقتُها وهى تَصْفِرُ)

على أنَّ أصل خبر كاد الاسم المفرد كما فى البيت .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : استعمل الاسم الذى هو الأَصل المرفوض الاستعمالِ موضعَ الفعل الذى هو فرعٌ ، وذلك أنَّ قولك : كدت أقوم ، أصله كدت قائماً ، ولذلك ارتفع المضارع ، أى لوقوعه موقعَ الاسم[٢] ، فأَخرجه على أصله المرفوض كما يُضطَرُّ الشاعرُ إلى مراجعة الأُصول عن مستعمل الفروع ، نحو صرفِ ما لا ينصرف ، وإظهار التضعيف ، وتصحيح المعتلِّ ، وما جرى مجرى ذلك . ونحوٌ من ذلك ما جاء عنهم من استعمال خبر عسى على أصله :

أكثرتَ فى العذل ملحًّا دائمَا لا تُكثِرَنْ إنِّى عسيتُ صائمَا[٣]

وهذه [هى[٤]] الرواية الصحيحة فى هذا البيت ، أعنى قوله « وما كدت آيبا » . وكذلك وجدتُها فى شعر هذا الرجل بالخطِّ القديم ، وهو عتيدٌ عندى إلى الآن . والمعنى عليه البتَّة . ألا ترى أنَّ معناه فأُبت

---

(١) الخصائص ١ : ٣٩١ والإنصاف ٥٥٤ وابن يعيش ٧ : ١٣ ، ١١٩ ، ١٢٥ والخزانة ٤ : ٩٠ بولاق والعينى ٢ : ١٦٥ والتصريح ١ : ٢٠٣ والهمع ١ : ١٣٠ والأشمونى ١ : ٢٥٩ والحماسة بشرح المرزوقى ٨٣ .

(٢) كلمة « أى » ساقطة من إعراب الحماسة الورقة ٢٢ .

(٣) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٨٥ .

(٤) التكملة من ش وإعراب الحماسة .

وما كدت أَءُوبُ ، كقولك : سلَّمت وما كدت أُسلِّم . وكذلك كُلُّ ما يلى هذا الحرف من قبله ومن بعده يدلُّ على ماقلنا . وأكثر الناس يروى : « ولم أَك آئباً » ، ومنهم من يروى : « وما كنت آئباً » . والصواب الرواية الأُولى ، إِذْ لا معنى هنا لقولك : وما كنت ، ولا لِلَمْ أَك . وهذا واضحٌ . انتهى .

وقال مثلَه (فى الخصائص فى باب امتناع العرب من الكلام بما يجوز فى القياس) قال : وإنما يقع ذلك فى كلامهم إذا استغنَتْ بلفظ عن لفظ ، كاستغنائهم بقولهم : ما أَجودَ جوابه عن قولهم : ما أَجوبه . أَو لأَنَّ قياساً آخر عارضه فعاق عن استعمالهم إِيَّاه ، كاستغنائهم بكاد زيد يقوم عن قولهم : كاد زيد قائماً أَو قياماً . وربَّما خرج ذلك فى كلامهم. قال تـأَبَّط شراً :

٥٤١

* فأُبتُ إلى فهم وما كدتُ آئباً *

هكذا صحَّة رواية هذا البيت . وكذلك هو فى شعره . فأَمّا رواية من لا يَضبطه : « وما كنت آئباً » و« لم أَك آئباً » فلبُعده عن ضبطه. ويؤكِّد ما رويناه نحن مع وجوده فى الديوان ، أَنَّ المعنى عليه . ألا ترى أَنَّ معناه فأُبت وما كدت أَءُوب . فأَمّا « ماكنت » فلا وجه لها فى هذا الموضع . انتهى .

ومراده من هذا التأْكيدِ : الردُّ على أَبى عبد الله النَّمرى (فى شرح الحماسة)، وهو أَول شارح لها ، وقد تحرَّفت عليه هذه الكلمة ، وهذه عبارته : أُبت : رجعت . وفهم : قبيلة . والهاءُ فى قوله : « وكم مثلها » راجعةٌ إلى هذيل. وقوله : « وهى تصفِر » قيل معناه أَى تتـأَسَّف على فوتى . هذا كلامه . وقد ردَّ عليه أَبو محمد الأَعرابى أَيضاً فيما كتَبه على شرحه

قال : سألت أبا الندى عنه قال : معناه كم مثلها فارقتها[1] وهى تتلهَّف كيف أفلتُّ . قال : والرواية الصحيحة « وما كدت آئباً » . والهاءُ راجعة فى فارقتها إلى فهم . قال : ورواية من روى « ولم أَك آئِباً » خطأٌ . وفهْمٌ : ابن عمرِو بن قيس عيلان . انتهى كلامه .

قال التبريزى : قد تكلَّم المرزوقىُّ على اختيار ابن جنِّى هذه الرواية ردًّا عليه ولم يُنصِفه ، وقال : قوله ولم أَك آئباً، أى رجعت إلى قبيلتى فهمٍ وكدت لا أءُوب لمشارفتى التلف . ويجوز أن يريد: ولم أَك آئباً فى تقديرهم وظنِّهم . ويروى : « ولم آلُ آئباً » بمد الهمزة واللام ، أى لم أَدَع جهدِى فى الإِياب . والأَوَّل أَحسن . انتهى .

وقد أَورد ابن عصفور هذا البيت (فى كتاب الضرائر) قال : ومنه وَضْع الاسم موضعَ الفعل الواقعِ فى موضع خبر كاد ، وموضعَ أن والفعل الواقِع فى موضع خبر عسى ، نحو قول تـأَبَّط شراً :

فأُبت إلى فهم وما كدت آئباً . . . البيت

وقول الآخر :

* لا تُكثرنْ إنِّى عسيتُ صائمَا *

كان الوجه أن يقول[2] : وما كدت أَءُوب وإنِّى عسيت أَن أصوم ، إلَّا أنَّ الضرورة منعت من ذلك . وقولهم فى المثل : « عسى الغويرُ أَبؤساً » شاذٌّ ، يُحفظ ولا يقاس عليه . انتهى .

وقال ابن المستوفى وغيره : قوله إلى فهم ، أى إلى عقل . وقيل إلى قبيلتى التى هى فهم . وهذا أَولَى . انتهى .

(١) الكلام بعده إلى « فارقتها » التالية ساقط من ش .

(٢) ش : « أن يقال » .

ورجوع الضمير من مثلها إلى فهم غير مناسب ، والمناسب رجوعُه إلى لِحيان ، وهى قبيلة من هذيلٍ ، فى قوله :

أقول لِلحْيانٍ وقد صفِرَتْ لهمْ وطابى ويومى ضيِّقُ الحَجْرِ مُعْوِرُ

ويجوز أن يرجع إلى الحالة التى صدرت منه حين أحاط به بنو لحيان وأرادوا قتلَه ، فتحيَّل ونجا منهم . وعبَّر عنه ابن المستوفى بقوله : أى المحنة أو الخُطَّة أو المِنَّة . وكم مبتدأٌ وجملة فارقتها هو الخبر ، وجملة وهى تصفِرُ حاليَّة ، ومثلِها بالجر : مميِّز كم الخبرية .

قال ابن المستوفى : قرأت على شيخنا أبى الحرم مَكِّىٍّ : « وكم مثلها » بجرّ مثلها ورفعها ونصبها . فالجر على الإخبار . والرفع على معنى كم مرّةً وقع مثلُها فارقتها . والنصب على أن تكون[1] كم مبهمة بالاستفهامية ، ويكون مثلها صفة لنكرة محذوفة تقديرها : كم مرّة مثلَها فارقتها . هذا كلامه فتأمَّلْه .

٥٤٢

وقد أنَّث مثلاً لإضافته إلى ضمير المؤنَّث ، بدليل عَود الضمير إليه من فارقتها مؤنَّثاً . قال ابن جنى : أنَّثَ المثْلَ حملاً على المعنى لمّا كان المراد به الحالَ والصُّورة التى ذكرها . وقد جاءَ فى التنزيل : ﴿ فله عَشْرُ أمثالها[2] ﴾ لمَّا كان المراد عشر حسنات أمثالُها ، وتأنيث المذكَّر أغلط من تذكير المؤنَّث ، لأنَّه مفارقة أصل إلى فرع ، وفى ما وردَ من تأْنيث نحو هذا دليلٌ على قوّة إقامة الصِّفة مقامَ الموصوف ، حتّى كأنَّ الموصوف حاضر . ولولا أنَّ ذلك كذلك لما جاز تأْنيث المثل ، لكن دلَّ جواز تأْنيثه على قوة إرادة موصوفِه . فاعرفْ ذلك فإنَّه هو غرضُ هذا الفصل . انتهى .

---

(١) ش : « يكون » .

(٢) الآية ١٦٠ من سورة الأنعام .

وقوله : « تصفِرُ » قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) أراد بالصفير النفخ عند الندم . ونقل ابن المستوفِى عن أبى محمد القاسم بن محمد الدِّيمرتى[١] أنَّ المعنى لمَّا أَعجزتها جعلَتْ تصفِر خجلاً . قال : ومن عادة العرب إذا فاتهم[٢] أن يقولوا : هو هُو ! ثم يصفروا وراءَهُ، يريدون به البعد . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات لتأبَّط شرًّا ، تقدَّم شرحها فى الشاهد الثامن والستين بعد الخمسمائة[٣] .

وكان بنو لحيان من هُذيل أخذوا عليه طريقَ جَبل وجدُوهُ فيه يشتار عسلاً، لم يكن له طريق غيره ، وقالوا : استأْسِرْ أو نقتلَك ! فكره أن يستأْسر ، فصبَّ ما معه من العسل على الصَّخر ووضع صدرَه عليه حتَّى انتهى إلى الأَرض من غير طريق ، فصار بينه وبينهم مسيرة ثلاثة أيام ونجا منهم . فَحَكى الحكاية فى الأَبيات . وأَوَّلها :

أبيات الشاهد

(إذا المرءُ لم يَحْتَلْ وقد جدَّ جِدُّه
أَضاعَ وقاسَى أمرَه وهو مدبرُ

ولكنْ أَخو الحزم الذى ليس نازلاً
به الخطبُ إلاَّ وهو للقَصدِ مُبصِرُ

(١) ذكره ياقوت فى معجم البلدان (ديمرت) وقال : من نواحى أصبهان . وينسب إليها أبو محمد القاسم بن محمد الديمرتى الأديب . وذكره كذلك فى معجم الأدباء ١٦ : ٣١٩ ، وترجم له أيضاً ابن النديم فى الفهرست ١٢٨ . ومن تآليفه كتاب تفسير الحماسة فيما نقل ياقوت عن ابن النديم ، وإن لم أعثر عليه فى الفهرست . وفى حواشى ش : «كذا بخط المؤلف ، وصوابه الذيمونى بالذال والنون » . ولا وجه لهذه الحاشية .

(٢) فى حاشية ش : « كذا بخط المؤلف بغير بياض ، وفيه حذف لفساد المعنى دونه » . وكتب مصحح ط : «قوله إذا فاتهم ، هكذا بالأصل . ولعله إذا فاتهم فارس أو نحو ذلك ، فليحرر » .

(٣) الخزانة ٧ : ٥٠٢ – ٥٠٧ .

فذاك قريعُ الدَّهر ما عاش حَوَّلٌ
إذا سُدَّ منه مَنخِرٌ جاش مَنخرُ)

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : ومن محاسن أَهل الأَدب أَنَّ محيي الدين بن قُرناس قال بحضرة شرف الدين الحِلِّيّ ، ملغزاً فى الشَّبَّابة[1] :

وناطقةٍ خَرساء بادٍ شجونُها تكنَّفها عَشرٌ ومنهنَّ تُخبِرُ
يَلَذُّ إلى الأَسماع رجعُ حديثها إذا سُدَّ منها مَنْخِرٌ جاش مَنْخِرُ

فأَجابه فى الحال :

نهانى النُّهى والشَّيْبُ عن وَصلِ مثلِها
وكم مثلِها فارقتُها وهى تصفِرُ

وفى الموضعين تضمين .

تتمة

ما أَورده الشارح المحقِّق على البصريِّين فى قولهم : رفع المضارع لوقوعه موقع الاسم ، قد أَجاب عنه صاحب اللباب ، قال فيه : وأَمَّا مرفوع الفعل فهو المضارع الواقع بحيث يصحُّ وقوع الاسم ، إمّا مجرَّدًا أَو مع حرف لا يكون عاملاً فيه ، فى نحو زيد يضرب ، وسيضرب ، ويضرب الزيدان . لأَنَّ مبدأَ الكلام لا يتعيَّن للفعل دون الاسم ، ونحو: كاد زيد يقومُ ، الأَصل فيه الاسم ، وقد عُدل إلى لفظ الفعل لزوماً لغرض . وقد استُعمل الأَصل المرفوض فيمن روى قوله : « وما كدت آئباً » . انتهى .

---

(١) الشبابة ، قال الخفاجى فى شفاء الغليل ١١٢ : « بالتشديد : قصبة الزمر المعروفة ، مولد » .

واحترز بقوله لا يكون عاملاً عما إذا كان مع حرفٍ عامل نحو: زيد لم يضرب ، أو لن يضرب . وقوله: لأَنَّ مبدأ الكلام . إلخ ، هذا جواب عن سؤال مقدَّر ، وهو أَنَّ يضرب فى يضرب الزيدان مرفوع ، مع أَنَّه ليس بواقعٍ موقعَ الاسم ، إِذْ لا يجوز ابتداءُ ضاربٌ الزيدان من غير اعتمادٍ على شىءٍ .

٥٤٣

فأَجابَ بأَنَّ هذا الكلام من حيث هو كلامٌ لا يتعيَّن أَن يكون فعلاً دون اسم ، بل جاز أَن يكون ابتداءُ الكلام اسماً على الجملة ، فصدق أَنَّه واقعٌ موقع الاسم على الإِطلاق ، أَىْ موقعاً كان يصحُّ أَن يُوقَع فيه اسمٌ من الأَسماء وإن لم يقع اسم مخصوص .

وقوله: ونحو كاد زيد يقوم إلخ ، هذا أَيضاً إِيرادٌ وجوابٌ . أَمَّا الإِيراد فهو أَنَّ خبر كاد يلزم أَن يكون فعلا ، وهو أَنَّ كاد موضوع لمقاربة وقوع فعلٍ ، فحقُّ خبره أَن يكون فعلاً مضارعاً، فلا يكون خبره اسماً، فينبغى أَن لا يرتفع لأَنَّ ارتفاعه لوقوعه موقع الاسم ، والاسم لا يقع خبرًا لكادَ .

وأَجاب بأَن أَصل خبر كاد أَن يكون اسماً كما فى خبر كان ، ولذلك استُعمل ذلك الأَصل المرفوض فى البيت ، فالفعل واقعٌ موقع الاسم نظرًا إلى الأَصل .

وقد بسط الكلامَ على مذهب الفريقين ابنُ الأَنبارىّ (فى مسائل الخلاف) فلا بأْس بإِيراده قال : اختلف مذهبُ الكوفيِّين فى رفع المضارع ، فذهب الأَكثرون إلى أَنه يرتفع لتعرِّيه من العوامل الناصبة والجازمة .

وذهب الكسائيُّ إلى أنه يرتفع بالزائد فى أوله . وذهب البصريون إلى أنَّه يرتفع لقيامه مَقام الاسم .

واحتج الكوفيُّون بأَنَّ المضارع إذا دَخل عليه ناصب نصبه ، أو جازم جزمه ، وإذا خلا منهما ارتفع ، فعلمنا أنَّه بدخولهما يُنصب ويجزم ، وبسقوطهما عنه يُرفع . قالوا : ولا يجوز أن يكون مرفوعاً لقيامه مقامَ الاسم ، لأنَّه لو كان كذلك لكان ينبغى أن يُنصب إذا كان الاسم منصوباً نحو كان زيد يقوم . ثم كيف يأْتيه الرفعُ لقيامه مقام الاسم، والاسم يكون مرفوعاً ومنصوباً ومخفوضاً؟ ولو كان كذلك لوجب أن يُعرب بإعراب الاسم ، ولوجب أن لا يرتفع فى كاد زيد يقوم ، لأنَّه لا يجوز كاد زيد قائماً .

واحتجَّ البصريون بوجهين : أحدهما أنَّ قيامه مقام الاسم عاملٌ معنويٌّ يشبه الابتداء ، والابتداءُ يوجب الرفع . وكذا ما أشبهه .

وثانيهما : أنَّ بقيامه مقامَ الاسم قد وقع فى أقوى أحواله ، فوجب أن يُعطَى أقوى الإعراب وهو الرفع . وإنَّما لم يرفع الماضى مع جواز قيامه مقام الاسم لأنَّه ما استحقَّ أن يكون معرباً بنوع من الإعراب ، فصار قيامه بمنزلة عدمه . وأمَّا قول الكوفيين إنَّه يرتفع بالتعرِّى من العوامل الناصبة والجازمة فهو فاسد ، لأنَّه يؤدِّى إلى أن يكون الرفع بعد النصب والجزم ، ولا خلاف بين النحويِّين أنَّ الرفع قبلهما ، وذلك أنَّ الرفع صفة الفاعل ، والنصب صفة المفعول ، فكما أن الفاعل قبل المفعول ينبغى أن يكون الرفع قبل النَّصب . وإذا كان الرفع قبل النصب فلأَن يكون قبل الجزم من طريق الأَولى . وأما قولهم : لو كانَ مرفوعاً[1] لقيامه مقام الاسم إلخ ، فنقول : إنَّما لم يكن منصوباً أو

(١) ط : « ولا يجوز أن يكون مرفوعاً » ، وأثبت ما فى ش والإنصاف ٥٥٣ .

مجروراً إذا قام مقام الاسم المنصوب والمجرور ، لأَنَّ عوامل الأَسماءِ لا تعمل فى الأَفعال . وأَمَّا قولهم : « وجَدنَا نصبه وجزمه بناصب وجازم لا يدخلان على الاسم فعلمنا أَنَّه يرتفع من حيث لا يرتفع الاسم » ، قلنا : وكذلك نقول فإنَّه يرتفع من حيث لا يرتفع الاسم ، لأَنَّ ارتفاعه لقيامه مقام الاسم ، والقيام مقام الاسم ليس بعامل للرَّفع فى الاسم .

٥٤٤

وأَمَّا قول الكسائى إنَّه يرتفع بالزائد فى أَوَّله ، فهو فاسد من وجوه : أَحدها : أَنَّه كان ينبغى أَن لا يدخل عليه عوامل النصب والجزم[1] لأَنَّهما لا يدخلان على العوامل .

الثانى : كان ينبغى أَن لا ينتصِب ولا يجزم بدخولهما ؛ لوجود الزائد فى أَوله أَبداً .

الثالث : أَنَّ هذه الزوائد بعضُ الفعل لا تنفصل مِنه فى لفظ ، بل هى من تمام معناه ؛ فلو عملت لزم أَن يعمَل الشيءُ فى نفسه .

وأَمَّا قولهم : « لو كان مرفوعاً لقيامه مقام الاسم لكان ينبغى أَن لا يرتفع فى كاد زيد يقوم » إلخ ، قُلنا : هذا فاسد ، لأَنَّ الأَصل كاد زيد قائماً . ولذلك ردَّه الشاعر فى الضرورة إلى أَصله فى قوله : « وما كدت آئباً » ، إِلَّا أَنَّه لمَّا كانت كاد موضوعة للتقريب من الحال ، واسم الفاعل ليسَ دلالتُه[2] على الحال بأَولى من دلالته على الماضى ، عدلوا عنه إلى يفعل ؛ لأَنَّه أَدلُّ على مقتضى كاد ، ورفعوه مراعاة للأَصل . فدلَّ على صحة ما ذهبنا إليه .

انتهى كلامه باختصار ، وفيه مواضع تحتمل المناقشة لا تخفى على المتأَمِّل .

---

(١) ط : « أَن لا يدخل عليه عامل النصب والجزم » ، وأثبت ما فى ش والإنصاف .
(٢) وكذا فى الإنصاف ٥٥٥ بترك التأنيث .

النواصب

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الستمائة[١] :

٦٣٨ (وَدِدتُ وما تُغنى الـوَدَادةُ أَنَّنى
بمـا فى ضَميرِ الحـاجِبيَّةِ عـالِمُ)

على أَنَّ (أَنَّ المفتوحة[٢]) يجوز أن تقع بعد فعل غير دالٍّ على العلم واليقين كما فى البيت ، خلافاً للزمخشرى (فى مفصَّله) ؛ فإنَّ وددت بمعنى تمنَّيت .

قال ابن درستويه (فى شرح فصيح ثعلب) : وددته بالكسر أَوَدُّه بالفتح ، بمعنى وَمِقته أَمِقه. وكذلك ودِدتُ أَنَّه كَذَا ، إذا تمنَّيته ،لأَنَّه أَيضاً من المِقَة والمحبة . انتهى .

والزمخشرى قاله[٣] فى الحروف المشبَّهة بالفعل ، وهذا نصُّه :

فصلٌ : والفعل الذى يدخل على المفتوحة مشدَّدة أَو مخفَّفة يجب أَن يُشاكلَها فى التحقيق . فإن لم يكن كذلك نحو : أَطمع ، وأَرجو ، وأَخاف ، فليدخُلَ على أن الناصبة للفعل . وما فيه وجهان كظننت وحسبت وخِلت فهو داخلٌ عليهما[٤] جميعاً . انتهى بحذف الأَمثلة .

وقد جاراه ابن يعيش (فى شرحه) ولم ينتقده بشيءٍ ، قال : قد تقدَّم أَنَّ أَنَّ المفتوحة معمولةٌ لما قبلها ، وأَنَّ معناها التأْكيد والتحقيق ، مَجْراها فى ذلك مجرى المكسورة ، فيجب لذلك أَنْ يكون الفعل الذى

(١) الحماسة ١٢٨٧ ، ١٥٧٠ بشرح المرزوقى وديوان كثير ٢ : ٣٦ .
(٢) ش : « على أن المفتوحة » .
(٣) ط : « قال » ، وأثبت ما فى ش .
(٤) أى على أن وأن ، المشددة والمخففة .

تُبنَى عليه مطابقاً لها فى المعنى ، بأن يكون من أفعال العلم واليقين ونحوهما مما معناه الثبوت والاستقرار ، ليتطابق فى المعنى العامل والمعمول ولا يتناقضا (١). وحكم المخفَّفة من الثقيلة فى التأكيد والتحقيق حكمُ الثقيلة ، لأنَّ الحذف إنّما يكون لضرب من التخفيف ، فهى لذلك فى حكم الثقيلة ، فلذلك لا يدخل عليها من الأفعال إلا ما يدخل على المثقَّلة . هذا كلامه

والبيت أول أبيات أربعة أوردها أبو تمام (فى الحَماسة) لكثيِّر عزَّة . وهى بعد الأوَّل :

(فإنْ كان خيرًا سرَّنى وعلمته وإن كان شرًّا لم تَلُمْنى اللوائمُ

٥٤٥ وما ذكرَتْكِ النَّفسُ إلَّا تفرَّقتْ فريقين : منهما عاذرٌ لى ولائم

فريقٌ أَبَى أن يقبل الضَّيمَ عَنوةً وآخرُ منهما قابلُ الضَّيمِ راغمُ)

وقوله : (وما تُغنى الوَدَادة) أى تنفع ، جملة معترضة بين وَددت وبين معموله وهو أنَّنى إلخ . و (الحاجبيَّة) هى عزَّة محبوبة كثيِّر ، واشتُهر بالإضافة إليها فيقال كثيِّر عزَّة ، بفتح العين المهملة وتشديد الزاى . والحاجبية : نسبةٌ إلى أَحد أَجدادها ، قال ابن الكلبى : عزَّة بنت حُميل ، بضم المهملة ، ابن حَفص ، بفتحها ، من بنى حاجب ابن غِفَار ، بكسر المعجمة . وتقدَّم الكلام عليها فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلثمائة (٢) .

---

(١) فى ابن يعيش ٨ : ٧٧ : « ليتطابق معنيا العامل والمعمول ولا يتناقضا » .
(٢) الخزانة ٥ : ٢٢١ - ٢٢٣ .

قال الطَّبَرْسيُّ[١] (فى شرح الحماسة) : يقول : تمنَّيت أنِّى عالمٌ بما ينطوى عليه قلبُ هذه المرأةِ لى . والوِدادة بكسر الواو وفتحها[٢] .

وقوله : « فإن كان خيراً » إلخ ،أى فإن كان ما تضمره لى وُدًّا صافياً سرَّنى ذلك ، وإن كان ما تضمره إعراضاً وجفاءً قتلتُ نفسى وأرحتها من لوم اللائمات . أو يُريد : سلوت فاستر حتُ ممَّا أُلام فيه من حبِّ من لا يحبُّنى . وهذا الأخير عن البِيارىّ[٣] . وعلمته بمعنى عرَفته ، ولذلك اكتفى بمفعول واحد .

وقوله : « وما ذكرَتْكِ النفسُ » إلخ ، أى ما ذكرتُك إلَّا تفرقتْ نفسى فريقين : ففريق يعذِرنى ، يقول : إنَّ مثلها فى جمالها وكمالِها يُحبّ . وفريق يلومُنى ، يقول: لِمَ تحبُّ من لا يحبُّك ولا تصلُ إليه ؟ والضَّيم : الظُّلم. والعَنْوة بالفتح : القهر . وراغم : ذليل ملصَقٌ أنفُه بالرَّغام وهو التُّراب .

وترجمة كثيِّرٍ قد تقدَّمت فى الشاهد الثالث والسبعين بعدالثلثمائة[٤]

(١) ط : « الطيبرسى » ، صوابه فى ش . والطبرسى هذا هو أمين الدين أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى ، مفسر لغوى من أعيان الشيعة الإمامية . توفى سنة ٥٤٨ . انظر إنباه الرواة ٣ : ٦ ، ٧ ومعجم المؤلفين ٨ : ٦٦ . ومن شرحه للحماسة نسخة فى مكتبة فيض الله التى أدرجت ضمن مكتبة ملت بتركيا برقم ١٦٤٢ . ويسمى هذا الشرح « الباهر فى شرح الحماسة » . وانظر ماسبق فى ٣١٥ .

(٢) ش : « بفتح الواو وكسرها » .

(٣) نسبة إلى بيار ، بالكسر ، وهى مدينة من أعمال قومس . وهو على بن الحارث البيارى الخراسانى ، ترجم له القفطى فى الإنباه ٢ : ٢٧٤ وذكر من تصانيفه كتاب شرح الحماسة . وانظر دمية القصر ٣٠٢ . وشرحه للحماسة يعد مفقوداً وإن كانت قد بقيت منه بقية فى نقول أبى الرضا الراوندى ، ونقول الطبرسى . انظر تحقيق حماسة أبى تمام للدكتور عبد الله عسيلان . وفى النسختين : « البياسى » ، تحريف .

(٤) الخزانة ٥ : ٢٢١ - ٢٢٤ .

وكان مُشوَّه الخلق دميماً مفرط القِصَر، كان يقال له «زُبُّ الذُّباب» وهجاه بعض الشعراءِ بقوله :

* يَعَضُّ القرادُ باسته وهو قائمُ[(١)] *

روى صاحب الأغانى بسنده ، أَنَّ عمر بن أَبى ربيعة المخزومى قدِم المدينة لأَمرٍ، فأَقام شهراً ثم خرج إلى مكَّة ، وخرج معه الأَحوص معتمراً . قال السائب راوية كثيِّر : فلمَّا مرَّا بالرَّوحاءِ استتلياني[(٢)] ، فخرجت أَتلوهما حتَّى لحقتهما بالعَرْج ، فخرجْنا جميعاً حتَّى وَرَدْنا وَدَّان ، فحَبَسَهما نُصيب وذَبح لهما وأَكرمهما ، وخرجنا وخرج معنا نُصيب ، فلمَّا جئنا إلى منزلِ كثيِّر فقيل لنا: قد هبط قُدَيدًا . فجئنا قُديداً فقيل لنا : إنَّه فى خيمةٍ من خيامها ، فقال لى ابن أَبى ربيعة : اذهبْ فادعُه لى . فقال نُصيب : هو أَحمقُ أَشدُّ كِبرًا[(٣)] من أن يأْتيَك . فقال لى عمر : اذهبْ كما أَقول[(٤)] . فجئتُه فهشَّ لى وقال: « اذكُرْ غائباً تَرَه » لقد جئتَ وأَنا أَذكُرك . فأَبلغته رسالةعمر، فحدَّد لى نظره ثُمَّ قال : أَمَا كان عندك من المعرفة بى ما كانَ يردعُك عن إتيانى بمثل هذا ؟ فقلت : بلى ، ولكنْ ستَرتُ عليك فأَبَى الله إلَّا أن يَهتِك سترك . قال : إنَّك والله يا ابن ذَكْوانَ ما أَنت من شكلى ، قل لابن أَبى ربيعة : إنْ

---

(١) لحزين الكنانى . الأغانى ٨ : ٢٩ والحماسة ١٨٨٠ بشرح المرزوق ومحاضرات الراغب ٢ : ١٢٩ وحواشى الحيوان ٥ : ٤٣٩ . وصدره :

* يكاد خليلى من تقارب شخصه *

(٢) أى طلبا منه أن يتلوهما ويتبعهما .

(٣) الأغانى ١١ : ١٧ : « أحمق وأشد كبراً » .

(٤) الأغانى : « كما أقول فادعه لى » .

كنتَ قرشيًّا فإنِّى قرشى ! فقلت : ألا تترك هذا التلصُّق[(١)] ؟ فقال : والله لأَنا أَثْبَتُ فيهم منك فى دَوْس[(٢)] . ثم قال : وقل له إن كنت شاعراً فأَنا أَشعر منك . فقلت : هذا إذا كان الحُكم إليك . قال : وإلى مَن هو؟ ومَنْ أَولى به منِّى ؟ فرجعتُ إلى القوم فأَخبرتهم فضحكوا ثم نَهضُوا معى إليه ، فدخلنا عليه فى خيمةٍ فوجدناه جالساً على جلد كبش فوالله ما أَوسَعَ للقرشى ، فتحدَّثوا مليًّا ثم أَفضَوْا فى ذكر الشعر . فأَقبل على عمر فقال له : أنت تبعت امرأة فتنسب بها ، ثم تدعُها فتنسب بنفسك . أخبرنى عن قولك :

٥٤٦

قالت : تصدَّىْ له ليعرفَنا ثم اغمِزِيه يا أُختُ فى خَفَرِ
قالت لها : قد غمزتُه فأَبَى ثم اسبطرَّت تشتدُّ فى أثرى
وقولها والدموع تسبقها لنُفسِدَنَّ الطَّوافَ فى عُمرِ[(٣)]

أَتُراكَ لو وصفت بهذا الشعر هِرَّةَ أَهلك أَلم تكن قد قبَّحت ، وأَسأْت لها وقلتَ الهُجْرُ ! إنَّما توصف الحرّة بالحياء والإباء، والبخلِ والامتناع ، كما قال هذا ــ وأشار للأَحوص :

أَدُور ولولا أَن أَرى أُمَّ جعفر
بأَبياتكمْ ما درتُ حيث أَدورُ
وما كنت زَوّارًا ولكنَّ ذا الهوى
إذا لم يُزَرْ لابدَّ أَن سيزورُ

---

(١) بعده فى الأغانى : « وأنت تفرق عنهم كما تفرق الصمغة » ، وصواب هذه « تقرف » ، و« كما تقرف » . وقرف الصمغة : قشرها واقتلاعها .

(٢) فى الأغانى : « سدوس » .

(٣) وكذا فى الأغانى ١١ : ١٧ . وفى الديوان ١٣٧ : « قالت لترب لها ملاطفة لتفسدن ».

لقد منعتْ معروفَها أمُّ جعفــرِ
وإنِّى إلى معروفهــا لَفَقيــرُ

فدخلتِ الأَحوصَ الأُبَّهةُ وعُرفتِ الخيلاءُ فيه ، فلما عرف كثيِّرٌ ذلك منه قال له : أَبطِلْ أَخزاك الله وأَذلَّك . أَخبرنى عن قولك :

فإن تصلى أَصِلْكِ وإن تبينى بصَرْمكِ بعدَ وصلك لا أُبالى
ولا أُلفَى كمن إن سِيمَ خَسفاً تعرَّض كى يُردَّ إلى الوصالِ[1]

أَمَا والله لو كنتَ فحلاً لباليت ، أَلَّا قلتَ كما قال هذا الأَسود — وأَشار إلى نصيبٍ — :

بِزينبَ أَلمْ قبل أَن يرحلَ الرَّكبُ
وقُلْ إنْ تملِّينا فما مَلَّكِ القلبُ

فانكسر الأَحوص ودخلتْ نصيباً الأُبَّهة ، فلمَّا فهم ذلك منه قال : وأَنت ياأَسود أَخبِرْنا عن قولك :

أَهيم بدعدٍ ما حييتُ وإنْ أَمُتْ فوا كبدى من ذا يَهيمُ بها بعدى

أَهمَّك من ينيكها بعدك ؟ فأَبلَس نُصَيب . فلمَّا سكت كثيِّرٌ أَقبل عليه عمر فقال : قد أَنصتنا لك فاستمعْ ، أَخبرنى عن قولك لنفسك وتخيُّرك لمن تحبُّ حيث تقول :

أَلا ليتَنـا يا عزَّ من غير ريبةٍ بعيران نَرعَى فى الخَلاَ ونعزِّبُ[2]

---

(١) الأغانى : « إن سيم صرماً » . وفى ديوان الأحوص ١٦٩ : « إن سيم ضيما » .
(٢) نعزب ، بالزاى ، من التعزيب ، وهو أن يذهب بالإبل إلى المرعى البعيد . ط : « ونعذب » بالذال ، صوابه فى ش وديوان كثير ١ : ٠٩٩ لكن رواية الديوان : « نرعى فى الخلاء ونعزب » ، نعزب : نبعد ونغيب .

كِلانا به عَرٌّ فمنْ يرنا يَقُلْ على حُسْنها جَربى تُعدِّى وأجربُ[1]
إذا ما وردنا منهلاً صاح أهلُه علينا فما ننفكُّ نُرمَى ونُضربُ
وددت وبيتِ الله أنَّكِ بَكرةٌ هِجانٌ وأنِّى مصعبٌ ثم نَهرُبُ
نكون بعيرَىْ ذى غِنًى فيُضِيعُنا
فلا هو يرعانا ولا نحن نُطلبُ

ويلكَ تمنيَّت لها ولنفسك الرّقَّ والجَرَب ، والرَّمى والطَّرد والمَسْخ ، فأَىَّ مكروهٍ لم تتمنَّ لها ولنفسك! ولقد أصابها منك قولُ الأَوّل : « معاداة عاقِل خير من مودة أَحمق » . فجعل يختلج جَسَد كثيِّر كلُّه ، ثم أَقبل عليه الأَحوص فقال : أَخبرنى عن قولك :

وقلنَ ، وقد يكذبن: فيكَ تعفُّفٌ
وشؤمٌ إذا ما لم تُطِعْ صاح ناعقُه
فأَعييتَنَا لا واخياً بكرامة
ولا تاركاً شكوى الذى أَنت صادقُه
وأَدركتَ صفوَ الودِّ منَّا فلمتَنا
وليس لنا ذنبٌ فنحن مَواذقُه[2]
وأَلفيتنا سِلماً فصدَّعت بيننا
كما صدَّعت بين الأَديم خوالقُه[3]

٥٤٧

(١) فى هامش ش : « كذا بخط المؤلف وشكله بقلمه جربى بالقصر ، وتعدى . وهو خلاف السماع والقياس ، والصواب جرباء تعدى ، بالمد ، وتعدى من أعدى » . وهذا الصواب الذى أشير إليه هو الثابت فى الأغانى وديوان كثير .

(٢) أى مواذق لودك نمذقه لا نخلص لك فيه .

(٣) صدعت ، أى شققت . والخوالق ، من قولهم : خلق الأديم خلقاً : قدره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة ، أو خفاً ، أو نحو ذلك .

والله لو احتفل عليك مازاد على ما بؤت به على مافى نفسك ! ثم أقبل عليه نصيبٌ فقال : أَقبِل علىَّ يازُبّ الذُّباب ، فقد تمنَّيتَ معرفة غائب عنك علمُه حيث تقول :

وددت وما تغنى الودادة أنَّنى ... بما فى ضمير الحاجبيَّة عـالِمُ

انظر مافى مرآتك واعرِف صورة وجهك، تعرفْ ما عندها لك! فاضطربَ اضطراب العصفور ، وقام القومُ يضحكون .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٦٣٩ (أَنْ هـالكٌ كلٌّ مَن يحفَى وينتعلُ)

هذا عجز ، وصدره :

(فى فتيةٍ كسيوف الهندِ قد علموا[٢])

على أَنَّ أَنْ مخفَّفةٌ من الثقيلة ، واسمُها ضمير شأْن محذوف، وهالك خبر مقدم ، وكلٌّ مبتدأٌ مؤخَّر ، والجملة خبرها .

وأورده صاحب الكشَّاف عند قوله تعالى : ﴿ وآخِرُ دَعواهُمْ أَن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين[٣] ﴾ ، على أَنَّ أَنْ مخفَّفة واسمها ضمير شأْن كما فى البيت .

(١) فى كتابه ١ : ٢٧٢ ، ٤٤٠ ، ٢/٤٨٠ : ١٢٣ والخصائص ٢ : ٤٤١ والمنصف ٣ : ١٢٩ والمحتسب ١ : ٣٠٨ وابن الشجرى ٢ : ٢ والإنصاف ١١٩ وابن يعيش ٨ : ٧٤ ، ٨١ والخزانة ٤ : ٣٥٦ بولاق والعينى ٢ : ٢٨٧ والهمع ١ : ١٤٢ وديوان الأعشى ٤٥ .

(٢) رواية البيت فى الديوان :

فى فتية كسيوف الهنـد قد علمـوا ... أن ليس يدفع عن ذى الحيلـة الحيل

(٣) الآية ١٠ من سورة يونس .

قال السيرافى : وفى كتاب أبى بكر مَبْرَمان[١] : هذا المصراع معمول ، أى مصنوع ، والثابت المروىّ :

* أَنْ ليس يدفعُ عن ذى الحيلة الحيَلُ *

قال : والشاهد فى كلتا الروايتين واحد ، لأنَّه فى إضمار الهاء فى أنْ ، وتقديره ، أنَّه هالك ، وأنَّه ليس يدفع . انتهى .

قال ابن المستوفى : والذى ذكره السِّيرافى صحيح ، ولا شكَّ أنَّ النحويِّين غيَّروه ليقع الاسم بعد أن المخفَّفة مرفوعا ، وحكمه أنْ يقع بعد أنْ المثقَّلة منصوباً ، فلما تغيَّر اللفظ تغيَّر الحكم . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للأعشى ميمون[٢] ، وقبله :

(وقد غدَوتُ إلى الحانوت يتبعُنى ... شاو مِشَلٌّ شَلولٌ شُلشُلٌ شوِلُ)

وغَدوت : ذهبت غُدوة ، وهى ما بين صلاة الصُّبح وطلوع الشمس هذا أصله ، ثمَّ كثُر حتَّى استُعمِل فى الذَّهاب والانطلاق أىَّ وقت كان . كذا فى المصباح .

والحانوت : بيت الخمَّار ، يذكَّر ويؤنَّث . وجملة « يتبعنى » حالٌ من التاء فى غدوت . والشَّاوى : الذى يَشوى اللَّحم . والمشَلّ بكسر الميم وفتح الشين : المستحِثُّ والجيِّد السَّوق ، وقيل الذى يشُلُّ اللحمَ فى السَّفُّود ، من شللتُ الثوبَ ، إذا خِطته خياطة . كذا قال ابن السيرافى . والشَّلول ، بفتح الشين ، مثل المِشلّ ، ويروى : « نشول » بفتح النون ،

(١) هو محمد بن على بن إسماعيل ، أبو بكر المعروف بمبرمان ، تلميذ المبرد والزجاج ، وأستاذ الفارسى والسيرافى . شرح كتاب سيبويه ولم يتمه ، وشرح شواهده . توفى سنة ٣٤٥ . البغية ٧٤ وإنباه الرواة ٣ : ١٨٩ وياقوت ١٨ : ٢٥٤ .

(٢) ش : « لأعشى ميمون » .

وهو الذى يأْخذ اللحم من القِدر ، يقال منه نشل ينشُلُ . والشُّلشُل ، بضم الشينين كقنفذ : الخفيف اليدِ فى العمل ، والمتحرِّك . والشَّوِل ، بفتح فكسر ، مِثل الشُّلشل ، وقيل هو الذى عادتُه ذلك .

وقال الخطيب التِّبريزى فى شرح هذه القصيدة : الشَّوِل هو الذى يحمل الشىءَ ، يقال شُلت به وأَشلته . وقيل هو من قولهم : فلانٌ يشُول فى حاجته ، أَى يُعنَى بها ويتحرَّك فيها . ومن روى : « شُوَل » بضم الشين وفتح الواو فهو بمعناه ، إِلّا أَنَّه للتكثير. وروى بدله : « شَوِل» أَيضاً بفتح فكسر ، وهو الطيِّب النَّفْس والرائحة . يقول : بكرت إِلى بيت الخمَّار ومعى غلامٌ شوَّاءٌ طبَّاخ ، خفيف فى الخدمة .

ويشبه هذا البيتُ قولَ أَبى الطيِّب المتنبِّى وهو :

٥٤٨ فقلقت بالهمِّ الذى قلقلَ الحشَا قَلاقلَ عِيسٍ كلُّهن قَلاقلُ

قلقلت : حرَّكت . والقلاقل : جمع قَلقَل ، كجعفر : الناقة الخفيفة .

وقوله : « فى فتية » إلخ ، متعلِّق بغدوت فى البيت المتقدم . وفى بمعنى مع . وقال العينى : حالٌ من شاوٍ ، أَوْ حالٌ من الياء فى يتبعنى . والفتْية : جمع فتًى ، وهو الشابُّ. وقوله : (كسيوف الهند) فى محل الصِّفة لفتية ، وكذلك جملة (قد علمُوا) يريد أَنَّهم كالسُّيوف فى المضاء والعَزْم ، أَوفى صَبَاحة الوجه تبرق كالسيوف . وخصَّها بالهند لحسن صقالتها[1] . وجملة المصراع الثانى فى محل نصب على أَنَّه سادٌّ[2] مَسدَّ مفعولى علموا .

---

(١) لم أجد الصقالة فى اللسان أو القاموس وسائر المعاجم المتداولة ، والمعروف الصقل والصقال بالكسر .

(٢) ط : « سادة » ، صوابه فى ش .

(ويحْفَى) بالحاء المهملة من الحفاء ، وهو المشى بلا نَعْل ولا خفٍّ . وأراد به الفقير. (وينتعل) : يلبس النَّعل ، وأراد به الغنىّ . يريد قد علم هؤلاءِ الفتيان أنَّ الموت يعمُّ فقيرهم وغنيَّهم ، فهم يبادرون إلى اللَّذَّات قبل أن يَحُول الموتُ بينها وبينهم ، كما قيل :

خُذوا بنصيب من نعيم ولذَّةٍ فكلٌّ وإن طال المدى يتصرَّمُ

والبيتان من قصيدة جيِّدة للأَعشى ، وهى أحسن شعره ، وقد أُلحقت بالمعلَّقات السَّبع . وقد شرحها الخطيب التِّبريزى مع المعلقات ، وأولها :

(ودِّع هُريرةَ إنَّ الرَّكبَ مرتحلُ وهل تُطيق وَداعاً أَيُّها الرَّجُلُ)

نقل الخطيب عن أَبى عبيدة أَنَّه قال: هُريرة: قينةٌ كانت لرجل من آل عمرو بن مَرْثَد ، أهداها إلى قيس بن حسَّان بن ثَعلبة بن عمرو ابن مرثَد ، فولدت له خُليدًا . وقد قال فى هذه القصيدة :

* جهلاً بأُمِّ خليدٍ حَبلَ مَن تَصِلُ[1] * انتهى

وقيل إنَّ هريرة وخُليدة أُختان كانتا قينتين لبشر بن عمرو ، وكانتا تغنِّيانه ، وقدِم بهما إلى اليمامة لمَّا هرب من النُّعمان بن المنذر . وقيل إنَّ أُمَّ هريرة كانت أَمَةً سَوداءَ لحسَّان بنِ عمرو ، كان الأَعشى يشبِّب بها . وقيل إنَّ الأَعشى سُئِل عن هريرة فقال : لا أعرفها ، وإنَّما هو اسمٌ أُلقِىَ فى رُوعى .

ونقل صاحب الأَغانى[2] عن الشَّعبى أَنَّه قال : الأَعشى أَغزل النَّاس

---

(١) صدره فى ديوان الأعشى ٤٢ :

* صدت هريرة عنا ما تكلمنا *

(٢) الأغانى ٨ : ٧٦ .

فى بيت ، وأخنثُ النَّاس فى بيت ، وأشجع الناس فى بيت ، والكلُّ من هذه القصيدة .

أمَّا الأوّل فقوله :

(غرَّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارضُها تمشى الهُوينَى كما يمشِى الوجِى الوَحِلُ)

وأما الثانى فقوله :

(قالت هريرةُ لمَّا جئتُ زائرَها ويلى عليكَ وويلى منك يارجـلُ)

وأما الثالث فقوله :

(قالوا الطِّرادُ فقلنا تلك عادتُنا أو تنزلون فإنَّا معشرٌ نُزُلُ[١])

والغرَّاءُ : البيضاءُ الواسعة الجبين . والفرعاءُ : الطويلة الفَرْع ، أى الشعر . والعوارض : الرَّباعِيَات والأنياب . والوجِى ، بكسر الجيم : الذى يشتكِى حافره ولم يَحفَ . والوَحِل بكسر الحاءِ المهملة : الذى يتوحَّل فى الطين .

وقوله : « قالوا الطِّراد » يقول : إن طاردتم بالرماح فتلك عادتنا ، وإنْ نزلتم تجالدون بالسُّيوف نزلنا .

وروى صاحب الأغانى[٢] بسنده قال : حدَّث جرير بن عبد الله البَجَلى الصحابىُّ قال : سافرت فى الجاهليَّة ، فأقبلت ليلةً على بعيرى أُريد أن أسقيَه ماءً ، فلمَّا قرَّبته من الماءِ تـأَخَّر فعقلتُه ، ودنوت من الماءِ ، فإذا قومٌ مشوَّهون عند الماءِ ، فبينا أنا عندهم إذْ أتاهم رجلٌ أشدُّ تشويهًا ٥٤٩

(١) التفسير التالى من كلام البغدادى .
(٢) الأغانى ٨ : ٩٧ .

منهم فقالوا : هذا شاعر[١] . ثم قالوا : يا أبا فلان أنشدْ هذا فإنَّه ضيف . فأَنشد :

* ودِّع هريرة إنَّ الركبَ مُرتحلُ *

فوالله ما خرَم منها بيتاً حتَّى أَتى على آخرها[٢] ، فقمت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا أقولها . قلت : اولا ما تقول لأَخبرتك أَنَّ أَعشى قيس بن ثعلبة أَنشدَنيها عامَ أَوَّلَ بنجران . قال : إنَّك صادق[٣] ، أَنا الذى أَلقيتُها على لسانه ، وأَنا مِسحَلٌ [صاحبُه[٤]] ، ما ضاع شعرُ شاعرٍ وضعَه عند ميمون بن قيس .

وروى صاحبُ الأَغانى عن الأَعشى قال : حدَّث الأَعشى عن نفسه قال : خرجت أُريد قيسَ بنَ معديكرب بحضْرَمَوْت ، فضلَلْتُ فى أَوائل أَرض اليمن لأَنِّى لم أَكن سلكت ذلك الطريق قَبلُ ، فأَصابنى مطرٌ، فرميت ببصرى أَطلب مكاناً أَلجأُ إليه ، فوقعَتْ عينى على خباءٍ من شَعَر ، فقصدتُ نحوه ، وإذا أَنا بشيخ على باب الخباءِ فسلَّمت عليه ، فردَّ علىّ السلامَ وأَدخل ناقتى خباءً آخرَ كان بجانب البيت ، فحَططتُ رَحلى وجلست فقال : من أَنت ؟ وأَين تَقصِد ؟ قلت : أَنا الأَعشى ، أَقصِد قيسَ بن معديكرب . فقال : حيَّاك الله ، ، أَظنُّك امتدحتَه بشعر ؟ قلت : نعم . قال : فأَنشِدْنيه . فابتدأْت مطلعَ القصيدة :

رحَلَتْ سُميَّةُ غُدوةً أَجمالَها غَضَباً عليكَ فما تقولَ بَدَا لَها

---

(١) فى الأغانى : « شاعرهم » .

(٢) الأغانى : « حتى انتهى إلى هذا البيت » :

تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

(٣) الأغانى : « فإنك صادق » .

(٤) التكلة من الأغانى ، وهى ضرورية ليستقيم الكلام بعدها .

فلما أنشدته هذا المطلعَ منها قال : حسبُك ، أهذه القصيدةُ لك ؟ قلت : نعم . قال : مَن سميَّةُ التى تَنسِبُ بها ؟ قلت : لا أعرفُها ، وإنَّما هو اسمٌ أُلقِىَ فى رُوعى . فنادى : يا سميَّة اخرُجى . وإذا جاريةٌ خماسيَّة قد خرجت[١] ، فوقفت وقالت : ما تريد يا أبت ؟ قال : أنشدى عمَّك قصيدتى التى مدحتُ بها قيسَ بن معديكرب ونسبتُ بكِ فى أوّلها . فاندفعَتْ تُنشد القصيدة حتَّى أتت على آخرها لم تخرِمْ منها حرفاً ، فلما أتَمَّتْها قال : انصرف . ثم قال : هل قلتَ شيئاً غير ذلك ؟ قلت : نعم ، كان بينى وبين ابن عمٍّ لى يقال له يزيد بن مُسْهِر ، ويكنى[٢] أبا ثابت ، ما يكون بين بنى العمِّ ، فهجانى وهجوتهُ فأفحمتُه . قال : ماذا قلتَ فيه ؟ قال : قلت :

* ودِّعْ هريرةَ إنَّ الركبَ مرتحلُ *

فلما أنشدته البيتَ الأوَّل قال : حسبك ، مَنْ هريرةُ هذه التى نسبتَ فيها ؟ قلت : لا أعرفها ، وسبيلُها سبيلُ التى قبلها . فنادى : ياهريرة . فإذا جاريةٌ قريبة السِّنِّ من الأُولى خرجَتْ ، فقال : أنشدى عمَّك قصيدتى التى هجوتُ بها أبا ثابت يزيدَ بنَ مسهر . فأنشدَتْها من أولها إلى آخرها لم تخرِم منها حرفاً . فسُقِطَ فى يدى وتحيَّرت ، وتغشَّتْنى رِعدة . فلمَّا رَأَى ما نزل بى قال : ليُفْرِخْ رُوعك يا أبا بَصير[٣] أنا هاجِسُك مسحل بن أُثاثة الذى أَلقى على لسانك الشعر . فسكنَتْ نفسى ورجعَتْ إلىّ ، وسكن المطرُ ، فدَلَّنى على الطريق وأرانى سمتَ مَقصِدى وقال : لا تعُجْ يميناً ولا شِمالاً حتَّى تقع ببلاد قيس .

---

(١) الخماسية من الوصائف : ما كان طولها خمسة أشبار .

(٢) ط : « يكنى » بدون واو .

(٣) فى هامش كل من ط ، ش : « هاجس الأعشى مسحل بن أثاثة ، وابنتاه سمية وهريرة هما اللتان شبب بهما » .

وروى صاحبُ الأَغانى[1] أَيضاً أَنَّ الأَعشى قال هذه القصيدة ليزيد ابن مسهر أَبى ثابت الشيبانى .

قال أَبو عبيدة : وكان من حديث هذه القصيدة أَنَّ رجلاً من بنى كهف بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ، يقال له ضُبيع ، قتل رجلاً من بنى همَّام ، يقال له زاهر بن سيَّار بن أَسعد ابن همام ، وكان ضبيع مطروقًا[2] ، ضعيف العقل ، فنهاهم يزيد ابنُ مسهر ، وهو من بنى ثعلبة بن أَسعد بن همَّام ، أَن يقتلوا ضبيعاً بزاهر ، وقال : اقتلوا به سيِّدًا من بنى سعد بن مالك بن ضُبيعة . فحضَّ بنى سيَّارِ بن أَسعد على ذلك وأَمرَهم به ، فبلغ بنى قيس ما قاله ، فقال الأَعشى هذه القصيدة فى ذلك ، يأْمرُه أَن يدعَ بنى سيَّار وبنى كهف ، ولا يعينَ بنى سيَّار ، فإِنَّه إِن أَعانهمأَعانت قبائل بنى قيس بنى كهف . وحذَّره أَن يلقى بنو سيَّارٍ منهم ما لقُوا يومَ العَين عين مُحلِّم بهجرَ .

٥٥٠

يوم محلم

وكان من حديث ذلك اليوم كما زعم عُمرَ بنهلال ، أَحد بنى سعد ابن قيس بن ثعلبة ، أَنَّ يزيد بن مُسهِر كان خالَعَ أَصرمَ بنَ عوف ابن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة ، فلما خلع يزيد بن مسهرٍ أَصرمَ من ماله خالعَه على أَن يرهنه ابنيه : أَقلَبَ[3] وشهاباً ابنَىْ أَصرم ، وأُمُّهما فطيمة بنت شُرَحبيلَ بن عَوسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس . وأَنَّ يزيد قَمَرَ أَصرم[4] ، فطلَبَ إِليه أَن يدفع إِليه ابنيهرهينة ، فأَبت

(١) الأغانى ٨ : ٩٦ .
(٢) المطروق : الذى فيه رخوة وضعف .
(٣) فى الأغانى : « أفلت » .
(٤) قمره : غلبه .

أُمُّهما ذلك فنادت قومَها ، فحضر الناس واشتملت فطيمة على ابنيها بثَوبها ، ودافع قومُها عنهُما وعنها . فذلك قولُ الأَعشى :

نحْن الفوارسُ يومَ العين ضاحيةً   جنَبيْ فُطيمةَ لا مِيلٌ ولا عُزُلُ

قال : فانهزم بنو سيَّار .

فحذَّر الأَعشى يزيدَ بن مسهر مثلَ تلك الحالة .

قال أَبو عبيدة : وذَكر عامرٌ ومسمع ، عن قتادة الفقيه أَنَّ رجلين من بنى مَرْوان تنازعا فى هذا الحديث ، فجرَّدوا[1] رسولاً فى ذلك إلى العراق حتَّى قدِم الكوفة ، فأُخبر أَنَّ فُطيمة من بنى سعد بن قيس ، وأَنَّها كانت عند رجل من بنى سيَّار وله امرأَة غيرُها من قومه ، فتغايَرَتا فعمَدت السَّيَّارية فحلقت ذوائبَ فُطَيمة ، فاهتاج الحيَّانِ فاقتتلوا ، فهُزِمَتْ بنو سيّارٍ يومئذ . انتهى .

وإِنَّما نقلت هذا الفصل لأَنَّ شُرَّاح القصيدة أَخلُّوا فى شروحهم بهذه الأُمور . والله أَعلم .

وترجمة الأَعشى تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الأَربعون بعد الستمائة[3] :

٦٤٠ (ولا تدفِننِّى فى الفَـلاةِ فإِنَّنى

أَخـافُ إِذا ما مِتُّ أَن لا أَذُوقُهـا)

على أَن (أَن) مخفَّفة لوقوعها بعد الخَوف بمعنى العلم واليقين ،

(١) فى الأغانى : « فجرد رسولا » .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ - ١٧٨ .

(٣) المغنى ٣٠ والهمع ٢ : ٢ والأشمونى ٣٠ : ٢٨٣ وديوان أبى محجن ٨ .

واسمها ضميرُ شأنٍ محذوفٌ ، أو ضميرُ متكلِّم . وجملة لا أذوقها فى محل رفع خبرها[١] .

وقبله :

(إذا متُّ فادفنِّى إلى جَنبِ كَرمةٍ
تروِّى عظامى بعد موتى عروقُها)

وأصل الخوف الفزع وانقباض النفس عن احتمال ضرر ، وإذا اشتدَّ الخوف التحقَ بالمتيقَّن كما قال الشارح المحقق .

قال ابن خطيب الدَّهشة[٢] وهو ابن مؤلِّف المصباح (فى كتاب التقريب[٣] ، فى علم الغريب) : يقال خاف الشىءَ : علمَه وتيقَّنَه . انتهى .

وذلك لأنَّ الإنسان لا يخاف شيئاً حتى يعلم أنَّه مما يُخاف منه ، فهو من التعبير بالمسبَّب عن السَّبب ، وليس إطلاقُه عليه لأنَّه من لوازم اليقين كما قال الشُّمُنِّى ، فكم من يقينٍ لا خوفَ منه .

وقال بعض المحقِّقين : الخوف والخشية يُستعملان بمعنى العلم ، لأنَّ الخوفَ عبارة عن حالة مخصوصة متولِّدة من ظنٍّ مخصوص ، وبين

---

(١) كلمة « رفع » ساقطة من ش .

(٢) أى ابن خطيب جامع الدهشة ، وخطيب جامع الدهشة هو صاحب « المصباح المنير ، فى غريب الشرح الكبير » ، وهو أحمد بن محمد بن على الفيومى المقرى المتوفى سنة ٧٨٠ . وقد سبقت ترجمته فى حواشى الخزانة ١ : ٢٥ . واسم ولده هذا هو محمود بن أحمد بن على الحموى الفيومى ، وهو من فقهاء الشافعية كوالده . وأصله من الفيوم ، ومولده ووفاته بحماة (٧٦٠ - ٨٣٤) .

(٣) ذكر صاحب كشف الظنون أنه لغة تتعلق بالموطأ والصحيحين . وفى ش : «التعريب» ، صوابه فى ط . ومما يجدر ذكره أن كتاب والده « المصباح المنير » هو شرح للغات التى وردت فى غريب الشرح الكبير للرافعى ، وهو أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزوينى الشافعى المتوفى سنة ٦٢٣ وهو أحد شرحين ألفهما على كتاب « الوجيز فى الفروع » للإمام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ وهو فى فقه الشافعية .

٥٥١ الظنّ والعلم مشابهةٌ فى أُمور كثيرة ، فلذلك صحَّ إطلاق كلٍّ منهما على على الآخر .

وفى تخصيصه التولُّد بالظنّ نظر ، لأَنَّ الخوف كما يتولَّد عن الظَّنّ يتولَّد عن العلم أَيضاً .

وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فمن خافَ من مُوص[1] ﴾ فمن توقَّعَ وعَلِم . وهذا فى كلامهم شائع ، يقال أَخاف أن تُرسِلِ السماءُ، يريدون التوقُّعَ والظنَّ الغالبَ ، الجاریَ مجرى العلم[2] .

وقال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) عند قول ابن هشام (فى المغنى) : «الخوف فى هَذا البيت يقين» : قد يقال لا يلزم من تعقُّل العقلاءِ أَنَّه لا يذوقها بعد الموت ، حملُ الخوف على اليقين عند هذا الشاعر ، لأَنَّ استهتاره بشُربها، ومغالاتَه فى محبَّتها ، أَمرٌ مشهور، فلعلَّ ذلك حمله على أَنَّه خاف ولم يقطع بما تيقَّنه غيره ، ولذلك أَمر بدفنه إلى جنب الكرمة، رجاءَ أَنَّه ينال منها بعد الموت. ومن ثَمَّ قيل إنَّ هذا أَحمقُ بيت قالته العرب . انتهى .

قال المُلاَّ أَحمد الحَلَبى (فىشرحه) بعد نقل هذا الكلام : وهذا مَبنیٌّ كما قال شيخنا على أَنَّه كان إذْ ذاك متردِّدًا بين ذَوقها بعد الموت بتقدير دفنه إلى جنب الكرمة ، أَوْ لَا بتقدير دفنه فى الفلاة . فلا علمَ ولا ظنَّ . قال : وهذا احتمال ، لأَنَّ التعليلَ بقوله فإنَّنى أَخاف ، إن كان لمجموع الأَمر والنهى[3] على معنى فإنَّنى أَخاف أَن لا أَذوقها غدًا

---

(١) الآية ١٨٢ من سورة البقرة .
(٢) تفسير الكشاف ١ : ٨٧ .
(٣) فى ش : « لجموع » ، والوجه ما أثبت من ط .

فلا علم ولا ظن ، فهى الناصبة أُهمِلت . ففى (شرح الكافية للحديثى) أَنَّ الخفيفة بعد فعل الخوف والرَّجاء ناصبة ، لأنَّه يحتمل أن يقع وأن لا يقع ، وبعد الظنِّ تحتملُها والمخفَّفة ، نظراً إلى الرُّجحان وعدمه ، أو على معنى فإنَّنى أخاف الآنَ ، بتقدير : أن لا تدفنِّى إلى جنبها بل فى الفلاة : أن لا أذوقها إذا ما مِتُّ ، أو فإننى أخاف إذا ما متُّ ، بهذا التقدير : أن لا أذوقُها . فالخوفُ هنا علمٌ ويقين ، فهى المخفَّفة . وكذا إنْ جُعل تعليلا للنَّهى وحدَه ، لأنَّه الذى قارنه فى هذا البيت ، على معنى فإنَّنى أخاف الآن أو إذا مامتُّ ، بتقدير أن تدفننى فى الفلاة لا إلى جَنْبها ، أن لا أذوقها . انتهى .

قال ابن المُلاَّ : وههنا بحثٌ ، وهو أنَّ الشاعر وإنْ كان من المغرمين بالصَّهباء ، المتهتِّكين بها ، لكنَّه من ذوى العقول الكاملة ، والأَنظار الصائبة ، فكيف يظنُّ به أنَّه غير قاطع بما يتيقَّنه غيره من عدم الذَّوق بعد الموت؟ بل هو أمرٌ مركوز فى الأَذهان ، غنىٌّ عن البيان. وإنَّما جرى فى كلامه هذا على مذهب الشُّعراء فى تخييلاتهم ، ورامَ سلوكَ جادَّةِ تمويهاتِهم ، فإنَّهم سحرة الكلام ، ومخترعو صُوَر الإيهام . فأَمَر أَوَّلا بدفنه بعد الموت بجانب كرمة ، وأبدى عذره فى ذلك بوصفها بقوله :

* تروِّى عظامِى بعد موتى عروقُها *

ليستفاد من ذلك علَّة الأَمر بالدَّفن المذكور ، إشارة إلى أنَّ ما لا يُدرك كلُّه لا يترك كلُّه . وإذا تعذَّرت الترويَة الحقيقيَّة فلا أَقلَّ من حصول التروية المجازيَّة . ثمَّ نهى ثانياً تأْكيداً للأَمر الأَوَّل عن دفنه لا بجنب كرمة ، وعلَّل ذلك بأَنَّه لا يذوقها إذا مات فلا يتروَّى بها حقيقة . فدفْنُه إلى جانبها مفوِّت للتروية المجازيَّة . ولمزيد

شَغَفَه بها آثر التعبير عن هذا اليقين بالخوف إيهاماً ؛ لأنَّه مع ذلك لا يقطع بعدم الذَّوق . وجعَلَ رفع الفعل بعد أَنْ معه دليلاً على ما قصَده معنى . وإنَّما قلنا إنَّ ترويَة العظام مجازيَّة لأَنَّ الرِّوَى[1] حقيقةً لذوات الأَكباد عن عطش ، وليست العظام منها . على أنَّه لا عطش بعد الموت . أَو لما [ليسَتْ] له قوَّةٌ نامية . ومنه قولهم : رَوِيَ النباتُ من الماءِ . والعظام جماد . انتهى كلامه ، ومن خطه نقلت .

٥٥٢

ويؤيد هذا رواية ابن السكيت :

ولا تدفنَنِّى فى الفلاة فإنَّنى ... يقيناً إذا ما متُّ لستُ أذوقها

وعليها لا شاهد فى البيت .

صاحب الشاهد

والبيتان أوّلا قصيدةٍ لأبى مِحْجَنٍ الثَّقفى ، رواها ابنُ الأَعرابى وابن السكيت (فى ديوانه) ، وبعدهما :

أبيات الشاهد

(أُباكِرها عندَ الشُّروق وتارةً ... يُعاجلنى عند المَسَاءِ غَبوقُها[2]
وللكأْس والصَّهباءِ حقٌّ معظَّم ... فمِنْ حقِّها أن لا تُضاعَ حقوقُها
أُقوِّمها زِقًّا بِحِقٍّ بِذاكمُ ... يُساق إلينا فَجْرُها وفُسوقها[3]
وعندى على شُرب المدام حفيظة ... إذا ما نساءُ الحىِّ ضاقت حُلوقها

---

(١) الروى ، بكسر ففتح : الرى ، كما فى اللسان . وفيه : « روى من الماء بالكسر ، يروى رياً وروى أيضاً مثل رضا ، وتروى وارتوى ، كله بمعنى » . وفى ش مع أثر تصحيح : « التروى » ولا داعى له .

(٢) فى الديوان ٢٤ : « يعاجلنى بعد العشى » .

(٣) ط : « بداكم » ، صوابه فى ش وديوان أبى محجن ٢٤ . ورواية الديوان أيضاً ، وهى الوجه : « تجرها ونسوقها» .وقال أبو هلال العسكرى فى تفسير البيت : « الحق من الإبل: ابن ثلاث سنين ، والأنثى حقة ، وسمى ذلك لأنه استحق أن يحمل عليه . يقول: أشترى زقاً بحق ، ولهذا يحمل إلينا الخمر ، لأنا نربح حاملها . والتجر : جمع تاجر ، مثل صحب وصاحب » .

وأُعجِلْنَ عن شدِّ المآزر وُلَّهاً　　مفجَّعةَ الأَصوات قد جفَّ ريقُها
وأمنع جارَ البيت ممَّا ينوبه　　وأُكرم أَضيافاً قِراهَا طُروقُها)

قال ابن السكيت: قوله: (إذا متُّ فادفنِّى) هذا خطابٌ مع ابنه يأْمره بذلك ، وفيه مبالغة على حبِّه للخمر وتعطُّشه إليها ، إذْ أَظهرَ الرَّغبة إليها وهو ميّت . وقوله : (ولا تدفنَنِّى فى الفَلاة) الخ . قال ابن السكيت : الفلاة : الأَرض المهلكة التى لا عَلَم بها ولا ماء . والمعنى أَنَّ الفلاة لا يُغْرسُ فيها كرم[1] فلا تدفننِّى إلاَّ بمكان ينبت فيه العنب حتَّى أَكون قريباً منه ، فأَلتذَّ بذلك .

وقوله : « أُباكِرُهَا عند الشُّروق » إلخ . قال ابن السكيت : أَى إنَّنى أُصبَحُها عند شروق الشمس ، ومرَّةً أَشربها عِشاءً ، إلَّا أننى أُقدِّم شربها على العِشاءِ فيعاجلنى الغَبوق . والصَّبوح : شرب الغدوّ . والغَبُوقُ : شرب آخر النهار . وأُباكرها : أُبادر إليها فى بكرة النهار .

وقوله : « وللكأْس والصَّهباءِ » إلخ . قال ابن السكيت : حقُّها : كونُها تسرُّ القلب وتُذهب الهمّ ، وتُسخِّى البخيل وتشجِّع الجبان ، إلى غير ذلك من فعلها ، وهذا حقٌّ لها . وإذا كان هذا دأْبَها فمن حقِّها أَن تعظَّم ولا تضيَّع حقوقها . انتهى .

وقال ابن المُلَّا : فإن قُلتَ : حقُّ الكلام أَن يقول : ومن حقِّهما أَن لا يضاع حقوقهما ، لادعائه أَنَّ الحقَّ المعظَّم للكأْس والصهباء . قلت : نعم ، إلَّا أَنَّه ذهب إلى أَنَّ الكأْس والصهباءَ وإن كانا شيئين فهما بمثابة الشيءِ الواحد . واستَلْمَحَ قول القائل[2] :

---

(١) ط : « لا يعرش فيها كرم » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) أى لمحه وأخذ منه . والوجه أن تقرأ : « وأستلمح » بصيغة المضارع ، أو « استلمح » بصيغة الأمر ، وبإحدى هاتين القراءتين ينتفى اعتراض البغدادى عليه فيما سيأتى .

رَقّ الزجاجُ وراقت الخمـر وتشاكـلا فتشـابَه الأَمرُ
فـكأَنَّما خمـرٌ ولا قـدحٌ وكـأَنَّما قـدح ولا خمرُ

انتهى . وفيه أَنَّ هذين البيتين لأَبى إسحاق الصَّابى ، وهو متأَخِّر عن أَبى مِحْجن بـأَكثر من ثلاثمائة سنة . وكان ينبغى أَن يعكس[١]

وقوله : «أُقوِّمها زقًّا » إلخ. قال ابن السكيت : الزِّقُّ بالكسر : ظرف الخمر . والحِقّ بالكسر من الإبل : ابن ثلاث سنين ، وكذلك الحِقَّة ، وسُمِّيا بهذا الاسمِ لأَنَّهما استحقَّا أَن يركبا . وفَجْرها : فجورها[٢] والفاجر : المائل عن الطاعة . والطاعة : الوقوف على الأَوامر . والفسوق توسيع ما ضيَّقه الله من أَمر الدين .

٥٥٣ وقوله : « وعندى على شُرب » إلخ . قال ابن السكيت : الحفيظة كل شىءٍ يُغضَب لأَجله . يعنى وإن كنت سكرانَ لا أُهملُ الحفاظ إذا استغاثت بى نساءُ الحىّ وصِحَن لنازلةٍ نزَلَتْ بهنَّ .

وقوله : « وأُعجِلن عن شدّ » إلخ . قال ابن السكيت : أَى دَهَمهنَّ من البلاءِ ما أَعجلهنَّ عن شد المآزر فى أَوساطهن . ووُلَّهاً : مفعول من أَجله ، أَى للولَه الذى نزل بهنَّ . والوالهُ : الذَّاهب العقل . والمفجَّعة : التى نزل بها ما أَخافَها وأَفزَعها . وجفَّ ريقها ، أَى يبس . انتهى .

والصواب أَنَّ « وُلَّهاً » حال لا مفعول من أَجله .

وقوله : « وأَمنع جارَ البيت » إلخ . قال ابن السكيت : قَرَاها : أَطعمها يقول : إذا طرقتنا الضِّيفانُ ليلاً أَعجلْنا لها القرى ، فكأَنَّ طروقها هو الذى قَراها . انتهى .

---

(١) ش : « أن لا يعكس » ، صوابه فى ط .
(٢) ط : « وفجورها » ، والوجه طرح الواو كما فى ش .

أبو محجن الثقفي

وأبو محجن : شاعر صَحابي ، له سَماعٌ ورواية . كذا في الاستيعاب كما يأتي .

وإنّما أثبت له السُّيوطى (فى شرح أبيات المغنى) رواية ، ولم يذكر أنَّ له سماعاً . ونفاها أيضاً الذهبىُّ (فى تاريخ الإسلام) . وقال (فى التجريد) : أبو محجن الثقفى عمرو بنُ حَبيب ، وقيل مالك بن حبيب ، وقيل عبدالله . كان فارساً شاعراً من الأبطال ، لكنْ جلَده عمرُ فى الخمر مرّاتٍ ، ونفاه إلى جزيرة فى البحر ، فهرب ولحق بسعد وهو يحارب الفُرسَ فحبسه . وله أخبارٌ . روى عنه أبو سعدٍ البقّال . انتهى .

ورواية أبى سعد البقّال عن أبى محجن إنّما هى بتدليس ، لأنّه لم يدرك عصره . وقد ذكروه فى الضُّعفاء .

وقيل إنَّ اسمه أبو محجن ، وهى كنيته أيضاً . وهو بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم .

وهذه ترجمته (من الاستيعاب ، تأليف أبى عمر يوسف الشهير بابن عبد البر) قال : أبو محجن الثقفى اختُلف فى اسمه ، فقيل مالك ابن حَبيب ، وقيل عبدالله بن حَبيب بن[1] عمرو بن عمير بن عوف بن عُقدة بن عميرة بن عوف بنَ قَسِيّ ، وهو ثقيف ، الثقفى . وقيل اسمه كنيتُهُ . أسلمَ حَين أسلمتْ ثقيف . وسمع من النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه . حدَّث عنه أبو سعدٍ البقّال قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أخْوَفُ ما أخاف على أُمّتى من بعدى ثلاث : إيمانٌ بالنُّجوم ، وتكذيبٌ بالقَدَر ، وحَيف الأئمة » .

---

(١) هذا يطابق ما فى الاستيعاب ٣١٦١ والإصابة ١٠٠٧ من باب الكنى . وفى ش : « وقيل » موضع « بن » هذه .

وكان أبو محجن هذا من الشُّجعان الأَبطال فى الجاهليَّة والإسلام ، من أُولى البأْس والنجدة ، ومن الفُرسان البُهَم[١] . وكان شاعراً مطبوعاً كريماً إلَّا أنَّه كان منهمكاً بالشَّرابِ لا يكادُ يُقلِعُ عنه[٢] ولا يردُعه حَدٌّ ولا لومُ لائم . وكان أَبو بكرٍ الصِّدِّيق يستعين به . وجلدَه عمر ابن الخطاب فى الخمر مراراً ، ونفاه إلى جزيرة فى البحر . وبعث معه رجلاً فهرب منه ، ولحق بسعد بن أَبى وقاص بالقادسيَّةِ وهو محاربٌ للفرس . وكان قد همَّ بقتل الرجُل الذى بعثه عمر معه ، فأَحسَّ الرجلُ بذلك ، وخرج فارًّا ولحق بعُمَر ، وأَخبره خبره ، فكتب عمر إلى سعدٍ بحبس أَبى محجن ، فحبسه .

حدَّثنا إسحاق ابن إبراهيم قال : حدثنا عبد الرزَّاق، عنِ ابن جُريج قال : بلغنى أَنَّ عمر بن الخطابَ حَدَّ أَبا مِحْجن الثَّقفىَّ سبعَ مَرَّات . ذكر ذلك عبدُ الرزَّاق فى باب من حُدَّ من الصحابة فى الخمر . قال : وأَخبرنا معمَّر عن أَيُّوب عن ابن سيرين قال : كان أَبو محجن الثَّقفى لا يزالُ يُجلَدُ فى الخمر ، فلما كثَّر عليهم[٣] سَجَنوه وأَوثقوه ، فلمَّا كان يوم القادسيَّة رآهم يقتتلون فكأَنَّه رأَى أَنَّ المشركين قد أَصابوا من المسلمين ، فأَرسل إلى أُمّ ولد سعد ، أَو إلى امرأَة سعد ، يقول لها : إنَّ أَبا محجن يقول لك : إن خلَّيت سبيلَه وحملتِه على هذا الفرس ودفعتِ إليه سلاحاً ليكوننَّ أَولَ من يرجع إليك ، إلاَّ أَن يُقتلَ . وأَنشد يقول : ٥٥٤

كفَى حزناً أَن تلتقِى الخيلُ بالقنـا
وأُتـركَ مشدودًا علىَّ وَثَاقيـا

(١) البهم ، بضم ففتح : جمع بهمة بالضم ، وهو الشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتى .
(٢) وكذا فى الاستيعاب ، وفى ش : « يقطع عنه » .
(٣) فى الاستيعاب : « أكثر عليهم » .

إذا قمتُ عنَّانى الحَـديدُ وغُلِّقت
مَصَارعُ دونى قـد تُصِمُّ المنـادِيا[1]

وقـد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخـوة
فقـد تركونى واحـدًا لاَ أخـاليا[2]

وقـد شَفَّ نفسى أنَّنى كلَّ شـارق
أعالج كِبْـلا مُصمتـاً قد برانيـا

فـللهِ درِّى يـومَ أُتـرك مُوثَقـاً
وتُذهَلُ عـنِّى أُسـرتى ورجاليـا

حُبستُ عن الحرب العَوان وقد بدت
وإعمالُ غيرى يوم ذاك العَواليـا[3]

ولله عهـدٌ ، لا أخيسُ بعهـده
لئن فُرِجَتْ أن لا أزور الحوانيا

فذهبت الأُخرى فقالت ذلك لامرأة سعد ، فحلَّت عنه قيوده ، وحُمل على فرسٍ كان فى الدار ، وأُعطِىَ سلاحاً ، ثم خرج يركض حتَّى لحق بالقوم ، فجعل لا يزالُ يَحمل على رجل فيقتله ويدقُّ صُلبه . فنظر إليه سعدٌ فجعل يتعجَّب ويقول : مَن ذلك الفارس ؟ قال : فلم يلبثوا إلاَّ يسيراً حتَّى هزمهم الله ، ورجَع أبو محجن وردَّ السلاح ، وجَعلَ

(١) ط : « غنانى الحديد » ، وأثبت ما فى ش والديوان ١٧ والاستيعاب وابن سلام . والمصارع : جمع مصرع كمنبر ، وهو لغة فى مصراع الباب . وما بعد هذا البيت من أبيات المقطوعة لم يرد فى الاستيعاب ، وأورد ابن سلام الثلاثة الأولى ، وزاد عليها رابعاً لم يرد فى ديوانه ، وهو :
أرينى سلاحى لا أبالك أننى أرى الحرب ما تزداد إلا تماديا

(٢) وكذا فى ابن سلام والأغانى ٢١ : ١٣٩ . وفى الديوان : « فأصبحت منهم واحداً » . وما بعد هذا البيت لم يرد فى الاستيعاب ولا الديوان ولا ابن سلام ، وإنما ورد فى الأغانى ٢١ : ١٣٩ .

(٣) فى الأغانى : « حبيساً عن الحرب العوان » . والعوان : التى قوتل فيها مرة بعد مرة .

رجليه فى القيود كما كان ، فجاء سعد فقالت له امرأته أو أمُّ ولده : كيف كان قِتالكم ؟ فجعل يخبرها ويقول : لقينا ولقينا ، حتَّى بعث الله رجلاً على فرسٍ أبلق لولا أنِّى تركت أبا محجنٍ فى القيود لظننتُ أنَّها بعض شمائل أبى محجن ؟ فقالت : والله لأبو محجن كان من أمره كذا وكذا . فقصَّت عليه قِصَّته . فدعا به وحلَّ قيوده وقال : لا نجلدك على الخمر[١] أبداً . قال أبو محجن : وأنا والله لاأشربها أبداً . كنت آنَف أن أدَعَها من أجل جَلْدِكم . قال : فلم يشربْها بعد ذلك .

وروى صاحب الاستيعاب بسنَده إلى إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبى وقَّاص عن أبيه قال :

لمَّا كان يوم القادسية أُتِىَ سعد بأبى محجن وهو سكرانُ من الخمر ، فأمر به إلى القيد ، وكان سعدٌ به جراحة فلم يخرُج يومئذ إلى الناس ، واستعمَلَ على الخيل خالد بنَ عُرفُطة ، ورُفع سعدٌ فوق العذيب[٢] لينظر إلى الناس[٣] ، فلما التقى الناسُ قال أبو محجن :

كفى حزناً أن تردىَ الخيل بالقنا[٤] . . . الأبيات السابقة

فقال لابنة خَصَفة[٥] امرأةِ سعد : ويحكِ خلِّينى ولكِ علىّ[٦] إنْ

---

(١) انظر ما سيأتى من كلام ابن حجر فى هذا فى ص ٤١١ — ٤١٢ .

(٢) العذيب ، بهيئة التصغير : ماء بين القادسية والمغيثة .

(٣) ش : « ينتظر إلى الناس » ، صوابه فى ط والاستيعاب .

(٤) فى الاستيعاب : « أن تلتقى » وفى ط ، ش : « أن تردد » ، وصواب هذه ما أثبت من الأغانى . ردت الخيل تردى ردياً : رجمت الأرض بحوافرها .

(٥) كذا فى الاستيعاب والإصابة . وفى النسختين : « حفص » ، تحريف . وفى الأغانى : « سلمى بنت أبى حفصة » ، تحريف أيضاً . وانظر الطبرى ٣ : ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٥٤٢ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٧٠ ، ٥٧٥ .

(٦) هذا ما فى ش . وفى ط : « ولك » فقط . وفى الاستيعاب : « ولك على عهد الله » .

سلَّمنى الله أن أجىء حتى أضع رجلى فى القَيد ، وإن قتِلتُ استرحتم منّى . فخَلَّته فوثب على فرس لسعدٍ يقال لها البلقاء ، ثم أخذ الرّمحَ ثم انطلق حتَّى أتى النَّاس ، فجعل لا يحمل فى ناحيةٍ إلّا هزمهم ، فجعل الناسُ يقولون : هذا مَلَكٌ : وسعد ينظر ، فجعل سعد يقول : الضَّبرُ ضَبرُ البلقاءِ ، والطَّعنُ طعن أبى محجن ، وأبو محجن فى القيد ! فلمّا هُزم العدوُّ رجع أبو محجن حتَّى وضع رجله فى القَيد، فأخبَرت ابنةُ خَصَفة[1] سعدًا بالذى كان من أمره، فقال : لا والله ما أبلى أحدٌ من المسلمين ما أبلى فى هذا اليوم ! لا أضرب رجلاً أبلى فى المسلمين ما أبلى ! قال : فخَلَّى سبيله .

وقال أبو محجن : كنت أشربها إذ يقام علىَّ الحدُّ وأُطهُر منها ، فأمَّا إذْ بَهْرَجتَنى[2] فوالله لا أشربُها أبداً .

ومن رواية أهل الأخبار أنَّ ابناً لأبى محجن دخل على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذى يقول :

إذا متُّ فادفنى إلى جنب كرمة . . . الأبيات المتقدمة ٥٥٥

فقال له ابنه : لو شئتَ ذكرتُ أحسنَ من هذا من شعره . قال : وما ذاك ؟ قال : قوله :

لا تسأَل النـاسَ عن مالى وكثرته وسائل الناس عن حزمى وعن خلقى[3]

---

(١) كذا فى الاستيعاب والإصابة . وفى النسختين هنا: « حفصة » تحريف .

(٢) هذا ما فى الاستيعاب واللسان (بهرج) . وفى النسختين : « إن بهرجتنى » . وبهرج الشىء : أبطله ، كما تبهرج الدنانير والدراهم . أراد أهدرتنى بإسقاط الحد عنى . كما فى اللسان .

(٣) وكذا فى الاستيعاب . لكن رواية الديوان ص ٣ :

لا تسألى الناس عن مالى وكثرتـــه وسائـلى القوم عن دينى وعن خلـــق

وقال أبو هلال فى تفسيره : « إنه خاطب امرأته . وكان من عاداتهم أن يخاطبوا نساءهم فى ابتداءات قصائدهم إذا حضروا ، ويخاطبوا خليليهم إذا سافروا ، لأنه كان لا يسافر منهم أقل من ثلاثة » .

قد يَعلم الناسُ أنّى من سَراتِهمُ
إذا تَطيشُ يد الرِّعدِيدةِ الفَـرِقِ[١]

قد أركبُ الهولَ مسدولاً عساكرُه
وأكْتمُ السرَّ فيه ضربةُ العنقِ

أُعطى السِّنانَ غداةَ الرَّوع حِصَّتَه
وعامِلُ الرُّمح أرويهِ من العَلَقِ[٢]

وزاد بعضُهم فى هذه الأبيات :

وأطعنُ الطَّعنةَ النَّجلاءَ قد علموا
تنفى المسابير بالإزباد والفَهَقِ[٣]

عفُّ المطالب عمَّا لستُ نائلَه
وإن ظُلمتُ شديدُ الحِقدِ والحَنَقِ

وقد أجودُ وما مالى بذى فَنَعٍ
وقد أكُرُّ وراءَ المُجحَرِ البَرِقِ[٤]

---

(١) فى الاستيعاب : « القوم أعلم » . وفى الديوان :
قد يعلم الناس أنا من سراتهم إذا سما بصر الرعديدة الفرق

(٢) ط : « عاسل » ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح . وفى الاستيعاب : « وحامل الرمح » تحريف . ورواية الديوان أيضاً « نحلته » موضع « حصته » . قال العسكرى : « أصل النحلة أن يعطى الرجل الرجل ناقة ينتفع بمنافعها ثم يردها ، ثم سمى كل عطية نحلة . وجعل أبو محجن ما نال السنان من الدم نحلة . وروى : حصته . ومجاز هذا الكلام مجاز قولهم : فلان يوفى هذه الصناعة حقها ، إذا قام بها حق القيام . وعامل الرمح وعاملته : على قدر ذراع من السنان . وسافلته : على قدر ذراع من الزج » .

(٣) فى الاستيعاب : « لو علموا » . وفى الديوان : « عن عرض » . والمسابير : جمع مسبار ، وهو الميل الذى يسبر به غور الجراحات . ط ، والديوان : « بالأزياد » صوابه فى ش .

(٤) الفنع : الكثرة . ط : « قنع » صوابه فى ش والديوان . والمجحر ، بتقديم الجيم : المضيق عليه كأنه فى جحر . وفى ط : « المحجر » بتقديم الحاء ، صوابه فى الاستيعاب وش مع أثر تصحيح . والبرق : الشاخص البصر ، كما فى شرح الديوان . وفى الاستيعاب : « الفرق » .

قد يُقْتِرِ المرءُ يوماً وهو ذو حسب
وقد يثُوبُ سوامُ العاجز الحَمِقِ[1]

ويكثُر المال يوماً بعد قِلَّته
ويكتسِي العودُ بعد الجدبِ بالورقِ

فقال له معاوية : لئن أسأْنا القول لَنُجزلُ العطيَّة[2]. ثم أجزل جائزته وقال : إذا ولدَتِ النساءُ فلتلدْ مثلَك !

وزعم الهيثم بن عدىّ أنَّه أخبره مَن رأى قبر أبى محجن الثقفى بأَذْرَبيجان ، أو قال : فى نواحى جُرجانَ ، وقد نَبتتْ عليه ثلاثُ أُصولِ كَرْمٍ وقد طالت وأثمرت ، وهى معرِّشة على قبره ، مكتوب على القبر : « هذا قبر أبى محجن » ؛ قال : فجعلت أتعجَّب وأذكر قوله :

* إذا متُّ فادفنِّى إلى جنب كرمة *

هذا ما اخترته من الاستيعاب

وروى ابن الأعرابى (فى شرح ديوان أبى محجن) عن ابن الكلبى أنَّه قال : أخبرنا عَوَانةُ قال : دخل عُبيد بن أبى محجن على عبد الملك فقال له عبد الملك : أبوك الذى يقول من قصيدة :

* إذا متُّ فادفنِّى إلى جنْب كرمة *

فقال : لا يا أمير المؤمنين ، ولكن أبى الذى يقول :

لاتسأَل القومَ عن مالى وكثرته . . . إلى آخر الأبيات المذكورة .

ونقل ابن حجر (فى الإصابة) عن ابن فَتحون (فيما كتبه على

---

(١) يثوب : يكثر ، من قولهم : ثاب إليه قومه ، أى نهضوا إليه وكثروا حوله .
(٢) فى الاستيعاب : « لئن كنا أسأنا القول لنحسنن لك الصفد » .

أوهام الاستيعاب) أنَّه عاب أبا عمر على ماذكَر فى قصة أبى مِحجن أنَّه كان منهمكاً فى الشَّراب ، فقال : كان يكفيه ذكر حدِّهِ عليه ، والسكوتُ عنه أليق . والأَولى فى أمره ما أخرجه سَيف (فى الفتوح) : أنَّ امرأَةَ سعدٍ سألَته فيمَا حُبس[١] ؟ فقال : والله ما حُبِسْتُ على حرامٍ أكلته ولا شربته ، ولكنِّى كنتُ صاحب شرابٍ فى الجاهلية ، فجرى كثيراً على لسانى وصفُها ، فحبسنى بذلك ، فأَعلَمتُ بذلك سعدًا فقال : اذهب فما أنا بمؤاخِذِك بشئ تقوله حتَّى تفعله .

قال ابن حجر : وسيفٌ ضعيف ، والروايات التى ذكروها أقوى وأَشهر . وأَنكر ابن فتحون قولَ من روى أنَّ سعداً أبطل عنه الحدَّ وقال : لا يُظَنُّ هذا بسعد ! ثم قال : لكن له وجه حسن ولم يذكروه . وكأَنَّه أراد أنَّ سعدًا أرادَ بقوله لا يَجلدهُ فى الخمر[٢] بشرطٍ أضمره ، وهو إنْ ثبتَ عليه أنَّه يشربها . فوفَّقه الله أنْ تاب توبةً نصوحاً فلم يَعُدْ إليها ، كما فى بقية القصَّة .

وقوله فى القصة : « الضَّبر ضَبْر البلقاءِ » هو بالضاد المعجمة والباءِ الموحَّدة : عَدْو الفرس . ومن قاله بالصاد المهملة فقد صحَّف . نبَّه عليه ابن فتحون . ٥٥٦

تتمة

سمَّاه الآمدىُّ (فى المؤتلف والمختلف) على خلاف ما تقدَّم مع بعض تغيير فى أسماءِ آبائه . قال : هو حبيب بن عمرو بن عُمير بنَ عوف بن عُقْدة بن غِيَرة الثقفى . وهو شاعرٌ فارس ، وهو القائل :

(١) وكذا فى الإصابة بإبقاء الألف ، وهى لغة قرئ بها : « عما يتساءلون » . وفى ش : « فيم حبس » .

(٢) ط : « لاتجلده » ، صوابه فى ش والإصابة . وانظر ماسبق فى ص ٤٠٨ .

لمَّا رأينا خيلاً محجَّلةَ وقومَ بغْيٍ فى جَحفل لجبِ [(١)]
طِرنا إليهم بكلِّ سَلهبة وكلِّ صافى الأديم كالذهبِ
وكلِّ عَرّاصةٍ مثقَّفة فيها سِنانٌ كشُعلة اللَّهبِ
وكل عضْبٍ فى مَتنه أُثُرٌ ومشرفىٍّ كالملح ذى شُطَبِ [(٢)]
وكلِّ فضفاضة مضاعفة من نسج داودَ غير مؤتشَبِ
لمَّا التقينا ماتَ الكلام ودا رَ الموتُ دَورَ الرَّحى على القُطُبِ
فَكُلُّنا يستكيص صاحبَه عن نفسه ، والنفوسُ فى كُرَبِ [(٣)]
إن حملوا لم نَرِمْ مواضعَنا وإنْ حمَلْنا جثَوْا على الرُّكبِ

انتهى . وهذا الشعر لم يروه ابن الأعرابى وابن السكيت (فى ديوانه) .

وحَبيب بالحاء المهملة المفتوحة ، أورده الآمدى مكبَّراً اسماً لخمسة شعراء ، أحدهم أبو محجن . ثم قال : وأما حُبَيب بالتصغير فهو حُبيْب ابن تميم المجاشعى . وأورد له شعراً .

وبعد أن نقل العينى الخلاف فى اسمه هل هو مالك بن حَبيب أو عبد الله بن حبيب قال : وضُبط عن أبى عُمر « حُبيْب » مصغَّراً . وتبعه السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) على هذا الضبط . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد السبمائة [(٤)] :

---

(١) المؤتلف للآمدى ٩٥ – ٩٦ .
(٢) الأثر بضمتين ، وبضمة ، وبفتحتين وبفتحة، وبالكسر أيضاً، وهو فرند السيف ومائه .
(٣) يقال كاص يكيص كيصا وكيصا ، وكيوصا : كع وجبن وضعف . وفى المؤتلف : « يستليس » .
(٤) ديوان النابغة ٤٨ من مجموع خمسة دواوين. وانظر لقصة الشعر ديوانه، والحيوان ٤ : ٢٠٣ – ٢٠٥ والشعراء ١١٢ – ١١٣ والمحاسن والمساوى ٢ : ١٣٤ وأمثال الميدانى ١ : ٨٢ ومروج الذهب ٢ : ١٢٩ وحياة الحيوان للدميرى ١ : ٤١٦ .

٦٤١ (فلما رأى أنْ ثَمَّرَ اللهُ مـالَه
وأَثَّل موجـودًا وسَدَّ مفاقِرَهْ)

على أَنَّ الفراءَ وابنَ الأَنبارى جوَّزا وقوعَ أَن المصدرية بعد فعل علم غير مؤوَّل بالظن ، كما فى البيت ، فإِنَّ رأى فيه عِلْمية . ويجوز أَن تكون فيه مخفَّفة ، من غير فصل بينها وبين ثَمَّر على الشذوذ . فأَنْ وما بعدها فى تأْويل مصدر سادٍّ مسدَّ مفعولى رأى ، إلاَّ أَنَّها فى القول الثانى مخفَّفة واسمها ضمير شأْنٍ محذوف ، وجملة ثمر الله خبرها .

ولم يتعرَّض لكون رأى بَصَرِّية فتكون أَنْ هى المصدرية الداخلةَ على الفعل ، لأَنَّ ذلك لا يجوز ، لأَنَّ التثمير أَمر معنوىٌّ غير مُدرَك بحاسَّة العين ، ومعناه التكثير .

قال صاحب الصحاح : وأَثمر الرجلُ بالمثلثة ، أَى كَثُرَ ماله . وثَمَّرَ الله ماله ، أَى كثَّرهُ .

ففاعل رأَى ضمير الحليف ، أَى المعاهد فى بيتٍ قبله .

(وأَثَّل) أَى أَصَّل وثبَّت . والتأْثيل : التأْصيل والتثبيت .

قال صاحب الصحاح : يقال سدَّ الله مفاقره ، أَى أَغناه وسدَّ وجوه فقره . انتهى . فيكون جمعَ مَفْقَر كجعافر جمع جعفر . والمفقَر : مكان الفقر وجهتُه .

وجواب لمَّا فى بيت بعده .

والبيت من قصيدة للنابغة الذبيانىِّ يعاتب بها بنى مُرّة فيما كان بينه وبين يزيد بن سنان بن أَبى حارثة ، واجتماع قومه عليه ،وطواعيتهم

له ، وطلبه بحوائجهم عند الملوك . وكان النابغة يُحسَد كثيراً ، وكان عفيفاً شريفاً فى قومه . وهذا أوّلها :

٥٥٧

(ألا أبلغا ذبيانَ عنّى رسالةً
فقد أصبحَتْ عن منهج القَصْد جائرَه

أجِدَّكُمُ لم تَزجُروا عن ظُلامةٍ
سفيهاً ، ولن تَرعَوْا لذى الوُدِّ آصِرَه

فلَو شهدتْ سهمٌ وأفناءُ مالك
فتعذِرَنى من مُرَّةَ المتناصرَه[1])

إلى أن قال بعد بيتين :

(فإنْ يكُ مولانا تجانَفَ نصرُه
وأسلمنَا لِمُرَّةَ المتظاهرَه

فإنّى لألقَى من ذوى الضِّغن منهمُ
بِلا عثرةٍ ، والنفسُ لابدَّ عاثره

كما لقِيَتْ ذاتُ الصَّفا من حَليفها
وكانت تَديهِ المالَ غِبًّا وظاهرَه

تَذكّرَ أنّى يجعَلُ اللهَ جُنّةً
فيصبحَ ذا مالٍ ويقتلَ واترَه

فلما رأى أنْ ثمّرَ اللهُ مالَه
وأثّلَ موجودًا وسَدَّ مَفاقِرَه

أكبَّ على فَأسٍ يُحِدُّ غرابَها
مذكَّرةٍ من المَعَاول باتره

(١) وكذا فى الديوان . وفى الحيوان « أليس لنا مولى يحب سراحنا فيعذرنا » .

فلمَّا وقاها الله ضربةَ فأْسِهِ
وللبرِّ عينٌ ما تغمِّض ناظرَه

تنـدَّم لما فاته الذَّحلُ عِندها
وكانت له إذ خاسَ بالعهد قاهِرَه

فقال تعالَىْ نجعلِ اللهَ بيننا
على مالِنا أو تُنجزى لىَ آخرَه

فقالت يمينُ الله أفعلُ ، إنَّنى
رأيتُكَ مسحورًا يمينُك فاجِره

أبَى لِىَ قبرٌ لا يزال مُقابِلى
وضربةُ فَأْسٍ فوق رأْسىَ فاقره)

وهذا آخر القصيدة .

والآصرة : القرابة . يقال : فلانٌ ما تأْصره علىّ آصرةٌ ، أى لا تَعطِفه علىّ رَحِمَ . وسهمٌ هو ابن مُرّة بن عوفِ الذُّبيانى . ومالك هو أخو سهم ، قبيلتان . ولهذا قال « المتناصره » أى التى ينصُر بعضها بعضاً . وتجانَفَ: تمايل . والمتظاهرة : التى صار كلٌّ منهم ظهيرًا ومعيناً للآخَر . والضِّغن : الحقد . وذاتُ الصَّفا هى الحيَّة كما يأْتى شرحها . والحليف : المُعاهَد . وقوله : « وكانت تديه المالَ » إلخ روى الأصمعى بدله :

* وما انفكَّت الأَمثالُ فى الناس سائره *

وقال : تلك الرواية منحولة ، لأَنَّك تقول وديت فلاناً ، للمقتول نفسِه ، ولا تقول وديت وليَّهُ ولا أهلَه . ووَدَى فلانٌ فلاناً : أَعطَى ديَتَه . وغِبًّا ، أى تعطيه من الدِّية فى يوم ولا تعطيه فى اليوم الثانى . والغِبُّ

بالكسر : فَصلُ الفعل وتركه بيومٍ[١] بين فعلٍ يومين . ومنه حُمَّى الغِبّ ، إذا أتت يوماً وتركت يوماً . والظاهرة : البارزة غير مختفية[٢] ، وقيل الظاهرة التى تشرب كلَّ يوم .

وروى أبو عبيدة بدل البيت :

(فواثَقَها بالله حينَ تراضيا فكانت تديه المالَ غِبًّا وظاهره)

وقوله : « تذكر » فاعله ضمير الحليف. وأنَّى بمعنى كيف . والجُنَّة بضم الجيم : الوقاية . والواتر : الذى عنده الثأْر ، من الوَتْر بفتح الواو عند قوم وكسرها عند آخرين، وهو الذَّحْل والثأْر . وقوله : « فلما رأى » فاعله ضمير الحليف . وقوله : « أكبَّ » هو جوابُ لمَّا . يقال أكبَّ على كذا ، أى لازمَه . ويُحدُّ : مضارع أحدَّه ، أى جعله حديدًا قاطعاً . والغُراب ، بضم المعجمة : رأس الفأْس القائم ؛ ولها رأسان ، فالرأس العريض يقال له قَدُوم، والآخر يقال له غُراب . قال صاحب الصحاح : الذَّكر من الحديد : خلاف الأنيث . وسيف ذكَرٌ ومُذكَّر ، بفتح الكاف المشدودة ، أى ذو ماءٍ . وقال أبو عبيد : هى سيوفٌ شَفَراتها حديدٌ ذكَرٌ ومتونها أنيث. قال : ويقول الناس إنَّها من عمل الجنِّ . انتهى .

٥٥٨

والذكر هو الفُولاذ والصُّلب . والأَنيث ، هو الحديد المعروف . والمعاول : جمع مِعْول بِكسر الميم وفتح الواو ، وهى الفأْس العظيمة التى يُنقَر بها الصَّخر . والباترة : القاطعة . والذَّحل ، بفتح الذال المعجمة وسكون الحاء المهملة : الثَّأْر والحقد . وكانت ، أى الحيَّة .

---

(١) ط : « يقوم » .
(٢) كذا فى النسختين .

وخاس بالعهد بإعجام الأَوَّل وإهمال الآخِر ، بمعنى غَدَر به . وأراد بقَهرِها إيّاه قطعَ العطيَّة من الدِّية . أَو تنجزى : إلى أن تنجرى .

وقوله : « يمينَ الله أَفعل » أى أَقسم يميناً بالله لا أَفعل ، أَى لا أُعطى . كما كنت أُعطيك . أَو بمعنى لا أَقبل عهدَك بعد هذا . والمسحور : المخدوع ، يقال سحره أى خدعَه وعلَّله . وأرادت : إنَّك إنسانٌ خادعٌ غدَّار . وفاقرة : قاطعة ، يقال فقر الحبلُ أَنفَ البعير ، إذا حزَّه وأثَّر فيه .

وهذه الأَبيات موقوفةٌ على سماع حكايةٍ هى من أكاذيب العرب قال أَبو عمرٍو الشَّيبانى وابنُ الأَعرابى : ذكروا أَنَّ أخوين كانا فيما مضى فى إبلٍ لهما ، فأَجدبت بلادُهما وكان قريباً منهما وادٍ يقال له عُبَيدَانُ فيه حيَّة قد أَحمته[1] فقال أَحدُهما لصاحبه : هل لك فى وادى الحيَّة فإنَّه ذو كَلإٍ ؟ فقال أَخوه : إنِّى أَخاف عليك الحيَّةَ ، أَلا ترى أَنَّ أحدًا لم يهبط ذلك الوادىَ إلَّا أَهلكَتْه ؟ فقال : والله لأَفعلنَّ ! فهبط ذلك الوادىَ فَرعى فيه إبلَه ، فبينا هو ذاتَ يومٍ فى آخرِ الإبل نائمٌ إذْ رفعت الحيَّة رأْسَها فأَبصرَتْه ، فأَتتْه فقتلتْه ثمّ دخلتْ جُحْرها ، وأَبطأَت الإبلُ على أَخيه فعَرَفَ أَنَّه قد هَلَك ، فقال : ما فى الحياة بعد أَخى خَيرٌ ، ولأَطلبنَّ الحيَّة ولأَقتلنَّها أَو لأَتبعنَّ أَخى . فهبط ذلك الوادىَ فطلب الحيَّة ليقتلَها فقالت له : أَلستَ ترى أَنِّى قد قتلت أَخاك ، فهل لك فى الصُّلح فأَدَعكَ ترعى الوادىَ فتكونَ فيه ، وأُعطيَك ما بقِيتُ دينارًا يوماً ويوماً لا ؟ قال : أَوَ فاعلةٌ أَنتِ ؟ قالت : نعم . قال : فإنِّى أَقْبَل . فحلف لها وأَعطاها المواثيق لا يضرُّها ، وجعلتْ تعطيه ماضَمِنَتْ له ، فكثر ماله ونَبتت إبلُه حتَّى صار من أَحسن

(١) كذا فى النسختين ، ويقال أحمى المكان : جعله حمى لايقرب .

الناس حالًا . ثم إنَّه ذكر أخاه ذات يوم فَدمعَتْ عيناه وقال : كيف ينفعنى العيشُ وأنا أنظرُ إلى قاتل أخى ؟ فعمَد إلى فأْس فأَحدَّها ثم قعد ، فمرَّتْ به فتبعها وضربَها فأَخطأَها ، ودخلت جُحْرها ، ووقعت الفأْس فوق جُحْرها فأَثَّرت فيه ، فلمَّا رأَت ما فَعلَ قَطعتْ عنه الدِّينار الذى كانت تعطيه ، فلمَّا رأَى ذلك تخوَّفَ شرَّها وندِم ، فقال لها : هل لكِ أن نتواثقَ ونعودَ إلى ما كنَّا عليه ؟ فقالت : « كيف أعاودُك وهذا أَثر فاسِك » ، وأنت ترى قبر أَخيك ، وأنت فاجر لا تبالى بالعهد.

وكان حديث الحيّة والفأْس من مشهور أمثال العرب .

قال أبو عبيدة : لمَّا حجَّ عبد الملك بن مروان أَوّلَ حجَّة حجَّها فى خلافته قدِم المدينةَ فخطب، فقال : يا أَهل المدينة ، والله لا تحبُّوننا ولا نحبُّكم أبداً وأنتم أَصحابُ عثمان ، إذْ نفيتمونا عن المدينة ونحن أَصحابُكم يوم الحَرَّة ، فإنَّما مثَلُنا وَمثَلُكم كما قال النابغة . وأنشد هذه الأَبياتَ من صفة الحية .

٥٥٩

ثم قال : إنَّه كانت حيَّةٌ مجاورةً رجلاً فوكعَتْه فقتلته ، ثم إنَّها دعت أَخاه إلى أن يصالحها على أن تدِىَ له أخاه ، فعاهدها ، ثم كانت تعطيه يوماً ولا تعطيه يوماً ، فلمَّا تنجَّز عامة ديَته قالت له نفسه : لو قتلتَها وقد أخذْتَ عامَّةَ الدِّيَة فيجتمعان لك ! فأَخذ فأْساً فلما خرجتْ لتعطيَه الدينارَ ضربَها على رأْسها وسبقته فأَخطأَها وندم ، فقال : تعالَىْ نتعاقد ولا نغدِر وتُنْجزى آخر دِيَتى . فقالت : أَبى الضُّلحَ القبرُ الذى بين عينيك ، والضَّربةُ التى فوق رأْسى ، فلن تحبِّنى أبداً ما رأَيتَ قبر أَخيـك ، ولن أُحبَّك ما كانت الضربة برأْسى . إنَّا لن نحبَّكم ما ذكرنا ما صنعتم بنا ، ولن تحبُّونا ماذكرتم ما صنعنا بكم . انتهى .

والنابغة شاعرٌ جاهليٌّ تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الرابع بعد المائة[١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد السمّائة[٢]

٦٤٢ (أَنْ تقرآنِ على أسماءَ ويحكُما
مِنِّى السَّلامَ وأن لا تُشعِرَا أحَدَا)

على أنَّ (أَنْ الخفيفة المصدريَّة) قد لا تنصب المضارع كما فى البيت ، إمَّا للحَمْلِ على ما المصدرية أو على المخفَّفَة. ولو نصبت لحذفت النون من تقرآن .

قال ابن جنى (فى الخصائص) : سألت أبا علىٍّ رحمه الله عنه فقال : هى مخفَّفة من الثقيلة ، كأنه : قال أنّكما تقرآن ، إلّا أنّه خفَّف من غير تعويض .

وحدَّثنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى قال : شبَّه أَنْ بما ، فلم يُعملها كما لا يُعمل ما . انتهى .

وزاد (فى سر الصناعة) : وهذا مذهب البغداديِّين . وفى هذا بُعدٌ . وذلك أنَّ (أَنْ) لا تقع إذا وُصِلت حالاً أبداً ، إنَّما هى للمضىِّ أو للاستقبال نحو : سرَّنى أن قام ، ويسرُّنى أن يقوم . ولا تقولُ يسرنى أن يقوم وهو فى حال القيام . و(مَا) إذا وُصِلتْ بالفعل وكانت مصدراً فهى للحال أبداً نحو قولك : ماتقوم حسن ، أى قيامك الذى أنت عليه حسن ، فيبعد تشبيه واحدةٍ منهما بالأُخرى وكلٌّ واحدةٍ منهما لا تقع موقع صاحبتها. قال أبو على : وأَوْلَى أَن المخففةَ من الثقيلة الفعلَ بلا عوض ضرورةً .

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ – ١٣٨ .

(٢) مجالس ثعلب ٣٩٠ والخصائص ١ : ٣٩٠ والمنصف ١ : ٢٧٨ والإنصاف ٥٦٣ وابن يعيش ٧ : ١٥ / ٨ : ١٤٣ ومغنى اللبيب ٣٠ ، ١٩٧ والعينى ٤ : ٣٨٠ والتصريح ٢ : ٢٣٢ والأشمونى ٣ : ٢٨٧ .

وهذا على كلِّ حال وإن كان فيه بعضُ الضعف ، أسهلُ مما ارتكبه الكوفيُّون . انتهى .

وكذلك قال (فى شرح تصريف المازنى) : سألت أبا على عن إثبات النون فى تقرآن بعد أن ، فقال : أنْ مخفَّفة من الثقيلة ، وأوْلاها الفعلَ بلا فصلٍ للضرورة . فهذا أيضاً من الشاذِّ عن القياس والاستعمال جميعاً ، إلَّا أنَّ الاستعمال إذا ورد بشىءٍ أُخذ به وتُرك القياس ، لأنَّ السَّماعَ يُبطل القياس . قال أبو على : لأنَّ الغرض فيما ندوِّنه من هذه الدواوين ، ونقنِّنه[1] من هذه القوانين ، إنَّما هو ليلحقَ من ليس من أهل اللُّغة بأهلها ، ويستوىَ من ليس بفصيح ومن هو فصيح . فإذا ورد السماعُ بشىءٍ لم يبق غرضٌ مطلوب ، وعُدِل عن القياس إلى السماع . انتهى .

وذهب إلى هذا ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) قال : ومنه مباشرة الفعل المضارع لأن المخفَّفة من الثقيلة وحذفُ الفَصْل ، نحو قول الشاعر ، أنشده الفرَّاءُ عن القاسم بن معنٍ قاضى الكوفة :

إنِّى زعـيمٌ يانُويْـ ـقةُ إنْ سلمتِ من الرَّزَاحِ[2]
أن تهبطين بلاد قو مٍ يَرْتَعُون من الطِّلاحِ[3]

وقولِ الآخر :

أَنْ تقرآنِ على أسماءَ ويحكما . . . البيت

(١) فى المنصف ١ : ٢٧٩ : « ونثبته » .

(٢) الرزاح ، كسحاب : شدة الضعف فى الإبل حتى تكاد تلصق بالأرض ولا يكونبها نهوض . وفى معانى الفراء ١ : ٣٦ : « منالزواح » كما فى اللسان (زوح) .

(٣) الطلاح : جمع طلحة ، وهو الواحدة من الطلح ، شبهوه بقصعة وقصاع . والطلح أعظم العضاه وأكثره ورقاً وأشده خضرة .

وقول الآخر :

إذا كان أمرُ الناس عند عجوزهم
فلا بدَّ أَنْ يلقَوْنَ كل يبابِ[١]

وقولِ ابن الدُّمينة[٢] :

ولى كبدٌ مقروحةٌ من يبيعُنى
بها كبدًا ليست بذاتِ قُروح
أَبَى النَّاسُ وَيْحَ النَّاسِ أَن يشترونها
ومن يشترى ذا علَّةٍ بصحيحِ[٣]

وقولِ الآخر[٤] :

وإنّى لأَختار القِرى طاوىَ الحشا
محاذرةً من أَنْ يُقالُ لئيمُ

قال أَبو بكر بن الأَنبارى : رواه الكسائىُّ والفراءُ عن بعض العرب برفع يقال . ولا يحسُن شئٌ من ذلك فى سَعة الكلام حتَّى يفصل بين أَن والفعل بالسين أَو سوف أَو قَدْ فى الإِيجاب ، وبلا فى النفى . فإِنْ جاءَ شئٌ منه فى الكلام حُفظ ولم يُقَس عليه ، نحو قراءة ابن مجاهد: ﴿لمن أَراد أَنْ يُتمُّ الرَّضاعة[٥]﴾ برفع يتمُّ . ومن النحوِّيين من زعم أَنَّ أَنْ فى جميع ذلك هى الناصبة للفعل ، إِلَّا أَنَّها أُهملت حملاً على المصدرية

(١) فى حواشى ش : « هكذا بخط المؤلف ، وصوابه : كل تباب » .
(٢) ديوان ابن الدمينة ٢٧ .
(٣) فى الديوان : « ويب الناس » .
(٤) هو حاتم الطائى . ديوانه ١١٤ .
(٥) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

فلم تعملْ لمشابهتها لها فى أنَّها تقدَّر مع ما بعدها بالمصدر . وما ذكرتُ[(١)] قبلُ من أنَّها مخفَّفة أولى ، وهو مذهب الفارسىِّ وابن جنِّى ، لأنَّها هى التى استقرَّ فى كلامهم ارتفاعُ الفعل المضارعِ بعدها . انتهى .

وذهب الزمخشرىُّ إلى أنَّ الرفع بعد أنْ لغةٌ . قال (فى المفصل) : وبعض العرب يرفع الفعل بعد أنْ تشبيهاً بما . قال :

أن تقرآنِ على أسماءَ ويحَكما . . . البيت

وعن ابن مجاهد : ﴿ أنْ يتمُّ الرَّضاعة ﴾ بالرَّفع . انتهى .

قال شارحه ابن يعيش : قال ابنُ جنِّى : قرأتُ على محمد بن الحسن ، عن أحمد بن يحيى قولَ الشاعر :

ياصاحبيَّ فدَتْ نفسى نفُوسَكُما ... وحيثُما كنتما لاقيتُما رَشَدا

أَنْ تحملاحاجةً لىخفَّ مَحمَلُها ... وتصنعا نِعمةً عندى بها وَيَدا

أن تقرآن . . . . البيت

فقال فى تفسير أنْ تقرآن : وعِلَّةُ رفعه أنَّه شبَّه أنْ بما فلم يُعمِلْها فى صِلتها . ومثله الآية ، وهو رأى السِّيرافى . ولعلَّ صاحب هذا الكتاب نقله من الشَّرح . وهذا رأى البغداديِّين، ولا يراه البَصريُّون . وصحَّة مَحْمَل البيت عندهم على أنَّها المخفَّفة من الثقيلة ، أى أنَّكما تقرآن . وأنْ وما بعدها فى موضع البدل من قوله حاجة ، لأنَّ حاجته قراءةُ السلام عليها . وقد استبعدوا تشبيه أنْ بما ، لأنَّ ما مصدرٌ معناه الحال ، وأنْ وما بعدها مصدرٌ إمّا ماضٍ وإمَّا مستقبَل ، على حسَب الفعل الواقع بعدها ، فلذلك لا يصحُّ أحدُهما بمعنى الآخر[(٢)] . انتهى .

---

(١) ش : « وما ذكرته » .
(٢) فى ابن يعيش ٨ : ١٤٣ : « حمل إحداهما على الأخرى » .

ونقل ابن هشام (فى المغنى) خلافَ هذا ، قال فى بحث أن المخفَّفة وقد[1] يرفع الفعل بعدها كقراءة ابن مُحيصِن : ﴿ لمن أرادَ أنْ يتمُّ الرَّضاعة ﴾ ، وكقول الشاعر :

* أن تقرآن على أسماءَ وَيْحَكما *

وزعم الكوفيون أنَّ أنْ هذه هى المخفَّفة من الثقيلة شذَّ اتِّصالها بالفعل . والصَّواب قولُ البصريين ، أنَّها أنِ الناصبة أُهمِلتْ حملاً على أختها ما المصدرية . هذا كلامه .

وقوله : « أن تحملا حاجة » فى موضع نصب بفعل مضمر دلَّ عليه ما تضمَّنه البيت الأَوَّلُ من النداءِ والدعاءِ . والمعنى : أسالكما أن تحملا . ٥٦١ وقول ابن جنى : التقدير أنَّكما تقرآن، إشارة إلى أنَّ اسم أنْ ضميرٌ محذوف ، وهو ضمير التثنية .

وقد ذهب ابن هشام (فى موضعين من المغنى) كالشَّارح المحقق . إلى أنَّها فى البيت هى الخفيفة الناصبة للمضارع ، قال فى القاعدة الحاديةَ عشرة من الباب الثامن : مِن مُلَح كلامهم تقارُضُ اللفظين فى الأَحكام ، ولذلك أمثلة منها إعطاءُ أن المصدريّة حكمَ « ما » فى الإِهمال كقوله :

أن تقرآن على أسماءَ ويحكما . . . البيت

الشاهد فى أن الأُولى[2] وليست مخفَّفة من الثقيلة ، بدليل أن المعطوفةِ عليها . وإعمالُ « ما » حمْلاً على « أنْ » كما روى من قوله عليه

(١) ش : « قد » .
(٢) ش : « ليست » بطرح الواو .

الصلاة والسلام : «كما تكونوا يولَّى عليكم » ، ذكره ابنُ الحاجب .
والمعروف فى الرواية : « كما تكونون » . انتهى .

قال الدماميني معترضاً على دليله فى الأوّل : لا مانع من عطف أَن الناصبةِ وصِلتها على أن المخفَّفة وصلتها ، إذ هو عطفُ مصدر على مصدر ولا يمنعه أَحَد ، كما تقول : عندى أَن لا تسىءُ إلى أحد وأَن تحسنَ إلى عدوِّك ، برفع تسىءُ .

واعتذر عنه الشُّمُنِّىُّ بأَنَّ المراد بالدليل هنا ما يُفيد الظنَّ والرُّجْحان وليس المراد أَنَّ ذلك دليلٌ من جهة امتناع عطف أَن الناصبة وصلتها على أن المخففة وصلتها ، ومن جهة أَنَّ الظاهر أَنَّ الثانية من نوع الأُولى، والثانية ليست خفيفةً ، فكذا الأُولى .

وقال الدماميني فى دليله بالحديث : لا حاجة إلى جعل ما ناصبه حملاً على أُختها أَنْ ، فإِنَّ فيه إثباتَ حكمٍ لها لم يثبت فى غير هذا المحلِّ، بل الفعل مرفوع ونون الرفع محذوفة . وقد سُمِع ذلك نظماً ونثراً . قال الشاعر :

* أَبيت أَسرى وتبيتى تدلكى[1] *

أى : وتبيتين تدلكين . وخرَّج على ذلك مارُوى عن أَبى عمرو : ﴿ قالوا ساحران تَظَّاهرَا[2] ﴾ بتشديد الظاءِ، أى أَنتما ساحران تتظاهران،

---

(١) رجز مجهول القائل . انظر معجم شواهد العربية ٥١٥ .

(٢) الآية ٤٨ من القصص . والمراد بالساحرين : موسى وهارون ، أو موسى ومحمد ، أو عيسى ومحمد . ونسبة هذه القراءة إلى أبى عمرو لم ترد فى الإتحاف أو تفسير أبى حيان ، وإنما نسبت فى تفسير أبى حيان ٧ : ١٢٤ إلى محبوب عن الحسن ، ويحيى بن الحارث الذمارى ، وأبى حيوة ، وأبى خلاد عن اليزيدى . ونسبت فى القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١١٣ إلى يحيى الذمارى . وقال ابن خالويه : « تشديده لحن لأنه فعل ماض ، وإنما تشدد فى المضارع » ورد عليه أبو حيان بقوله : « وله تخريج فى اللسان ، وذلك أنه مضارع حذفت منه النون ، وقد جاء حذفها فى قليل من الكلام وفى الشعر » .

فحذف المبتدأو أُدغمت التاءُ فى الظاءِ وحذفت نون الرفع . وفى الحديث : « لا تَدخُلوا الجنَّةَ حتَّى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتَّى تَحَابُّوا »، فحذف النون من الفعلين المنفيَّين . فعليه يخرَّج « كما تكونوا » إن ثبتَ . ولا حاجة إلى ارتكاب أمرٍ لم يثبت .

ولم يهتد أبو البقاءِ لمرادِ الزَّمَخْشرىّ فى تشبيه أن بما .

قال تلميذه الإمام الأندلسى (فى شرح المفصَّل) : قال أبو البقاءِ : إن أراد تشبيه أن بما النافية فهو تشبيهٌ بعيد ، لأنَّ أن تقرآن فى الشعر إيجاب فهو ضدٌّ للنفى . وتشبيهُ الإثبات بالنفى بعيدٌ خصوصاً فى باب العمل والإلغاءِ . وإن أراد بما الزائدة فهو أقرب ، ويؤيِّد ذلك قراءة ابن مجاهد : ﴿ لمن أراد أن يتمُّ الرَّضاعة[1] ﴾ .

ثم قال : قلت ماذكره شيخنا خالٍ عن التحقيق ، بل المشبَّه بها ههنا ما المصدرية ، فى أنَّها تطلب[صِلة[2]] وتقدَّر معها تقدير المفرد ، فتقسيم الشيخ ضائع . ومن أراد إبطال شيء بالتقسيم فطريقُهُ أن يحصُر الأَقسام بأَسْرها ، ثم يُبطلَ قسماً قسما . والشيخ لم يفعل ذلك . واستدلالُه أيضاً بقراءة ابن مجاهد على أنَّها زائدة عجيب ، والأَجود أن يقال : إنَّها فى البيت مفسِّرة بمعنى أى ، وتكون تفسيراً للحاجة المذكورة فى البيت المتقدِّم . انتهى كلام الأَندلُسِىّ .

وهذا تخريجٌ ثالث للبيت، تبعه جماعةٌ، فجعلوا أَنْ تقرآن تفسيراً لحاجةً .

قال الشارح المحقق فى آخر الكتاب أَنْ لا تفسِّر إلَّا مفعولاً مقدَّرَ

---

(١) الآية ٢٣٣ من البقرة .
(٢) تكملة يفتقر إليها الكلام .

٥٦٢ اللفظ ، دالاً على معنى القول مؤدّياً معناه . وقد تفسِّر المفعول به الظاهر كقوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى . أَنِ اقْذِفِيهِ[1] ﴾ . انتهى .

ولا يخفى أنَّ الحمل ليس فيه معنى القول ، فلا يجوز جعل أَنْ تفسيرية . فتأَمَّلْ .

وقوله: « ياصاحبيَّ فدَتْ نفسى» إلخ الجملة الدعائية – وهى فدت نفسى إلخ ، والجملة الشرطيّة المراد بها الدُّعاءُ أيضاً وهى المصراع الثانى – ووقع الاعتراضُ بهما بين قوله ياصاحبي وبين قوله « أَن تحملا » . وأَنْ تحملا فى تأْويل مصدرٍ إمّا منصوبٍ بفعل مقدَّر هو المقصود بالنداء ، تقديره : أَسأَلكما أَن تحملا ، أَى حَمْلَ حاجة لى . وإمَّا مجرور بلام محذوفة مع فعلٍ يدُلّ على النداء ، أَى أُناديكما أَو أَدعوكُما لأَنْ تحملا . ويجوز أَن يكون مفعولاً لأَجله وعامله محذوفٌ يدلُّ عليه الدُّعاءُ لهما ، وتقديره : أَدعو لكما لأَجل حملكما حاجةً لى . وعلى هذا لا اعتراض فى الكلام ، ويكون المقصود بالنداءِ هو الجملة الدعائية .

و « المَحْمَل » بفتح الميمين: مصدر ميمى بمعنى الحمل . وعطف اليد على النِّعمة تفسيرىٌّ .

وروى شارح اللُّباب وغيرُه :

* تستوجبا مِنَّةً عندى بها وَيَدا *

وهذا يقتضى أَن يكون قوله: «أَن تحملا» شرطاً ، و « تستوجبا » جوابه . فإنْ على هذا إما مكسورة وإمّا مفتوحة وهى حرف شرط كالمكسورة ، وهو مذهب الكوفيِّين ، وتبعهم الشارح المحقق وابنُ هشام (فى المغنى) .

---

(١) الآية ٣٩ من سورة طه .

وقوله : « أَنْ تقرآن » هو إمّا بدل من قوله حاجة ، وإمّا خبر مبتدإٍ محذوف ، أى هى أن تقرآن . والجملة استئنافٌ بَيانىٌّ . كذا فى شرح اللباب وغيره . وقال ابن المستوفى : هو بدلٌ من قوله أن تحملا . وإن كان أَنْ تفسيريّةً فلا محلَّ لما بعدها من الإعراب .

قال الزمخشرىُّ (فى أساس البلاغة) : يقال : اقرأْ سلامى على فُلانٍ ، ولا يقال : اقرأْه منِّى السلام . انتهى .

ووجهُه أَنَّ قرأَ يتعدَّى إلى مفعول واحدٍ بنفسه ، وإلى المبلَّغ إليه بعلى . وهذا مذهب الأَصمعىّ ، قال صاحب المصباح : قال الأَصمعى : وتعديته بنفسه خطأٌ ، فلا يقال اقرأْه السلام ، لأَنَّه بمعنى اتلُ عليه . وحكى ابن القطَّاع أَنَّه يتعدى بنفسه رباعيًّا فيقال : فلانٌ يُقرِئك السَّلام . انتهى .

وما فى البيت جارٍ على كلام الأَصمعىّ ، ولا مانعَ من تعلق منِّى بتقرآن كما فهمه ابنُ المُلاَّ من نقل كلام الزمخشرى ؛ فإنَّ مراده أَنَّ قرأَ لا يتعدَّى إلى مفعولين بنفسه ، ولا يمنع من تعلُّق « مِنِّى » به إذا كان مستعملاً على ما قاله . ويجوز أَن يكون « مِنِّى » حالاً من السلام .

و (أَسماءُ) من أَعلام النساء ، ووزنه فَعْلاءُ لا أَفعال ، لأَنَّه من الوسْم[1] وهو الْحُسن ، فهمزته بدل من الواو .

وجملة (ويحكما) معترضة . ووَيْحَ : كلمة ترحُّم ورأفة ، وهو مصدرٌ منصوب بفعل واجب الحذف .

وهذه الأَبيات الثلاثة قلَّما خلا عنها كتابُ نحوٍ ، ومع كثرة الاستعمال لم يعزُها أَحدٌ إلى شاعر . والله أعلم .

* * *

(١) كذا فى النسختين . والوجه « الوسام » أو « الوسامة » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الستمائة[١] :

٦٣٤ (كانَ جزائى بالعَصا أنْ أُجْلَدَا)

على أن الفرَّاء استدل به على جواز تقديم معمول معمولِ أن المصدريَّة عليها[٢] ، فإنَّ قوله (بالعصا) يتعلَّق بقوله أُجلدا ، و (أُجْلَدَ) معمول أنْ .

٥٦٢ وقال البصريون : معمولُ الصلة من تمام الصلة ، فكما لا يجوز تقديم الصِّلة على أنْ ، كذلك لا يجوز تقدُّم معمولها عليها . وأجابوا عن هذا كما قال الشارح المحقق بأنَّه نادر ، أو هو متعلِّق بأُجلد مقدَّراً ، يُريد : بأن أُجلد . فاختصر .

وزاد الشارح المحقق بأنَّ قوله بالعصا خبرُ مبتدإٍ مقدَّر ، وتقديره ذلك الجزاءُ بالعصا ، والجملة اعتراضية .

وقال التبريزى[٣] (فى شرح الحاجبية[٤]) : لم يتعلَّق بالعصا بأن أجلد ، بل إمَّا بأعنى للتبيين ، أو بمثْلِ المؤخَّر ، أو بجعل كان تامَّةً

---

(١) المحتسب ٢ : ٣١٠ والمنصف ١ : ٢٩ ، ١٣٠ / ٣ : ٢٠ وابن يعيش ٩ : ١٥١ والعينى ٤ : ٤١٠ والهمع ١ : ٨٨ / ٢ : ٣ والأشمونى ٣ : ٢٨٤ وملحقات ديوان العجاج ٧٦ ليبسك .

(٢) ش : « تقديم معمول أن المصدرية عليها » ، والصواب ما أثبت من ط ، فإن « بالعصا» معمول لأجلد الذى هو معمول أن المصدرية فى هذا الشاهد .

(٣) هذا التبريزى غير التبريزى المشهور ، أبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى ، المتوفى سنة ٥٠٢ . بل هو تاج الدين أبو محمد على بن عبد الله بن أبى الحسن الأردبيلى التبريزى المتوفى سنة ٧٤٦ . قال صاحب كشف الظنون ٢ : ٢٥٣ عند الكلام على شرحه : « وهو شرح كبير كشرح الرضى » . وانظر بغية الوعاة ٣٣٩ .

(٤) أى الكافية فى النحو لابن الحاجب .

وبالعصا متعلِّقاً بها ، وأَنْ أُجلَد فى موضع رفع على أَنَّه بدل من الجزاء . انتهى .

وقال أبو على (فى الإيضاح الشِّعرىّ) : لا يمتنع أن يتقدَّم على وجه التبيين، ليس على أَنَّه متعلق بالصلة ، لم يجعلوا بالعصا متعلقا بالجَلْد، ولكن جعلوه تبييناً للجلْد ، كقوله :

* أَبَعْلِىَ هذا بالرَّحا المتقاعسُ[1] *

وقوله تعالى : ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين[2] ﴾ .

قال ابن جنى عند قول الحماسى[3] :

ولا يحمل القَوْمُ الكرامُ أخاهم الـ ـعتيدَ السِّلاحِ عنهمُ أن يُمارِسا

أَراد : فى تَرْكِ أَن يمارسَ ، فحذف « فى » أَوَّلاً ، ثم « تَرْك » ، ومعناه أن يمارس عنهم . إِلَّا أَنَّ إعرابه الآنَ يمنع من حمله عليه ، لما فى ذلك من تقديم بعض الصِّلة على الموصول . فإذا كان كذلك أَضمر لحرف الجرِّ ما يتناوله ودلَّ عليه يمارس . ومثله قول العجاج :

* كان جزائى بالعصا أَن أُجلدَا *

وقال أيضاً بعده ، عند قول الحماسى من بيت :

* والله أَعلم بالصَّمَّانِ ماجَشِمُوا[4] *

---

(١) للهذلول بن كعب العنبرى ، كما فى الحماسة ٦٩٦ بشرح المرزوقى . وانظر معجم شواهد العربية ١٩٧ . وصدره :

* تقـول وصكت صدرها بيمينها *

(٢) الآية ٢٠ من سورة يوسف .

(٣) هو حسيل بن سجيح ، كما فى الحماسة ٥٧١ بشرح المرزوقى .

(٤) لمحرز بن المكعبر لضبى ، كما فى الحماسة ٥٧٣ بشرح المرزوقى . وصدره :

* حتى أتى علم الدهنا يواعسه *

المعنى والله أعلم : ماجَشِموا بالصَّمَّان . فإنْ حملتَه على هذا كان لحناً ، لتقديم ما فى الصِّلة على الموصول . لكنْ تجعلُه تبييناً فتعلِّقه بمحذوف يدلُّ عليه الظاهر . وهو بابٌ فاعرفه .

وقد تكلَّم على التبيين بأَبسَط من هذا (فى شرح تصريف المازنى) قال : إن كان على تقدير أن أُجلد بالعصا فخطأٌ ، لأَنَّ الباءَ فى صلة أَنْ ، ومحالٌ تقديم شيءٍ من الصلة على الموصول ، ولكنَّه جعل الباءَ تبييناً ومثله قولُه تعالى : ﴿ وكانوا فيهِ من الزَّاهدين[1] ﴾ فلمَّا قدِّم جعل تبييناً فأُخرج عن الصلة . ومعنى التبيين أنْ تعلِّقه بما يدلُّ عليه معنى الكلام ، ولا تقدِّره فى الصلة ، لأَنَّ معنى البيت جلدى بالعصا . فإذا فعلتَ هذا سلم لك اللفظُ والمعنى ، ولم تقدِّم شيئاً عن موضعه الذى هو أَخصُّ بهِ ، ولا يجوز إزالتُه عنه . وليس يمتنع أن يكون تفسير المعنى مخالفاً لِتقديرِ الإعراب . أَلا ترى أَنَّ معنى قولهم : «أَهلَكَ والليل» ، معناه الحقْ بأَهلك قبل الليل ، وإنَّما تقديره فى الإعراب : الحقْ بأَهلك وسابق الليل . فكذلك أَيضاً يكون معنى الكلام كان جزائى أَن أُجلد بالعصا ، وتقديره فى الإعراب غير ذلك . وسيبويه كثيراً ما يميل فى كلامه على المعنى ، فيتخيَّل مَن لا خبرة له أَنَّه قد جاءَ بتقدير الإعراب ، فيحمله فى الإعراب عليه وهو لا يدرى ، فيكون مخطئاً وعنده أَنَّه مصيب . فإذا نوزع فى ذلك قال : هكذا قال سيبويه وغيرُه . فإذا تفطَّنت لهذا الكتاب وجدتَه كثيرًا . وأَكثر ما يستعمله فى المنصوبات فى صدر الكتاب ، لأَنَّه موضعٌ مشكلٌ وقلَّما يُهتدَى له . انتهى .

---

(١) الآية ٢٠ من سورة يوسف .

والبيت للعجاج ، كما قاله ابن جني . وقبله :

ربَّيتُه حتَّى إذا تمعْدَدا وآض نَهْداً كالحصان أَجرَدَا

كان جزائى . . . إلخ .

قال ابن جنى (فى شرح التصريف) : تمعدَد من لفظ معدٍّ بن عدنان وإنَّما كان منه لأنَّ معنى تمعدد تكلَّم بكلام مَعدٍّ، أى كبر وخَطَب[1] . هكذا قال أبو على . ومنه قول عمر : « اخشَوشِنوا وتمعدَدُوا » . قال أحمد بن يحيى : تمعددُوا ، أى كونوا على خُلُق معدّ . انتهى .

٥٦٤

وأورده الجوهرى فى (عدد) ، ونقل الخلاف فى مِيمه وقال: تمعدد الرجل أى تزيَّا بزيِّهم ، أو تنسَّب إليهم ، أو تصبَّر على عيش معدّ . وقال أبو عبيدٍ : فى أثَر عمر قولان : يقال هو من الغِلظ ، ومنه قيل للغلام إذا شبّ وغُلظ : قد تمعدد . قال الراجز :

* ربَّيته حتى إذا تمعددا *

ويقال معناه تشبَّهوا بعَيْش معدٍّ . وكانوا أهلَ قَشَف وغلظ فى المعاش . يقول : فكونوا مثلهم ودَعُوا التنعُّم وزىَّ العجم . قال : وهكذا هو فى حديث آخر: « عليكم باللِّبْسة المعدِّيّة » .اهـ .

وقال ابن دريد (فى الجمهرة): التمعدد: الشدَّة والقُوّة . وأنشد هذا الرجز ثم قال : والمِعدة من هذا اشتقاقُها . ومَعْدان : اسم رجلٍ أحسب اشتقاقه من المعدة . اهـ .

وقوله: « وآض نَهدًا » إلخ ، آض بمعنى صار . والنَّهْد ، بفتح النون وسكون الهاء : العالى المرتفع . والحِصان ، بكسر الحاء ، هو الذكر من الخيل . والأَجرد ممَّا تُمدَح به الخيل ، ومعناه القصير الشَّعَر .

---

(١) فى المنصف ٣ : ٢٠ : « خطب وكبر » .

والعجّاج تقدّمت ترجمته فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الستمائة [٢] :

٦٤٤ (وشفاءُ غَيِّكِ خابرًا أن تسألى)

على أنَّ تقدُّم خابرًا على أنْ نادر ، أو هو منصوب بفعل يدلُّ عليه المذكور ، والتقدير : تسألين خابرًا .

ولم يذكر التخريج الثانىَ فى البيت الذى قبله ؛ لأنَّه لا يتأتَّى هنا ، فإنَّ خابراً منصوب .

قال ابن السرّاج (فى الأُصول) : ولا يجوز عند الفراء إذا قلت أقوم كى تضرب زيداً : أقوم زيداً كى تضرب . والكسائُّ يُجيزه ، وينشد :

* وشفاءُ غَيِّكِ خابراً أن تسالى *

وقال الفَرَّاءُ : خابرًا حالٌ من الغىّ . ا هـ .

ونقله صاحبُ اللباب فقال : ولا يجوز : قمتُ زيداً كى أضرب ، كما لا يجوز : أُريد زيدًا أن أَضرب ، خلافاً للكسائىّ . وقولُه :

* وشفاءُ غَيِّكِ خابرًا أن تسالى *

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٠ . وفى ش : « الواحد والعشرين » .

(٢) الحماسة البصرية ٢ : ٣٧ مع نسبته إلى امرأة من سليم . وفى الأغانى ١٩ : ٩٣ قصيدة طويلة منسوبه إلى ربيعة بن مقروم منها هذا الشاهد . وهناك أبيات من الروى والعروض، ليس منها هذا البيت فى الحماسة بشرح المرزوقى ٦١ — ٦٧ .

ممَّا يعضد مذهبَه . والفراءُ يجعل المنصوب حالاً من الغى على ماحكاه ابن السَّرَّاج . اهـ .

وقول الفراءِ فى البيت لا وجهَ له ، فإنَّ خابرًا اسمُ فاعل من خبرته أَخبُره، من باب نصر ، خُبراً بالضم ، إذا علِمته . وهو بالخاءِ المعجمة والباءِ الموحَّدة . فالخابر : العالم . و (الغىّ) بفتح الغين المعجمة : مصدر غوى غَيًّا ، من باب ضرب ، أى انهمَكَ فى الجهل ، وهو خلاف الرُّشد ، والاسم الغَوَاية بالفتح .

والمصراع عجزٌ وصدره :

(هلَّا سأَلتِ وخُبْرُ قَومٍ عندَهم وشفاءُ غَيِّكِ خابرًا أَن تسأَلى[1])

وبعده :

(هَل نكرم الأَضيافَ إن نزلوا بنا ونَسُود بالمعروف غيرَ تنحُّلِ)

فلا يمكن تخريج البيت إلاَّ على ما ذكره الشارح المحقق أَو الكسائى .

ولا يصحُّ جعل خابرًا حالاً من الغى ولا من الكاف ، فإنَّ الغىَّ لا يتَّصف بالخُبْر، إذْ هو ضدُّه . وكذلك المخاطبة لا تتَّصف به لأَنَّها متَّصفة بالغى، ولعدم قوله خابرة بالتأْنيث .

٥٦٥ وقد تصحَّف على شارح اللباب لفظتان منه : الأُولى : الغَىُّ تصحَّفت عليه بالعَين المهملة المكسورة . والثانية : قوله خابرًا ، تصحَّفت عليه بجابر بالجيم ، فإنَّه قال بعد عبارة اللباب : هكذا ذكره المصنِّف ، وفيه نظر :

أَمَّا أَوّلاً فلأَنَّه يتعلق بالقصَّة ، فإن كان جابرٌ اسمَ رجل فالحقُّ ماذكره

---

(١) البيت شديد التحريف فى الحماسة البصرية . والبيت الذى بعده، وهما بيتان اثنان فقط ، سيأتى قريباً فى ص ٤٣٥ .

الكسائى ، وإن لم يكن اسم رجل جاز أن يكون فاعلاً من الجبر ، فالحقُّ ما ذكره الفراءُ . وإن كان مجهولَ الحال احتمل الوجهين .

وأما ثانياً فلأنَّ وصف الشفاء بالجبر كان أولى من وصف العِيّ به ، فإنَّ العِيَّ والعجز ليس سبب الجبْر والصَّلاح ، بل هو سبب الاختلال ، والشِّفاءُ والخلاص عَن العِيّ هو الجابر للاختلال . فلعلَّ تأْويله أنَّ العِيّ سببُ السؤالِ والحاملُ عليه ، والسؤالَ سببُ الشفاءِ والجبر . فجاز أن يُجعل العِىُّ شافيًا ، إسنادًا للأَثر إلى سبب السبب .

هذا كلامه ، وهو فى هذا معذورٌ ، لأَنَّه لم يقف على أَصل الشعر .

وقد أورد البيتَ بمصراعيه ابنُ الأَنبارىِّ والقالىُّ (فى تأْليفِهما فى المقصور والممدود) . شاهدًا للممدود المكسور أَوَّلُه ، وهو الشِّفاءُ .

ورأيت (فى الحماسة البصرية) : قالت امرأة من بنى سُلَيم :

هلاَّ سألتِ خبيرَ قَومٍ عنهمُ ... وشفاءُ عِلْمكِ خابرًا أن تسالى
يُبدى لكِ العلمَ الجلىَّ بفهمه ... فيلوحُ قبل تفكُّرٍ وتأَمُّلِ

ومثل البيتين الأَوَّلين فى المعنى وغالبِ اللفظ ، قولُ سَعْيَةَ بنِ عُرَيضٍ [1] من يهود خيبر :

إن تسأَلى بى فاسأَلى خابرًا ... فالعلم قد يُلفَى لدى السائِلِ
يُنبيكِ من كان بنا عالماً ... عنَّا ، وما العالمُ كالجاهلِ

---

(١) فى النسختين : « سعيد بن العريض » ، تحريف . وهو بفتح السين المهملة والياء المثناة التحتية ، كما فى الروض الأنف للسهيلى ١ : ١٤٢ وابن الأثير فى أسد الغابة ١ : ٦٩ — ٧٠ ٢٤١ . وانظر ماأثبتناه فى شرح الأصمعيات ٨٢ — ٨٣ . وسعية هذا هو أخو السموءل المشهور بالوفاء . وسعية لم يدرك الإسلام ، ولكن أدركه ولداه : ثعلبة وأسد ، وأسلما وحسن إسلامهما وتوفيا فى حياة رسول الله .

صاحب الشاهد — وبيت الشاهد من قصيدةٍ لربيعة بن مقروم . وبعد ذينك البيتين :

أبيات الشاهد

(ونحُلّ بالثَّغر المخوف عدوُّه ونردُّ خالَ العارض المتهلِّلِ
ونُعينُ غارمَنا ونمنعُ جارَنا ويزينُ مولًى ذكرُنا فى المحفلِ
وإذا امرؤٌ منَّا جنَى فكأنَّه مما يَخافُ على مناكب يَذبُلِ
ومتى يقمْ عند اجتماع عشيرةٍ خطباؤنا بين العشيرة يَفصِلِ[1]
وإذا الحَمَالةُ أثقلت حُمَّالَها فعلى سوائمنا ثقيلُ المَحمِلِ
ويحقُّ فى أموالنا لِحَرِيبنا حقٌّ ننوءُ به وإن لم نُسألِ[2])

ومن هذه القصيدة :

(ولقد شهدتُ الخيلَ عند طِرادها بسليمِ أوظفةِ القوائم هيكلِ
متقاذفٍ شَنِجِ النَّسا عَبْلِ الشوى سبَّاقِ أندية الجياد عَميثلِ[3]
لولا أُكفكِفُه لكاد إذا جرى منه الشَّكيمُ يدقُّ فأْس المِسْحَلِ
وإذا جرى منه الحميمُ رأيتَه يَهوى بفارسه هَوِيَّ الأَجدلِ
وإذا تُعلِّل بالسِّياط جيادُها أَعطاك نائبةً ولم يتعلَّلِ
ودعَوْا نَزَالِ فكنتُ أوَّلَ نازلٍ وعلام أَركبُه إذا لم أَنزلِ
ولقد جمعت المالَ من جمع امرئٍ ورفعتُ نفسى عن لئيم المأْكلِ
٥٦٦ ودَخلت أَبنيةَ الملوك عليهمُ ولشرُّ قولِ المرءِ مالم يَفعلِ
وأَلدَّ ذى حنَقٍ علىّ كأَنَّما تغلى عداوةُ صدره فى مِرجلِ

(١) ط : « خطابنا » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح والأغانى .
(٢) فى الأغانى : « ونحق فى أموالنا لحليفنا حقاً يبوء به » . والحريب هنا : المسلوب ماله .
(٣) فى الأغانى : « أبدية الجياد » .

أَوْجَيْتُه عنى فأبصَرَ قصدَه ... وكويته فوقَ النَّواظرِ من عَلِ[1]

وأخى محافظةٍ عَصَى عُذَّاله ... وأطاع لذَّته مُعِمٍّ مُخولِ

هَشٍّ يَرَاحُ إلى الندى نبَّهتُه ... والصُّبحُ ساطعُ لونه لم يَنجَلِ

فأتَيت حانوتًا به فصَبَحْتُه ... من عاتقٍ بمزاجها لم تُقتَلِ

صهباءَ صافيةِ القذى أغلَى بها ... يَسَرٌ كريمُ الخِيم غير مبخَّلِ

ولقد أصبتُ من المعيشةِ لِينَها ... وأصابنى منه الزَّمانُ بكلكلِ

فإذا وذاك كأنَّه مالم يكن ... إلَّا تذكُّرُه لمن لم يجهلِ

ولقد أتت مائةٌ علىَّ أعُدُّها ... حَولاً فَحولاً لوْ بلاها مبتلى[2]

فإذا الشباب كمِبذَلٍ أنضيتُه ... والدَّهر يُبلِى كلَّ جِدَّةِ مِبذلِ)

ومن هذه القصيدة فى وصف امرأة ، روى صاحب الأغانى بسنده إلى الهيثم بن عدىٍّ ، عن حمّادٍ الراوية قال :

دخلت على الوليد بن يزيد وهو مصطبحٌ ، وبين يديه مَعبدٌ، ومالك ، وابن عائشة ، وأبو كامل ، وحكيمٌ الوادىُّ ، وعُمَر الوادىُّ ، يغنُّونَه ، وعلى رأسه وصيفةٌ تَسقيه، لم أر مثلَها تماماً وكمالاً وجمالاً ، فقال لى : يا حمَّاد ، إنى أَمَرت هؤلاءِ أن يغنُّوا صوتاً يوافقُ صفة هذه الوصيفة ، وجعلتُها لمن وافق صفتَها نِحلةً[3] ، فما أتانى واحدٌ منهم بشىء ،

---

(١) فى الأغانى : « أرجيته » بالراء . وقال المرزوقى : « ذكر بعض المتأخرين ، فى أرجيته ، أن الرواية الصحيحة : أوجيته ، وما عداه تصحيف . قال : وهو أفعلته من الوجى. وإنما أوجب ذلك ليكون لفق قوله بزعمه : وكويته» .

(٢) بلاها : اختبرها فعرفها . وفى ط : « لابلاها » ، تحريف . صوابه فى ش . وفى الأغانى : « إن بلاها » .

(٣) النحلة ، بالكسر : : الهبة والعطية .

فأَنشِدنى أَنت ما يوافقُ صفتَها وهى لك . فأَنشدته قول ربيعة بن مقروم الضَّبِّىّ :

شماءُ واضحة العوارضِ طَفلةٌ كالبدر من خَلَل السحاب المنجلِى

وكأَنَّ فاهاً بعد ماطرقَ الكرى كأْسٌ تُصفَّق بالرَّحيق السَّلسلِ

لو أَنّها عرضَت لأَشمطَ راهبٍ فى رأْس مشرفةِ الذُّرَى، متبتِّلِ [١]

لصبَا لبهجتها وطِيبِ حديثها ولهمَّ من ناموسِهِ بتنزُّلِ

فقال الوليد : أَصبتَ وصفها فاخترْها أَو أَلفَ دينارٍ . فاخترت الأَلفَ الدِّينار [٢] .

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيِّده . فمن مختارها ونادرها قوله :

بل إن تَرَىْ شَمَطًا تَفرَّعَ لمَّتى وحَنَى قناتى وارتقى فى مِسْحلى [٣]

ودَلفت من كبرٍ كأَنِّى خاتلٌ قَنَصًا ومن يَدْبِبْ لصيدٍ يختِلِ

ولقد أُرَى حَسَنَ القناةِ قويمَها كالنَّصل أخلصَه جِلاءُ الصَّيقلِ [٤]

ربيعة بن مقروم

وربيعة هو ابن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عَمرو بن غَيْظ بن السِّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبَّة بن أُدّ بن طابخة ابن الياس بن مضر بن نزار .

---

(١) بين هذا البيت وتاليه فى الأغانى ١٩ : ٩٢ :

جآر ساعات النيـــــام لربه حتى تخدد خمه مستعمـــــل

(٢) فى النسختين : « الألف دينار » ، صوابه فى الأغانى ، لعدم جواز إضافة مافيه أل إلى ماهو نكرة . وانظر الأشمونى ٢ : ٢٤٥ والهمع ٢ : ٤٨ .

(٣) فى ط والأغانى : « شمطاء تفرع » صوابه فى ش . والشمط : بياض الرأس يخالط سواده . تفرعها : علاها . والمسحل : واحد المسحلين ، وهما جانبا اللحية . وفى النسختين والأغانى أيضاً : « مسحل » ، ووجه كتابتها بالياء كما أثبت .

(٤) الأبيات من أصوات الأغانى ١٩ : ٩٢ ولها رابع فى الأغانى :

أزمان إذ أنا ، والجديد إلى بلى تصبى الغوانى ميعتى وتنقـــلى

وهو شاعرٌ مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان ممَّن أصفقَ عليه كسرى[١] ثم عاش فى الإسلام زماناً[٢] . كذا فى الأغانى .

وزاد على هذا ابن الانبارى (فى شرح المفضليات) : وهو مُسْلِمٌ وشهد القادسيَّة .

وزاد ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء): شهد القادسية وجَلولاءَ . وهو من شعراء مضر المعدودين . ٥٦٧

وقد ذكره ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة) ونقل عن المرزُبانىّ[٣] أنَّه قال : كان ربيعة بن مقروم أحَدَ شعراءِ مضر فى الجاهلية والإسلام ، ثم أسلم وشهد القادسية وغيرَها من الفتُوح ، وعاش مائة سنة .

وأما البيتان الأخيران فهما من قصيدة جيِّدة أيضا لسَعْيَة[٤] بن عُرَيض اليهودى الخَيْبرىّ ، وهو أخو السموءَل بنِ عُرَيض بن عادِياءَ ، الذى يضرب به المثل فى الوفاء . وأوَّل القصيدة :

لُبَابُ يا أُختَ بنى مالكٍ ... لا تَشترى العاجلَ بالآجلِ
لُبابُ هل عندكِ من نائلٍ ... لعاشق ذى حاجة سائلِ
عَلَّلتِهِ مِنكِ بما لم يَنَلْ ... يا رُبَّما عَلَّلتِ بالباطلِ

---

(١) إشارة إلى يوم الصفقة الذى نكل فيه كسرى ببنى تميم،فأخذ أموالهم وسبى ذراريهم بمدينة هجر من أرض البحرين ، لأنهم كانوا قد أغاروا على لطيمة له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير ، فسميت تلك الوقعة يوم الصفقة . وانظر خبر اليوم فى ياقوت (الصفقة) والعقد ٥ : ٣٢٤ والأغانى ١٦ : ٧٥ / ٢٠ : ١٣٥ والعمدة ٢ : ١٦٩ والميدانى ٢ : ٣٥٣

(٢) ش : « ثم عاش زماناً » .

(٣) ط ، ش : « المرزبان » ، صوابه فى الإصابة .

(٤) فى النسختين : « لسعيد » ، صوابه ما أثبت . وانظر ماسبق فى حواشى ٤٣٥ .

لُبابُ داوِينى ولا تقتُلى قد فُضِّل الشافى على القاتلِ
إن تسأَلى بى فاسأَلى خابرًا فالعلمُ قد يُلفَى لدى السَّائلِ
يُنبيكِ من كان بنا عالماً عنَّا ، وما العالمُ كالجاهلِ
إنَّا إذا جارَت دَوَاعى الهوَى وأنصتَ السامعُ للقائلِ
واعتلج القوْم بألبابهم فى المنطق الفائلِ والفاصل[1]
لا نجعل الباطلَ حقًّا ولا نُلِطُّ دُونَ الحقِّ بالباطلِ
تخاف أن تَسفَه أحلامُنا فنخْمُلَ الدَّهرَ مَع الخاملِ

روى صاحب الأَغانى بسنده إلى العتبى قال : كان معاوية يتمثَّل كثيراً إذا اجتمع الناس فى مجلسه بهذا الشعر :

* إنَّا إذا مالت دواعِى الهوى *

الأَبيات الأَربعة :

روى أَيضاً بسنده إلى يوسف بن الماجشون قال : كان عبد الملك ابن مروان إذا جلسَ للقضاءِ بين الناس أَقامَ وصيفاً على رأْسه ينشده :

إنَّا إذا مالت دَواعى الهوى وأَنصتَ السامعُ للقائلِ
واصطرعَ القومُ بأَلبابهم نقضى بحكمٍ فاصل عادِلِ

مع البيتين الآخرين ، ثم يجتهد عبدُ الملك فى الحقِّ بين الخَصمين[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأَربعون بعد الستّمائة[3] :

٦٤٥ (يرجِّى المرءُ مالا أَن يُلاقِى وتَعرِضُ دونَ أَدناه الخُطوبُ)

---

(١) الفائل : الخاطىء الضعيف . فال يفيل فيولا وفيالة وفيلولة .
(٢) الأَغانى ١٩ : ١٠١ .
(٣) نوادر أَبى زيد ٦٠ ومغنى اللبيب ٢٥ وشرح شواهد المغنى ٣٢ والتصريح ٢ : ٢٣ والهمع ١ : ١٢٥ .

على أنَّ الخليل قال : أصل لَنْ : لا أن ، كما جاءت فى البيت ، على أصلها ، بدليل أنَّ المعنى فيهما واحد ، فحذفت الهمزةُ تخفيفًا لكثرة الاستعمال ، كما حذفت من قولهم : ويْلُمِّه ، والأَصل ويلُ أُمِّه ، فلما حذفت الهمزة التقى ساكنان : أَلفُ لا ونون أَن ، فحذفت الأَلف لدفع التقاءِ السا كنَين ، فصار : لَنْ .

وهذا مذهب الكسائى أيضاً . وردَّه سيبويه بما ذكره الشارح المحقّق .

والمشهور فى رواية البيت :

* يرجِّى المرءُ ما إن لا يلاقى *

بتقديم إن المكسورة الهمزة على لا ، وهى زائدة .

وبه استشهد صاحب الكشَّاف والقاضى البيضاوىُّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ولَقَدْ مَكَّنَّاهُم فِى مَا إن مَكَّنَّاكُمْ فيه[1] ﴾ على أن إن فى الآية صلة كما فى البيت . ٥٦٨

ومثله لابن هشام (فى المغنى) قال : وقد تزاد إن بعد « ما » الموصولة الاسميّة . وأنشد البيت .

ولم يذكر الزمخشرى (فى المفصل) زيادة إن هذه إلَّا بعد ما النافية ثم قال : وقد يقال : انتظِرْنى ما إن جلس القاضى ، أى مُدَّةَ جلوسه .

وصرَّح ابن الحاجب بقلَّتها بعدها .

وهذه الرواية هى رواية أَبى زيد وابن الأَعرابىّ (فى نوادرهما) ، وأَنشداه بين بيتين ، والأَصل :

(فإن أُمسِك فإنَّ العيش حلْوٌ إلَىَّ كأَنَّه عسلٌ مَشوبُ

(١) الآية ٢٦ من سورة الأحقاف .

يرجّى العبدُ ما أَن لا يراه وتَعرِضُ دون أدناه الخطوبُ
وما يدرى الحريصُ علامَ يُلقِى شَراشِرَه أَيخطِئُ أم يصيبُ)

قال أَبو زيد : قوله : إلىَّ فى معنى عندى . والشَّراشِر : الثِّقْل ثِقْل النفس . انتهى

وقال [أَبو] الحسن الأَخفش (فى شرح نوادر أَبى زيد) : وروى أَبو حاتم : « مالا إن يلاقى » بتأْخير إن المكسورة الهمزة . وروايةُ « ما إن لا يلاقى » بتقديم إن المكسورة غلط ، والصواب : « ما أَن لا يلاقى » ، بفتحها ، وهى زائدة ، تزاد فى الإيجاب مفتوحة ، وفى النفى مكسورة[1] . تقول : لمَّا أَن جاءَنى زيدٌ أَعطيته ، قال الله تعالى : ﴿ فلمَّا أَن جاءَ البَشِير[2] ﴾ . وتقول فى النفى : ما زيد منطلقاً ، فإذا زدت إن قلت ما إن زيد منطلق ، فإنْ كافَّةٌ لما عن العمل . ونظير هذا قولك : إنَّ زيداً منطلق ، ثم تقول : إنَّما زيد منطلق ، فكفَّت ما الزائدة إنَّ عن العمل كما كفت إنْ ما النافيةَ . وهذا تمثيلُ الخليل . فلمَّا قال « ما أَن لايلاقى » فنظر إلى ما ، الذى روى هذه الرواية ، ظَنَّها[3] النافية . وهذه بمعنى الذى فلا تكون أَن بعدها إلَّا مفتوحة . ورواية أَبى حاتم : « ما لا إن يلاقى » صحيحة ، لأَنَّ لا فى النفى بمنزلة ما ، وإن كانت إن لا تكاد تزاد بعد لا . انتهى .

وهذا خلافُ ما نقله الشارح المحقِّق عن الخليل ، وهو المخطئُ فى النَّقل والتَّخطئة . ودعواه أَنَّ إن المكسورة لا تزاد بعد ما الموصولة مردودة

---

(١) فى النوادر : « وإن زائدة ، وهى تزداد فى الإيجاب مفتوحة وفى النفى مكسورة » . وكلمة « تزاد » ساقطة من ش .

(٢) الآية ٩٦ من سورة يوسف .

(٣) ط : « فظنها » صوابه فى ش والنوادر ٦١ .

فإنَّها تزاد بعد ما المصدرية وغيرها أيضاً . قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : ومن زيادة إن المكسورة الهمزة فى الضرورة قولُ الشاعر ، أنشده سيبويه :

ورجِّ الفتى للخَيْر ما إن رأيتَه   على السنِّ خيرًا لا يزالُ يزيدُ[1]

فزاد إن بعد ما المصدرية وليست بنافيةٍ ، تشبيهاً لها بما النافية . ألا ترى أنَّ المعنى : ورجِّ الفتى للخير مدَّة رؤيتك إيَّاه لا يزال يزيدُ خيرًا على السِّنّ . لكن لمَّا كان لفظُها كلفظ ما النافية زادها بعدها ، كما تزاد بعد ما النافية ، فى نحو قولك : ما إن قام زيد . وقولِ الآخر أنشده أبو زيد :

يرجى المرءُ ما إن لا يلاقى ...... البيت

فزاد إن بعد ما ، وهى اسم موصول ، لشبهها باللفظ بما النافية . وقول النابغة فى إحدى الروايتين .

إلاَّ الأَوارىَّ لا إن ما أُبيِّنُها ..... البيت

فزاد إن بعد لا لشبهها بما من حيث كانتا للنفى . وزعم الفرَّاءُ أنَّ لا وإن وما حروف نفى ، وأنَّ النَّابغة جمع بينها على طريق التأْكيد. انتهى.

وقال ابن هشام (فى المغنى) : وقد تزاد بعد ما الموصولة الاسمية وبعد ما المصدرية ، وأورد البيتين المتقدمين ، ثم قال : وبعد ألا الاستفتاحيّة :

ألا إنْ سَرَى ليلِى فبتُّ كئيبًا   أُحاذِر أن تنأَى النَّوى بغَضُوبا[2]

٥٦٩

(١) كتاب سيبويه ٢ : ٣٠٦ ومعجم شواهد العربية ١٠٣ وهو للمعلوط بن بدل .
(٢) المغنى ٢٢ وشرح شواهد المغنى ٣٢ والهمع ١ : ١٢٤ .

وقَبْلَ مَدَّةِ الإنكار ، سمع [سيبويه[١]] رجلا يقال له : أتخرج إن أخصبتِ البادية ؟ فقال : أنا إنيه ! منكرًا أن يكون رأيه على غير ذلك[٢] . انتهى

وقوله : « فإن أُمسِكْ فإنَّ العيش حُلوٌ » الخ ، أُمسك مضارع أَمسَكَ . قال صاحب المصباح : أَمسكته بيدى إمساكاً : قبضته باليد . وأَمسكت عن الأَمر : كففت عنه . وأَمسكَ اللهُ الغيثَ : حبسه ومنَع نزوله . انتهى .

ولم يذكر الشاعر صلة أُمسك ، فمعناه متوقِّف على ما قبله . وقوله « مشوب » أَى مخلوط بالماءِ . قال صاحب المصباح : شابه شَوبا : خَلَطه ، مثل شَوْب اللبن بالماءِ ، فهو مشوب . والعرب تسمِّى العسل شَوْباً ؛ لأَنَّه عندهم مزاجٌ للأَشربة .

وقوله : « يرجِّى المرءُ » إلخ ، روى بدل المرءُ (العبدُ) وهو عبد الخِلْقة . ويرجِّى بمعنى يأْمُل ، وهو مبالغةُ رجاه يرجوه رُجُوًّا على فعول ، والاسم الرَّجاءُ بالمد . ورجَيْته أَرجيه من باب رمى ، لغة . كذا فى المصباح .

وقد حذف العائد إلى ما الموصولة من قوله (لا يلاقى) ، والأَصل لا يلاقيه ، وروى بدله : (لا يراه) ، فالهاءُ هى العائد .

و (تَعرض) إمَّا من عرضت له بسُوءٍ أَى تعرَّضت ، من باب ضرب ، وبابُ تعب لغة . وفى النهى : لا تَعْرِض له بكسر الراءِ وفتحها ، أَى لا تعترض له فتمنعه باعتراضك أَن يبلغ مراده ؛ لأَنَّه يقال سِرت فعَرَض لى فى الطريق عارضٌ من جبل ونحوه ، أَى مانع يمنع من المضىِّ . واعترض

---

(١) التكملة من المغنى . وانظر سيبويه ١ : ٤٠٦ و ٢ : ٤٢٠ من نسختى .
(٢) فى سيبويه : « منكراً لرأيه أن يكون على خلاف أن يخرج » .

لى بمعناه . ومنه اعتراضات الفقهاء ، لأنَّها تمنع من التمسُّك بالدَّليل .
وإمَّا مِنْ عرضَ له أمرٌ، إذا ظهر، من باب ضَرب أيضاً . ويحتمل أن
تكون « تَعرُض » بضم الراء ، من عرُض الشيءُ بالضم عِرَضاً كعنب
وعَراضةً[1] بالفتح : اتَّسع عَرضه وتباعَدَ حاشيتُه ، فهو عريض .

و (أدناه) : أقربه ، أفعل تفضيل من الدنوِّ وهو القُرب .

(والخطوب) : جمع خطب . قال صاحب المصباح : والخطب :
الأَمر الشديد يَنزِل ، والجمع خطوب ، مثل فلس وفلوس . انتهى .

وقيل الخطب هو الشَّأن والأَمر ، عظُم أو صغر . وقال الدَّماميني (فى
الحاشية الهندية) : هو سَبَب الأَمر ، يقال : ما خطبك؟ أى ما سببُ أمرك
الذى أنت عليه. وغلب استعمالُ الخطوب فى الأُمورِ الشَّاقَّة الصَّعبة . انتهى .

وهذه الأَبيات الثلاثة نسبها أبو زيد إلى جابر بن رألان الطائى ، قال : وهو شاعرٌ جاهلى . وكذا نسبها ابن الأَعرابى (فى نوادره) ثم
قال : ويقال إنَّها لإياس بن الأَرتِّ .

جابر بن رألان

ورألان بالراءِ المهملة بعدها همزة ساكنة . وإياس بكسر الهمزة بعدها
مثناة تحتية . والأَرتُّ بالمثناة ، قال صاحب الصحاح : الرُّتَّةُ بالضم :
العُجمة فى الكلام. ورجلٌ أرتُّ بيِّن الرَّتَت، وفى لسانه رُتَّة، وأَرتَّه الله.

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأَربعون بعد الستمائة[2] :

٦٤٦ (إِذَنْ لقَامَ بنصرى مَعشرٌ خُشُنٌ)

على أَن (إذن) تدخل فى الماضى كما فى البيت .

(١) ط : « وإعراضة » ، صوابه فى ش والمغنى وابن يعيش ١ : ٨٢ / ٩ : ١٣ ، ٦٩ ـ
(٢) الخصائص ٢ : ٢٧ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٨٨ وابن يعيش ١ : ٢/ ٩ : ١٣ ، ٦٩
والحماسة بشرح المرزوق ٢٥ .

والمصراع من أبياتٍ فى أول الحماسة ، وقبله :

(لو كنتُ من مازنٍ لم تستَبِحْ إبلِى بنـو اللَّقيطة من ذُهْل بنِ شَيبانا
إذَنْ لقام بنصرى مَعشرٌ خُشُنٌ عند الحفيظة إنْ ذو لُوثَةٍ لانا)

قال الشارح المحقق بعد أسطر : إنَّ إذن متضمّنة لمعنى الشرط على ما حقَّقه . وإذا كانت بمعنى الشرط الماضى جاز إجراؤها مجرى لو فى إدخال اللام فى جوابها كما فى البيت . فجملة لقام إلخ جواب إذن ، كأنَّه قِيلَ : ولو استباحوا إبلى مع كونى من بنى مازن لقام بنصرى إلخ .

٥٧٠

وهذا مختار الشارح المحقِّق ومذهبُه فى إذن . وفيه ردٌّ على الإمام المرزوقى فى زعمه أنَّ قوله « لقام » جوابُ قسمٍ مقدَّر . قال : اللام فى لقام جوابُ يمين مضمَر ، والتقدير : إذن والله لقام بنصرى . وفائدة إذن هو أنَّ هذا البيت الثانى أُخرجَ مُخرجَ جواب قائلٍ قال له : ولو استباحوا ماذا كان يفعل بنو مازنٍ ؟ فقال : إذن لقام بنصرى إلخ . وإذا كان كذلك فهذا البيت جوابٌ لهذا السائل ، وجزاءٌ على فعلِ المستبيح . انتهى .

وفيه ردٌّ أيضاً لما قاله ابن جنى (فى إعراب الحماسة) قال : قوله : « إذن لقام » إلخ هو جوابُ قوله : « لو كنت من مازن » . فإن قلت : فقد أجاب لو هذه بقوله لم تستبح إبلى . قيل : قوله إذن لقام إلخ بدل من قوله لم تستبح إبلى ، وهذا كقولك: لو زرتنى لأكرمتك ، إذن لم يضعْ عندى حقُّ زيارتك . انتهى .

وتبعه جماعة ، منهم ابن يعيش (فى شرح المفصل) قال : فإذن جوابٌ لقوله : لو كنت من مازن لم تستبح إبلى ، على سبيل البدل

من قوله لم تستبح[١] إبلى ، وجزاءٌ على فعل المستبيح . انتهى .

ومنهم ابن هشام (فى المغنى) قال : الأكثر أن تكون إذن جواباً لإن ، أولو ، ظاهرتين أو مقدَّرتين .

فالأوَّل كقوله[٢] :

لئن عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها وأَمكننى منها إذَن لا أُقيلُها

وقول الحماسى : « لو كنتُ من مازن » البيتين . فقوله « إذن لقام » بدل من لم تستبح ، وبدل الجواب جواب .

والثانى : [فى[٣]] نحو أن يقال آتيك ، فتقول : إذن أُكرمك ، أى إن أتيتنى إذن أُكرمك . وقال تعالى : ﴿ ما اتَّخذَ اللهُ مِن ولَد وما كانَ مَعَهُ مِن إلٰه إذًا لَذَهبَ كلُّ إلهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بعضُهُم على بعض[٤] ﴾ : قال الفرَّاء : حيث جاءت بعدها اللام فقبلها لو مقدَّرة ، إن لم تكن ظاهرة . انتهى .

وجوَّز الإمام المرزوقىُّ أَنْ تكون إذن لقام إلخ ، جواباً ثانياً للو ، لا على البدليَّة . قال : ويجوز أَن تكون أَيضاً إذن لَقَام جوابَ لو ، كأَنَّه أُجيب بجوابين . وهذا كما تقول : لو كنتَ حُرًّا لاستقبحتَ ما يفعله العبيد إذن لاستحسنت ما يفعلهُ الأَحرار . انتهى .

وزعم ابن المُلَّا (فى شرح المغنى) أَنَّ هذا عينُ ما قاله ابن هشام أَو قريبٌ منه .

ولا يخفى أَنَّه قريبٌ منه لاعينه .

(١) ش : « لم يستبح » ، صوابه فى ط وابن يعيش ٩ : ١٤ .
(٢) هو كثير عزة . كما سيأتى فى ٤٧٣ . والبيت هو الشاهد ٦٥١ .
(٣) التكملة من ش .
(٤) الآية ٩١ من سورة المؤمنون .

وجَعْلُ ابن هشام إذن لا أُقيلها فى البيت جواباً لإن الشرطية دونَ القسم المقدَّر مخالفُ للقاعدة ، كما يأْتى بيانه قريباً عند إنشاد الشارح البيت . وإن أَراد تقدير إن ولو صناعةً يردُ عليه أَنَّه يمتنع النَّصبُ فى المثال الذى أَوردَه ، لوقوعها حشوًا ، وهو قوله : آتيك، فتقول : إذن أُكرمُك ، أَى إن أَتيتنى إذن أُكرمُك .

وما نقله عن الفرَّاءِ فيه تقصير كما يظهر من نصّ عبارته ، قال (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ أَمْ لهم نَصِيبٌ مِنَ المُلكِ فَإِذًا لا يُؤتون النَّاسَ نَقِيرًا[1] ﴾ : وإذا رأَيت فى جواب إذَنْ اللامَ فقد أَضمرت لها لَئِنْ أَو يميناً ، أَو لو . من ذلك قوله تعالى : ﴿ ما اتَّخَذَ اللهُ مِن ولد وما كان مَعَهُ مِن إلٰه إذًا لذَهَبَ كُلُّ إلٰهٍ بما خَلَقَ ﴾ والمعنى والله أَعلم : لو كان [معه[2]] إله لذهب كلُّ إلٰهٍ بما خلق . ومثله : ﴿ وإن كادُوا ليَفتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إليك لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وإذًا لاتَّخذُوكَ خَليلا[3] ﴾ ، ومعناه لو فعلت لا تَّخذوك . وكذلك قوله : ﴿ كدتَ تَركَن[4] ﴾ ثم قال : ﴿ إذًا لأَذَقْنَاكَ ﴾ معناه : لو ركنت لأَذقناك . انتهى كلامه .

٥٧١

وقوله : (معشر خشُن) : جمع خَشِن أَو أَخشَن ، وضمة الشين للإتباع ، بمعى الشديد . وأَراد بهم بنى مازن . و (اللُّوثة) بالضم : الضَّعف . وأَراد به قومه . قال ابن جنى : إن قلت أَين جواب قوله إن ذو لوثة لاَنَا ؟ قيل : محذوف دلَّ عليه قوله خُشُن ، أَى إن لان ذو لُوثة خَشُنوا هم أَو يخشنوا ، ودلَّ المفرد الذى هو خُشُنٌ على الجملة التى هى خشنوا

(١) الآية ٥٣ من سورة النساء . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٧٣ — ٢٧٤ .
(٢) التكملة من معانى القرآن .
(٣) الآية ٧٣ من سورة الإسراء .
(٤) من الآية ٧٤ فى سورة الإسراء .

أو يخشنوا ، وذلك لمشابهة اسم الفاعل وما يجرى مجراه الجملةَ ، بما فيه من الضمير[١] . انتهى .

والمشهور فى مثل هذا أنَّ المتقدِّم دليلُ الجواب المحذوف ، فيقدَّر قام بنصرى معشر خشن . وصنيع ابن جنِّى أبلغ . فتأَمَّل .

والاستباحة : أخذ الشيء مباحاً للنفس . و (قام) من القيام بالشيء والتكفُّل به . و (المعشر) : اسمٌ لجماعةٍ أمرُهم واحد .

وتقدَّم شرحهما فى شرح الأَبيات بأَوفى من هذا فى الشاهد السادس والخمسين بعد الخمسمائة[٢]

* * *

وأَنشد فيه بعده :

(نَهَيتُكَ عن طِلاَبكَ أُمَّ عمرٍو بعاقبةٍ وأنت إذٍ صَحيحُ)

وتقدَّم شرحه مفصلا فى الشاهد الثامن والتسعين بعد الأَربعمائة من باب الظروف[٣] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأَربعون بعد الستمائة[٤] :

٦٤٧ (ما إنْ أَتيتُ بشيءٍ أَنتَ تكرَهُه
إِذَنْ فلا رَفَعَتْ سَوطِى إلَىَّ يَدِى[٥]

إِذَن فعاقبَنِى ربِّى معاقبةً قرَّتْ بها عينُ مَن يأْتيكَ بالحَسَدِ)

(١) بعده عند ابن جنى فى شرح الحماسة الورقة ٧ : « وذلك نحو قولك : مررت برجل محسن إذا سئل ، شجاع إذا لقى . أى إذا سئل أحسن ، وإذا لقى شجع . وهو كثير » .
(٢) انظر الخزانة ٧ : ٤٤١ – ٤٤٦ .
(٣) الخزانة ٦ : ٥٣٩ – ٥٥٠ .
(٤) مجالس ثعلب ٣٦٦ والمغنى ٢٥ .
(٥) ط : « صوتى » ، صوابه فى ش وجميع المراجع الأخرى .

على إنَّ إذن إذا كانت للشَّرط فى المستقبل جاز دخول الفاءِ فى جزائها ، كما فى جزاءِ إنْ ، كما فى البيت ، كأَنَّه قال : إن أَتيتُ بشىءٍ فلا رفَعَت . فجملة فلا رفعت الخ ، جملة دعائيَّة وقعت جزاءً واقترنت بما يقترن به جزاءُ الشرط ، لما فى إذن من معنى الشرط . وكذا الحالُ فى البيت الثانى .

صاحب الشاهد

وهما من قصيدة طويلة للنابغة الذُّبيانى مدح بها النُّعمانَ بنَ المنذر ، وتنصَّل بها عمَّا قذفوه به ، حتَّى خاف وهرب منه إلى بنى جَفْنة ملوك الشام . وهى من القصائد الاعتذاريَّات، ولِحُسنِها أَلحقها أَبو جعفر النحاس ، والخطيبُ التِّبريزىُّ وغيرُهما ، بالمعلقَّات السَّبع .

وتقدَّم شرحُ أَبيات كثيرةٍ منها فى (باب الحال) ، وفى باب (خبر كان) ، وفى (النعت) ، وفى (البدل) ، وفى (أَسماءِ الأَفعال) وفى غير ذلك . وقبلها :

(والمؤمنِ العائذاتِ الطيرِ يَمسحُها رُكبانُ مكَّة بين الغِيل والسَّنَدِ)

وبعدهما :

(هذا لأَبرأَ من قولٍ قُذِفتُ به طارت نوافذُه حَرًّا على كَبِدى)

قال ابن رشيق (فى العمدة) : وأَجلُّ ما وقع فى الاعتذار من مشهورات العرب ، قصائد النابغة الثلاث ، إحداها[1] :

* يادارَ ميَّةَ بالعلياءِ فالسَّندِ *

يقول فيها :

فلا لعمر الذى مسَّحت كعبته وما هُريق على الأَنصابِ من جَسَدِ

(١) فى العمدة ٢ : ١٤٣ : « إحداهن » .

٥٧٢

والمؤمن العائذات الطير . . . إلى آخر الأبيات الثلاثة :

والثانية :

* أرسماً جديداً من سُعادَ تجنَّبُ *

يقول فيها معتذراً من مدح آل جفنة ومحتجًّا بإحسانهم إليه :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسكِ ريبةً وليس وراءَ الله للمرءِ مطلبُ

الأبيات المشهورة . والثالثة :

* عفا حُسُمٌ من أهله فالفَوارعُ[1] *

يقول فيها بعد قَسَم قدَّمه على عادته :

لكلَّفتَنى ذنبَ امرئٍ وتركتَه كذى العُرِّ يُكوى غيرُه وهو راتعُ

انتهى . وقد شرحنا القصائد الثلاث برُمَّتها فى المواضع التى استُشهِد بأبياتها .

وقوله : « والمؤمن العائذاتِ الطيرِ » قد شُرِح هو وما قبله فى الشاهد السابع والأربعين بعد الثلثمائة من باب النعت[2] .

وقوله : « ما إنْ أتيت » إلخ ، هذه الجملة جواب القسم الذى هو قوله :

* فلا لعَمْرُ الذى مسَّحتُ كعبتَه *

مع البيت الذى بعده . وما نافية وإنْ زيدت بعدها للتوكيد . وبه استشهد ابن هشام (فى المغنى) .

وقوله : « فلا رفعَتْ سَوطِى[3] إلَّ يدى » ، أراد به : شَلَّت يدى ولم

---

(١) الذى فى العمدة :

* عفا ذو حسى من فرتنــا فالفوارع *

(٢) الخزانة ٥ : ٧١ — ٧٤ .

(٣) ط : « صوتى » ، صوابه فى ش .

تقدر على رفع السَّوط[١]. وهذا دعاءٌ على نفسه على تقدير صحَّة ما نسبه أَعداؤه إليه .

وقوله : « إذن فعاقَبَنى رَبِّى » الخ ، هذا دُعاءٌ آخر على نفسه. وجملة « قرَّت بها » الخ ، صفة مُعاقَبة . والمعاقبة : العذاب . وقرَّت العين قُرَّة وقُروراً بضمها ، من باب تعب ، أَى بردت سروراً . والحسَد هو تمنِّى زوالِ نعمة الغَير .

وقوله : « هذا لأَبرأ » إلخ ، أَى هذا القسم لأَجل أَن أَتبرَّأَ مما اتُّهِمت به . والنوافذ تمثيلٌ ، من قولهم جُرح نافذ . أَى قالوا قولاً صارَ حرُّه على كبدى ، وشَقِيتُ به .

* * *

وأَنشد بعده :

(والمرءُ عند الرُّشا إن يلقَها ذيبُ)

وهو عجزٌ ، وصدره :

(هذا سُراقةُ للقرآن يَدرسُه)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الثانى والثمانين من أَوائل الكتاب[٢] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأَربعون بعد السمِائة ، وهو من شواهد س[٣] :

٦٤٨ (.... فإنَّ بحبِّهـا أَخاكَ مُصابُ القلبِ ....)

(١) ط : « الصوت » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٣ - ٤ .

(٣) سيبويه ١ : ٢٨٠ والمقرب ١ : ١٠٨ والمغنى ٦٩٣ وشرح شواهد المغنى ٣٢٧ والعينى ٢ : ٣٠٩ والهمع ١ : ١٣٥ والأَشمونى ١ : ٢٧٢ .

على أنّه إنّما جاز الفصل بالجار والمجرور بين إنّ واسمها لقوّة شبه إنّ بالفعل .

قال سيبويه (فى باب الحروف الخمسة التى تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده) : وتقول : إنّ بك زيداً مأخوذ ، وإنّ لك زيداً واقف . إلى أن قال : ومثل ذلك إنّ فيك زيداً لراغبٌ . قال الشاعر :

فلا تَلْحَنِى فيها فإنَّ بحبِّها أخاكَ مصابُ القلبِ جمٌّ بلابلُه

كأنَّك أردتَ : إنَّ زيدًا راغب ، وإن زيدًا مأخوذ ، ولم تذكر « بك » ولا « فيك » ، فألغيتَا هنا كما أُلغِيَتا فى الابتداء . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فيه رفع مصابُ على الخبر وإلغاءُ المجرور لأنّه من صلة الخبر ومن تمامه ، ولا يكون[1] مستقرًّا للأخ ولا خبراً عنه . انتهى .

وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) : الظرف قد استُجيزُ فيه من الاتساع مالم يُستَجزْ فى غيره . ألا ترى أنّه قد جاء : « فلا تلحَنى فيها » البيت . ففصل بقوله « بحبِّها » بين إنَّ واسمها . ولو كان مكانَ الظرف غيرُه لم يجز ذلك . والظرف متعلِّق بالخبر ، كأنَّه قال : إنَّ أخاك مصاب القلب بحبِّها .

٥٧٣

وأورده أيضاً فى موضعين (من التذكرة القَصْرية) قال فى الأوَّل :

مسألة : إن قال قائل لم لا يكون المحذوف فى التقدير مؤخَّراً ، كأنَّه قال: [إنَّ[2]] فى الدار زيدًا ، فلا يسقط بذلك حكم ما تعلَّق به الظرف ؟

---

(١) ط فقط : « لا يكون » ، وأثبت مافى ش والشنتمرى .

(٢) ساقطة من النسختين .

قِيلَ : يقبح هذا للفصل ، كما [فى[1]] : كانت زيداً الحُمَّى تأْخذ.
فإن قيل: فقد قال: « فإنَّ بحبها أَخاك مصاب القلب[2] » قيل: قد روى البغداديُّون هذا « مصابَ القلب » . فذا يدلُّك على استكراههم الرفعَ ، لما فيه من الفصل ، فعدَلوا عنه إلى النصب . ويجوز أَن تقول : إنَّ الظرف قد فُصِل به فى أَماكنَ ، فيجوز أَن يكون هذا مثلَها .

وقال فى الموضع الثانى: مسأَلة : « ما كان فيها أَحد خيرٌ منك ». فيها متعلِّقة بكان إذا نصبت خيراً منك ، ومتعلِّقة بمحذوف إذا كانت مستقرًّا . ويجوز أَن تنصبها بخيرًا منك وإنْ تقدَّم عليه ، لشبهه بالفعل . وليس الفصلُ بفيها إذا علَّقتها بخير منك بقبيح ، لأَنَّ أَبا الحسن قد أَنشد (فى المسائل الصغير) : فإنَّ بحبِّها أَخاك مصابُ القلب[3] ، ورواه الكوفيُّون: « مصابَ القلب » . وأَظنُّهم هربوا من الفصل فنصبوا. مخافة أَن يجرىَ مجرى: كانت زيداً الحمَّى تأْخذ . وأَتى أَبو الحسن بمسائلَ هناك يُفصَل فيها بالظرف المتعلِّق بالخبر . انتهى .

وقد فصَّل ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) مذهبَ الكوفيين فى هذه المسأَلة قال : إذا كان الظرف غيرَ محلٍّ للاسم[4] سمَّاه الكوفيون الصِّفة الناقصة ، وجعله البصريون لغوًا ولم يجز فى الخبر إلَّا الرفع ، وذلك قولك : فيك عبدُ الله راغب ، ومنك أَخواك هاربان ، وإليك قومُك قاصدون ، لأَنَّ منك وفيك وإليك لا تكون محلاً ، ولا يتمُّ بها الكلام .

---

(١) هذه التكملة ليست فى الأصل ، والكلام يفتقر إليها .
(٢) بعده فى النسختين : « قد » ، وهى مقحمة لاوجه لها .
(٣) ط : « مصاب بالقلب » ، صوابه فى ط .
(٤) فى الأصول ١ : ٢٤٧ : « للأسماء » .

وقد أجاز الكوفيون : فيك راغباً عبدُ الله ، شبَّهها الفراءُ بالصفة التامَّة لتقدُّم راغب على عبد الله . وذهب الكسائى إلى أنَّ المعنى : فيك رغبةً عبدُ الله . واستضعفوا أن يقولوا: فيك عبد الله راغباً، وأنشدوا بيتاً جاءَ فيه مثل هذا منصوباً .

فلا تلحَنى فيها فإنَّ بحبِّها . . . . . البيت

فنصب « مصاب القلب » على التشبيه بقولك : إنَّ بالدار أخاك واقِفاً ، إلى آخر ما فصَّله .

وقوله : « فلا تلْحَنى » هو نهىٌ ، أى لا تلمنى فى حبِّ هذه المرأةِ فقد أُصيب قلبى بها واستولى عليه حبُّها ، والعَذْلَ لا يصرفنى عنها . يقال لَحَيت الرجل ، إذا لُمته . قال صاحب الصحاح : ولحيت الرجل ألحاه لحيًا ، إذا لمتَه ، فهو ملحىٌّ ، ولاحيتهُ مُلاحاة ولحاءً ، إذا نازعته . وفى المثل : « مَن لا حاكَ فقد عاداك » . وتلاحَوْا ، إذا تنازعوا ، وأصله من لحَيت العصا ألحيها لَحيًا إذا سلخت لِحاءَها وجلدها . وكذلك لحوتُها ألحوها لحوًا . واللِّحاءُ بالكسر والمد : قشر الشجر . وفى المثل : « لاتدخُلْ بين العصا ولحائها » . كذا فى الصحاح .

وقال صاحب المصباح : اللِّحاءُ بالكسر والمدِّ ، والقصرُ لغة : ما على العود من قشرِه . ولحوت العود لحواً من باب قال ، ولحيته لحيًا من باب نفع ، إذا قشرتَه .

و (المصاب) : اسم مفعول من أُصيب بكذا ، من المصيبة وهى الشِّدَّة النازلة . (والجَمّ) بالجيم : الكثير . و (البلابل) : الأَحزان وشُغل البال ، واحدها بَلبال . وهو مبتدأٌ وجمٌّ خبره ، والجملة خبر ثانٍ لإنَّ .

وزاد العينى : «أو هى بدل من قوله مصاب القلب» فتأمَّلْ . وقال : البلابل : الوساوس ، وهو جمع بلبلة وهى الوسوسة .

والبيت من الأبيات الخمسين التى هى فى كتاب سيبويه ولم يُعرَف لها قائل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الستمائة[1] :

٦٤٩ (لاَ تَتركَنِّى فيهمُ شَطِيرَا إنِّى إذَنْ أهلِكَ أو أَطِيرَا)

على أنَّ الفعل جاء منصوباً بإذَنْ مع كونه خبرًا عمَّا قبلها ، بتأْويل أنَّ الخبر هو[2] مجموع إذن أهلك ، لا أهلِكَ وحده ، فتكون إذن مصدَّرة .

وقال الأندلسى : يجوز أن يكون خبر إنَّ محذوفاً ، أى إنِّى لا أحتمل. ثم ابتدأ فقال : إذن أهلك . والوجه رفع أهلكُ وجعل أو بمعنى إلَّا .

أمَّا التخريج الأوَّل فهو للشارح المحقِّق . وقد ردَّه الدمامينىُّ (فى الحاشية الهندية) بأنَّ مقتضاه جواز قولك :زيد إذن يقومَ ، بالنصب ، على جعل الخبر هو المجموع ، إذ الاعتماد المانع منتفٍ ، إذ هو ثابتٌ للمجموع ، وصريحُ كلامهم يأْباه . وأُجيب عن الرضىّ بأن تخريجه إنَّما هو لبيان وجهِ ارتكاب الشُّذوذ فى هذا المسموع ، فلا يكون مقتضاه جوازَ النصب فى كلِّ ما سواه مما لم يتحقَّق فيه شذوذ . هذا كلامُه .

ولا يخفى أنَّ مراد الرضىِّ تخريجُه على عملها المأْلوف قياساً ، وهو أن لا يعتَمِدَ ما بعدها على ما قبلها ، بدليل مقابلته لقول الأندلسىّ .

---

(١) معانى الفراء ١ : ٢٧٤ / ٢ : ٣٣٨ والإنصاف ١٧٧ وابن يعيش ٧ : ١٧ والمقرب ١ : ٢٦١ والمغنى ٢٢ والعينى ٤ : ٣٨٣ والتصريح ٢ : ٢٣٤ والهمع ٢ : ٧ واللسان (شطر ٧٦). ومع نسبته إلى رؤبة لم يوجد فى ديوانه .

(٢) ش : « بتأويل الخبر » .

وأمَّا قول الأَندلسى ، وعليه اقتصر ابن هشام (فى المغنى) ، فهو تخريجُ السِّيرافى . قال (فى شرح الكتاب) : هذا البيت شاذٌّ ولا يُحتجُّ به ، لأَنَّ قائله مجهول لا يُحتجُّ بقوله . فإنْ صحَّ فإما أن يقال إنَّه لغةٌ حُمِل فيها إذن على لن ، وهى لا تُلغَى بحال . أَو نقول : خبر إنَّ مقدَّر ، أى إنِّى لا أقدر على ذلك ، وجملة إذن أهلك مستأْنفةٌ ، وإذن فيها مصدَّرة . انتهى .

وفيما قاله تخريجان آخرانِ ، فصارت التخاريج أربعة .

وسلك نحوه ابن يعيش (فى شرح المفصل) فقال : البيت شاذٌّ . وإنْ صحَّت الرِّواية فهو محمول على أن يكون الخبر محذوفاً . وساغ حذفُ الخبر لدلالة ما بعده عليه وابتداءِ إذن بعد تمام المبتدأ بخبره . أَو يكون شبَّه إذن ههنا بلن فلم يلغِها ، لأَنَّهما جميعاً من نواصب الأَفعال المستقبلة . وتشبَّه[1] إذن من عوامل الأَفعال بأَفعال الشك واليقين ، لأَنَّها أَيضاً تُعمَل وتُلغَى ، لأَنَّ أَفعال الشك إذا تأَخَّرت أَو توسَّطت يجوز أَن تعمل . وإذن إذا توسَّطت بين جزأَى كلامٍ أَحدُهما محتاجٌ إلى الآخر لم يجز أَن تعمل ، لأَنَّها حرف ، والحرف أَضعف فى العمل من الأَفْعال . انتهى .

وقد نقل ابن الحاجب تخريجاً خاصاً (فى شرح المفصَّل) قال : وقد أُوِّل إنِّى إذَنْ أَهلكَ على معنى إنِّى أَقول . والقولُ يحذف كثيراً .

وقد ناقشه الإمام الحديثى[2] (فى شرح الكافية)، بأَنَّه إنَّما يتخلَّص

---

(١) ش : « ويشبه » .

(٢) فى كشف الظنون ٢ : ٢٥٤ : « ومن شروح الكافية شرح الإمام ركن الدين الحديثى ، وهو مثل شرح الرضى بحثاً وجمعاً ، بل أكثر منه » .

عنه به إذا كان الموضع للحكاية فقط[١] . وفيه نظر . وألا يكون حينئذ معتمدًا على أقول . وتوضيحه : أنَّ المحكوم عليه بأنَّه خبر وأنَّه فى موضع رفع حينئذ إمّا الحكاية فقط ، أعنى جملة أقول ، وبه يتحقّق الخلاص عَن هذه الورطة . أو الحكاية أو المحكىُّ ، أعنى مجموع أقول إذن أهلك . لا سبيل إلى الأوَّل لاقتضائه قطعَ كلٍّ من القول والمقول عن صاحبه ، واستئنافَ ما حقُّه أن لا يستأْنف . ولا إلى الثانى لبقاءِ الإشكال لتحقُّق النصب مع الاعتماد ، فإنَّ أهلِك معتمدٌ على أقول لكونه جزءَ معموله الذى هو إذن أهلك .

وأجاب عنه ابن الحنبلى (فيما كتبه على المغنى) ، كما نقله عنه تلميذه ابن المُلَّا ، بأنَّا لا نسلِّم أنَّ جزءَ المعتمد معتمد . ولئن سلَّمناه فلا نسلِّم أنَّ كلَّ معمولٍ لشىءٍ يكون معتمدًا عليه ، فهم قد حصَروا صوَر الاعتماد فى ثلاث صور ليس إلَّا ، بحكم الاستقراءِ ، فدلَّ ذلك على أنَّ ما عداها لا يتحقَّق فيه اعتماد ، وإن تحقَّقت معموليَّته بوجهٍ ما . ٥٧٥

ثم قال : ولعلَّ ابن الحاجب قدَّر أقول ليكون إذن أهلك أو أطير مقولًا وقعت فيه إذن مصدَّرة وإن توهِّم أنَّها بتقدير أقول غير مصدَّرة . ألا ترى أنَّ القائل إذا قاله بعدُ كما سبق به الوعد أظهرت صدارتها فيه . انتهى .

وهذا بحثٌ جيِّد ، إلَّا أنَّه يردُ على تخريجه بإضمار القول ما وردَ على تخريج الشارح المحقِّق وقول الأندلسىّ : « والوجه رفع أهلك » .

وقال الحديثىُّ : الحقُّ رفع أهلك ، وجعل أَوْ بمعنى إلَّا أنْ ، كما فى

(١) مابعده إلى كلمة « فقط » التالية ، ساقط من ش .

قولك : لألزمنَّك أو تقضيني حقِّي ، أي إلَّا أن تقضيَني حقِّي . أراد أنَّ الرفع فيه وفي مثلِه هو القياسُ ، جريًا على القاعدة . وتعسَّف ابنُ المُلَّا في قوله إنْ أراد أنَّه الوجه والحقُّ في مثل هذا التركيب إذا صدَر من متكلِّم فله وجه ولكن غير نافع لنا بوجه . وإن أراد أنَّه الوجه والحقُّ في قول هذا الشاعرِ فمَمْنوع . فإنَّه كيف يسلَّم لهما ذلك حيث ثبت أنَّ الرواية عن القائل بنصب الفعلين . انتهى .

وقال العيني : إعمال إذن في البيت ضرورة ، خلافاً للفراء . أراد بالضَّرورة ما هو المذهبُ الصحيح ، وهو ما أتى في النظم دون النثر ، سواءٌ كان عنه مندوحة أم لا .

ولم يصب ابن المُلَّا في قوله : هذا إنَّما يتجه بالنِّسبة إلى نصب أطير دون أهلك ، فإنَّه إن كان ثمَّ ضرورةٌ فهي قصدُ التوفيق بينه وبين « شطيراً » ، حذرًا من عيب الإقواءِ . اللهمَّ إلَّا أن يدَّعىَ أنَّ هذه الضرورةَ ألجأَت إلى نصب أهلك ، لئلاَّ يعطف منصوبٌ على مرفوع .

هذا كلامُه . وأيُّ مانع من العطف بالنَّصب بأَن، بعد أو التي بمعنى إلَّا ، كما نقله عن الأندلسيّ والحديثي .

هذا . وقد نقل الفَرَّاءُ عن العرب (في تفسيره) أنَّ النصب في مثل البيت لغة ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ المُلْكِ فَإِذًا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرا[1] ﴾ : إذا وقعتْ إذَن على يَفعل وقبله اسمٌ بطلت فلم تنصب ، فقلت : أنا إذَنْ أضربُك. وإذا كانت في أوَّل الكلام

---

(١) الآية ٥٣ من سورة النساء .

« إنَّ » نصبْتَ يَفعلُ ورفعْتَ فقلتَ: إنى إذَنْ أوذيَك. والرَّفع جائز . أَنشدنى بعضُ العرب :

لا تتركنِّى فيهمْ شطيرا إنِّى إذَنْ أهلكَ أو أَطيرا

وقال أيضاً (فى تفسير سورة الأَحزاب) عند قوله تعالى : ﴿وإذًا لا تُمَتَّعُون[1]﴾ : وقد تنصب العرب بإذَنْ وهى بين الاسم وخبره فى إنَّ وحدها، فيقولون : إنِّى إذَنْ أَضربَك . قال الشاعر :

لا تتركنِّى فيهمْ شَطيرا ..... البيت

والرفع جائز . وإنَّما جاز فى إنَّ ولم يجز فى المبتدإ بغير إنَّ لأَنَّ الفعلَ لا يكون مقدَّما فى إنَّ . وقد يكون مقدَّما لو أَسقطت .

هذا كلامه ، وأنت ترى أنَّه إمامٌ ثقة ، وقد نَقل عن أَهل اللِّسان ، فينبغى جواز النصب فى الفعل الواقع خبرًا لاسمِ إنَّ لا غير، حَسْبما نُقِل[2]. وحينئذ يسقُط ما تكلَّفوا من التخريج .

وأَفاد الفَرَّاءُ أَنَّ البيت حجَّةٌ يصحُّ الاستدلال به ، لقوله : « أنشدَنى بعض العرب » ، فيكون جواز النصب والرفع فيه مع إنَّ ، مثلَ ما إذا اقترن الفعل بعاطف ، فى جواز الوجهين .

وقد أَطلق الشارح المحقِّق فى العاطف ولم يمثِّل إلَّا لما اقترن بالواو والفاء . وقد صرَّح الفرَّاءُ فى تعميم العاطف ، قال : إذا كان فى **الفعل** فاءٌ، أَو واوٌ، أَو ثم، أَو أَوْ، أوحرفٌ من حروف النسق ، فإن شئتَ كان معناها ٥٧٦

(١) الآية ١٦ من سورة الأحزاب .

(٢) حسبما ، بفتح السين وإسكانها . وفى اللسان (حسب ٣٠٢) : « والحسب والحسب قدر الشيء ، كقولك : الأجر بحسب ماعملت وحسبه » .

معنى الاستئناف فنصبت بها أيضاً ، وإن شئت جعلت الفاء أو الواو إذا كانتا منها منقولتين عنها إلى غيرها[١] . والمعنى فى قوله : فإذًا لا يؤتون [على : فلا يُؤتون[٢]] الناس نقيراً إذاً . ويدلُّك على ذلك أنَّه فى المعنى ، والله أعلم ، جوابٌ لجزاءٍ مضمَر ، كأنَّك قلت : ولئن كان لهم ، أو لوْ كان لهم نصيب لا يؤتون الناس إذًا نقيرا[٣] . وهى فى قراءة عبد الله منصوبة . وإذا رأيتَ الكلام تامًّا مِثلَ قولك : هل أنت قائم ، ثم قلت : فإذن[٤] أضربك ، نصبتَ بإذن ونصبت بجواب الفاء ونويْتَ النقل . وكذلك الأمر والنَّهى ، يصلُح فى إذن وجهان : النصب بها ، ونقلها . ولو شئتَ رفعت الفعل إذا نويت النقل فقلت : ائته فإذن يكرمُك زيد ، فهو يكرمك إذن ، ولا تجعلها جواباً .

هذا كلامه ، وقد أجاز الجزمَ والنصبَ والرفع فى جواب الشرط ، قال : وإذا كان قبلها جزاءٌ وهى له[٥] جوابٌ قلت : إن تأْتنى إذن أُكرمْك ، وإن شئت : إذن أُكرمُك . فمن جزم أراد أُكرمك إذن ، ومن نصب نوى فى إذن فاءً تكون جواباً فنصب الفعل بإذن ، ومن رفع جعل إذن منقولة إلى آخر الكلام ، كأنَّه قال : فأُكرمُك إذن . اه .

وهذا خلاف مذهب البصريِّين ، وليس عندهم إلَّا الجزم .

وقوله : « لا تتركنِّى » إلخ ، الترك يستعمل بمعنى التَّخلية ، ويتعدَّى

---

(١) فى حواشى معانى القرآن ١ : ٢٧٣ : « يريد بنقل حرف العطف عن إذا تقديره مقروناً بالفعل بعدها ، وتقدير إذا فى آخر الجملة ، وبذلك تتأخر عن الصدر فتلغى » .

(٢) التكملة من معانى الفراء . وقد أثبتها الشنقيطى بخطه على هامش نسخته .

(٣) فى معانى الفراء : « لايؤتون الناس نقيراً إذاً » .

(٤) ط : « إذن » ، وأثبت مافى ش ومعانى القرآن .

(٥) فى النسختين : « لها » صوابه فى معانى القرآن .

لمفعول واحد وبمعنى التصيير ، وهنا محتملٌ لكلٍّ منهما ، فشطيرا على الأوّل حال من الياءِ ، وعلى الثانى هو المفعول الثانى ، و (فيهم) عليهما متعلِّق بالترك ، أو هو المفعول الثانى . و (شطيرا) حالٌ من ضمير الظرف ، ويجوز أن يكون مفعولا آخر مكرّرًا ، كما قيل فى قوله تعالى : ﴿وتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرون[1]﴾ إنَّ فى ظلمات مفعول ثان وجملة لا يبصرون مفعول آخر مكرَّر .

وقال العينى : فيهم يتعلق بشطيرًا ، وشطيرًا نصب على الحال ، والتقدير : لا تتركنِّى حال كونى شطيراً كائنا فيهم .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ ذكر كائناً مع قوله متعلق بشطيرًا لا وجه له .

و (الشطير) : الغريب . وأَهلك بكسر اللام ؛ والماضى بفتحها .

والشعر لم ينسبه أَحدٌ إلى قائله . والله أَعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س[2] :

٦٥٠ (ازجُرْ حِمارَكَ لا يرتَعْ بِرَوْضَتِنا
إِذَنْ يردَّ وقيدُ العَيرِ مَكْروبُ)

على أَنَّه يجوز على مذهب الكسائى أن يكون (لا يرتع) مجزوماً بكونِ لا فيه للنَّهى ، لا أَنَّه جوابُ الأَمر .

ويردُ مجزوماً لا منصوباً بكونه جواباً للنهى ، كما هو مذهبه فى

(١) الآية ١٧ من سورة البقرة .
(٢) سيبويه ١ : ٤١١ والمقتضب ٢ : ١٠ وابن يعيش ٧ : ١٦ والحماسة بشرح المرزوقى ٥٨٦ والمفضليات ٣٨٣ .

نحو : لا تكفرْ تدخل النار ، أى إن تكفر تدخل النار . فيكون المعنى لا يرتع ، إن يرتعْ يُردَّ . وعند غيره : يردَّ منصوب ، وإذن منقطعٌ عما قبله مصدَّر[١] ، كأنَّ المخاطب قال : لا أَزجُره[٢] . فأَجاب بقوله : إذن يردَّ .

أَقول : [يكون[٣]] لا يرتع على قول الكسائى بدلاً[٤] من ازجرْ ، وهو أَوفى من الأَوّل فى تأْدية المعنى المراد ، كقوله :

* أَقول له ارحْل لا تقيمنَّ عندَنا[٥] *

وإذن تكون مؤكِّدة للشَّرط المقدَّر ، وهو إن يرتع ، ويردَّ جوابُ الشرط المقدَّر . وهو مجزوم بسكون مقدَّر ، والفتحة لدفع التقاءِ الساكنين. ويجوز ضم الدال وكسرها أَيضاً للدفع المذكور ، والأَصلُ يُردَدْ ، فلمَّا أُدغِم سكنت الدال الأُولى ، والثانية ساكنة أَيضاً للجزم ، فالتقى ساكنان فلنا أَن تدفَع التقاءَهما بإِحدَى الحركات الثلاث[٦] .

وقوله : « بكونه جواباً للنهى » متعلِّق بقوله مجزوماً . وقوله : « وعند غيره يردَّ منصوب » ، أَى عند غير الكسائى يردَّ منصوب بإذن. فالفتحة

---

(١) مصدر ، ساقطة من ش ثابتة فى شرح الرضى ٢ : ٢٢٢ .

(٢) ط : « لا أزجر » ش : « لا تزجر » ، وفى شرح الرضى : « لا تزجره » ، والصواب ما أثبت من إحدى نسخ الشرح المسجلة فى حواشيه .

(٣) هذه التكملة من ش .

(٤) ط : « بدل » .

(٥) تمامه كما فى المغنى ٤٢٦ ، ٤٥٦ والعينى ٤ : ٢٠٠ والتصريح ٢ : ١٦٢ وحواشى الأشمونى ٣ : ١٣٢ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٤ :

* وإلا فكن فى السر والجهر مسلما *

(٦) فى النسختين : « بأحد الحركات الثلاث » ، والوجه ما أثبت .

فتحة إعراب وإذن هنا ليست متضمِّنة للشرط وإنَّما هى متضمِّنة للنهى ، وهو لا تزجرْهُ .

وعبَّر (التِّبريزى فى شرحه) عن هذا بأَنَّ إذن هنا على بابها ؛ لأَنَّها جوابُ كلامٍ مقدَّر ؛ لأَنَّه قدَّر أَنَّ المأْمور بالردَّ قال : لا أَردُّ . فأَجابه بذلك ، وحذفه لفهم المعنى . اهـ .

وهذا من غير الغالب كما قال الشارح المحقِّق : الغالب فى إذن تضمُّن الشَّرط . وهذا الوجه هو مذهب سيبويه ، قال فى الكتاب : واعلمْ أَنَّ إذن إذَا كانت بين الفعل وبين شىءِ الفعْلُ [معتمدٌ] عليه[1] فإنَّها ملغاة لا تنصب البتَّة ، كما لا تنصب أَرى إذا كانت بين الفعل والاسم فى قولك : كان أُرى زيدٌ ذاهباً[2] . فإذنْ لا تصل فى ذا الموضع إلى أَن تنصب ، كما لا تصل أُرى هنا إلى أَن تنصب . فهذا تفسير الخليل . وذلك قولك : أَنا إذن آتِيك ، فهى هنا بمنزلة أُرى حيث لا تكون إلاَّ ملغاة . ومن ذلك : إن تأْتنى إذن آتِك ، لأَنَّ الفعل ههنا معتمدٌ على ما قبل إذن . وليس هذا كقول ابن عَنَمة الضَّبِّى :

ارددْ حمارَك لا تُنْزَعْ سويَّتُه إذن يردَّ وقيدُ العَير مكروبُ

من قبَل أَنَّ هذا منقطع من الكلام الأَوَّل وليس معتمداً على ما قبله لأَنَّ ما قبله مستغنٍ . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « وبين شىء الفعل عليه » ، مع ترك بياض فى ط بين كلمتى « شىء » و « الفعل » ، والصواب ما أثبت مع التكملة من سيبويه ١ : ٤١١ .

(٢) بعده فى سيبويه : « وكما لاتعمل فى قولك : إنى أرى ذاهب » .

وأجاز الأعلم هنا رفع يُردُّ ، قال : الشاهد فيه نصب ما بعد إذن لأنّها مبتدأة . والرفع جائزٌ على إلغائها وتقديرِ الفعل واقعاً للحال ، لأنَّ حروف النصب لا تعمل إلّا فيما خلص للاستقبال . ا هـ .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ ستّةٍ لعبد الله بن عَنَمة ، أوردها المفضل (فى المفضَّليات) ، وأبو تمام (فى الحماسة)، وهى :

أبيات الشاهد

(ما إنْ تَرى السِّيدُ زيداً فى نفوسِهمُ
كما تَراه بنو كُوز ومرهوبُ

إن تسألوا الحقَّ نُعْطِ الحقَّ سائلَهُ
والدِّرعُ مُحقَبةٌ والسَّيفُ مقروبُ

وإنْ أَبيتُمْ فإنّا معشرٌ أُنُفٌ لا نَطعمُ الخَسْفَ إنَّ السمَّ مشروبُ

فازجُرْ حمارك لا يرتع . . . . البيت

إن تدعُ زيدٌ بنى ذُهْلٍ لمغضَبةٍ نَغضَبْ لزُرعة إنَّ الفضلَ محسوبُ[1]

ولا يكونَن كمُجرَى داحس لكمُ
فى غَطفانَ غداة الشِّعبِ عُرقوبُ)

قوله : « ما إنْ ترى السِّيدُ» إلخ ، إن زائدة مؤكّدة لما النافية . والسِّيدُ بالكسر ، وزيد ، وكوز ، ومرهوب ، كلٌّ من الأربعة : أبو حيٍّ من بنى ضَبَّة . وزيد وكوز أخَوانِ ، ابنا كعب بنَ بَجَالة بن ذُهل بن مالك ابن بكر بن سعد بن ضَبّة بن أُدٍّ بن طابخة . والسِّيد هو أخو ذهل المذكور.

(١) ويروى : « إن القبص محسوب » ، كما فى المفضليات والحماسة ، وسيشير إليه البغدادى فى التفسير .

ومرهوب هو ابنُ عبيد بن هاجرٍ[١] بنِ كعب بنِ بجَالة المذكور .

وقد روى الضبي (فى المفضليات) كُرز ، بالراءِ المهملة بدل الواو[٢] .
قال المرزوقيّ : يقول : بنو السِّيد لايَقسِمون لزيد من التعظيم ، ولا يوجبون له فى نفوسهم من الحرمة والتبجيل ، ما يوجبه ويقسمه بنو كوز ومرهوب . والضمير على هذا فى نفوسهم للسِّيد . ولا يمتنع أن يكون لزيد ، لأنَّه قبيلة . وهذا كما يقال : لك فى نفسك حقٌّ ومنزلة ، كأنَّ زيدًا كان له إذا رجَعَ نفسَه من التوجُّه والإدلال والتخصيص والاعتزاز فى بنى كُوز ومرهوب ، ما لا يكاد يجده فى بنى السِّيد .

٥٧٨

وقوله : « إن تسأَلوا الحقَّ » إلخ ، قال ابن الأَنباريّ : قال الضَّبِّيُّ : قوله محقَبة أَى تكون الدرع فى حقيبة البعير . وكذلك كانت العرب تفعل بالدُّروع إذا همُّوا بالقتال ، استخرجوا الدُّروع من الحقائب فلبسوها . وقوله : « مقروب » أَى فى قِرابهِ . يقال قرَبْت السيف: أدخلته فى قِرابه ، وهو غِمدُه . يَقول : إن أَردتم الصُّلح أَجبنا كم والسلاحُ مستور ، وإن أَبيتم أَظهرناه لكم .

وقوله : « وإن أَبيتم » إلخ ، الأُنف ، بضمتين : جمع أَنوف ، وهو الذى به أَنفَةٌ ونخوة . والخسف : حمل الإنسان على ما يكرهه ، ثم استُعمِل فى معنى الذلِّ . يقال سُمته الخسفَ ، إذا حملتَه على الهوان . وأَصل الخَسْف أَنْ تبيت الدابَّةُ على غير علف . يقول : إن اقتصرتم على أَخْذِ حقِّكم أَعطيناكُموه والحربُ موضوعةٌ بيننا وبينكم ، وإن طلبم أَكثر

(١) هاجر ، بكسر الجيم ، كما فى القاموس (هجر) ، قال : « وهاجر : قبيلة . وبفتح الجيم : أم إسماعيل صلى الله عليه وسلم » . وانظر الاشتقاق ١٠٠ وجمهرة ابن حزم ٢٠٤ .

(٢) الذى فى المفضليات : « كوز » .

منه أبينا أن نعطيَكم إيَّاه . واستعارَ الطُّعم والشُّرب لتجرُّع الغصَّة وتوطين النفس على المشقَّة عند إزالة المذلَّة وردِّ الكريهة . قال المرزوقى : لا نطعم الخسف وإنْ شربنا السمّ .

وقال أَبو محمد الأَعرابى (فى شرحه) : لانطعم :لانذوق . وطَعِمت الشىءَ : ذقته ، وطعمته : أَكلته أَيضاً. والمعنى وإن أَبيتم الحقّ فإنَّا لا نقرُّ بالخسف[1] أَى الهوانِ ، ونؤثرُ عليه شربَ السم ، كما قال :

* ويركب حدَّ السيفِ مِن أن تَضيمه[2] *

وقال التبريزى : معناه نحن نأْبى الذلّ وإن كان غيرنا يقرُّ بما هو أَبلغ فى الهوان . أَو يريد : إنَّ السُّمَّ مشروبٌ ، وإن احتجنا إلى شربه شربناه ولم نقبل ضيمًا ، لأَنَّ الإنسان يصبر على شرب السم ويكون ذلك أَيسرَ عليه من صبره على الضيم .

وقال أَبو عبد الله النمرى (فى شرحه) : يريد بالسم الموت لا السمَّ المعروف. وقوله : مشروب ، أَى كلُّ أَحد يشربُه[3] ولا يُعفَى منه ، كقولك : إنَّ الحوض مَورود ، يريد به الموت [أَيضاً] . يقول : فعَلامَ نحمل الضَّيم ومصيرُنا إلى الموت ؟

وردَّه أَبو محمد الأَعرابى فيما كتبه عليه وقال : إنَّما أَراد : إنَّا نخوض الموت ونحتمل الشدائد ولا ننزل تحت الضيم .

---

(١) فى ش : « فإنا نقر بالخسف » ، وكتب فى حاشيتها : « كذا بخط المؤلف . والصواب لانقر » .

(٢) لمعن بن أوس فى ديوانه ٣٧ والحماسة ١١٢٩ بشرح المرزوقى . وعجزه :

* إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل *

(٣) ط : « يشرب » .

قال التبريزى بعدما نقل هذا الكلام : هذه الأَقوالُ يقرب بعضُها من بعض ، وكلُّها ترجع إلى معنًى واحد ، وليس فيها ما يُردُّ .

وقوله : « فازجر حمارك » إلى آخره ، هكذا فى جميع الروايات بالفاء ، وقد سقطت من رواية الشارح المحقِّق تبعاً لرواية سيبويه : « اردد حمارك » فى إسقاط الفاء .

و (رتعت) الماشية رتْعاً ، من باب نفع ، ورُتوعاً : رعتْ كيف شاءت .

و (الرَّوضة) : الموضع المعجب بالزُّهور . قيل سمِّى بذلك لاستراضة المياه السائلة إليها ، أى لسُكونها بها . وأَراضَ الوادى[1] واستراض ، إذا استنْقَع فيه الماءُ . كذا فى المصباح . وروى سيبويه هذا المصراع :

* اردد حمارك لا تنزع سويَّتُه *

والردَّ : الإرجاع . والنزع : السَّلْب . قال الأَعلم : والسويَّة : شىءٌ يُجعل تحت البِرذعة للحمار ، كالحِلْس للبعير .

وكذا أَورده الجوهرى وقال : السويَّة : كساءٌ محشوٌّ بثُمامٍ ونحوه كالبرذعة ، والجمع سَوَايا . وكذلك الذى يُجعل على ظهر الإبل ، إلَّا أَنَّه كالحَلْقة لأَجل السَّنَام ، وتسمى الحويَّة . والحِمار والعير بفتح العين المهملة ، هما الذكَر من الحمير . وكان الظاهر أَنْ يقول وهو مكروب ، لكنَّه أَعاد الحمار باسمه الظاهر المرادِفِ له للضَّرورة . وحسَّنَه وقوعُه فى جملة مستقلة .

٥٧٩

(١) ش : « وأراد الوادى » ، صوابه فى ط .

قال المرزوقى قوله (ازجُرْ حمارك) : هذا مثلٌ ، والمعنى انقبضْ عن التعرُّضِ لنا والدُّخول فى حريمنا ، ورَعْيِ سَوامِك بروضتنا ، فإنَّك إن لم تفعل ذلك ذَممت عاقبة أمرك[1] . وجعَل إرسال الحمار فى حماهم كنايةً عن التحكُّك بهم والتعرُّض لمسَاءَتهم ، ولا حمارَ ثَمَّ ولا رَوْض . وقال ابن الأعرابى : « اكفف لسانك » . وقوله إذن ، قال سيبويه : هو جوابٌ وجزاءٌ ، فالابتداءُ الذى هو جوابُه وجزاؤُه محذوف مستدَلٌّ عليه ممَّا فى كلامه ، كأنَّه قال : فإنَّه إن رتَع رجَع إليك وقد ضُيِّق قيده ، أى مُلِئَ قيدُه فَتْلاً حتى لا يمشى إلاَّ بتعب . كأنَّه يُضرَب أو يُستعمَل حتَّى يرِمَ جسمُه ويؤدِّىَ الوجعُ منه إلى موضعِ حافرِه ، فيضيقُ عليه القَيد . اهـ .

وكذا قال ابن الأنبارىّ عن الضَّبيّ : إنَّ المكروب الشديد الفتل ، يقال قد كرب حَبْله ، إذا شدَّ فتله[2] ؛ كأنَّه من قولهم : فلان مكروبٌ أى ممتلئٌ غمًّا . وكذلك الحبل ممتلئٌ فتلا . والمعنى : انتَهِ عنا وازجرْ نفسك عن التعرُّض لنا ، وإلاَّ رددناك مضيَّقاً عليك ممنوعاً من إرادتك . اهـ .

وقال التبريزى : يقول اكفف شرَّك عنَّا . وجعلَ الحمارَ كنايةً عن الأذاة ، أو عن رجلٍ من أصحاب هذا المخاطبِ يتعرَّض لهم بالمكاره . وهذا نحوٌ من قول النابغة :

سأَمنعُ كلبى أن يَريبك نَبحُهُ ... وإن كنتُ أَرعَى مُسْحُلاَن فحامرَا

والعرب تكنى بالحمار والعَير فى أَنحاءِ الكلام ، فيقولون : قد

---

(١) بعده فى المرزوقى : « وعدت خاسر الصفقة ، وخيم الرتعة » .

(٢) ش : « إذا اشتد فتله » .

حَلَّ حمارُه أَو عيرُه بمكانٍ كذا ، إذا أَقام فيه وتمكّن . وقوله : « وقيدُ العَير » إلخ ، أَى مُدَانًى مضيَّق حتَّى لا يقدر على الخَطو . اهـ .

ونقل النَّمريُّ (فى شرحه) عن الباهلى صاحب (كتاب المعانى) أَنَّ المكروب من كربت الشيءَ، إذا أَحكمتَه فأَوثقته . ومعنى البيت إنَّا نردُّ الحمار مملوءًا قيدُه فتْلا ، كما يمتلئُ الإنسان كرباً . وحكى ثعلبٌ عن ابن الأَعرابى فى قوله : « فازجُرْ حمارَك » أَى اكفف لسانك . وقال يعقوب : هذا مَثَل ، يقول : ردَّ أَمرَك وشرَّك عنَّا ولا تَعرِض لنَا ، فإن لا تفعلْ يرجعْ عليك أَمرُك مضيَّقا . هذا كلامه .

وردَّ عليه أَبو محمد الأَعرابى فيما كتبه عليه وقال : هذا موضع المثل « عَىٌّ ناطقٌ أَعيا من عَىٍّ ساكت[1] » . لو سكت أَبو عبد الله عن تفسير هذا البيتِ لكان أَولى به . سأَلت أَبا النَّدى رحمه الله عن معناه فقال : قوله ازجرْ حمارك ، يعنى فرسَ زيد الفوارس ، واسمه « عرقوب » فكنَّى عنه بالحمار على سبيل التهكُّم والْهزءِ . قال : وبعد البيت ما يدلُّك على ذلك ، وهو :

ولا يكونَنْ كمجرى داحس لكم ..... البيت

قال : وقوله : « وقيد العير مكروب[2] » ، أَى إنَّهم يَعقرونه . والعقر أَضيق القيود . وجَعَل القعقاعُ بن عطية الباهلىُّ العقر عِقالًا فقال :

فخرَّ وظيفُ القَرْمِ فى نصف ساقِه وذاك عقالٌ لا ينشَّط عاقلُه

انتهى . وقوله : « إن يدعُ زيد بنى ذهُل » إلخ ، قال المرزوقى : يقول إن غضب بنو ذهلٍ لزيد وامتَعَضوا من ضيمٍ يركبها فأَغاثوها إذا

(١) العى، بالفتح : مخفف العيى ، كالهين بسكون الياء مخفف الهين .
(٢) ط : « مكرب » ، صوابه فى ش .

استجارت بهم ، غضبنا نحنُ لزرعة وانتقمْنا له ممن يهتضمه ، إنَّ الفضل معدود . والمعنى : إنَّه لا فضلَ لكم علينا ، فقد عددنا مالَكمْ ولنا فلم نجد زيادةً لكم توجب لكم التعلِّيَ والتغلُّب . وإذا كان الأَمرُ بيننا على ٥٨٠ التَّساوِى فلا استبدادَ ولا احتكام . وروى : « إنَّ القِبْص محسوب » بكسر القاف وسكون الموحدة وآخره صاد مهملة ، وهو العدد الكثير ، ويكون الكلام مَثَلا . ويقال : إنَّهم لفى قِبصِ العددِ وفى قِبص الحصا : فى أَكثرِ ما يستطاع عَددُه من كثرته . والمراد أَنَّ الأَعداد الكثيرة تُضبَط وتُحصر ، فكيف ما بيننا من تقارُب أَو تفاضُلٍ ، أَو تساوٍ وتعادل .

وقوله : « ولا يكونَنْ كمُجْرَى داحس » إلخ ، قال المرزوقى : كان التنازع بينهم فى رِهانٍ وقع على عُرقوب ، وهو فرسٌ لهم ، فيقول : لا يكونن جَرْىُ عرقوبٍ عليكم فى الشؤم . كجرى داحس فى غَطَفان ، غداة شِعْب الحَيْس[1] . فقوله « عرقوب » ارتفع على أَنَّه اسمُ ولا يكونَنْ ، وقد حذف المضاف منه ، أَى لا يكونن مجرى عرقوب كمجرى داحس . وغَداة ظرفٌ لمُجْرى . وجَعَل النَّهى فى اللفظ لعرقوب وهو فى المعنى لهم . حذَّرهم استعمالَ اللَّجاج ؛ لئلَّا يتأَدَّى الأَمرُ إلى مثل ما تأَدَّى فى رهان داحسٍ والغبراءِ . ومثلُ هذا فى النَّهى قولهم : لا أَرَيَنَّك ههنا . انتهى .

ولم يذكر أَحدٌ قصَّة هذه الأَبيات .

عبد الله بن عنمة وعبد الله بن عَنَمة ، بفتح العين المهملة والنون والميم . والعَنَمة فى اللغة : واحدة العَنَم ، وهى قضبانٌ حمرٌ تنبتُ فى جوف السَّمُرة تُشبَّه بها البنان المخضوبة . وقيل : هى أَطراف الخَرُّوب الشامى . ويقال :

---

(١) ط : « الحليس » ، وأثبت مافى ش .

هو دودٌ أحمر يكون فى الرّمل يشبَّه به . ويقال : بل هو شيءٌ ينبتُ ملتفًّا على الشجر يبدو أخضرَ ثم يحمرّ .

وعبد الله هذا شاعرٌ إسلامىٌّ مخضرَم ، وذكره ابن حجر (فى القسم الأول ، فى ترجمة عبد الله بن عَنَمة المزنى[1]) ، وهو صحابى ؛ ولم يفردِ الضَّبِّىَّ بترجمة فى قسم المخضرمين من الإصابة[2] . والظاهر أنَّه من المخضرمين . وهذه عبارته فى ترجمة المزنى :

وفى الشعراءِ ممّن له إدراكٌ : عبد الله بن عَنمة الضبّىّ . قال ابن ماكولا شهد القادسيَّة . انتهى .

وهو من بنى غَيظ بن السِّيد ، بكسر السين المهملة .

وهذا نسبه (من الجمهرة) : عبد الله بن عَنَمة بن حُرثان بن ثعلبة ابن ذُؤيب بن السِّيد بن مالك بن بكر بن سَعد بن ضَبّة .

وأما زيد الفوارس الذى ذكره أبو محمد الأعرابىُّ فهو شاعرٌ فارسٌ جاهلىٌّ من بنى ضَبة ، وقد ذكرنا ترجمته فى الشاهد السابع والثمانين

---

(١) الإصابة ٤٨٥٩ .

(٢) هنا حاشية بخط ناسخ الشنقيطية هذا نصها : « هذا خطأ ، بل أفرده فى قسم المخضرمين وذكر أن المرزبانى أفرده فى معجم الشعراء ، وساق نسبه إلى ضبة ، وقال إنه أتى بسطام بن قيس الشيبانى . وذكر ابن حجر له ثلاثة أبيات رثى بها بسطاماً » ، وفى هامش المطبوعة : « هذا سهو ، بل أفرده فى قسم المخضرمين . وذكر أن المرزبانى ذكره فى معجم الشعراء وساق نسبه إلى ضبة ، وقال : إنه رثى بسطام بن قيس . وذكر ابن حجر له ثلاثة أبيات رثى بها بسطاماً . ا ﻫ بتصرف من هامش الأصل . وكتب عليه به : لم أجده فى نسختى من الإصابة . فلعله فى بعض النسخ دون بعض . فالشارح معذور . ك . ا ﻫ » .

وقد أصاب صاحب هذه الحاشية ، فإن ماذكره وارد فى الإصابة برقم ٦٣٣٤ . أما « أتى بسطام بن قيس » فى هامش الشنقيطية فصوابها : « رثى بسطام بن قيس » . وتجد نص المرثية ، وهى ثمانية أبيات فى الحماسة ١٠٢١ – ١٠٢٧ . وأورد ابن حجر فى الإصابة منها ثلاثة أبيات فقط .

بعد المائة[1] . وهو ابن حُصَين بن ضِرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كَعب بن بَجَالة . إلى آخر النسب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد السمائة ، وهو من شواهد س[2] :

٦٥١ (لئِنْ عادَ لى عبدُ العَزيزِ بِمِثْلِها وأَمكننى منهَا إِذَنْ لا أُقيلُها)

على أَنَّ (إذن) لا تعمل فى المضارع الذى يقع جواباً للقسم الذى قبلها ، كما فى البيت .

فإذن مهملة لعدم التصدُّر ، ولا أُقيلها مرفوعٌ ، وهو جواب القسم المذكور فى بيت قبله ، وهو :

(حلفتُ بربٍّ الراقصاتِ إلى مِنًى يَغُول الفيافى نصُّها وزَميلُها)

واللام فى لئن هى اللام المؤْذنة ، ويقال لها الموطِّئة ، لأَنَّها آذنت أى أَعلمت ووطَّأَت أَنَّ الجوابَ للقسم المذكور ، جرياً على المأْلوف المشهور فى اجتماع الشرط والقسم ، أَنْ يكون الجواب للسَّابقِ منهما ، وجوابُ المؤخر محذوفٌ لسدَّ المذكور مسدَّه .

٥٨١ قال سيبويه : ومن ذلك : والله إذن لا أَفعلُ ، من قِبَلِ أَنَّ أَفعل معتمد على اليمين وإذن لغو . وقال كُثَيِّرُ عزَّة :

لئن عاد لى عبد العزيز بمثلها ..... والبيت

(١) الخزانة ٣ : ١٧٧ .

(٢) سيبويه ١ : ٤١٢ والبيان والتبيين ٢ : ٢٤١ والجمل ٢٠٥ وابن يعيش ٩ : ١٣ ، ٢٢ والخزانة ٤ : ٢٨٠ عرضاً وشذور الذهب ٢٩٠ والمغنى ٢١ ، والعينى ٤ : ٣٨٢ والتصريح والتصريح ٢ : ٤٣٤ والهمع ٢ : ٧ والأشمونى ٣ : ٢٨٨ وديوان كثير ٢ : ٧٨ .

قال الأَعلم : الشاهد فيه إلغاءِ إذن ورفعُ لا أَقيلُها اعتمادًا على القَسم المقدَّر فى أَوّل الكلام . والتقدير : والله لئن عادَ لى بمثلها لا أُقيلُها .

وكذا صنع الشاطبىُّ (فى شرح الأَلفيَّة) وقال : إنَّ جملة لا أُقيلها جوابُ القسم . وقال : مثله قولُ الآخر[1] :

لئن نائباتُ الدَّهرِ يوماً أَدَلْنَ لى على أُمِّ عمرٍو دولةً لا أُقيلُها

وهذا البيت من الحماسة . قال ابن جنى (فى إعرابها) : رفعه لا أُقيلها يدلُّك على أَنَّه معتمد لليمين ، وأَنَّ اللام فى لئن ليست الجوابَ للقسم فى البيت الذى قبله . ا هـ.

ولا يصحُّ هنا جعل الجملة جواباً للشرط ، وإِلَّا قيل لا أُقِلْها بالجزم فإِنَّ المضارع المنفىَّ بلا ولم ، يُجزَم شرطاً وجواباً ولم يفتقر إلى الفاءِ .

وزعم ابن هشام (فى المغنى) أَنَّ جملة لا أُقيلها جواب إنْ . قال فيه : والأَكثر أَن تكون إذن جواباً لإِنْ أَو لوْ ، ظاهرتين أَو مقدَّرتين . فالأَوّل كقوله :

لئن عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها . . . . . البيت

واعترض عليه الدَّمامينى (فى الحاشية الهندية) بأَنَّه مخالفٌ للقاعدة المشهورة ، وهى أَنَّ القسم والشرط متى اجتمعا فالجواب للسَّابق منهما ، واللام مصاحبة لقسمٍ مذكور فى بيتٍ قبلها ، فالجواب للقسم السابق لا للشرط اللاحق ، ولهذا لم يُجزَم الفعل . وإلاَّ فلو كان[2] للشرط لجُزِمَ . انتهى .

---

(١) الحماسة ١٢٣٧ بشرح المرزوقى ، بدون تعيين للقائل .
(٢) ش : « وإلا لو كان » .

وما ذكره من القاعدة فى اجتماعهما هو ما نظمه ابنُ مالك (فى الألفيَّة) وقال :

واحذِف لدى اجتماعِ شرطٍ وقسَمْ   جوابَ ما أخَّرتَ فهو مُلتزَمْ

ولم يذكر الشاطبى (فى شرحه) خلافاً فى هذا . وبه تعلم سُقوط قول ابن المُلَّا (فى شرح المغنى) : إطلاق أنَّ إذن جوابٌ مجاز ، فلا يردُ أنَّ رابط هذا الشرط إنما هو الفاءُ أو إذا الفجائية ليقال أراد بكونها حرفَ جوابٍ أنَّها تختصُّ به وإن لم تكن رابطةً له بالشَّرط . والاعتراضُ بأنَّ ما ذكره مخالفٌ للقاعدة ، فالجواب أنَّ التمثيل هنا ليس على المشهور ، بل على رأى ابن مالك كما هو مذهب الفراءِ ، مِنْ جعلِ الجواب للشرط المتأَخِّر . هذا كلامه إن كان له .

وقد عرفتَ أنَّ الجواب لو كان للشَّرطِ لجزم ولم يُحتَجْ للفاءِ أو إذا .

وأغربُ من هذا قول العينى : لا أُقيلها فى موضع جزْم على جواب الشرط ، وعملتْ إن فى الموضع دُونَ اللفظ . والاستشهادُ فى إذن حيث أُلغيت لوقوعها بين القسم والجواب ، وهما : حلفت ، ولا أُقيلها . انتهى .

تتمَّة

قال أبو على (فى المسائل البغدادية) : ذكر سيبويه لئن أتيتنى لأفعلنَّ ، وما أشبهه نحوَ قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا[1] ﴾ ، فزعم أنَّ الذى يعتمد عليه اليمين اللام الثانية . فاعتلَّ أبو إسحاقَ لذلك (فى كتابه فى القرآن) عند قوله تعالى :

(١) الآية ٥٨ من سورة الروم .

﴿ ولقَدْ عَلِمُوا لمَن اشْتَرَاهُ [(١)] ﴾ بأَن قال : إنَّ اللام الثانية هى لام القسم فى الحقيقة ، لأَنَّك إنما حلفت على فعلك لا على فعل غيرك فى قولك : والله لئن جئتنى لأُكرمنَّك . وهذا الذى اعْتلَّ به فاسدٌ جدًّا ضعيف ، وذلك أَنَّه لو قال : لئن جئتنى ليقومنَّ عمرو ، لكان الذى يعتمد عليه القسم اللامَ الثانية مع أَنَّ الحالف لم يحلف على فعل نفسه ، وإنَّما حلف على فعل غيره . فهذا عندى بيِّن الفساد . ولكن ممَّا يدلُّ على أَنَّ الاعتمادَ على اللام الثانية أَو ما يقوم مقامها مما يُتلقَّى به القسم قولُ كثيِّر : ٥٨٢

لئن عادَ لى عبد العزيز بمثلِها ..... البيت

فلو كان الاعتمادُ على اللام فى لئن دون لا لوجَب أَن ينجزم الفعل بعد لا فى الجزاء ، فلمَّا ارتفع الفعلُ الذى هو لا أُقيلها علمتَ أَنَّ معتمد اليمين إنَّما هو على اللام الثانية أَو ما أَشبه اللام . فمن هنا تعلم أَنَّ الاعتماد على الثانية لا من حيث ذكر . ا هـ .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لكثيِّر عزَّة ، يمدح بها عبد العزيز بن مروان . ويتَّصل به من قبْلُ أَبياتٌ ، وهى :

(وإنَّ ابن لَيـلى فاهَ لى بمقالةٍ ... ولو سِرتُ فيها كنتُ ممن يُنيلها
عجبتُ لِتَركِى خُطَّةَ الرُّشد بعدما ... بدا لىَ من عبد العزيز قَبولُها
وأَمِّىَ صَعبـاتِ الأُمورِ أَرُوضها ... وقـد أَمكنتْنى يوم ذَلَّ ذَلولُها
حَلفْتُ بربِّ الراقصاتِ إلى منًى ... يَغُول البلادَ نصُّها وزميلُها
لئن عاد لى عبد العزيز . . . . البيت
فهل أَنت إن راجعْتُكَ القولَ مرَّةً ... بأَحسَنَ منها ، عائدٌ فمُقيلُها)

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

قال ابن هشام اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : ذكر أهلُ الأَخبار أَنَّ كُثَيِّراً لمَّا دخل على عبد العزيز فأَنشده قصيدته التى أَلحق فيها البيتَ المستشهدَ به مع الأَبيات المتقدِّمة ، أُعجب بقوله فيها :

إذا ابتدرَ النَّاسُ المكارِمَ بذَّهُمْ   عُراضَةُ أَخلاقِ ابنِ لَيلى وطُولُها

فقال : حكمَكَ يا أَبا صخر . قال : فإِنِّى أَحكُمُ أَن أَكون مكانَ ابن رُمَّانة . وكان ابن رُمَّانة كاتِبَ عبدِ العزيز وصاحبَ أَمره . فقال له عبد العزيز : تَرَحاً لك[1] ! ما أَردتَ ويلكَ ولا علمَ لك بخراجٍ ولا كتابة ؟ اخرجْ عنِّى! فخرج كثيِّر نادماً على ما حكم ، ثم لم يزل يتلطَّف حتَّى دخل عليه ، فأَنشده :

عجبتُ لتركى خُطَّة الرُّشد ..... الأَبيات

فلما أَتى إلى قوله :

فهل أَنت إنْ راجعتُك القولَ مرّةً ..... البيت

قال له عبد العزيز : أَمَّا الآن فلا ، ولكن قد أَمرنا لك بعشرين أَلفَ درهم .

فقوله فى البيت : (لئن عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها) ، أَى بمقالةٍ مثلها ، وهى قول عبد العزيز له : حكمَك . وقوله : (إذن لا أُقيلُها) أَى أَطلبُ منه ما لاَ اعتراضَ علىَّ فيه ولا قَدْح . هكذا فسَّره العلماءُ ، وهو الصحيح . وما قاله ابن سيده ، أَنَّ عبد العزيز بن مروان كان أَعطاه جاريةً فأَبى كثيِّر من قبولها ، ثم ندِم بعد ذلك فيقول : لئن عاد لى بجارية مثلِها مرّةً أُخرى لا أُقيلها ، غلط . وهو قياسٌ منه ، والصَّحيح ما تقدَّم .ا هـ .

---

(١) ط : « ترى حالك » ، صوابه فى ش .

وممن حكى هذا ابنُ السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) قال : وقيل بل عرضَ عليه أن يهبَ له جارية ويترك التغزُّل بعزَّة ، فأَبى مِن ذلك ، ثم ندِم على ما فعلَ فقال هذا الشعر . اهـ .

ولم يذكر الجاحظ (فى البيان والتبيين) إلّا الوجهَ الأوّل، قال فيه : ومن الحمق كثيِّرُ عَزَّةَ . ومن حُمقه أنَّه دخل على عبد العزيز بن مروان فمدحَه بمديحٍ استجاده ، فقال له : سلْنى حوائجَك . قال : تجعلنى فى مكان ابن رُمّانة . قال : ويلك ذاك رجلٌ كاتب وأنت شاعر ! فلمَّا خرج ولم ينل شيئاً قال فى ذلك : ٥٨٣

* عجبت لتركى خُطَّة الرشد[1] * ..... الأَبيات المتقدمة

وقوله : « وإنَّ ابنَ ليلى فاه لى بمقالة » الخ ، قال السِّيرافى : أَراد بمثل المقالة المذكورة فى هذا البيت . والمعنى ممن يُنيلهوها[2] . والعائد إلى من هو ضمير المذكور المنصوب المحذوف، وضمير المؤنّث للمقالة . وفى ينيلها ضمير فاعل لابن ليلى ، والمعنى ينيله ابنُ ليلى إيَّاها . أى لو سِرتُ فى طلبها .

وقال الأَندلسى : فإن قلت : كيف ينيله المقالة ؟ قلت : يريد المقولة فيه .

قال ابن المستوفِى : وهذا قولٌ غير مشكل ، لأَنَّ عبد العزيز حكَّمه ، ولا نَيْلَ أَوفى من أن يحكِّم المسئُولُ سائلَه . أى لو طلبتُها من عبدالعزيز لعادَ لى بمثلها مُحكَّما ، فكنت ممن ينيله عبد العزيز إيَّاها، على ما ذكره السيرافى .

---

(١) فى البيان : « لأخذى خطة الغى » ، ومؤداهما واحد .

(٢) ط : « ممن ينيلوها » ، صوابه فى ش . وانظر الأشمونى ١ : ١٢٢ .

وقوله : « ولو سرْتُ فيها » أى لو رحلتُ لأَجلها ، أى لطلبها .

وقوله : « عجبت لتَركِى » إلخ ، الخُطَّة ، بالضم : الأَمر والقصَّة . وأَراد بخطَّة الرُّشد تحكيمَ عبدِ العزيز إيّاه فيما يطلب . وفسَّرها العينى وتبعه السيُّوطى بخَصْلة الهِداية . وهذا معناها اللغوىُّ ، ولم يذكر المراد منها .

عبد العزيز بن مروان

وعبد العزيز هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم، والد عمر بن عبد العزيز أمير مصر ، وولىُّ العهد بعد أخيه عبد الملك من أبيهما مروان. وقول الدمامينى : أحدُ الخلفاءِ الأَمويين ، ينبغى حمله على ولاية العهد ، وإِلّا فهو لم يلِ الخلافة أصلاً . لكن يبقى عليه أَنَّ الصَّحيح أَنَّ خلافة مروان غير صحيحة ، وأَنَّه خارجٌ على ابن الزُّبير باغٍ عليه ، فلا يصحُّ عهدُهُ إِلى ولديه .

ولمَّا ملك مرْوانُ الشَّامَ سارَ إِلى مصر ، وغلب عليها ، واستخلف عليها ولده عبدَ العزيز ، فبقى أميرَها إِلى أَنْ مات سنة خمس وثمانين ، عند الأَكثر .

حُكِى عنه أَنَّ رجلا دخل عليه يشكو صهرًا له ، فقال : إِنَّ ختَنَى فعل بى كذا وكذا . فقال له : ومن ختَنَك ؟ وفتح النون . فقال : ختننى الختَّان الذى يختِن الناس . فقال عبد العزيز لكاتبه : ما هذا الجواب؟ فقال : إِنَّ الرجل يعرف النحو ، وكان ينبغى أن تقول : من خَتَنُك ؟ بضم النون . فقال : والله لا شاهدتُ الناسَ حتَّى أَعرفَ النحو ، وأَقام فى بيته جمعةً لَا يظهَر ، ومعه من يعلِّمه العربية ، ثم صلَّى بالناس الجمعة الأُخرى وهو من أَفصح الناس .

وقوله : « وأَمِّىَ صعباتِ » إلخ ، الأَمُّ بفتح الهمزة وتشديد الميم : القصد ، مصدرٌ مضاف إلى فاعله ، ومفعولُه الصَّعْبات بسكون العين . وأروضُها : أُذَلِّلها . والذَّلول ، بالفتح : السَّهل المنقاد .

وقوله : « حلفتُ بربِّ الراقصات » إلخ ، قال ابن السيرافى : الرَّقَص : ضربٌ من الخبب فى العَدْو . وحلف بربِّ الإبل التى يُسار عليها إلى الحجِّ . و « تغول البلاد » : تقطعها . والنَّصُّ والذَّميل : ضربان من العَدْو .

وقوله : « لئن عاد لى عبد العزيز » ، الضمير فى قوله بمثلها راجعٌ لمقالة عبد العزيز ، وهى : حُكمك ، أو سَلنى حوائجك . ويجوز أن يرجع لخُطَّة الرشد التى هى عبارةٌ عن مقالة عبدالعزيز . ولم يذكر غيرَه العينى . ويؤيِّده قول الزمخشرى : منها أى من الخُطَّة . لا أُقيلها ، أى العثرة . اهـ .

والعثرة غير مذكورة فى الكلام ، وإنَّما أعاد الضمير عليها لفهمها من المقام . والإقالة : الردُّ . وفى الدعاء يقال : لا أقال الله عثرته !

قال ابن المستوفى وبعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : ويروى : « لا أُفيلها » بالفاء ، أى لا أُفيل رأْيه فيها ، أو فى التأَخُّر عنه والتثبُّط عن تنجيزِ ما وَعَدَنى به . يقال : فالَ يَفيل فَيلُولة ، إذا ترك الرَّأْى الجيِّد وفعلَ ما لا ينبغى للعقلاء أن يفعلوه . فالفيلولة : ضعف الرأْى . وهذه الرواية هى المناسبة . والله أعلم .

٥٨٤

وترجمة كثيِّر عزَّة تقدَّمت فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلثمائة[1] .

* * *

(١) الخزانة ٥ : ٢٢١ – ٢٢٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد السمائة ، وهو من شواهد المفصَّل[1] :

٦٥٢ (فقالتْ : أَكُلَّ النَّاسِ أَصْبَحْتَ مانحاً
لِسانَكَ كيما أنْ تَغُرَّ وتَخدَعا)

على أنَّ (كى) عند الأخفش حرف جرٍّ دائماً ، ونصبُ الفعل بعدها بأَن مضمرة ، وقد تظهر كما فى البيت .

نقل ابن المستوفى عن صاحب المفصَّل، أنَّه قال فى الحواشى : لمَّا دخل عليها حرف الجرّ تعيَّنت أنَّها حرفٌ ناصب للفعل . فإذا جاءت كى ومعها أنْ كان شاذاً ، للجمع بين المَنُوب والنائب ، كالجمع بين العِوَض والمعوَّض عنه . اهـ .

وهذا عند ابن عصفور ضرورة ، قال (فى كتاب الضرائر) : ومنها زيادة أنْ ، كقولك :

* أردتَ لكيما أن تَطِير بِقربَتى *

أنْ فيه زائدة غير عاملة ، لأَنَّ لكيما تنصب الفعـــل بنفسها ، ولا يجوز إدخال ناصب على ناصب . وأمَّا قول حسَّان :

فقالت أَكُلَّ الناس أَصبحتَ ما نحاً ..... البيت

فأَنْ فيه ناصبة لا زائدة ، أُظهرت للضرورة ، لأَنَّ كيما إذا لم تدخل عليها اللام كان الفعل بعدها منتصباً بإضمار أن ، ولا يجوز إظهارُها فى فصيح الكلام . اهـ .

---

(١) ابن يعيش ٩ : ١٤ — ١٦ والمغنى ١٨٣ وشذور الذهب ٢٨٩ والعينى ٣ : ٢٤٤-٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ والهمع ٢ : ٥ والأشمونى ١ : ٢٧٩ / ٢ : ٢٠٤ وديوان جميل ٢٥ .

ومثله لابن هشام ، قال (فى المغنى) : ولا تظهر أنْ بعد كى بلا لام إلّا فى الضرورة . وأنشد البيت ثم قال : وعن الأخفش أنَّ كى جارّةٌ دائماً ، وأنَّ النصب بعدها بأن ظاهرة أو مضمرة . ويردُّه نحو : ﴿ لكَيْلَا تأْسَوْا[1] ﴾ . فإنْ زعم أنَّ كى تأْكيدٌ للام كقوله :

* ولا لِلما بهم أبدًا دواءُ[2] *

ردَّ بأَنَّ الفصيح المقيس لا يخرَّج على الشاذ . اهـ .

وقال ابن يعيش : ويروى :

* لسانك هذا كى تغرَّ وتخدعا *

وقال السيوطى : رأيته فى ديوان جميل كما قال ابن يعيش ، فلا شاهدَ ولا ضرورة .

وكذا قال ابن المستوفى : هكذا هو فى شعره ، ولعلَّ ما أورده الزمخشرىُّ روايةٌ أُخرى . والمعنى أنَّها قالت له : أهكذا منحتَ لسانك هذا لِتغُرَّهم كما تغرُّنى ، وتخدعَهم كما تخدعنى .

صاحب الشاهد

والصحيح أنَّ البيتَ من قصيدة لجميل العُذْرىِّ صاحبِ بُثينة ، لا لحسَّان بن ثابت . وهذا مطلعُ القصيدة :

(عرفتُ مصيفَ الحىِّ والمتربَّعا ... كما خَطَّت الكفُّ الكتابَ المرجَّعا
معارفُ أطلالٍ لِبَثْنة أصبحتْ ... معارفُها قفراً من الحىِّ بَلقعا
معارف للخَوْد التى قلتُ أجملى ... إلينا فقد أُصْفيتِ بالودِّ أجمعا
فقالت : أَفِقْ ما عِندنا لكَ حاجةٌ ... وقد كنتَ عنَّا ذا عزاءٍ مشيَّعا

(١) الآية ٢٣ من سورة الحديد .
(٢) لمسلم بن معبد الوالبى . وانظر معجم شواهد العربية ٢١ . وصدره :
* فلا والله لا يلفى لما بى *

فقلت لها : لو كنتَ أُعطيتُ عنكمِ عزاءً لأَقللتُ الغداةَ التضرُّعا

فقالت : أَكلَّ النَّاسِ أَصبحتَ مانحاً
لسانَك هذا كى تَغُرَّ وتخدعا(١)

المصيف : موضع الإقامة فى الصيف . والمتربَّع : موضع الإقامة فى الربيع.
وقوله: «كما خطَّت» إلخ ، حال منهما . أَراد أَنَّ الآثار قد انمحت كالخطِّ القديم الذى قد رُوجع للقراءة فيه مرّاتٍ كثيرة(٢) . ٥٨٥

والمعارف : الأَماكن المعروفة . والبلقع : الخالى من الأَنيس . والخَوْد ، بالفتح : الجارية الناعمة ، والجمع خُود بالضم . وأَجملى : أَمرٌ من الإجمال وهو المعاملة بالجميل . وأُصفيتِ مجهول أَصفيته الودَّ ، أَى أَخلصته له . والعزَاءُ : الصَّبرُ . والمشيَّع ، بفتح المثناة التحتية المشددة ، يقال قلبٌ مشيَّع أَى مشجَّع ، أَى ذو شِيعة ، وهم الأَنصار والأَتباع .

وقوله : « فقالت أَكلَّ الناس » إلخ ، الهمزة للاستفهام ، وكلَّ مفعول ثان لمانِحاً ، وفيه تقديم مفعول معمولِ أَصبح عليه ، لأَنَّ مانحًا خبر أَصبح . والمنح : الإعطاء ، يتعدَّى لمفعولين . يقال مَنَحه كذا بفتح النون فى الماضى ، وتفتح وتكسر فى المستقبل . و (لسانك) مفعوله الأَوّل . ومنْح اللسان عبارةٌ عن التلطُّف والتودُّد . وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أَبيات المفصَّل) : وروى : « ماتحًا » بالمثنَّاة من فوق ، من متح الماءَ من البئر إذا استقى منها . وجعلَه هنا بمعنى سقى فعدَّاه إلى

(١) بعده فى الديوان ، وهما تتمة الأبيات الثمانية :

فما نعجة أدماء ترعى مهارقاً تزجى لها طفلا يروح مرضعا
بأحسن منها يوم قالت : ألا أرى جميلا غدا لم ينتظر أن يمنعا

(٢) هذا تفسير ساذج . وإنما المرجع من الكتب الذى أعيد عليه السواد مرة بعد أخرى .
يقال رجع النقش والوشم ترجيعاً : ردد خطوطه . وانظر اللسان (رجع ٤٧٣) .

مفعولين . ويصح أن يكون لسانكَ منصوباً بنزع الخافض ، أى بلسانك . هذا كلامه . وما فى كيما زائدة .

وزعم العينى أنّها مصدريَّة أو كافَّة . ولا وجهَ لهما . فتأمَّلْ .

وغرَّته الدنيا غُرورًا ، من باب قعد : خدعَتْه بزينتها . فمفعوله محذوف ، أى تغرَّهم . وكذا ما بعده . وخدَعه : مكَر به ، بفتح الدال فى الماضى والمستقبل ، والألف للإطلاق .

وترجمة جميل العذرىُّ تقدَّمت فى الشاهد الثانى والستِّين من أوائل الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الستمائة[2] :

٦٥٣ (أردتَ لكيما أنْ تطيرَ بِقرْبتى فتتركَها شَنًّا ببيداءَ بَلْقَعِ)

لما تقدَّم قبله. وقال ابن الأنبارى (فى مسائل الخِلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنَّه يجوز إظهار (أنْ) بعد كى توكيدًا لكى. وذهب بعضُهم إلى أنَّ العامل فى جئتُ لكى أن أُكرمَك ، اللامُ ، وكى وأنْ توكيدان لها . وقالوا : يدلُّ على جواز إظهارها النقل ، كقوله :

* أردتَ لكيما أن تطيرَ بقِربتى *

والقياسُ على تأْكيد بعض الكلمات لبعض ، فقد قالوا : لا ، ما ، إنْ[3] رأيت مثلَ زيد . فجمعوا بين ثلاثة من أحرف الجحد ، للمبالغة .

---

(١) الخزانة ١ : ٣٩٧ – ٣٩٨ .

(٢) معانى الفراء ١ : ٢٦٢ والإنصاف ٥٨٠ وابن يعيش ٧ : ١٩ / ٩ : ١٦ والمغنى ١٧٢ وشرح شواهده للسيوطى ١٧٣ والعينى ٤ : ٤٠٥ والتصريح ٢ : ٢٣١ والأشمونى ٣ : ٢٨٠.

(٣) ط : « لا ما إن » ، وأثبت ما فى ش والإنصاف وإن كان مؤداهما واحداً .

وقال البصريّون : لا يخلو إظهار أن بعد كى إمّا لأنَّها كانت مقدَّرة فظهرت ، وإمّا لأنَّها زائدة . والأوّل باطل ، لأنَّ كى عاملةٌ بنفسها ، ولو كانت تعمل بتقدير أن لكان ينبغى إذا ظهرت أن يكون العمل لأَنْ ، فلمَّا أُضيف العمل إلى كى دلَّ على أنَّها العامل . وكذا الثانى باطل ، لأنَّ زيادتها ابتداءً ليس بمقيس ، فوجب أن لا يجوز إظهار أَنْ بحال . ومنهم من قال : إنَّما لم يجز إظهار أَنْ بعد كى وحتَّى لأنَّهما صارتا بدلاً من اللفظ بأَنْ ، كما صارت ما بدلاً عن الفعل فى قولهم : أمَّا أنت منطلقاً انطلقتُ معك ، والتقدير : أَنْ كنت منطلقاً ، فحذف الفعل وجُعل ما عوضاً عنه . وأمَّا قوله :

* أردت لكيما أن تطير بقربتى *

فلا حجة فيه ، لأنَّ قائله مجهول . وإن عُلم فإظهار أَنْ بعد كى لضرورة الشعر ، أو لأنَّ أن بدلٌ من كى ، لأنَّهما بمعنًى واحد[1] . اه .

والجيِّد هو الجواب الثانى . وأمَّا الأوّل والثالث ففاسدان .

٥٨٦ والذاهب إلى أنَّ العامل اللام ، وكى وأن مؤكِّدان لها ، هو الفراء ، قال (فى تفسيره) ، عند قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ[2]﴾ : مثلُه فى موضع آخر : ﴿واللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ[3]﴾ . والعرب تجعل اللام التى على معنى كى فى موضع أن ، فى أردت وأمرت ، فتقول : أردت أن تذهب وأردت لتذهب ، وأمرتك أن تقوم وأمرتك لتقوم . قال تعالى : ﴿وأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ[4]﴾ ، وقال فى موضع آخر : ﴿قُلْ إنِّى أُمِرْتُ أَنْ

(١) تصرف البغدادى فى هذا النص تصرفاً كبيراً .
(٢) الآية ٢٦ من سورة النساء .
(٣) الآية ٢٧ من سورة النساء .
(٤) الآية ٧١ من سورة الأنعام .

أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ[١] ﴾ وقال: ﴿ يُرِيدُون لِيُطْفِئُوا[٢] ﴾ و ﴿ أَن يُطْفِئُوا[٣] ﴾.
وإنّما صلحت اللام فى موضع أَنْ فى أُمرت وأَردت ، لانَّهما يطلبان المستقبل ولا يصلحان مع الماضى . أَلا ترى أَنَّك تقول : أَمرتك أَن تقوم ، ولا يصلح أَمرتك أَن قمت ، وكذلك أَردت . فلمَّا رأَوْا أَنْ فى غير هذين تكون[٤] للماضى وللمستقبل، استوثقُوا لمعْنَى الاستقبالِ بكى[٥] وباللام التى فى معنى كى . وربَّما جمعوا بينهما ، وربما جمعوا بين ثلاثِهنَّ . أَنشدنى أَبو ثَرْوان :

أَردتَ لكيما أَنْ تُرى لى عَثْرة ... ومَن ذا الذى يُعطَى الكمَالَ فيكمُلُ[٦]

فجمع بين اللام ، وكى وأَن . وقال تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا[٧] ﴾ . وقال الآخر فى الجمع بينهنَّ :

* أَردتَ لكيما أَنْ تطيرَ بقربتى * ..... البيت

وإنَّما جمع بينهنَّ لاتِّفاقهنَّ فى المعنى واختلاف لفظهنَّ . قال رؤبة :

* بغير لا عصفٍ ولا اصطرافِ *

وربَّما جمعوا بين ما ولا وإن التى على معنى الجحد ، أنشدنى الكسائىُّ فى بعض البيوت :

* لا ما إن رأَيت مثلك *

---

(١) الآية ١٤ من سورة الأنعام .
(٢) الآية ٨ من سورة الصف .
(٣) الآية ٣٢ من سورة التوبة .
(٤) ش : « يكون » .
(٥) ط : « لكى » ، صوابه فى ش ومعانى القرآن ١ : ٢٦٢ .
(٦) ورد أيضاً فى همع الهوامع ٢ : ٥ والدرر ٢ : ٥ .
(٧) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

فجمع بين ثلاثة أحرف . وربَّما جعلت العرب اللامَ مكان أنْ فيما أشبه أردت وأمرت ، مِمَّا يطلب المستقبل . أنشدنى أبو الجرَّاح الأَنْفُ ، من بنى أنف النَّاقة ، من بنى سعد :

ألم تسأل الأنفىَّ يوم يسوقُنى ... ويزعمُ أنِّى مُبطل القولِ كاذبُه
أحَاوَلَ إعناتى بما قال أَمْ رجا ... ليضحكَ منى أو ليضحكَ صاحبُه[1]

والكلام : رجَا أن يضحك . ولا يجوز ظننت لتقوم ، وذلك أنَّ أَن التى تدخل مع الظنِّ تكون مع الماضى نحو : أَظُنُّ أن قد قام زيد ، فلم تُجعل اللام فى موضعها ولا كى[2] إذْ لم تطلب المستقبل وحدَه . وكلَّما رأيت أنْ تصلح مع المستقبل والماضى فلا تدخِلنَّ عليها كى ولا اللام .

هذا كلام الفراء . وظهر منه أنَّ أن لا تكون إلَّا مع كى المسبوقة باللام مع تقدُّم أحد الفعلين من أمر وأراد، وما أشبههما ، وأنَّ لام كى لا تكون إلَّا مسبوقة بأحد هذين الفعلين .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : كى تكون بمنزلة أن المصدرية معنًى وعملا ، نحو: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا[3] ﴾، يؤيِّده صحة حلول أنْ محلَّها ، وأنَّها لو كانت حرفَ تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل . ومن ذلك : جئتك كى تكرمَنى ، إذا قدَّرت اللام قبلها ، فإنْ لم تقدِّر فهى تعليليَّة جارَّة ، ويجب حينئذ إضمار أَن . ومثله فى الاحتمالين قوله :

* أردتَ لكيما أن تطيرَ بقِربتى *

---

(١) ش : « أو رجاً » .
(٢) معانى الفراء : « ولا كى فى موضعها » .
(٣) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

فكى إمّا تعليلية مؤكِّدة للام ، أو مصدريَّة مؤكَّدة بأن . ولا تظهر أنْ بعد كى إلَّا فى الضرورة ، كقوله :

* كيما أن تغرَّ وتخدعَا[(١)] *

وقوله : « أردتَ لكيما » إلخ ، ما صلة وزائدة . والطَّيران هنا مستعارٌ للذَّهاب السريع . و (القربة) بكسر القاف معروفة . و (تتركَها) منصوب بالعطف على تطير . والترك يستعمل بمعنى التخليَة ويتعدَّى لمفعول واحد ، وبمعنى التصييرِ ويتعدَّى لمفعولين ، وهنا محتملٌ لكلٍّ منهما . فشنًّا على الأَوّل حال من الهاءِ ، وعلى الثانى هو المفعول الثانى ، و « ببيداءَ » عليهما متعلِّق بالترك ؛ أو هو المفعول الثانى ، وشَنًّا حال . وبَلقع بالجر صفة بيداءَ .

٥٨٧

وقال العينى : شنًّا حال بتأْويل متشنِّنة ، من التَشَنُّن[(٢)] وهو اليبس فى الجلد . والباءُ فى ببيداءَ تتعلَّق بمحذوف ، تقديره شنًّا كائنةً ببيداءَ . هذا كلامه .

والشَّنُّ ، بفتح المعجمة وتشديد النون : القِربةُ الخَلَق . والبَيْداءُ : الفلاة التى يَبيد من يدخلُها ، أى يَهلِك . والبلقعُ : القَفْر .

وهذا البيت قلمَّا خلا منه كتابٌ نحوى ، ولم يعرف قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الستِّمائة[(٣)] :

٦٥٤ (كَىْ لتَقْضِينى رُقَيَّةُ ما وَعَدَتْنى . . . .) البيت .

---

(١) هو الشاهد ٦٥٢ المنسوب لجميل . انظر ما سبق ص ٤٨١ .

(٢) ط : « التشنين » ، صوابه فى ش والعينى .

(٣) العينى ٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٢٣١ والهمع ١ : ٥٣ والأشمونى ٣ : ٢٨١ وديوان ابن قيس الرقيات ١٦٠ .

على أنَّ الأَخفش يعتذر لتقدُّم اللام على كى فى (لكَيْما) وتأَخُّرها عنها فى (كى لتقضينى) أَنَّ المتأَخِّر بدلٌ من المتقدِّم .

وهذا يَرُدُّ على الكوفيِّين فى زعمهم أَنَّ كى ناصبة دائماً ، لأَنَّ لام الجر لا تفصل بين الفعل وناصبهِ . كذا قال ابن هشام (فى المغنى) .

وقال الدماميني : هذا الردُّ على الكوفيِّين ظاهر . أَمّا إذا جُعل النصبُ بأَن مضمرة كما يقول البصريُّون ، وكى جارّةٌ تعليليَّة أُكِّدَت بمرادفها وهى اللام ، انتفى هذا المحذور . نعم يلزم الشُّذوذ من جهة هذا التأْكيد ، ولكنَّه سُمع فى كلامهم ، بل هو أَحقُّ ، من نحو قوله :

* ولا لِلِما بهِمْ أَبدًا دواءُ[1] *

لاختلاف الحرفين لفظاً .

هذا كلامه ، وهو خلافِ ما (فى التَّذكِرة) لأَبى على ، قال فيها : كى هنا بمعنى أَنْ ، ولا تكون الجارّةَ ، لأَنَّ حرف الجرِّ لا يتعلَّق . وإذا كانت الأُخرى كانت زائدة ، كالتى فى قوله :

* كأَنْ ظبيةٍ تعطُو إلى وارقِ السَّلَمْ[2] *

وقال النِّيليُّ (فى شرح الكافية) : ويحتمل أَن يكون أَراد: لكى تقضينى ، فقدَّم وأَخَّر .

صاحب الشاهد والبيت من أَبياتٍ لابن قيس الرُّقيّات ، محذوفُ الآخر ، وقبله :

---

(١) انظر ماسبق فى ص ٤٨٢ س ٥ .

(٢) لابن صريم اليشكرى . وهو الشاهد ٨٧٤ . وصدره :

* ويوماً توافينا بوجه مقسم *

(ليتَنى أَلقى رُقيَّةَ فى خَلوةٍ من غير ما أَنَسِ
كى لتقضينى رُقيَّةُ ما وعَدتْنى غيرَ مُختَلَسِ[1])

ورقيَّة : اسم محبوبته . والأَنَس . بفتحتين بمعنى الإنس ، بكسر الهمزة وسكون النون . وما زائدة ، وفيه مضاف محذوف تقديره من غير حضور أنَس .

وقوله : « لتقضينى » علّة لقوله أَلقَى . والقضاء : الأَداء ، يقال قضيت الحجَّ والدَّين ، أى أَدَّيتُهما . فهو متعدٍّ لمفعول واحد . فما فى البيت بدل اشتمال من الياء . وكون ما موصوفةً أَحسنُ من كَونها مَوصولة . فتأَمَّلْ .

وقال العينى : مفعول ثانٍ لتقضينى ، وهى يجوز أنْ تكون موصولة والعائد محذوف ، أى وعَدتْنى إيّاه . ويجوز أَن تكون مصدريّة ، أى لتقضينى وعدَها لى . اهـ .

وهو فى هذا محتاجٌ إلى أَن يثبت قَضَى متعدِّياً إلى مفعولين ، ولا سبيل إليه إلَّا بتضمين ، وهو غير مقيس .

و (المختلَس) بفتح اللام : مصدر ميمى ، يقال خلست الشىءَ خلساً ، من باب ضرب ، واختلستُه اختلاساً ، أى اختطفته بسُرعة على غفلة . و (غير) مفعول مطلق ، أى لتقضينى قضاءً غير اختلاس . والمراد : لأَنال مِن وصلها فى أَمنٍ من الرُّقباء .

---

(١) الشاهد من بحر المديد . قال العينى : « وفيه الخبن والحذف والكف » ، صوابه « الخبن والحذف » فقط .

وقد تقدَّمت ترجمة ابن قيس الرقيات فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد الخمسمائة[١] .

* * *

٥٨٨ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الستمائة[٢] :

٦٥٥ (فثُمَّ إذا أَصبحتُ أَصبحتُ غاديًا)

على أَن الحرف قد يُبدل من مثله الموافقِ له فى المعنى ، كما فى البيت ، فإنَّ ثُمَّ بدلٌ من الفاء .

وذهب ابن جنى (فى سر الصناعة) ، وتبعه ابن هشام (فى المغنى) إلى أَنَّ الفاءَ زائدة . قال : لأَنَّ الفاءَ قد عُهِد زيادتها .

وكذا (فى كتاب الضرائر) لابن عصفور ، قال : ومن زيادة الفاءِ قوله :

يَموت أُناسٌ أَو يشيبُ فتاهُم ويحدثُ ناسٌ والصغيرُ فيكبرُ[٣]

يريد : والصغير يكبَر . وقول أَبى كبير :

فرأَيتُ ما فيه فثُمَّ رزِئتُه فلبثتُ بعدكَ غير راضٍ مَعْمَرِى[٤]

يريد : ثم رزئته . وقول الأَسود بن يعفر :

فَلنَهشلٌ قومى ولى فى نَهشلٍ نَسَبٌ لعمر أَبيك غيرِ غِلابِ[٥]

---

(١) الخزانة ٧ : ٢٨٤-٢٨٩ .

(٢) سر الصناعة ١ : ٢٦٦ وابن الشجرى ٢ : ٣٢٦ وابن يعيش ٨ : ٦٩ والمغنى ١١٧ والهمع ٢ : ١٣١ والأشمونى ٣ : ٩٥ وديوان زهير ٢٨٥ .

(٣) الهمع ٢ : ١٣١ والدرر ٢ : ١٧٢ بدون نسبة . ط : « أو يشب فأهم » ، صوابه فى ش والهمع .

(٤) ديوان الهذليين ٢ : ١٠١ وشرح السكرى ١٠٨٢ . وقبله :

وبياض وجه لم تحل أسراره مثل الوذيلة أو كشنف الأنضر

(٥) ط : « نشب » ، صوابه فى ش .

زاد الفاءَ فى أوّل الكلام لأنَّ البيت أوّلُ القصيدة . اهـ .

وقال النِّيلى (فى شرح الكافية) : الذى أراه أنَّ الفاءَ للترتيب المتَّصل فى الحكم ، ، وكأنَّ الشاعر أخبرنا بالحكم الثانى عقب إخباره بالحكم الأوّل .

ونقل السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : عن السِّيرافى أنَّه قال : الأجود فَثَمَّ . بفتح المثلثة ، لكراهة دخول عاطف على عاطف .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ لزهير بن أبى سُلمى ، وهى :

أبيات الشاهد (ألا ليتَ شعرى هل يرى الناسُ ما أرى
من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا

بدا لىَ أنَّ الناس تَفنى نفوسُهم … وأموالُهم ولا أرى الدهرَ فانيا
وأنِّى متى أَهبطْ من الأرض تَلعةً … أجدْ أثراً قبلى جديداً وعافيا
أرانى إذا ما بتُّ بتُّ على هَوًى … فثُمّ إذا أصبحتُ أصبحتُ غاديا
إلى حفرةٍ أهوِى إليها مقيمةٍ … يَحُثُّ إليها سائقٌ من ورائيا
كأنِّى وقد خلَّفت تسعين حِجّةً … خلعتُ بها عن مَنكبىَّ ردائيا
بَدا لىَ أنِّى عِشتُ تسعين حِجّةً … تِباعاً ، وعشراً عشتُها ، وثمانيا
بدا لىَ أنَّ الله حقٌّ فزادنى … من الحقِّ تقوى الله ماقد بدا ليا
بدا لىَ أنِّى لستُ مدركَ ما مضى … ولا سابقاً شيئاً إذا كان جائيا[1]
أُرانى إذا ما شئتُ لاقيتُ آيةً … تذكِّرنى بعضَ الذى كنتُ ناسيا
وما إن أرى نفسى تَقِيها كريمتى … وما إن تَقى نفسى كريمةَ ماليا

(١) فى ديوان زهير ٢٨٧ : « ولا سابق شىء ». وفى الشرح : « ويروى : « ولا فائتى » .

ألا لا أرى على الحوادث باقيَا ولا خالدًا إلَّا الجبالَ الرَّواسيا

وإلَّا السَّماءَ والبلادَ وربَّنا وأيامَنا معدودةً واللَّياليا

ألم تر أنَّ اللهَ أهلكَ تُبَّعا وأهلك لقمانَ بن عادٍ وعاديا

وأهلَكَ ذا القرنين من قبلِ ما ترى وفرعونَ أردى كيدَهُ والنَّجاشيا

إذا أعجبتكَ الدَّهْرَ حالٌ من امرئٍ فدَعْهُ وواكلْ حالَهُ واللَّياليا

ألا لا أرى ذا إمَّةٍ أصبحت به فتتركَه الأيَّامُ وهى كما هيَا

٥٨٩

ألم تَر للنُّعمانِ كانَ بنجوةٍ من الشَّرِّ لو أنَّ امرأً كان ناجيا

فغيَّر عنه مُلكَ عشرين حجةً من الدَّهر يومٌ واحدٌ كان غاويا[1]

فلم أر مسلوبًا له مثلُ مُلكه أقلَّ صديقاً معطياً أو مواسيا[2]

فأين الذين كان يُعطى جيادَه بأرسانهنَّ والحسانَ الغواليا[3]

وأين الذين كان يُعطيهمُ القُرَى بغَلَّاتهنَّ والمئينَ العواديا[4]

وأين الذين يَحضرُون جِفانَهُ إذا قُدِّمَتْ ألقَوْا عليها المراسيا

رأيتُهمُ لم يُشْرِكوا بنفوسهمْ منيَّتَه لمَّا رأوا أنَّها هيا

سوى أنَّ حيًّا من رَوَاحة حافَظُوا وكانوا أناسًا يتَّقون المخازيا[5]

فسَاروا له حتَّى أناخوا ببابه كِرامَ المطايا والهجانَ المَتَاليا[6]

---

(١) فى الديوان : « رشد عشرين حجة » .

(٢) فى الديوان : « مثل قرضه » .

(٣) فى الديوان : « الحواليا » ، جمع حالية .

(٤) فى الديوان : « والمئين الغواليا » . قال : « ويروى الغواديا » .

(٥) فى الديوان : « أقبلوا وكانوا قديماً » .

(٦) فى الديوان :

يسيرون حتى حبسوا عند بابه ثقال الروايا والهجان المتاليا

فقال لهم خيراً وأثنى عليهمُ ... وَوَدَّعهم وداعَ أن لا تلاقيا
وأَجمعَ أَمرًا كان ما بعدَه لـه ... وكان إذا ما اخْلَوْلجَ الأَمرُ ماضيا)

قال صَعوداءُ ، والأَعلم الشنتمرىُّ (فى شرحيهما لديوان زهير) : هذه القصيدة قالها زهير يذكر النُّعمانَ بن المنذر ، حيثُ طلبه كسرى لِيَقْتُلَهُ ، ففرَّ فأَتى طَيِّئاً ، وكانت ابنةُ[1] أَوس بن حارثة بن لأْم عنده ، فأَتاهم فسأَلهم أَن يدخلوه جبَلَهم فأَبوا عليه . وكانت له يدٌ فى بنى عبس فى مَرْوان بن زنباع ، وكان أُسِر فكلَّم فيه عمرَو بن هند عمَّه وشفَع له فشفَّعه ، وحَمَله النعمان وكساه . فكانت بنو عبسٍ يشكرون ذلك للنُّعمان . فلمَّا هرب من كسرى ولم تُدخله طيِّئُ جبلَها لقيَتْه بنو رَوَاحةَ مِن عبس ، وهم رهطُ مروان بن زِنباع ، فقالوا له : أَقِمْ فينا[2] فإنَّا نمنعك مما نَمنع منه أَنفسَنا . فقال لهم : لا طاقة لكم بكسرى وجنوده . فأَبى وساروا معه ، فأَثنى عليهم خيراً وودَّعهم .

وقال الأَصمعىُّ : ليست لزهير ، ويقال هى لصِرْمة الأَنصارىّ . ولا تشبه[3] كلام زهير .

وقوله : « ولا أَرى الدهَّر فانيًا » ، قال صعوداءُ : يقال إنَّ الدهر هو الله جلَّ وعزَّ ثناؤه ، وإنَّما يراد بذلك أَنَّ الذى يُحدثه الدهر إنَّما هو من تقدير الله ، فلا ينبغى أَن يُسَبّ الدهر ، لأَنَّه يرجع إلى سبِّ ما قدَّر الله .

وقوله : « وأَنِّى متى أَهبطْ » إلخ ، قال الأَعلم : التَّلعة : مجرى الماء إلى

---

(١) ط : « وكان ابن » ، صوابه فى ش وشرح ثعلب ص ٢٨٣ .
(٢) ط : « قم فينا » ، صوابه فى ش وشرح ثعلب .
(٣) ط : « ولا يشبه » .

الرّوضة ، وتكون فيما علا عن السَّيل وفيما سَفَل عنه . ودُون التَّلعة الشُّعبة.
والعافى : الدارس . يقول : حيثما سار الإنسان[١] من الأَرض فلا يخلو من أَن يجدَ فيه أَثرًا قديماً أَو حديثاً[٢] .

وقوله : « أُرانى إذا ما بتُّ » إلخ . مع البيت بعده . قال صعوداءُ : على هوًى ، أَى على أَمر . يقول : أُرانى إذا مابتُّ على أَمرٍ أَو حاجة أُرِيدُها ثم أَغدو وأَدع .

وقال الأَعلم : أَى لى حاجةٌ لا تنقضى أَبدًا ، لأَنَّ الإنسان ما دام حيًّا فلا بدَّ من أَن يهوَى شيئًا ويحتاج إليه .

ولم يتعرَّض كلٌّ منهما إلى قوله فثمّ .

وفى جميع النسخ : « غاديَا » بالغين المعجمة . وروى البيت (فى مغنى اللبيب) كذا :

أُرانى إذا أَصبحتُ أَصبحتُ ذا هوًى فثُمَّ إذا أَمسيتُ أَمسيتُ عاديا

قال ابن المُلاَّ : أُرانى من أَفعال القلوب التى يجوز أَن يكون فاعلها ومفعولها الأَوّل ضميرين متَّصلين متَّحدىِ المعنى . والهوى : إرادة النفس أَى أُصبح مريدًا لشىءٍ وأُمسِى تاركاً له متجاوزاً عنه . يقال عدَا فلان الأَمر ، إذا تجاوزَه .

٥٩٠

قال الشُّمُنِّىُّ : وهذا يدلُّ على أَنَّ عادياً بالعين المهملة . وهو مضبوطٌ فى بعض نسخ المغنى وغيره بالمعجمة .

---

(١) فى النسختين : « صار الإنسان » ، وأثبت مافى الشنتمرى ٨٧ .
(٢) عند الأعلم الشنتمرى : « من أن يجد فيه أثرا قبل أثر ه قديماً و حديثاً » .

قال ابن القطّاع : غدا إلى كذا : أصبح إليه. ورواية الإعجام أنسب بالبيت بعده ، إذ يقال غدا إلى كذا بمعنى صار إليه . وإن صحّ أن يقال المعنى متجاوزاً إلى حفرة . ووصف الحفرةَ بكونها مقيمةً إمّا على مُعتَقَد الجاهليّة من أنَّه لا فناءَ للعالَمِ ولا بعثَ ، أو المقيمةُ عبارةٌ عن ذات المدَّة الطويلة . والسائق : الذى يحثُّ على العَدْو إلى تلك الحفرة ، وهو الزمان[1] ، فإنَّه المفنى المبيدُ عندهم . اهـ .

وقوله : « كأنِّى وقد خَلَّفت » إلى آخره . قال الأعلم : أى لا أجد مَسّ شىءٍ مضى ، فكأنَّما خَلَعْتُ[2] به ردائى عن مَنكبى .

وقوله :

* بدا لىَ أنِّى لستُ مدركَ ما مضى *

يأتى إن شاء الله شرحه فى الجوازم[3] .

وقوله : « أُرانى إذا ما شئتُ[4] » إلخ ، أى إذا غفلتُ عن حوادث الدَّهر من موت وغيره ونسيتُها رأيتُ آيةً مما تصيب غيرى ، فذكَّرتنى ما كنتُ نسيت . والآية : العلامة .

وقوله : « وما إن أرى » إلخ . قال صَعوداءُ : كريمة ماله : أهلُه وخاصَّته . وروى الأعلم : «كريهتى» . وقال : لا تَقِى نفسى من الموت كريهتى ، أى شدَّتى وجراءتى ، ولا تقيها كرائمُ مالى .

وقوله : « ألم تر أنَّ الله أهلك تُبَّعًا » إلى آخره ، تُبَّع : ملكُ اليمن .

---

(١) ش : « هو الزمان » بطرح الواو .

(٢) ش : « خلفت » ، صوابه فى ط والشنتمرى .

(٣) هو الشاهد ٧٠٤ فى ٦٤٦ بولاق .

(٤) ط : « إذا ما نسيت » ، صوابه فى ش ونص الشعر .

وعادياءُ أبو السموءَل [١] ويقال السموءَل [٢] بن حيا بن عادياء . وكان له حصنٌ بتيماءَ . وهو الذى استودعَه امرؤ القيس أدراعَه . وقال صَعُوداءُ : عادياءُ ابنُ عاد . وأوَّل من سَنَّ الدِّيَة لقمان بن عاد . وأوّل من تكلَّم بالعربية العمالقة بمكة ، ملوك كان يقال لهم العمالقة ، ولا يدرى لأىِّ شيءٍ سُمّوا بذلك . ا هـ .

والنجاشىُّ : ملك الحبَشة . والإِمَّة بالكسر : النَّعمة والحالةُ الحسنة ، أى من كان ذا نَعمةٍ فالأَيّام لا تتركه ونَعْمتَه كما عُهِدت ، أى لا بدَّ من أن تغيِّرها الأَيام . وقوله : « كان بنجوة من الشرِّ »، أى كان بمعزِل منه . يقال فلانٌ بنجوةٍ من السَّيل ، إذا كان بموضع مرتفع حيثُ لا يدركه السَّيل . وروَى صعوداءُ : « بنجوة من العيش » وقال : أى كان بمرتفع من السُّلطان والملك .

وقوله : « فغيّر عنه ملكَ » إلخ ، الحِجَّة بالكسر : السَّنة . والغاوى هنا : الواقعُ فى هَلَكة . وقال صَعوداءُ : نسب اليومَ إلى الغىّ لأَنَّ الغى كان فيه .

وقوله : « فلم أَر مسلوباً» إلخ ، يقول : لم أَر إنساناً سُلب النَّعيم والمُلْك ، وله عند الناس أَيادٍ ونعم كثيرة فلم يَفِ له أَحدٌ ولم يواسِهِ ، كالنُّعمان حينَ لم يُجِرْه من استجار به . والباذل : المعطى . وقوله : « والمئين الغواديا » ، أى كان يهَبُ المئين من الإبل فتغدُو عليهم .

وقوله : « أَلقَوْا عليها المَرَاسيا » أى ثبتوا عليها آكلين منها . والمَرَاسى :

(١) ش : « عادياً » بالقصر ، فى هذا الموضع وتاليبه .
(٢) ط : « ويقال أبو السموءل » ، صوابه فى ش .

جمع مَرْسًى ، وهو من رسا يرسو ، إذا ثبتَ وأقام ، ومنه مَرْسى السفينة .
والجفان : القصاع .

وقوله : « لم يُشْرِكوا بنفوسهم » أى لم يواسوه فى الموت ، ومعناه لم يَخلِطوه بأنفسهم حين استجار بهم من كسرى .

والهجان : البيض من الإبل ، وهى أكرمُها . والمتَالى : التى تتلوها أولادها ، جمع مُتْلية .

وقوله :[1] « فقالهم خيراً » أى قال النعمان لبنى رَوَاحة خيرًا لما دعَوْه إلى مجاورتهم وودَّعهم وداعَ مَن يتيقنّ بالموت .

وقوله : « وأجمع أمرًا » إلخ ، ما بعده أى من ثنائه . واَخْلَوْلَجَ : التَوَى ولم يستقمْ . والماضى : النافذ فى الأمر العازمُ عليه . ٥٩١

وترجمة زهير تقدَّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الستمائة[3] :

٦٥٦ (إذا أنتَ لم تَنْفَعْ فضُرَّ فإنَّما
يُرادُ الفتى كيما يَضُرُّ ويَنفَعُ)

على أنَّ (يضرُّ) بالرفع ، وما كافَّةٌ وقيل مصدريَّة ، وكى جارة ، أى لمضرَّته ومنفعته .

وهذان الوجهان أجازهما أبو على (فى التَّذكِرة القصْرية) و (فى البغداديات) كما ننقله فى البيت بعده .

---

(١) مابعده إلى « قوله » التالية ساقط من ش .
(٢) الخزانة ٢ : ٣٣٢ – ٣٣٦ .
(٣) المغنى ١٨٢ والعينى ٣ : ٢٤٥ / ٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٣ والأشمونى ٢ : ٢٠٤/٣ : ٢٧٩ وملحقات ديوان قيس بن الخطيم ١٧٠ .

وكذا قال ابن هشام (فى المغنى) .

وقال العينى : إنَّ دخول كى على المصدرية نادر .

ورأيت (فى طبقات النُّحاة) لأَبى بكر محمد الشَّهير بالتاريخى عند ترجمة يونس بن حبيب ، أَنَّ يونس قال : كان عبد الأَعلى بن عبد الله بن عامر فصيحاً ، وهو الذى يقول :

إذا أَنت لم تنفع فضرَّ فإنَّما يرجَّى الفتى كيما يضرَّ وينفعا

فعلى هذه الرواية ما زائدة ويضر منصوب بكى واللام مقدَّرة ، وأنت فاعل لفعل محذوف يفسِّره المذكور ، أى إذا لم تنفع الصديق فضرَّ العدو . وإنَّما قدِّر الفعل واقعاً على هذا المفعول لأَنَّ العاقل لا يأْمر بالضر مطلقاً ، وحُسن المقابلة اقتضى تعيين الأَوَّل .

و (يرجَّى) بتشديد الجيم المفتوحة ، أَى إنَّما يرجَّى الكامل فى الفتوَّة لضررِ من يستحق الضَّرَّ، ونفعِ من يستحقُّ النفع .

وقيل : يمكن حمل البيت على أَنَّ المراد الحثُّ على النفع بالأَمر بالضَّرر ، لا على أَنَّه مراد، ولا يقدَّر للفعل متعلَّق ، بملاحظة أَنَّ الإنسان إنَّما يُقصَد ويكثُر رجاؤه لوصفٍ فيه لا لذاته .

وروى : « يُراد » بدل « يرجَّى » .

قال العينى : البيت للنابغة الذُّبيانىّ ، وقيل للنابغة الجعدى . والأَصحُّ أَنَّ قائله قيس بن الخطيم . ذكره البحترىُّ (فى حماسته). اهـ .

ولم نسمع أن للبحترى حماسة[1] .

ونسبه الإمام الباقلَّانىُّ (فى كتاب إعجاز القرآن) لقيس بن الخطيم بنصب يَضُرِّ وينفع . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الستمائة[2] :

٦٥٧ (لا تَظلِمُوا النَّاسَ كما لا تُظلَمُوا)

على أنَّ المبرد والكوفيِّين جَوَّزُوا نصب المضارع بعد (كما) على أنَّ أصلها كيما ، حذفت الياءُ تخفيفاً ، فإنَّ لا تُظْلَموا منصوب بحذف النون بها ، وقيل بل نصبُه بما المصدريَّة حملاً على أن المصدرية كما أنَّ أنْ تُهمل حملا على ما . وهذا من باب التقارض .

فالكاف حينئذ للتشبيه .

والبصريُّون يمنعون ذلك ، وينشدون :

* لا تظلمِ النَّاس كما لا تظلمُ *

بالتوحيد ، فالفعل مرفوع على هذا بعد لا النافية ،والكاف للتشبيه ، وما كافَّة .

---

(١) هكذا يقول البغدادى . والواقع أن هناك نسخة وحيدة من حماسة البحترى مودعة فى مكتبة ليدن برقم ٨٨٩ كما نص عليه بروكلمان . وقد طبعت حماسة البحترى عدة طبعات أولاها سنة ١٩٠٩ بمطبعة بريل . وهى من رواية أبى العباس أحمدبن محمد، المعروف بابن أبىخالد الأحول، عن أبيه عن البحترى اختارها من شعر العرب ، وأهداها للفتح بن خاقان، ورتبها على ١٧٤ باباً . وقد عنى الأب لويس شيخو بطبعها مضبوطة بالشكل الكامل ووضع لها فهرسا : للشعراء ، وقوافيهم، مع مقدمة باللغة الفرنسية . وذلكفى المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩١٠ . وقد استعان فيها بطبعة ليدن المصورة سنة ١٩٠٩ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٨٦ والإنصاف ٥٨٧ ، ٥٩١ والخزانة ٤ : ٢٧٦ بولاق وملحقات ديوان رؤبة ١٨٣ .

قال سيبويه : سألت الخليل عن قول العرب : انتظرنى كما آتيك فزعم أنَّ ما والكاف جُعلتا بمنزلة حرف واحد وصيِّرت للفعل كما صيِّرت للفعلُ ربَّما ، والمعنى لعلِّى آتيك . فمن ثَمَّ لم ينصبوا به الفعل كما لم ينصبوا بربَّما . قال :

* لا تشتُمِ الناسَ كما لا تُشتَم[1] *

وقال أبو النجم :

قلتُ لشيبان ادنُ مِن لقائه كما تُغدِّى القومَ من شِوائه

انتهى .

٥٩٢ قال الأعلم : الشاهد وقوع الفعل بعد كما لأنَّها كاف التشبيه ووصلت بما ، لوقوع الفعل بعدها ، كما فعل بربَّما ، ومعناها هُنا لعلَّ ، أى لا تشتم الناس لعلك لا تشتم إنْ لم تشتمهم . ومن النحويِّين من يجعلها[2] بمعنى كى ويجيزُ النصب بها ، وهو مذهب الكوفيين .

وقال النحاس : هذا قول الخليل وسيبويه . وحكى ابنَ سعدان النصبَ بكما إذا كانت بمعنى كيما ، وقد حكاه الأخفشُ سعيد .

وقوله : « قلت لشيبان» إلخ يأمر ابنه شيبان باتِّباع ظليمٍ والدنوِّ منه ، لعلَّه يصيده فيطعم أصحابَه من شوائه .

وقال أبو على (فى البغداديات) بعد أن نقل عبارة سيبويه : جعل سيبويه (كما) فى هذا البيت كالتى فى البيت الأوَّل . وأنشده أبو بكر

---

(١) هو الشاهد ٨٣٨ . وانظر سيبويه ١ : ٤٥٩ بولاق .

(٢) يعنى « كما » . وفى ش : « من يجعلها » تحريف .

عن يعقوب أو غيره من أهل الثبت فى اللغة : « كيما تغدّى القوم» . وقال : شيبان : ابنُه ، أى قلت له اركَبْ فى طلبه كيما تصيدَه فتُغدِّىَ القوم به مشويًّا . يصف ظليما . وأقول : إنَّ ما على هذا الإنشاد تحتمل وجهين : يجوز أن تكون زائدة كالتى فى قوله :﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ [(١)]﴾ والفعل منصوب . بإضمار أنْ ، إلّا أنَّه ترك على الإسكان ، وذلك مما يستحسَنُ فى الضرورات . ويجوز أن تكون ما بمعنى المصدر ، فى موضع جرٍّ بكى ، وتغدِّى صلته وموضعه رفع . ونظير ذلك قولُ الآخَر ، أنشده أبو الحسن :

إذا أنت لم تنفع فضُرَّ فإنَّما ... يُرجَّى الفتى كيما يضرُّ وينفعُ

كأنَّه قال : لِلضَّرَرِ والنفع . ويحتمل عندى أن تكون ما كافَّة لكى ، كما كانت كافَّة لربَّ . انتهى .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : اختُلف فى نحو قوله :

وطرفَك إمَّا جئتنا فاحبسَنَّه ... كما يَحسبوا أنَّ الهوى حيثُ تنظرُ[(٢)]

فقال الفارسى : الأَصل كيما ، فحذف الياء . وقال ابن مالك : هذا تكلُّف ، بل هى كاف التعليل وما الكافَّة ، ونُصب الفعل بها ، لشبهها بكى فى المعنى . وزعم أبو محمد الأَسود (فى كتابه المسمَّى نزهة الأَديب) أَنَّ أَبا علىّ حرَّف هذا البيت ، وأَنَّ الصواب فيه :

إذا جئتَ فامنحْ طرفَ عينِكَ غيرنا

لكى يَحْسَبُوا . . . البيت[(٣)] انتهى

(١) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

(٢) لعمر بن أبى ربيعة فى ديوانه ٧٣ . وانظر الإنصاف ٣٤٤ والمغنى ١٧٠ .

(٣) هنا ينتهى نص المغنى . والنص فيه : « طرف عينيك » بالتثنية .

والبيت الذى أورده الشارح المحقِّق لرؤبة بن العجاج ، ويأْتى إن شاء الله بقيَّةُ الكلام عليه فى الشاهد الأَربعين بعد الثمانمائة .

والمشهور فى الاستعمال ما أورده سيبويه ، وهو :

* لا تشتُمِ الناسَ كما لا تشتَمُ *

وهو لرؤبة بن العجاج أيضاً . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الخامسِ من أول الكتابِ[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الستمائة ، وهو من شواهد (س)[2] :

٦٥٨ (ولُبْسُ عباءةٍ وتَقَرَّ عينى)

هذا صدرٌ وعجزه :

(أحبُّ إلىَّ من لُبس الشُّفوفِ)

على أنَّ (تقرَّ) منصوب بأَنْ مضمرة بعد الواو ، وأنَّ تقرَّ فى تأْويل مصدر معطوف على مصدر وهو لُبْس .

وسيأْتى الكلامُ عليه إن شاء الله فيما بعد الشاهد الثانى والسبعين بعد الستمائة .

صاحب الشاهد — والبيت من أبياتٍ لميسونَ بنتِ بَحْدلٍ الكلبيَّة ، وهى :

أبيات الشاهد — (لَبَيْتٌ تخفِقُ الأَرواحُ فيه أَحبُّ إلَىَّ مِن قَصرٍ مُنيفِ

---

(١) الخزانة ١ : ٨٩ — ٩٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٢٦ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٧ والجمل ١٩٩ والمحتسب ١ : ٣٢٦ وسر الصناعة ١ : ٢٧٥ ودرة الغواص ٢٤ وابن الشجرى ١ : ٢٨٠ وحماسة ابن الشجرى ١٦٦ وابن يعيش ٧ : ٢٥ والمغنى ٢٦٧ ، ٢٨٣ ، ٢٦١ ، ٤٧٩ ، ٥٥١ وشذور الذهب ٣١٤ والعينى ٤ : ٣٩٧ والتصريح ٢ : ٢٤٤ والهمع ٢ : ١٧ والأشمونى ٣ : ٣١٣ .

وبَكْرٌ يَتبعُ الأَظعانَ سَقْباً أحبُّ إلىَّ من بَغلٍ زَفوفِ
وكلبٌ يَنبَحُ الطُّرَّاقَ عنِّى أحبُّ إلىَّ من قِطٍّ أَلوفِ
ولُبسُ عباءَةٍ وتقَرَّ عينى أحبُّ إلىَّ من لُبس الشُّفوفِ
وأكلُ كُسَيْرةٍ فى كِسر بيتى أحبُّ إلىَّ من أكل الرَّغيفِ
وأصواتُ الرياح بكلِّ فجٍّ أحبُّ إلىَّ من نَقْر الدُّفوفِ
وخِرقٌ من بنى عمِّى نحيفٌ أحبُّ إلىَّ من عِلجٍ عَليفِ
خُشونةُ عِيشتى فى البدْو أشهى إلى نفسى من العيش الطَّريفِ
فما أبغى سوى وَطنِى بديلاً فحَسْبى ذاكَ من وطنٍ شريفِ)

الخفق : الاضطراب ، وفعله من باب ضرب . والمنيف : العالى . وأورد الحريرىُّ هذه الأبياتَ (فى درة الغواص) لأجل هذا البيت على أنَّه يقال فى جمع ريح أرواح ، وقول الناس : أرياح ، قياساً على رياح خطأٌ .

والبَكْر بفتح الموحدة : الفتىُّ من الإبل . والأَظعان : جمع ظعينة ، وهى المرأةُ ما دامت فى الهودج . والسَّقب : الذكر من وَلد الناقة ، وهو حالٌ مؤكِّدة . وروى : « صعب » فهو صفة لبكر . والزَّفوف بالزاء المعجمة[1] والفاءين ، أى مسرع .

والطُّرَّاق : جمع طارق ، وهو الذى يأْتى ليلاً .

وقوله : « ولُبْس عباءَة » فى غالب كتب النحو « للُبس » بلامين ، وهو خلاف الرواية الصحيحة . والعَباءَة ، وكذا العَبَاية : الجبَّة من الصُّوف ونحوِها ، وقيل كساءٌ مخطَّطٌ . وتَقَرَّ بفتح القاف ، من قولهم :

(١) ش : « بالزاى المعجمة » .

عين قريره ، أى باردة من البَرْد ، الذى هو النوم ، وقيل من البرد الذى هو ضدُّ الحرِّ ، أو من القَرار وهو السُّكون ، لأَنَّ العين إذا قرَّت سكنت عن الطموح إلى شىءٍ . والشُّفوف : جمع شِفّ بكسر الشين وفتحها ، وهو الثَّوب الرقيق ، سمِّى بذلك لأَنَّه يُستشَفُّ ما وراءه ، أى يُبصَر . ومثله قول بعض الأَعراب :

لَعمرِى لأَعرابيـةٌ فى عَبـاءةٍ ... تحُلُّ دماثاً من سُوَيقـة أو فَرْدا
أَحبُّ إلى القلب الذى لجَّ فى الهوى ... من اللابساتِ الخزَّ يُظْهِرْنَه كَيدا

والكُسَيرة ، بالتصغير : القِطعة من الخبز . والكِسْر، بكسر الكاف: طرف الخِباءِ من الأَرض[1] .

والخِرْق، بكسر الخاءِ المعجمة : الكريم . والعلج بالكسر، قال ابن دريد : هو الصُّلب الشديد ، وبه سمِّى حمار الوحش عِلجاً . ويحتمل أن تريد: إنَّ الأَمردَ أَحبُّ إلَىَّ من ذى اللِّحية . قال أَبو زيد : يقال لكلِّ ذى لحية علج ، ولا يقال للغلام إذا كان أَمردَ علج . واستعلج الرجُل ، إذا خرجت لحيته . والأَوَّل أَنسَبُ لقولها عليف أَى مسمَّنٌ بالعَلَف . قال الأَعلم : تعنى به معاوية لقوّته وشدَّته ، مع سمنه ونَعْمته .

وقال العينى : الغليف بالغين المعجمة ، وهو الذى يغلِّف لحيته بالغالية . ويجوز بالعين المهملة .

ومَيسون قال اللخمى : هى زوجُ معاوية بن أَبى سُفيان وأُمّ ابنهِ يزيد ، وكانت بدويّة فضاقت نفسُها لمَّا تسرَّى عليها ، فعذَلَها على

(١) الأوضح منه ما فى اللسان : « أسفل الشقة التى تلى الأرض من الخباء » وفى حواشى ش : « من الأرض هكذا بخط المؤلف ، ولايستقيم » .

ذلك وقال لها : أنتِ فى مُلكٍ عظيم وما تدرين قدره ، وكنتِ قبلَ اليوم فى العباءة : فقالتْ هذه الأبياتَ ، فلمَّا سمعها قال لها : ما رضيتِ يا ابنة بَحْدلٍ حتَّى جعَلْتِنِى علجاً عليفاً ، فالحقى بأَهلك ! فطلَّقها وأَلحقها بأَهلها وقال لها : كنتِ فبنتِ ! فقالت : لا والله ما سُرِرنا إذْ كنَّا ولا أَسِفنا إذْ بِنَّا ! ويقال أَنَّها كانت حاملاً بيزيد، فوضَعته فى البرِّيَّة ، فمِن ثَمَّ كان فصيحا . ٥٩٤

وقال الشريف (فى حماسته) : وروى الكلبى عن عَوانة قال : لما زُفَّت ميسونُ بنت بَحْدَلٍ من بادية كلب إلى معاوية وهو بِرِيف الشَّام ثقُل عليها الغُربةُ والبعدُ عن قومها ، فسمعها ذاتَ ليلة تقول هذه الأَبيات فقال : أَنا والله العلج : وازداد بها عُجْبًا ، وإليها مَيْلا .

قال ابن الكلبى (فى الجمهرة) : كان معاوية بن أَبى سفيان بعث رسولاً إلى بهدلة بن حسان بن عدىّ بن جبَلة بن سَلامة بن عبد الله بن عُليم بن جَنَاب يخطب إليه ابنتَه ، فأَخطأَ الرسول فذهب إلى بَحدَلِ بن أنيف ، من بنى حارثة بن جناب، فزوَّجه ابنته مَيْسُون بنت بحدل، فولدت له يزيد. انتهى .

ذكَره فى جمهرة قضاعة ، وهى من قبائل اليمن .

وميسون : فَيْعول ، مِن مسَنَه[1] بالسوط إذا ضربه ، أَو فَعْلون[2] من ماسَ يميس ، إذا تبختر، ولا نظير له إلَّا زَيتون ، استدلَّ به بعض النحويِّين على زيادة النون بالزَّيت المعصور . وحُكى أَرض زَتِنة ، إذا كان فيها الزيتون. وبَحْدل ، بفتح الموحَّدة وسكون الحاءِ المهملة .

* * *

(١) ط : « ميسنه » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « أو من فعلون » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح وترميج بخط الشنقيطى .

وأنشد بعده :

(أَلَا أَيُّهــذا الزَّاجِرِى أَحْضُرَ الوغى)

على أنَّ (أَحضر) منصوب بأَن مضمرة ، بدليل تمامه :

(وأن أَشهد اللَّذَّاتِ هل أَنتَ مُخلدى)

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد العاشر من أَوائل الكتاب[(١)] .

وهذه روايةُ الكوفيِّين ، والرفع رواية البصريِّين . قال سيبويه : وقد جاءَ فى الشعر :

* أَلَا أَيُّهذا الزَّاجِرِى أَحضرُ الوغَى *

قال الأَعلم : الشاهد فيه رفع أَحضرُ بحذف الناصب وتعرِّيه منه . والمعنى لِأَنْ أَحضر الوغى . وقد يجوز النَّصب بإِضمار أَن ضرورة ، وهو مذهب الكوفيِّين . انتهى .

وفى التذكرة القصرية ، وهى أَسئلة منأَبى الطيِّب محمد بن طوسى[(٢)] المعروف بالقصرى ، وأَجوبة من شيخه أَبى على الفارسى قال : سأَلت أَبا على عن أَحضر الوغى ، أَىُّ شىءٍ موضعه ؟ فقال : نصبٌ ، وهو يريد حاضراً . فقلت : كيف يجوز أَن يكون حالا وإِنَّما الحضور مزجورٌ عنه لا عن غيره ؟ فقال : قد يجوز أَن يكون لم يذكر المزجور عنه . فقلت : قد فهمْنا من قوله :

* أَلا أَيُّهذا الزَّاجرِى أَحضُرَ الوغَى *

قد نهاه عن حُضور الوغى . قال : صَيِّرْ أَنْ يُفْهَمَ منه هذا وإِن

---

(١) الخزانة ١ : ١١٩ - ١٢١ .

(٢) وكذا فى معجم البلدان فى رسم (قصر ابن هبيرة)، وإنباه الرواة ٣ : ١٥٤ . وفى البغية فى طبعتيها : « طوس » . وفى معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٦ : « طويس » .

كان ذلك لا يفهم منه إذا قدَّرته بقولك حاضرا . قلت : فإنَّ الحضور لم يقع ، ونحن نعلم أنَّه ما نهاه وقد حضر . قال : هذا مثلُ قولك : هذا صاحبُ صقر صائدًا به غدًا . قلت : فما الحاجة إلى أن قدَّرته حالا . قال : ليتعلَّق بما قبله ، وإلَّا فلا سبيل إلى تعلُّقه بما قبله إلَّا على هذا الوجه . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الستمائة[1] :

٦٥٩ (لَوْ بغيرِ الماءِ حَلقِى شَرِقٌ)

على أنَّ الجملة الاسمية بعد (لو) وضعت موضع الجملة الفعلية شذوذاً ، كما قاله فى باب الاشتغال .

٥٩٥

وهذا مذهبُ ابن جنى . ونسبه أبو حيَّان إلى أبى بكر بن طاهر[2] . وهذا صدر ، وعجزه :

(كنتُ كالغصَّانِ بالماءِ اعتصارى)

والباء من (بغير) متعلِّقة بالخبر ، وهو شرق ، (وحلقى) هو المبتدأُ . وهذا أحد تخاريجَ ثلاثةٍ فى البيت .

ثانيها لبدرِ الدين (فى شرح ألفيَّة والده) قال : كان الشَّأْنية محذوفة بعد لو ، فهى على بابها من دخولها على الجملة الفعلية ، فتكون

---

(١) سيبويه ١ : ٤٦٢ والاشتقاق ٢٦٩ والخزانة ٤ : ٤٦٠ ، ٥٢٤ بولاق والمغنى ٢٦٨ والعينى ٤ : ٤٥٤ والتصريح ٢ : ٢٥٩ والهمع ٢ : ٦٦ والأشمونى ٤ : ٤٠ واللسان (عصر ٢٥٦) وديوان عدى بن زيد ٩٣ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر الأنصارى الإشبيلى ، المعروف بالخدب . والخدب ، بكسر الخاء وفتح الدال وتشديد الباء الموحدة : الرجل الطويل . أخذ عنه ابن خروف ومصعب الخشنى ، وعبد الحق بن خليل ، وأطنبوا فى الثناء عليه واشتهر بتدريس الكتاب . توفى فى عشر الثمانين وخمسمائة . بغية الوعاة ١٢ .

الجملة الاسمية خبراً لكان المحذوفة . ونسبه أبو حيَّان إلى البصريين . ولم يذكر ابن هشام هذا التخريج (فى المغنى) .

ثالثها : لأبى على الفارسى (فى الإيضاح الشعرىّ) قال فيه : موضعُ « حلقى » رفعٌ بأنه فاعل ، والرافع له فعل مضمر يفسِّره « شَرِق » كأنَّه قال : لو شرقَ حلقى بغير الماء . ولا يكون شرق خبر حلقى . هذا الظاهر . لأنَّ ما بعد « لو » لا يكون مبتدأً كما أنَّ ما بعد « إن » وما بعد « إذا » لايكون كذلك . فإذا لم يجز أن تجعله خبر حلقى الواقع بعد لو ، لأنَّه يرتفع بفعل مضمر ، وجَب أن تضمر له مبتدأً ، والتقدير هو شرق ، فيكون هو شرقٌ ، بمنزلة شرقَ ، تفسيراً للفعل المضمر بعد لو ، ويكون ذلك بمنزلة ما يحمَل على المعنى . ألا تَرى أنَّ هو شرق بمنزلة شرق فى المعنى . وقوله : « بغير الماء » يتعلَّق الجارُّ فيه بالفعل الواقع لحلقِى ، وهو أسهلُ من أن تعلِّقه بشرقٍ هذا الظاهر . وإن لم تقدِّر هذا المضمرَ لزم أن تكون لو قد ابتدىءَ بعدها الاسم[1] فإذا ثبت فى هذا الموضعِ إضمارُ الفعل فحكمُ سائر ما أشبَهه مثلُه . انتهى مختصراً .

واختصره ابن هشام (فى المغنى) بقوله : وقال الفارسى : الأصل لو شرق حلقى هو شرق ، فحذف الفعل أوّلًا والمبتدأ آخرًا . انتهى .

ونسب أبو جعفر النحاس هذا التخريجَ لأبى الحسن الأخفش ، وأنشدَ البيت (فى أبيات سيبويه) وقال : أنشده سيبويه فى باب من أبواب أنَّ فى نسخة أبى الحسن وحده . انتهى .

وقد راجعتُ الكتاب وهو من رواية المبرِّد فلم أجده فيه .

وبتقدير المبتدإ تعرف أنَّ ما نقله ابن جنى عن شيخه الفارسى

(١) ش : « قد ابتدأ بعدها الاسم » .
(٢) الحق أنه من صميم كتاب سيبويه . انظر ١ : ٤٦٢ بولاق و ٣ : ١٢١ هارون .

عند الكلام على البيت الآتى خلافُ الواقع . قال : سألْنا يوماً أبا علىّ عن بيت عدىّ فأخذ يتطلَّب له وجهاً وتعسَّف فيه ، وأراد[1] أن يرفع حلقى بفعل مضمر يفسِّره قوله شرق . فقُلنا له : فبِمَ يرتفع إذن شرقٌ ؟ فقال : هو بدلٌ من حَلْقِى . فأطال الطريق وأعْوَرَ المذْهب[2] . ولو قال إنَّ الجملة الاسميَّة وقعتْ موقع الفعلية لكان أقرب مأْخذًا وأسهلَ متوجَّهاً . انتهى .

وقوله : « بالماءِ اعتصارى » قال أبو على : موضعه نصبٌ بأنَّه خبر كنتُ ، والعائد إلى الاسم الياءُ فى اعتصارى ، وكالغصَّان فى موضع حال والعامل فيه كنت ، ولا يكون الخبرَ لأنَّ الحال إذا تقدَّمت لم يعمل فيها معنى الفعل كما يعمل فى الظرف إذا تقدَّمه . ولا تكون الباءُ فى قوله بالماءِ كالجارِّ فى قوله : ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ[3]﴾ ولكنَّه يتعلق بمحذوف فى موضع خبر المبتدإِ ، ألا ترى أنَّك لو قلت إنِّى من الناصحِينَ لكما ، لتعلقت اللام بالناصحين[4] . ولو قلت : كنت مرورى بزيد لم تتعلَّق الباءُ بالمرور، إنَّما تتعلَّق بمحذوف . ا هـ .

وقوله : «ولا يكون الخبرَ» ، أى لا يكون العامل فى الحال الخبر ، وهو قوله بالماءِ الواقع خبراً لقوله اعتصارى . والجملة خبر كنت .

وزعم العينى أنَّ قوله كالغصَّان خبر كنت . ولم يذكر موقع الجملة التى بعده من الإعراب . ويجوز على هذا أنْ تكون خبراً ثانياً .

٥٩٦ وشرِق فلانٌ بريقه أو بالماءِ ، إذا غصَّ به ولم يقدر على بلعه ،

(١) ش : « ورام » مع أثر تبديل .

(٢) ط : « وأغور » بالغين المعجمة ، صوابه فى ش . يقال عوره تعويراً ، وأعوره إعواراً ، وعاره أيضاً ، أى صيره أعور . اللسان (عور ٢٩١) .

(٣) الآية ٢١ من سورة الأعراف .

(٤) ش : « بالنصح » .

وهو من باب تعب . والغَصَّان ، مِنْ غَصَّ فلانٌ بالطَّعام غَصَصاً من باب تعب ، ومن باب قتل لغة ، إذا لم يقدر على بلعه . والغُصَّة بالضم : ما غَصّ به الإنسانُ من طعام ، أو غيظٍ على التشبيه به ، ويتعدَّى بالهمزة نحو : أغصصتُه به .

قال الجوهرى : الاعتصار : أن يغصَّ الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربَه قليلاً قليلا ليُسيغه . وأنشد هذا البيت .

وتحقيقه أنَّ الاعتصار معناه الالتجاءُ ، كما قاله أبو القاسم علىُّ ابن حمزة البصرى (فيما كتبه على كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى) وهذا نصُّ كلامه ، وفيه فوائد .

وأنشد أبو حنيفة للبَعيث :

وذى أُشُرٍ كالأُقحُوان تَشُوفه ذِهابُ الصَّبا والمُعصِراتُ الدَّوالحُ[1]

وقال : الدوالح : الثِّقال التى تَدْلَح بالماء . ويُرَى[2] أنَّه معنى قول الله عز وجل : ﴿ وأَنْزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً[3] ﴾ . وقال : قوم : إنَّ المعصرات الرياحُ ذات الأَعاصير ، وهو الرَّهَج والغُبار . قال الشاعر :

وكأَنَّ سُهْكَ المُعصِراتِ كَسَوْنَها تُربَ الفدافدِ والنِّقاعِ بِمُنْخُلِ[4]

النِّقاع : جمع نَقْع ، وهو القاع من القِيعان . وزعموا أَنَّ معنى مِنْ معنى الباءِ ، كأَنَّه قال : وأنزلنا بالمعصرات . وقال بعضهم : بل المعصرات الغيوم أَنفُسها ، ذهب إلى معنى البَعيث . ولا يحتمل قولُه

(١) اللسان (دلح ، عصر) .
(٢) ط : « ويروى » .
(٣) الآية ١٤ من سورة النبأ .
(٤) السهك : جمع سهوك ، وهى العاصف الشديدة المرور . وفى النسختين : « سهل » صوابه فى اللسان والمقاييس (عصر) .

غيرَ السَّحاب لقوله : « الدَّوالح » ، فتكون المعصرات التى أمكنت الرياحَ من اعتصارها واستنزال قَطْرها ، كما يقال أَمضغ النخلُ وآكَلَ[١] وأطعَم ، وأَفرك الزَّرع ، إذا أَمكن ذلك فيه . قال أَبو القاسم : أَلمّ أَبو حنيفة بالصَّواب ثم حادَ عنه . المُعْصرات : السَّحاباتُ بعينها ، ولكنَّها إنَّما سمِّيت بذلك بالعَصَر بفتحتين ، والعُصْرةِ بالضم ، وهما الملجأُ . قال الشاعر[٢] :

فارسٌ يستغيث غير مُغاثٍ ولقد كان عُصرةَ المنجودِ

أَى ملجأَ المكروب . وتقول : أَعصرنى فلانٌ ، إذا أَلجأَك إليه . واعتصرت أنا اعتصاراً . قال عدىٌّ بن زيد :

لو بغير الماءِ حَلقى شرقٌ . . . البيت

فمعنى المعصرات المُنْجيات من البلاءِ ، المُعْصِمات من الجدب بالخِصب ، لا ما قال أَبو حنيفة ، ولا ما قال من قال : إنَّها الرياحُ ذات الأَعاصير . فلا تلتفتنَّ إلى القولين معاً . انتهى كلامه .

وكذا قال أَبو عبيد : الاعتصار : الملجأُ . والمعنى : لو شرقت بغير الماءِ أَسغْتُ شَرَقى بالماءِ ، فإذا غصصت بالماءِ فبمَ أُسيغُه ؟

وقد صار البيت مثلاً للتأَذِّى ممن يرجَى إحسانه . قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : هذا البيت أَوّل ما قيل فى معناه . وقال آخر :

إلى الماءِ يَسعى من يغَصُّ بريقهِ فقلْ أَين يسعى من يَغَصُّ بماءِ

وقال الأَحنف بن قيس : « من فسَدَتْ بطانته كان كمن غَصّ بالماءِ » . وقال العباس بن أَحنف :

---

(١) ط : « وأكل » ، صوابه فى ش .

(٢) هو أبو زبيد الطائى . ديوانه ٤٤ واللسان والمقاييس (عصر) والمخصص ٩ : ٩٦ . والبيت من قصيدة يرثى بها ابن أخته اللجلاج ، وكان قد مات عطشاً فى طريق مكة .

قلبي إلى ما ضرَّنى داعى يُكثر أحزانى وأوجاعى

كيف احتراسى مِن عدوّى إذا كان عدوّى بينَ أضلاعِى

وقال آخر :

كنتُ من كُربتى أفرُّ إليهم فهمُ كربتى فأَين الفِرارُ ٥٩٧

والبيت من قصيدة لعدىّ بن زيد ، يخاطب بها النُّعمان بن المنذر ، وكان قد حبسه النُّعمان . وقبله وهو أول القصيدة : صاحب الشاهد

أبلغِ النُّعمانَ عنِّى مأْلُكًا أَنَّه قد طال حبسِى وانتظارِى

وأَبلغْ فعلُ أَمر . والمأْلُكُ ، بسكون الهمزة وضم اللام : الرِّسالة .

وقال الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وإذْ قُلْنا للملائكة اسجُدُوا[1] ﴾ : ومأْلُك : جمع مأْلكة ، وأنشد هذا البيت .

وبقية القصيدة مذكورة (فى العقد الفريد) و (فى الأغانى) وغيرهما .

وقد استعطفه عدىٌّ بعدَّة قصائدَ فلم تنفعه شيئاً ، ثم قتَلَه بعد مدَّةٍ طويلة فى الحبس . وقد ذكرنا سببَ حبسه وكيفيَّةَ قتلِه مع ترجمته فى الشاهد الستين[2] .

* * *

(وأنشد بعده) :

(يَقُولون لَيْلَى أَرسلَتْ بشفاعةٍ إلَىَّ فهلاَّ نفسُ ليلى شفيعُها)

لما تقدَّم فى البيت قبله . وفيه التخريجان الآخَران أَيضاً .

(١) من الآية ٣٤ من البقرة ، و ٦١ من الإسراء ، و ٥ من الكهف ، و ١١٦ من طه .
(٢) الخزانة ١ : ٣٨١ - ٣٨٦ .

وقد تقدَّم شرحُه فى الشاهد الخامس والستّين بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد السِّتّمائة [٢] :

٦٦٠ (تُريدينَ كيما تجمعِينى وخالدًا
وهل يُجمَعُ السَّيفانِ وَيْحَكِ فى غِمْدِ)

على أنَّ (كى) جاءت من غير سببيَّة بعد فعل الإرادة . (وما) بعدَها زائدة ، والفعل منصوب بحذف النون ، والنون الموجودة للوقاية .

قال التبريزى (فى شرح الكافية) : فجُوِّز الفصلُ بين كى وبين الفعل بلا النافية بالاتفاق ، كقوله تعالى : ﴿ كَيْلا يكونَ دُولةً [٣] ﴾ وبلا الزائدِة كقول قيس بن سعد بنِ عُبادة :

أَردت لكيلا يعلمَ النَّاس أَنَّها سراويلُ قيسٍ والوفُود شهودُ

وقد فُصل بينهما بما الزائدة ولا النافية ، كقول الآخر :

أَرادت لكيما لا تَرانى عشيرتى ومَن ذا الذى يُعطَى الكَمالَ فيكملُ [٤]

ولا يجوز الفصل بينهما بغير ما ذكر . اهـ .

صاحب الشاهد والبيت أَوّل أَبياتٍ خمسةٍ لأَبى ذؤيب الهذلى [٥] . وبعده :

أبيات الشاهد (أَخالدُ ما راعيتَ من ذى قَرابةٍ فتحفظَنى بالغيب أَوبعضِ ماتُبدِى

دعاكَ إليها مقلتاها وجيدُهَا فَملتَ كما مال المحبُّ على عمدِ

(١) الخزانة ٣ : ٦٠ - ٦٢ .
(٢) همع الهوامع ٢ : ٥ وديوان الهذليين ١ : ١٥٩ وشرح السكرى ٢١٩ .
(٣) الآية ٧ من سورة الحشر .
(٤) انظر ما سبق فى ٤٨٦ . وصواب روايته : « أردت لكيما لا ترى لى عثرة » . كما فى الهمع ومعانى الفراء ١ : ٢٦٢ .
(٥) الهذلى ، ساقطة من ش .

فكنتَ كرقراق السَّراب إذَا جرى لقوم وقدباتَ المطىُّ بهم تَخْدى[١]

فآليتُ لا أنفكُّ أحـدُو قصيــدةً تكون وإياها بها مَثَلًا بعدى[٢])

وسبب هذه الأبيات أنَّ أبا ذؤيب كان يَعْشَق امرأةً اسمها أُمُّ عمرو، وكان رسوله إليها خالدًا، وهو ابنُ أُختٍ له وقيل ابن عمٍّ له، وكان جميلا، فعشِقَتْه أُمُّ عمرو، فلما أيقن أبو ذؤيب بغدرِ خالد صرمَها، فأرسلت تترضَّاه فلم يفعل، وقال هذه الأبيات .

٥٩٨

وكان أبو ذؤيب فعَلَ كذلك برجل يقال له مالك بن عُويْمرٍ، وكان رسولَه إليها .

وتقدَّم شرح هذه القصَّة مبسوطاً بأَبسطَ من هذا فى الشاهد الثامن والأربعين بعد الثلثمائة[٣] .

وجرى بين أبى ذؤيب وبين خالدٍ أشعارٌ مذكورةٌ فى أشعار الهذليِّين، منها قول خالدٍ يجيبه، قصيدةً على هذا الروىِّ والوزن :

فلا تجزَعَنْ من سُنَّةٍ أنتَ سِرْتَها فأوَّلُ راضٍ سُنَّةً من يَسيرُها

وقوله : (تريدين كيما تجمعينى وخالدًا) هكذا رواه السكَّرىُّ وغيره . ورواه ابن السِّكِّيت (فى إصلاح المنطق) وصاحب الصحاح :

* تريدين كيما تَضْمِدِينى وخالدًا *

وقال : الضمد : أن تتخذ المرأَةُ خليلين، وفعله من باب ضرب .

و (هل) للاستفهام الإنكارى . و (الغِمد) بالكسر : قِراب

(١) فى شرح السكرى : « يخدى » بالياء .
(٢) فى ديوان الهذليين وشرح السكرى : « فأقسمت » . وفى ديوان الهذليين : « أدعك وإياها بها مثلا » .
(٣) الخزانة ٥ : ٨٣ - ٨٦ .

السَّيف . وفى أمثال العرب : « لا يُجمَعُ سيفانِ فى غمد، ولا فحلان فى ذَوْد » .

وقد استُعمل هذا المصراعُ مثلاً ، قال الزَّمخشرى (فى أمثاله) : هو من قول أَبى ذؤيب . يُضرب فى قلة الاتِّفاق . اهـ .

ومنه قول يزيد بن خَذَّاق[1] الشَّنِّيِّ ، من قصيدةٍ مذكورةٍ فى المفضَّليَّات :

لن تجمعوا وُدِّى ومَعتَبتى أو يُجمعَ السَّيفانِ فى غمدِ[2]

وقول العُدَيل بن الفُرْخِ العِجلىّ[3] ، من قصيدة مذكورة فى الحماسة :

وعلَّ النَّوى بالدار تجمع بيننا وهل يجمع السيفانِ ويْحكِ فى غمدِ

وقوله : « أَخالد ما راعيتَ » إلخ ، الهمزة للنداء . قال السكرى : أَراد فتحفظنى بالغيب ، أَو فى بعض ما تُظهِر لى من الإخاء والمودة . والغَيْب : السِّرّ .

وقوله : « فكنتَ كرقراق » إلخ . قال السكرى : يقول[4]: ظننتُ أَنَّ

---

(١) خذاق ، بالذال المعجمة المشددة . قال ابن دريد فى الاشتقاق ٣٣١ : « فعال من قولهم : خذق الطائر وخزق ، إذا رمى بذرقه » . وفى النسختين : « حذاق » بالحاء المهملة ، تصحيف . ويزيد هذا شاعر جاهلى من شعراء عبد القيس . قال أبو عمرو بن العلاء : ليزيد بن خذاق هذا أول شعر قيل فى ذم الدنيا ، وهو :

هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق

(٢) المفضليات ٢٩٦ ، والمعتبة : الموجدة ، والمعاداة .

(٣) سبقت ترجمته فى ٥ : ١٦٠ - ١٦١ ، وهو بضم العين على هيئة التصغير . والفرخ بضم الفاء ، كما قيده البغدادى . وقيده التبريزى بالفتح ، إذ قال : « الفرخ أصله فى ولد الطائر » .

(٤) القصيدة فى الحماسة ٧٢٩ بشرح المرزوقى و ٢ : ٢٤٩ بشرح التبريزى . وليس فى أبيات هذا البيت . ويقول أبو رياش : « ليست هذه الأبيات للعديل ، وهى قصيدة طويلة لأبى الأخيل العجلى ، قالها فى آخر أيام بنى أمية » .

لك أمانةً ، فكنتَ كالسَّراب الذى يكذِب مَن رآه ، يظنُّ أنَّه ماءٌ وليس بماءٍ ، وكذلك أنت .

وقوله : « فآليْتُ » إلخ هذا البيت من شواهد النحويين فى باب المفعول معه . وآليت : حلفت . ولا أنفكُّ : لا أزال . وأحذُو[1] ، رواه السكرى بالذّال المعجمة لا غير ، بمعنى أُطابق . قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : ومعنى أحذو : أصنعُ وأهيِّئُ كما تُحذَى النَّعْل على المِثال ، إذا سُوِّيتْ عليه . ومن روى « أحدو » بدال غير معجمة فهو من قولهم : حدوت البعير إذا سقتَه وأنت تتغنَّى فى أثره ، ليَنْشَط فى السير .

ونقل العينى عن ابن يسعون أنَّه قال على هذه الرواية : عندى فى « أَحدُو » ثلاثة أوجه :

الأَول : أن يريد أَحدُو قصيدةً إليك ، أى أسوقها حادياً ، كما يفعل الحادى بالإبل عند سَوقها ، لأَنَّه يتغنَّى ، وإنما أراد بذلك الشُّهرة .

الثانى : أنْ يريد أَحدُو غَدْرتَك لى قصيدةً أَبلُغُ بتخليدها فيك أَمَلى . فحذف المفعول للحال الدَّالَّة عليه ، ونصب قصيدةً نصب المصدر ، أى حدْوَ قصيدةٍ ، فلمَّا حذف المضاف أقام المضاف إليه مقامه .

الثالث : أن يريد : أَتحدَّى لها وأتبعُها ناظماً لها ، حتَّى كأَنه قال : أُوالى قصيدة .

ثم قال العينى : وقال السكرى : أَحدُو معناه أُغنِّى ، فعلى هذا ينبغى أن يكون قوله قصيدة مفعولاً بإسقاط حرف الجرّ ، وهو الباء . ا هـ .

---

(١) ش : « وأحدو » بالدال المهملة .

أقول : إنَّ السكرى لم يَرْوِ أَحدُو ، بدال مهملة ، فكيف يفسِّرها بما ذكر . وأنما أَحدو معناه أَسوقُ ، فلا حذف[1] .

٥٩٩ وقوله : « تكون وإيّاها » إلخ قال ابن السِّيد : تكون فى موضع الصفة لقصيدة ، وهى صفةٌ جرَتْ على غير من هى له ، ولو جعلتَها صفةً محضة لبرز الضمير الفاعل المستتر فيها ، وكنت تقول : كائناً بها أنت وإيَّاها . والضمير فى قوله (وإيَّاها) يعود على المرأة ، كأَنَّه قال : حلفت لا أَزالُ أَصنع قصيدةً تكون مع هـذه المرأة مثلاً بعدى ، أى إنَّها تبقى ما بقىَ الدهر .

قال العينى : فإن قلت : كيف يكون مَثَلا خبراً والتطابق شرط ؟ قلت : هو مفرد وقع موقع التثنية ، وكذلك قد يقع موقع الجمع لمَا فيه من العُموم المقتضى للكثرة . هذا كلامه فتأَمَّلْه .

قال أَبو علىّ : نصَبَ وإيَّاها على المفعول معه بتوسُّطِ الواوِ لمَّا لم يمكنْه العطف ، فيقول : « تكون وهى » ، لأَمرين : أَحدهما كَسْر البيت لو فعل ذلك ، والثانى قبح العطف على الضمير المرفوع وهو غير مؤكَّد .

وقال ابنَ بَرّىّ (فى شرح أبيات الإيضاح لأَبى على) : لمَّا لم يمكنه العطف على الضمير فى تكون من غير تأْكيد نصب على معنى مَعَ . وكان أَبو الحسن يذهب إلى انتصابه على الظرف كما كانت مع ، فلمَّا حُذِفت وقامت الواو مَقامها انتصبَ الاسم على ذلك المعنى ، ودخلتْ مهيِّئة لعمل الفعل فيه ونصبِه على الظرف . ومعنى العطف قائمٌ فيها وجائزٌ فيها ، ولذلك لم تعمل الجرّ كما لا تعمله حروف العطف ، بخلاف

---

(١) الحق والإنصاف أن السكرى رواها « أحذو » بالذال المعجمة ، ثم إنه قال فى الشرح : « من قال أحذو قال أقول ، ومن قال أحدو قال أغنى » . فقد أتى بالروايتين .

واو القسم لأَنَّ معنى العطف معدومٌ فيها . والصواب مذهبُ الجمهور لأَنَّ وجود معنى العطف فيه ينافى الظَّرفية ، لأَنَّ العطف فى التقدير من جملة أُخرى والظرف من الجملة الأُولى ، ولأَنَّ تقديره بفِي بعيدٌ ، إذ لا يجوز تقديرها قبل الواو لفصلها بين الجارّ والمجرور ، ولا بعدَها لفصلها بين الفعل وما تعلَّق به . انتهَى كلامه .

وقال السكرى : روى الباهليُّ : « أَدَعْكَ وإيّاها » ، ويروى[١] : « أَذْرك وإيَّاها » فجزم لكثرة الحركات . وروى أَيضاً .

* تكونان فيها للمَلاَ مثلاً بعدى[٢] *

وعلى هذه الروايات الثلاث لا شاهد فيه .

وترجمة أَبى ذؤيب ، وهو شاعر إسلامىٌّ ، تقدَّمت فى الشاهد السابع والستين[٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والستون بعد الستمائة[٤] :

٦٦١ (ولا صُلْحَ حتَّى تَضْبَعُونَ ونَضْبَعَا)

على أَنَّ (حتَّى) فيه ابتدائية والفعل بعدها مرفوع بثبوت النون ، ونصب (نضبع) بالعطف على توهُّم نصب ما قبله .

وهذا على رواية ثعلب (فى أَماليه) عن ابن الأَعرابى ، قال : والمعنَى : تمدُّون[٥] أَيديَكم إلينا بالسُّيوف ونمدُّ أَيديَنا . وكذا قال ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) : أَى تمدُّون إلينا أَضباعَكم بالسُّيوف ونمدُّ

(١) ط : « ويرى » ، صوابه فى ش .
(٢) الذى عند السكرى ٢١٩ : « ويروى : أذرك وإياها . الأصمعى : أدعك » ، فقط .
(٣) الخزانة ١ : ٤٢٢ - ٤٢٣ .
(٤) مجالس ثعلب ٥٠ وإصلاح المنطق ١٩٦ ثالثة واللسان (ضبع ٥٨) .
(٥) فى النسختين : « حتى تمدون » تحريف . والذى فى المجالس : « قال تجدون » .

إليكم أَضباعَنا بالسّيوف. قال: وقد ضَبَعت الخيلُ والإبلُ تضْبَع، بفتح الباء فيهما، ضَبْعا بسكونها، إذا مدَّتْ أضباعَها فى عَدْوها، وهى أَعضادُها. ومنه هذا البيت. لكنَّه رواه بالنصب.

وتبعه صاحب الصحاح هكذا:

* ولا صلحَ حتَّى تضبعونَا ونضبعا *

فحتَّى فيه جارّة، وتضبعونا منصوب بأَنْ على حذف النون. ونَا ضميرُ المتكلم مع الغير مفعوله، والفعل مستقبَل؛ ولا حاجة لتأْويله بالحال، ويكون نصب نضبع بالعطف عليه ظاهراً من غير ادِّعاء توهُّم.

وفسَّره أَبو عمرو بن العلاء، كما نقله صاحب الصحاح، بقوله: أَى حتَّى تضبعون للصُّلح والمصافحة(١). وقد جاءَ نظائرهُ بالنصب منها ما أَنشده صاحب العباب، قال: وضبَعْت الرجلَ: مددتُ إليه ضَبْعى للضَّرب، قال عمرو بن الأَسود، أحد بنى سُبيع، وكانت امرأَةٌ اسمُها غضوبُ هجتْ مِربعَ بنَ سُبيع، فقتلها مِربع، فعرض قومُ مربع الدِّيَة فأَبَى قومُها:

٦٠٠ كذبتم وبيتِ الله نرفَعُ عَقلَها عن الحقِّ حتَّى تضبعوا ثم نَضْبَعا

أَى حتى تمدُّوا إلينا أَضباعكم بالسُّيوف ونمدُّ أَضباعنا إليكم. وقال أَبو عمرٍو: أَى حتى تضبعوا للصلح والمصافحة. انتهى

والضَّبْع: بسكون الموحدة وفتح الضاد المعجمة: العضُد، وقيل من العضُد: وسَطُه بلحمه، يقال أَخذت بضبْعَىْ فلانٍ فلم أُفارقه. ومددت

(١) كلمة «حتى» ليست فى الصحاح.
(٢) البيت من شواهد سيبويه ١ : ٢٢ بولاق ١ : ٤٧ هارون.

بضَبْعيهِ ، إذا قبضتَ وسَط عضديه . ومنها قول عمرو بن شأْسٍ الجاهلى من قصيدة :

بنى أَسدٍ هل تعلمون بلاءَنا   إذا كان يوماً ذا كواكبَ أشنعا

إذا كانت الحُوُّ الطِّوالُ كأَنَّما   كساها السِّلاحُ الأُرجُوانَ المضلَّعا

نذود الملوكَ عنكمُ وتذودنا   إلى الموت حتَّى يضبعوا ثم نَضْبَعا[1]

والبيت الأَوّل من الثلاثة استشهد به سيبويه على أنه أَراد الشاعرُ إذا كان اليوم يوماً . وأَضمر لِعلمِ المخاطب ، ومعناه إذا كان اليومُ الذى يقع فيه القتال . قال سيبويه : وبعض العرب ينشده :

* إذا كان يومٌ ذو كواكب أَشنعا *

ومعنى كان فى الوجهين معنى وقع ، ويوماً منصوب على الحال ، وأَشنعا حال أَيضاً مؤكِّدة على الرواية الثانية . وزعم المبرِّد أَنَّه خبر كانَ ، وردُّوا عليه بأَنَّه لا فائدة فى هذا الإخبار[2] .

والحُوّ : جمع أَحوَى ، أَراد به أَنَّ الخيل السُّود قد صُبغت بدم الأَعداءِ حتَّى صارتْ كالأُرجُوان .

وتضبعون هنا ظاهرٌ فيما فسَّره أَبو عمرو بن العلاء .

والبيت الشاهد لم أَقف على تتمتَّه ، ولا على قائله . والله أَعلم[3] .

* * *

(١) لم يرو سيبويه هذا البيت ، بل روى سابقيه فقط .

(٢) رواية البيت عند المبرد فى المقتضب ٤ : ٩٦ تخالف ما هنا . وفيه :

فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى   إذا كان يوم ذو كواكب أشهب

وهو بيت آخر لقائل آخر هو مقاس العائذى ، ولكن موضع الكلام فى « إذا كان يوماً » .

(٣) سيبويه ١ : ٢٢٣ ، ٤٤٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٤ والمحتسب ١ : ١٩٧ وابن يعيش ١ : ٢٧٩ والمقرب ١ : ٢٦٣ والمغنى ١٧٥ وشرح شواهد المغنى ١٦٩ والشذور ٢٢٢ والعينى ٤ : ٤٩٠ والهمع ١ : ٢/٧٧ : ١٠ ، ١٦ ، ٧٣ والأشمونى ٣ : ٣٠٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد السمائة ، وهو من شواهد سيبويه :

٦٦٢ (سأترُكُ مَنزِلى لبنى تميمٍ وأَلحقُ بالحِجازِ فأَستريحا)

على أنَّ (أستريح) جاء منصوباً بعد الفاء فى ضرورة الشِّعر ، فيما ليس فيه معنى النَّفى أصلا .

قال سيبويه : وقد يجوز النصب فى الواجب فى اضطرار الشعر ، ونصبُه فى الاضطرار من حيث انتصبَ فى غير الواجب . وذلك لأنَّك تجعل أنْ العاملة . فممَّا نُصب فى الشعر اضطراراً قوله :

سأترك منزلى لبنى تميم . . . . . البيت

وهو ضعيفٌ فى الكلام . انتهى

قال الأعلم : ويروى : « لأَستريحا » ، ولا ضرورة فيه على هذا .

وقال ابن السرَّاج (فى الأُصول) : جعل لحاقه بالحجاز سبباً لاستراحته ، فتقديره لمَّا نُصِبَ كأنه قال : يكون لحَاقٌ فاستراحة . وقد جاء مثلُه فى الشعر لقومٍ فصحاء ، إلاَّ أنَّه قبح النصبُ فى العطف على الواجب الذى على غير شرط ، لأنَّه قد جُعل لهذا المعنى آلاتٌ ، وكان حقُّ الكلام أن يقولَ ، لو كان فى غير شعر : وأَلحقُ بالحجاز فإذا لحقتُ استرحت ، أو وإن أَلحقْ أسترحْ . ومع ذلك فإنَّ الإيجاب على غير شرطٍ أصلُ الكلام ، وإزالة اللَّفظ عن جهته فى الفروع أحسن منها فى الأُصول ، لأنَّها أدلُّ على المعانى . انتهى

ونقل أبو على هذه العبارة بعينها (فى التذكرة) .

٦٠١ وأورد ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) لهذا البيت نظائر ثم قال :

لمَّا اضطُرّ إلى استعمال النصب بدلَ الرفع حُكم لها حُكمُ الأفعالِ الواقعة بعد الفاءِ فى الأجوبة الثمانية ، فنُصب بإضمار أنْ ، وتُؤوِّلت الأفعال التى قبلها تأويلا يوجب النصب ، فحكِمَ لقوله وألحق بالحجاز بحكمِ : ويكون[(1)] منىِّ لحاقٌ بالحجاز فاستراحة ، فعُطفت بالفاءِ على المصدر المتوهَّم . انتهى .

فقول الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : النصب على حدِّ :

* ولُبس عباءةٍ وتقرَّ عينى *

غير جيِّد . وقال أيضاً : للقائلِ أن يقول : لا نسلِّم[(2)] أنَّ أستريح منصوب ، بل هو مرفوع مؤكَّد بالنون الخفيفة موقوفاً عليها بالألف ، وتأْكيد مثل هذا جائز فى الضرورة . قال سيبويه : يجوز للمضطرِّ : أنت تفعَلَنَّ . ولا شكَّ أنَّ التخريج على هذا متَّجه ، بخلاف التَّخريج على النصب مع فقد شرطه .

هذا كلامه ، وهو من باب غسل الدم بالدم ، لأنَّه تفصَّى من ضرورة ولجأ إلى ضرورة ، وشرط كلٍّ من النصب والتأْكيد مفقود .

ونقل الدمامينى أنَّ بعضهم رام تخريجَه على النصب فى جواب النفى المعنوىّ المستفادِ من قوله : « سأترك منزلى » ، إذ معناه : لا أُقيم به . ثم تعقَّبه بأنَّه غير متَّجه ، لأنَّ جواب النفى منفىٌّ لا ثابت ، نحو : ما جاءَ زيد فأُكرمَه ، بالنصب ، والاستراحة ثابتة لا منفية .

والبيت لم يعزُه أحدٌ من خَدَمة كتاب سيبويه[(3)] إلى قائلٍ معيَّن .

---

(١) ويكون ، ساقطة من ش ثابتة فى ضرائر ابن عصفور ص ٢٨٥ .

(٢) ش : « أن يقول لأتم » وكتب فى حواشيها : « كذا بخط المؤلف والصواب لا نسلم ».

(٣) فى النسختين : « كلام سيبويه » وكتب فى حواشى ش : « كذا بخطه ، والصواب : خدمة كتاب » . وانظر ما كتبت فى مقدمة سيبويه ١ : ١١ من نسختى .

المغيرة بن حبناء

ونسبه العينىُّ وتبعه السُّيوطىُّ (فى أبيات المغنى) إلى المغيرة بن حَبْناءَ ابن عمرو بن ربيعة الحنظلى التيمى . وقد رجعتُ إلى ديوانه وهو صغير فلم أجِدْه فيه .

والمغيرة شاعر إسلامىٌّ من شعراءِ الدولة الأموية ، وغالبُ شعره[1] هجوٌ فى أخيه صخر .

وقال صاحب الأغانى : وحَبْناءُ : لقبٌ على أمّه غلب على أبيه ، واسمه جُبَين . هاجى زيادًا الأعجم . وحَبْناءُ ، بفتح المهملة وسكون الموحدة بعدها نون وألف ممدودة . وجُبَين بضم المهملة وفتح الموحَّدة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٦٦٣ (ألم تســألِ الرَّبعَ القَواءَ فينطقُ)

هذا صدرٌ وعجزه .

(وهَلْ تُخبِرنْكَ اليومَ بَيْداءُ سَمْلقُ)

على أن ما بعد فاءِ السببية قد يبقى على رفعه قليلاً وهو مستأْنف .

وأنشد سيبويه هذا البيت وقال : لم يَجعَل الأوّل سببَ الاخر ، ولكنه جعله ينطق على كلِّ حال ، كأنه قال : وهو ممَّا ينطق ، كما قال : ائتنى وأُحدِّثك ؛ فجعل نفسه ممن يحدِّثه على كلّ حال . وزعم

(١) ط : « وقال شعره » ، صوابه فى ش .

(٢) سيبويه ١ : ٤٢٢ . وانظر معانى القرآن ١ : ٢/٢٧ : ٢٢٩ والجمل ٢٠٤ والأغانى ٨ : ١٤٥ وابن يعيش ٧ : ٦٣ والشذور ٣٠٠ والمغنى ١٦٨ والعينى ٤ : ٤٠٣ والتصريح ٢ : ١١ ، ١٣١ وديوان جميل ١٤٤ .

يونس أنّه سمع هذا البيت بألَمْ . وإنّما كتبت ذا لئلاّ يقول انسانٌ فلعلّ الشاعر قال : أَلَا . انتهى .

قال أبو جعفر النحاس عن أبي إسحاق قال : إنّه تقريرٌ ، معناه إنّك سألته . فيقبح النصب لأنّ المعنى يكون : إنك إن تسأله ينطق . ويمنع سيبويه أنْ يروى : « ألا تسأل الربعَ » لأنّه لو رواه كذا حسن النصب ، لأنّ معناه فإنّك إن تسأله ينطق . قال أبو الحسن : ﴿ ألم تر أنّ الله أنزلَ من السّماء ماءً فتُصبحُ الأَرْضُ مُخْضَرّة[1] ﴾ . والقواءُ : التي لا تُنبت . والسّملق : الخالية . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فيه رفع ينطق على الاستئناف والقطع ، على معنى فهو ينطقُ ، وإيجاب ذلك له . ولو أمكنه النصب على الجواب لكان أحسن . والرّبع : المنزل . والقَواءُ : القفر . وجعله ناطقاً للاعتبار بدروسه وتغيُّره . ثم حقّق أنّه لا يجيب ولا يخبر سائله . لعدم القاطنين به . والبيداءُ : القَفر . والسّملق : التي لا شيءَ بها . انتهى . ٦٠٢

وأورده الفراء عند هذه الآية (من تفسيره) قال : رُفِعت فتصبحُ لأنّ المعنى في ألم تر معناه خبرٌ . كأنّك قلت في الكلام : أَعلمُ أن الله يُنزل من السّماءِ ماءً فتصبح الأرض . وهو مثل قول الشاعر[2] :

* ألم تسال الربعَ القديمَ فينطقُ *

أي قد سألتَه فنطق . ولو جعلتَه استفهاما وجعلتَ الفاءَ شرطاً لنصبت ، كما قال الآخر :

---

(١) الآية ٦٣ من سورة الحج . وكذا ورد الكلام في النسختين .

(٢) هو جميل . ديوانه ١٤٤ ومعجم الشواهد . وعجزه :

* وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق *

أَلم تسأَل فتخبرَك الديارَا عن الحىِّ المُضَلَّلِ حيثُ سارا[1]

والجزمُ فى هذا البيت جائز ، كما قال :

فقلت له صوِّبْ ولا تُجهِدَنَّه فيُذْرِكَ من أُخرى القطاة فتزلَقِ[2]

فجعل الجواب بالفاءِ كالمنسوق على ما قبله . انتهى .

وقال ابن المستوفى : قصدَ الشاعر نفى السُّؤال فرفع . وقد جوَّزوا فيه النصب والجزم لولا أَنَّ الروى مرفوع .

وهذا هو ما نقلناه عن الفراءِ .

وأَمّا قول ابن هشام (فى المغنى) : الفاءُ فيه للاستئناف ، أَى فهو ينطق ، لأَنَّها لو كانت للعطف لجزم ما بعدها ، ولو كانت للسببيَّة لنصب ، فقد قال شُرَّاحُه : الملازمة الثانية ممنوعة ، فقد تتحقق[3] السببيَّةُ مع رفع الفعل ، كما قيل فى قوله تعالى : ﴿ لا يُؤذَنُ لهم فيَعتذِرُون[4] ﴾ . نعمْ الأَكثر مع السببية النصب ، اللهمَّ إلاَّ أن يقال إنَّ الملازمة بالنسبة إلى الأَكثر .

وهذا الاعتراض إنَّما هو من كلامِ الشارح المحقِّق هنا .

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدةٍ لجميل بن مَعْمرٍ العُذرىّ . وبعده :

---

(١) ويروى : « حيث صارا » . معانى الفراء ٢ : ٢٢٩ .

(٢) نسب فى اللسان (ذرا ٣٠٩) إلى امرئ القيس ، وليس فى ديوانه طبعة هندية ولكنه فى ديوانه ١٧٤ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ونسبه سيبويه فى كتابه ٣ : ١٠١ إلى عمروْ بن عمار الطائى . ط : « فيدرك » ، صوابه بالذال المعجمة كما فى ش والديوان .

(٣) ط : « يتحقق » .

(٤) الآية ٥٦ من سورة المرسلات . ونصها : « ولا يؤذن لهم » .

أبيات الشاهد

(بمختلف الأَرواح بين سُويقةٍ وأَحْدَبَ كادت بعدَ عَهدك تُخلقُ[(١)]

أَضرَّت بها النَّكباءُ كلَّ عشيَّة ونفحُ الصَّبا والوابلُ المتبعِّق[(٢)]

وقفتُ بها حتى تجلَّتْ عَمَايتى وملَّ الوقوفَ الأَرحبيُّ المنوّقُ[(٣)]

وقال خليلى إنَّ ذا لَصَبابةٌ أَلا تزجُرُ القلبَ الَّلجُوجَ فيلحقُ[(٤)]

تعزَّ وإن كانت عليك كريمةً لعلَّك من أَسبابَ بَثْنَةَ تعتَقُ

فقلت له إنَّ البِعادَ يشُوقنى وبعض بعادِ البين والنَّأْىِ أَشوَقُ

روى صاحب الأَغانى عن الهيثم أَنَّ جميلاً طال مُقامه بالشام ، ثم قدِمَ وبلغ بثينَةَ خبَرُه ، فراسلته مع بعض نساءِ الحيِّ تذكُر شوقَها إليه ووجدَها به ، وواعدتْه لموضعٍ يلتقيان فيه ، فصار إليها وحادثَها طويلا وأَخبرها بحالِهِ بعدها ، وقد كان أَهلُها رَصَدُوها ، فلمّا فقدوها تبعها أَبوها وأَخوها حتَّى هجما عليهَا ، فوثب جَميلٌ فسلَّ سيفَه وشدَّ عليهما فاتَّقيَاهُ بالهرب ، ونَاشدته بثينةُ بالانصراف وقالتْ : إن أَقمْتَ فضَحْتَنى ، ولعلَّ الحىَّ أَن يلحقــوك ! فأَبى وقال : أَنا مُقيمٌ وامضى أَنتِ ولْيصنعوا ما أَحبُّوا ! فلم تزل به تناشده حتَّى انصرف. وقال فى ذلك وقد هجرته مدَّةً طويلة ولم تلقَه[(٥)]، هذه القصيدةَ وهى طويلةٌ .

قوله : (أَلم تسأَل الربع) الخ قال اللخمىُّ (فى شرح أَبيات الجمل) الرَّبْع : الدار بعينها حيثما كانت . والمربع : المنزل فى الرَّبيع خاصة .

---

(١) الأحدب : جبل فى ديار بنى فزارة ، أو هو موضع كما سيأتى فى الشرح .

(٢) ط : « ونفخ » ، صوابه فى ش والديوان .

(٣) الديوان : « العنتريس المنوق » .

(٤) الديوان : « إن ذا لسفاهة » .

(٥) ش : « فلم تلقه » .

٦٠٣ والقَوَاءُ : القفر . يقال ربعٌ قواءٌ ودارٌ قواءٌ ، أى خالية . والبيداءُ : القفر الذى يُبيدُ مَن سَلكه ، أى يُهلكه . والسَّملق : الأَرض التى لا تنبتُ شيئاً ، وقيل هى السَّهلة المستوية . ومفعول تسأَل الثانى محذوف ، والتقدير : أَلم تسأَل الربع عن أَهله فينطق . انتهى .

وقال ابن السِّيد : ومعنى نُطْق الربعِ ما يتبيَّن من آثاره . والعرب تسمِّى كلَّ دليل نُطقاً وقولاً وكلامًا . قال الله تعالى : ﴿ هذَا كتابنَا يَنْطِقُ عليكم بالحَقّ[1] ﴾ : ومنه قول زهير :

* أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دمنةٌ لم تَكلَّمِ *

أى لم يكن بها أَثر يُستَبان لقدم عهدها بالنُّزول فيها ونحوه . انتهى.

وقوله (وهل تُخبِرنْكَ[2] اليوم) إلخ ردَّ على نفسه بأَنَّ مثله لا ينطق فيجيب . وهذا رجوعٌ إلى الحقيقة بعد المجاز . ومثله ما أنشده أبو الفرج الأصبهانى (فى الأَغانى) لمحمد بن عبدالله بن مسلم بن المولى ، مولى الأَنصار ، من مخضرمى الدَّولتين ، يمدح المهدىّ :

سَلا دارَ ليلى هل تُبِينُ فتنطقُ وأنَّى تردُّ القولَ بيداءُ سَملقُ[3]
وأنَّى تردُّ القـوَل دَارٌ كأَنَّهـا لِطولِ بِلاها والتَّقـادمُ مُهرَقُ

وقوله (فينطق) الفاءُ للاستئناف ، وجملة ينطق خبر مبتدأ محذوف ، أى فهو ينطق . قال صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ وهو الله فى السَّمواتِ وفى الأَرضِ يَعلم سِرَّكم وجَهْرَكم[4] ﴾ : يعلم جملة مستأْنفة أى هو يعلم سركم .

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الجاثية .
(٢) ط : « وهل يخبرنك » .
(٣) الأغانى ٣ : ٨٥ .
(٤) الآية ٣ من سورة الأنعام .

قال التفتازاني : جرت عادتُه في مثل هذا بتقدير المبتدأ . ولا يظهر له وجهٌ يعتدُّ به . وقال (في التلويح) في قوله تعالى : ﴿ والرَّاسخون في العِلْم يقولون آمَنَّا به[1] ﴾ هكذا قال جار الله (في الكشَّاف والمفصَّل) ، فيقدِّر المبتدأ في جميع ما هو من هذا القبيل . وفيه نظرٌ لأَنَّ الجملة الفعليَّة صالحة للابتداء من غير احتياج إلى تقدير مبتدأ .

وفي شرح التسهيل(للدَّمامينيّ) : النحويون يقدِّرون في الاستئناف مبتدأ ، وذلك إمَّا لقصد إيضاح الاستئناف ، وإمَّا لأَنَّه لا يستأْنَف إلَّا على هذا التقدير . وإلَّا لزم العطف الذى هو مقتضى الظاهر . انتهى .

قال شيخنا الشهاب الخفاجي في بعض رسائله : حاصله أَنَّ الجملة المضارِعيّة المستأْنفة يقتضي كلامُ المفسرين والنُّحاة أَنَّه لا بدَّ فيها من تقدير ضمير مبتدأ . واستشكله المتأَخِّرون بأَنَّه لا ضرورة تدعو إليه ، فإنَّه يجوز الاستئناف بدونه . ولم يدفعه أَحد ، فظنُّوا أنه واردٌ غير مندفع . ولمَّا تأَمَّلْت ما قالوه حقَّ التأَمُّل ظهر لى أَنَّ الحق ما قالوه ، وأَنَّه لابدَّ من هذا التقدير ، لأَنَّك إذا وقفت على قوله : في الأَرض) من غير تقدير لم يقع موقعه ، إذ لم يُفِدْ ما يحسُن السكوت عليه . والضمير المستتر خفيٌّ لا يظهر باديَ الرأْى . فإذا قلت يعلم لم يُعْلَم مِنَ العالم . فإذا كان المبتدأُ ظاهراً أو [في][2] حكمه علم المراد . ونظيره النعت المقطوع إذا رفع ، يقدَّر قبله ضمير لأَنَّه مفرد لا يفيد إلاَّ على ذلك التقدير . وبهذا تبينَ أَنَّ الاعتراض من الغُفول ، عمَّا قصده هؤلاء هؤلاءِ الفحول . وهو معنى قوله (في شرح التسهيل) : وإلاَّ لزم العطف ،

(١) الآية ٧ من آل عمران .
(٢) تكملة يفتقر إليها الكلام .

أى بطل الاستئنافُ وكان خبراً ثانياً . وكيف يُتردَّد فى مثله بعد اتفاق النحاة عليه .

إلاَّ أنَّهم لم يبيِّنوا أنَّ هذا الحذف واجب أوْ لَا . والظاهر أنَّه واجب. وهذا من مهمات المقاصد . انتهى كلام شيخنا .

وما ذكره بحثاً هو كلام الشارح المحقِّق عند كلامه على قول الشاعر :

٦٠٤ غير أنَّا لم تأْتنا بيقين فنرجِّى ونكثرَ التأْميلا[1]

بعد نحو ورقة من هذا الموضع .

وقول شيخنا : « أى بطل الاستئناف وكان خبراً ثانياً » فيه أنَّ الخبر المتعدِّد يجوز فيه العطف ولم يجب كما بيِّن فى محله .

وقوله : « بمختَلفِ الأَرواح » إلخ الباءُ للسببية . والمُختَلَفُ : الموضع الذى تهبُّ فيه الرِّياح من كل وجه . وسُويقة بالتصغير ، وأحدب بالحاءِ المهملة والباءِ الموحدة لا بالمثلثة : موضعان . وتَخلُق : تَبلَى ، يقال خلُقَ الثوب بالضم ، إذا بلى ، فهو خَلَق بفتحتين . وأَخلقَ الثَّوبُ بالألف لغة .

وقوله : « أَضرَّت بها النكباءُ » الخ . النكباءُ : كلُّ ريح تهب بين مهبِّ ريحين ، لأَنَّها نَكَبَتْ عن مهبِّها ، أى عَدَلت . ونَفَحت الريح بالحاءِ المهملة ، أى هبَّت ، من باب نفع . والوابل : المطر العظيم القَطْر . والمتبعِّق ، بتشديد العين المهملة المكسورة : الشديد المطر . يقال تبعَّق المُزْن ، إذا سال بشدة .

---

(١) هو الشاهد ٦٦٥ فيما سيأتى .

والعَمَاية بفتح المهملة بعدها ميم : الضَّلالة ، وهى من عَمَى القلب . وروى : « غيابتى» بالغين المعجمة . والغيابة : الظُّلمة ، وقعرُ البئر ونحوِها. والأَرحيُّ : الجمل النجيب ، منسوبٌ إلى أَرحَب بالحاءِ المهملة : قبيلة ، وقيل فحل ، وقيل موضع . وروى بدله : « العنتريس » ، وهو الجمل الشَّديد الصلب . والمنوَّق : المذلَّل كالناقة .

وقوله : « لعلك من أَسبابَ بَثْنة » روى بدله« لعلك من رِقٍّ لبثنة» .

وجميل بن معمر شاعرٌ إسلامىٌّ ، تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى والستين من أَوائل الكتاب[1] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد السمائة[2] :

٦٦٤ (لم تَدرِ ما جزعٌ عليك فتَجزعُ)

لِمَا تقدَّم قبله . وهو عجزُ وصدره :

(ولقد تركتِ صَبيَّةً مَرحومة)

قال ابن هشام (فى المغنى) : وللاستئناف وجه آخر ، وهو أن يكون على معنى السببية وانتفاءِ الثانى لانتفاءِ الأَوَّل ، وهو أَحد وجهَى النَّصب وهو قليل ، وعليه قوله :

ولقد تركتِ صبيَّةً مرحومةً لم تدر ما جزعٌ عليك فتجزعُ

أَى لو عرفَتِ الجزعَ لجزِعَتْ ، ولكنها لم تعرفه فلم تجزع . إلى آخر ما ذكر من نظائره من الآيات القرآنيَّة .

---

(١) الخزانة ١ : ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٢) المحتسب ١ : ١٩٣ والمغنى ٤٨١ والحماسة ٩٠٣ بشرح المرزوق .

وقد تكلم ابن جنى على هذا البيت (فى إعراب الحماسة) فلا بأس بإيراده قال : هذا البيت طريفُ غريب الحديث . وذلك أنه ليسَ بجواب لأَنَّه مرفوع كما ترى . ولو كان منصوباً جواباً لكان أوفق معنى . وأَسْلب طريقاً[1] . ولا قبله أيضاً فعلٌ مرفوع فيعطف عليه كما عطف فى قوله :

* فما تحلُّ على قوم فترتحل[2] *

فلهذا كان غريباً . غير أَنَّ وجهه عندى أن يكون قوله فتجزع صفةً لقوله مرحومة أو صغيرة ، ويكون معطوفاً على جملةِ قولِه : « لم تدر ما جزعٌ عليك » ، لأَنَّ هذه الجملة صفة لقوله صغيرة أو مرحومة ، فكأَنَّه قال : فلقد تركتِ صغيرةً جاهلة بالجزعِ فجازعةً مع ذلك . فلما وقع تجزع موقع الاسم ارتفعَ فجرى مجرى قولك : مررت برجل من أَهلِ العلم ويُقرئُ الناس . فتعطف يقرئُ على من أَهل العلم ، حتَّى كأَنَّك قلت : عالم ومقرئٌ . وإن شئت جعلت الفاء زائدة فى جميع ذلك فكان . فلا أُمٌّ تبكيه ولا أُخت تفقده[3] . و : فما تحلُّ على قوم ترتحل ، [أى][4]

---

(١) ش : « طريق » ، صوابه فى ط وإعراب الحماسة . وأسلب ، من السلب وهو الخفيف السريع .

(٢) لأبى تمام فى ديوانه ٢٢٩ من قصيدة فى مدح المعتصم ويعتز بمدحته فيه . والبيت بتمامه مع ما قبله :

لقد لبست أمير المؤمنين بها ... حلياً نظاماه بيت سار أو مثل
غريبة تؤنس الآداب وحشتها ... فما تحل على قوم فترتحل

(٣) إشارة إلى بيت سابق فى الحماسة ٨٩٨ بشرح المرزوقى ، تعرض له ابن جنى فى إعراب الحماسة الورقة ١٣١ . ونصه :

فلا أم فتبكيه ... ولا أخت فتفتقده

(٤) التكملة من ش وإعراب الحماسة .

٦٠٥ معتقدة للارتحال ، ولم يكن بيننا شرٌّ نصطلح من أجله[١] ، ولم تدر ما جزعٌ عليكِ جازعة ، أى تركت صبية جازعةً وإن لم تعرف الجزع ، أى صورتها صورة الجازعة .

فإن قلت : فهل هناك أُمٌّ غير باكية ، أو أُخت غير مفتقِدة ؟ قيل : ليس نفىُ الشىءِ عندنا إثباتاً لضدِّه . أَلاَ ترى لو قلت[٢] : إنَّ زيدًا لم يُعزِّنى[٣] لم يكن فى هذا دليل على أنَّه قد أهانك .

وقال أبو الحسن فى قوله تعالى : ﴿ يا ليتَنا نُرَدُّ ولا نكذِّبَ بآياتِ ربِّنا ونكونَ من المؤمنين[٤] ﴾ قال : هو فى اللفظ معطوفٌ وفى المعنى جواب ، قال : وذلك أنَّهم إذا تمنَّوا[٥] الردَّ ولم يتمنَّوا ترك التكذيب ولا الإيمان ، بل أوجبوه[٦] على أنفسهم عند الردَّ ، فكان يجب النصب ، أى إنْ رُدِدْنا آمنَّا ولم نكذِّب . قال : ولكنَّه جرى فى اللفظ معطوفاً ، والمعنى معنى الجواب . وشبهه فى الحمْلِ على اللفظ والمعنى مخالفٌ لقراءة من قرأ : ﴿ وامسَحُوا برؤسكم وأرجُلِكم[٧] ﴾ بالجر ، فهذا يقتضى مسح الرجلين .

---

(١) هذا إشارة إلى بيت أنشده ابن جنى فى إعراب الحماسة الورقة ١٣٢ وهو للبحترى فى ديوانه ١١٦ من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد . ونصه :

يريغ كاتبــه صلحــى لينقصـــنى ولم يكــن بيننــا شر فنصطلـــح

(٢) فى إعراب الحماسة لابن جنى : « ألا تراك إذا قلت » .

(٣) فى إعراب الحماسة : « لم يكرمنى » .

(٤) الآية ٢٧ من سورة الأنعام .

(٥) فى إعراب الحماسة : « لما تمنوا » .

(٦) إعراب الحماسة : « بل أوجبوهما » .

(٧) الآية ٦ من سورة المائدة . وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وحمزة وأبى بكر وأنس وعكرمة والشعبى والباقر وقتادة وعلقمة والضحاك . وقرأ الحسن : « وأرجلكم » بالرفع . تفسير أبى حيان ٣ : ٤٣٧ - ٨٣٤ وإتحاف فضلاء البشر ١٩٨ . وفى النسختين : « فامسحوا » بالفاء ، وهو تحريف قرآنى .

وإنّما المفروض فيهما الغَسْلُ[١] ولكنّه جرى فى اللفظ على الجرّ ، والمعنى معنى النصب . وهذا لعمرى متوجِّه فى قوله :

* فما تحلُّ على قومٍ فترتحلُ *

لأَنَّ هناك مرفوعاً قبله . فأَما قوله :

* لم تدر ما جزعٌ عليكِ فتجزع *

فليس فى قوله قبله مرفوع فيعطفَ عليه . وقد يجوز أن يكون أَراد فهى تبكيه وهى تفتقده[٢] على أنّه وضع الجملة المركبة من المبتدأ والخبر موضع الفعل المنصوب على الجواب . ومثلُه قوله تعالى : ﴿ هل لَكُمْ ممَّا ملكَتْ أَيمانُكم مِنْ شُرَكاءَ فيما رزَقْناكم فأَنتمْ فيه سواءٌ[٣] ﴾ [أى][٤] فتستووا . ومثله : ﴿ أَعنده عِلمُ الغَيب فهو يَرَى[٥] ﴾ أى فيرى . فاعرفْ تفصيل ذلك .

هذا كلام ابن جنى .

وأورده (فى المحتسب) أيضاً عند قراءة الحسن ويزيدَ النَّحْوىّ : ﴿ ياليتَنِى كنتُ مَعَهُمْ فأَفوزُ فوزاً عظيما[٦] ﴾ بالرفع ، قال رَوْح[٧] : لم

---

(١) ط : « المسح » ، صوابه فى ش و إعراب الحماسة .
(٢) ط : « تفقده » ش : « مفتقدة » ، صوابهما فى إعراب الحماسة .
(٣) الآية ٢٨ من سورة الروم .
(٤) التكملة من إعراب الحماسة .
(٥) الآية ٣٥ من سورة النجم .
(٦) الآية ٧٣ من النساء .
(٧) هو روح بن عبد المؤمن البصرى النحوى ، مقرئ جليل ثقة ضابط مشهور ، روى عنه البخارى فى صحيحه . توفى سنة أربع أو خمس وثلاثين مائة . طبقات ابن الجزرى برقم ١٢٧٣ .

يجعل لِلَيْتَ [١] جواباً . (أقول) : محصوله [٢] أنَّه يتمنى الفوز ، فكأنَّه قال : ياليتنى أفوز فوزاً عظيما . ولو جعله جواباً لَنصبَه ، أى إنْ أكن معهم أفُزْ . هذا إذا صرَّحت بالشرط ، إلَّا أنَّ الفاءَ إذا دخلت جواباً للتمنِّى نصب الفعل بعهدها بإضمار أن ، وعَطف أفوز على كنت معهم لأنَّهما جميعاً متمنَّيان ، إلَّا أنَّه عطف جملة على جملة ، لا الفعل على انفراده على الفعل ، إذْ كان الأوّل ماضياً والثانى مستقبلا . وعليه قول الآخر :

* لم تدرِ ما جزعٌ عليكِ فتجزعُ *

والقوافى مرفوعة ، أى هى تجزع . ولو كان جواباً لقال فتجزعَا . وقد ذكرنا هذا ونحوه (فى كتابنا تفسير مشكل أبيات الحماسة). انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت لم يعرفه شُرّاح مُغنِى اللبيب ، وهو من أبياتٍ أوردها أبو تمَّام (فى باب المراثى من الحماسة) لمُوَيلكٍ المزموم ، فى امرأته أمِّ العلاءِ . وأوردها الأعلم الشنتمرىُّ أيضاً فى حماسته ، وهى :

أبيات الشاهد

امرُرْ على الجدَث الذى حَلَّتْ به ... أُمُّ العَلاءِ فنادها لو تسمعُ
أنَّى حالتِ وكنتِ جِدَّ فروقةٍ ... بلدًا يَمُرُّ به الشَّجاع فيفْزَع
صَلَّى عليكِ اللهُ من مفقودةٍ ... إذْ لا يلائمُكِ المكانُ البلقعُ
فلقد تركتِ صغيرةً مرحومةً ... . البيت
فَقدَتْ شمائلَ من لزامِك حُلوةً ... فتبيتُ تَسهَرُ ليلَها وتَفجَّعُ
فإذا سمعتُ أنينَها فى ليلِها ... طَفِقَتْ عليكِ شُئُونُ عينى تَدمعُ

(١) ط : « للبيت » ، صوابه فى المحتسب و ش مع أثر تصحيح .
(٢) فى المحتسب : « قال أبو الفتح : محصول ذلك كله » .

٦٠٦ وزاد الأعلم بعد هذا ستَّة أبيات أخر .

وقوله : « امرر على الجدَث » إلخ . هو بفتح الجيم : القبر . وروى « فحيِّها » بدل « فنادِها » . و « هل » بدل « لو » .

قال الطَّبَرْسِيُّ[1] (فى شرحه) : يقول : امرر على القبر الذى دُفنت فيه وسلِّمْ عليها إن كانت تسمع . وهذا توجُّعٌ وتلهُّف . وروى : « هل تسمع » . والفرق أنَّ لو فائدته الشرط ، وهل من حيث كان استفهاماً كلامُ راجٍ لسماعها ، فكأنَّه قال : وانظر هل تسمع .

وقولهُ : « أنَّى حللتِ » الخ : قال ابن جنى : الهاءُ فى فروقةٍ مع المؤنث مثلُها مع المذكَّر ، لا فرق بينهما فى الحال . وإنَّ المراد فيهما معنى الغاية والمبالغة . وكذلك رجلٌ راوية وامرأة راوية ، وكذا علاَّمة ونسَّابة ، لم تدخل هذه الهاءُ على المؤنث ، لأنَّها لو كانت كذلك لما لحقت المذكر . وهذا قاطع . انتهى .

وقوله : « جِدَّ فَروقة » أى كنت فروقةً جدًّا لا هَزْلا ، وحقًّا لا باطلا . والبلدة : القطعة من الأرض . يقول : كيف أقمتِ فى بلد قفر إذا مرَّ به الرَّجلُ الشجاعُ استولى عليه الفزع ، وعهدى بكِ أنَّكِ كنتِ أشدَّ الناس خوفاً وأضعفَهم قلباً .

وقوله : « صلى عليك الله » إلخ . الصَّلاة من الله الرحمة ، ومن العبد الدُّعاء . ولا يُلائمك : لا يوافقك . والبلقع : الخالى . ومِن مفقودةٍ : تمييز

---

(١) فى النسختين : « الطبرسى » ، تحريف . وهو أمين الدين أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى ، مفسر لغوى من أعيان الشيعة الإمامية . من أشهر كتبه مجمع البيان لعلوم القرآن ، ومختصر الكشاف . توفى سنة ٥٤٨ . إنباه الرواة ٣ : ٦ ، ٧ وروضات الجنات ٥١٢ – ٥١٤ وأعيان الشيعة ٤٢ : ٢٧٦ – ٢٨٢ ومعجم المؤلفين ٨ : ٦٦ . وقد طبع كتابه مجمع البيان فى صيدا بعناية محسن الحسينى العاملى .

وقوله : (فلقد تركتِ صغيرةً) إلخ. قد تقدَّم أنَّ ابن جنى جوَّز وجهين : أن يكون فتجزع صفة لصغيرة ، وأن يكون استئنافاً . واختار المرزوقىُّ الاستئنافَ وقال : أراد أنَّها من صغرها لا تعرِف المصيبةَ ولا الجزعَ لها ، فهى على حالها تجزع ، لأنَّ ما تأتيه من الضَّجر والبكاءِ وتتركه من النوم والقَرَارِ فعلُ الجازعين .

وقوله : « فقدت شمائل » إلخ ، جمع الشِّمال بالكسر ، وهى الطبيعة . يقول : كانت قد اعتادت منكِ أخلاقاً جميلة ففقدَتْها ، فَبقيتْ لاتنام ولا تنيم[1] بل تفجَّعُ وتوجَّع ، فإذا سمعتُ شَكْواها وبكاءَها أقبلتْ شئون رأسى تسحُّ بالبكاءِ ولهًا عليكِ . وطفقت : شرَعَتْ . والشئون : جمع شأْن ، وهو الشعب الذى يجمع بين القبيلتين من قبائل الرأْس ، وهى القطعة المشعوب بعضها إلى بعض . ويقال إنَّ الدمعَ يجرى من الشأْن .

مويلك المزموم ومُوَيلكٌ : مصغر مالك . والمزموم : اسم مفعول من زَممت الناقة ، أى وضعتُ عليها الزمام .

والظاهر أنَّه شاعر إسلامىّ . ولم أَقِفْ على نسبه حتَّى أكشفَ عنه (فى الجمهرة) ، ولا على ترجمته . والله أعلم .

* * *

(١) ش : « ولا تقيم » ، صوابه فى ط . وهو مثل معروف أورده المفضل وسلمة فى الفاخر ٤٢ والعسكرى فى الجمهرة : ٤١٨ . وأنشد فى اللسان (نوم) للخنساء . :

كما من هاشم أقررت عينى ... وكانت لا تنام ولا تنيم

وأورده المفضل أيضاً فى الفاخر ٢٠٢ ، وكذا الميدانى فى ١ : ٣١٠ بلفظ : « السليم لا ينام ولا ينيم » . والسليم هنا : الملدوغ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستّون بعد الستّمائة وهو من شواهد س[1] :

٦٦٥ (غير أنّا لم يأْتِنا بيقينٍ فنرجِّى ونكثرُ التّأميلا)

على أنّ ما بعد الفاءِ هنا على القطع والاستئناف ، أى فنحن نرجِّى .

قال سيبويه عند توجيه النصب فى : ما[2] تأْتينا فتحدِّثنا : وإن شئت رفعت على وجهٍ آخر ، كأنك قلت : فأنت تحدِّثنا . ومثل ذلك قول بعض الحارثيِّين :

غير أنّا لم تأْتنا بيقين .... البيت

كأنّه قال : فنحن نرجِّى . فهذا فى موضع مبنىّ على المبتدإ . انتهى .

فالإتيان منفىٌّ وحده ، والرّجاءُ مثْبت ، وهو المراد . ولا يجوز نصب نرجِّى ، لأنّه يقتضى نفيه إمّا مع نفى الإتيان وإمّا مع إثباته ، كما هو مقتضى النّصب ، وكلاهما عكسُ المراد .

ويدلُّ لهذا قول أبى على (فى التذكرة) : هو بالرفع ، وكذلك الصّواب ، لأنّهم إنّما رَجَوْا وأمّلوا مالم يأْتهم بيقين ؛ ولو أتاهم بيقين لآل إلى الترجِّى والتأْميل بيقينه .

٦٠٧ ومثله لابن هشام (فى المغنى) قال : المعنَى أنّه لم يأْت باليقين فنحن نرجو خلافَ ما أتى به ، لانتفاءِ اليقين عمّا أتَى به . ولو جَزَمه

---

(١) فى كتابه ١ : ٤١٩ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٣٦ والمقرب لابن عصفور ١ : ١٦٥ والمغنى ٤٨٠ وشرح شواهده للسيوطى ٢٩٥ والتصريح ٢ : ٢٠٤ .
(٢) كتبت فى النسختين : « فيما » ، والوجه ما أثبت .

أو نصبَه لفسَد معناه ، لأنَّه يصير منتفياً على حدَته كالأوّل إذا جزم ، ومنفياً على الجمع إذا نصب . وإنّما المراد إثباته . انتهى .

وقوله : « ومنفيًّا على الجمع إذا نُصب » أراد بالجمع نفى الإتيان والرجاءِ كليهما . ولم يذكر الشقَّ الثانىَ من النصب ، لأنَّه لم يتصوّر نفى الرجاءِ مع ثبوت الإتيان بيقين . ومنه يظهر لك فسادُ تجويز الأعلم نصبَه بمرتبتين ، وقوله : ولو أمكنه النصبُ على الجواب لكان أحسن.

وتبعه ابن يعيش (فى شرح المفصل) ولم يتنبَّه لفساده.

ومقتضى كلام أبى علىّ وابن هشامٍ أنَّ قوله « لم يأْتنا » بالمثناة التحتيَّة لا الفوقية ، فيكون فاعله مستتراً فيه . والمشهور بالفوقيَّة على الخطاب .

ومشى على الأوّل شارحُ شواهد المفصَّل أيضاً فقال : المعنى أتانا آت بخبر إخوتنا ، غير أنّا أى لكنَّا لم يأْتنا الآتى بخبر يقين يوجبُ اليأْس ، فنحن نرجِّى خلافَ ما أتى به ، لانتفاءِ اليقين عما أتَى به ، فنكثر التأْميل لخلاف خبره ، ونقول : لعلَّه يكون كذباً . ولا يجوز فى قوله فنرَجِّى إلاَّ الرفع . اهـ.

وكون اليقين هو خبر الإخْوة إنَّما هو حدس وتخمين ؛ فإنَّ البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى ما عرف قائلها ولا تتمتُها . والله أعلم به.

فيقين صفةُ موصوف محذوف ، أى بخبر يقين . ونكثر بالرفع عطفٌ على نُرجِّى . و (التأْميل) : مصدر أمَّلته ، إذا رجوته .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السّادس والسّتون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٦٦٦ (وما قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فى نَدِيِّنا فينْطقَ إِلَّا بالتى هىَ أَعْرَفُ)

على أَنَّ النفى بالمعنى الثانى ، وهو أن يرجعَ النفىُ لما بعد الفاءِ ، كثيرُ الاستعمال كما فى البيت ؛ فإِنَّ النفى منصبٌّ على ينطق فى المعنى ، و (قام) مثبَتٌ فى تأْويل المستقبل ، لمناسبة المعطوف . ولهذا قال الشارح المحقق : أى يقومُ ولا يقومُ إلاَّ بالتى هى أعرف . وإنّما جعل النفى هنا بالمعنى الثانى لأَجل الاستثناءِ ، فإِنَّ الاستثناءَ المفرَّغ لا يكون إِلّا مع النفى ، فلمَّا اعتُبر فى ينطق صَحّ التفريغ .

وجوّز صاحب اللباب أَنْ يكون النفى فى البيت على ظاهرِه من القسم الأَوّل . قال فى باب الاستثناء : والمفرَّغ لا يكون إِلّا فى الإِثبات . إلى أن قال : ويجوز فيما هو جوابُ النفى . وأنشد هذا البيت .

قال الفالى فى (شرحه) : لا يقال ينبغى أَن لا يجوز ، لأَنَّ قولك فينطق مثبت ، ولا يصحُّ المفرَّغ فى المثبت ، لأَنَّ قوله فينطقَ بالنصب بأَنْ مضمرة ، والتقدير فأَن ينطق ، وهذا المصدر معطوفٌ على مصدر منتزع من الأَوّل وهو قام ،أَى ما يكون قيام فنطقٌ . فحكم النفى منسحبٌ على القيام والنُّطق . فالنطق فى المعنى منفىٌّ فيصحُّ الاستثناءُ المفرَّغ فيه . ونظيره : ما تأْتينا فتحدِّثَنا ، بالنصب ، أَى ما يكون منك إتيـان فتحديث على نفى المركَّب ، أَى ما يكون منك إتيانٌ كثير ولا تحديثٌ عَقِيبه . اهـ .

---

(١) سيبويه ١ : ٤٢٠ . وانظر الأصول لابن السراج ٢ : ١٩٢ والعينى ٤ : ٣٩٠ والأشمونى ٣ : ٣٠٤ ، ٣٠٥ وديوان الفرزدق ٥٦١ .

وهذا نصُّ سيبويه فى باب الفاء ، قال : وتقول ما أتيتنا فتحدِّثنا ، والنصبُ فيه كالنصب فى الأوّل ، وإن شئت رفعتَ على معنى فأنت تحدِّثنا الساعة . والرفع فيه يجوز على ما . وإنَّما اختير النصب لأنَّ لوجه ههنا وحدَّ الكلام أن تقول: ما أتيتنا [1] فحَدَّثتنا، فلمَّا صرفوه عن هذا الحدِّ ضعُفَ أن يضمُّوا يفعل إلى فعلتَ ، فحملوه على الاسم ، كما لم يجزْ أن يضمُّوا إلى الاسم فى قولهم : ما أنت منَّا فتنصرُنَا يعنى أنت ونحوه . وأمَّا الذين رفعوه فحملوه على موضع أتيتنا ، لأنَّ أتيتنا[2] فى موضع فعل مرفوع ، وتُحدِّثنا ههنا فى موضع حدَّثتنا . وتقول : ما تـأْتينا فتكَلَّمَ إلاَّ بالجميل. فالمعنى إنَّك لم تـأْتنا إلا تكلَّمت بجميل . ونصبُه على إضمار أن كما كان نصبُ ما قبله على إضمار أن . وإن شئتَ رفعت على الشِّركة ، كأنَّه قال : وما تكلَّم إلاَّ بالجميل . وَمثَل النصب قولُ الفرزدق :

وما قام منَّا قائمٌ فى نديِّنا فينطقَ إلاَّ بالتى هى أعْرَفُ

وتقول : لا تـأْتينا فتحدِّثَنَا إلاَّ ازددنا فيك رغبة ، فالنصب ههنا كالنصب فى ما تـأْتينى فتحدِّثَنى ، إذا أردتَ معنى ما تـأْتينى محدِّثاً ، وإنَّما أراد معنى ما أتيْتنى محدِّثاً إلا ازددتُ فيك رغبة . ومثل ذلك قول اللَّعين :

وما حَلّ سعدىٌّ غريباً ببلدة فيُنسبَ إلاَّ الزِّبْرِقانُ له أَبُ[3]

وتقول : لا يسعُى شىءٌ فيعجِزَ عنك ، أى لا يسعى شىءٌ فيكون

---

(١) الكلام بعده إلى « أتيتنا » التالية ساقط من ش .

(٢) هنا ينتهى سقط ش الذى أشرت إليه قريباً .

(٣) هو الشاهد ١٩٤ ، فى الخزانة ٣ : ٢٠٦ هارون .

عاجزًا عنك ، ولا يسعى شئٌ إلاَّ لم يعجز عنك . هذا معنى الكلام . فإنْ حملتَه على الأوّل قَبُحَ المعنى ، لأنَّك لا تريد أن تقول إنَّ الأَشياءَ لا تسعَى ولا تعجز عنك . فهذا لا يَنْوِيه أَحد . انتهى كلام سيبويه .

ومنه تعرفُ وجْهَ جعل الشارح المحقِّق هذا المثال من النَّفى بالمعنى الثانى ، وأَنَّ الرواية بِنَصبِ فينطق .

قال الأَعلم : الشاهد فى نصب ما بعد الفاءِ على الجواب مع دخول إلاَّ بعده للإيجاب، لأَنَّها عَرَضت بعد اتِّصال الجواب بالنفى . ونصبَه على ما يجب له ، فلم يغيِّره . والندِىّ : المجلس ، أَى إذا نطق منَّا ناطق فى مجلسٍ جماعةٍ عُرِف صوابُ قوله فلم تُردَّ مقالتُه . انتهى .

ومثله لابن السرَّاج ، قال (فى الأُصول) : وتقول ما قام زيدٌ فيحسِنَ إلّا حُمِد ، وما قام زيد فيأْكلَ إلاَّ طعامَه بالنصب . قال الشاعر :

* وما قام منَّا قائمٌ فى ندِيِّنا *

ويجوز رفع (فينطق) كما جاز فى : ما[1] أتينا فتَكلَّمَ إلاَّ بالجميل، فتكون الفاءُ للعطف .

وبه استشهد ابن الناظم والمرادى (فى شرح الأَلفيّة) . قال العينى : الشاهد فيه رفع ينطق لأَنَّ من شرط النصب بعد النفى أَن يكون النفى خالصاً ، وههنا ليس كذلك . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة للفرزدق ، يفتخر بها على جرير ، وعدَّتها مائة بيت وخمسة عشر بيتاً، تقدَّم منها بيتان، أَحدهما فى باب النعت وهو :

(١) فى النسختين : « فيما » ، ووجه كتابته ما أثبت .

فأَصبح فى حيثُ التقينا شريدُهم . . . . البيت[1]

وثانيهما فى باب العطف ، وهو :

وعضُّ زمانٍ يا ابنَ مروانَ لم يَدعْ . . . البيت[2]

وهى قصيدة جيِّدة من غُرَر قصائده .

* * *

وأَنشد بعده :

(وما حَلَّ سعدىٌّ غريباً ببلدة فيُنسبَ إلاَّ الزبرقانُ له أَبُ)

لمَا تقدَّم قبله ، أَى يحلُّ ولا ينسب .

والكلام فيه كما تقدَّم قبله . قال الأَعلم : الشاهد فيه نصب ما بعد الفاءِ على الجواب . والرفع جائز ، والقول فيه كالقول فى الذى قبله . يقول :الزبرقان سيِّدُ قومه وأَشهرهم ، فإِذا تغرَّب رجلٌ من سعد وهم رهط الزبرقان فسئل عن نسبه انتسب إِليه لشرفه وشُهرته . انتهى . ٦٠٩

وقد تقدَّم الكلام على هذا البيت مفصَّلا فى الشاهد الرابع والتسعين بعد المائة من باب الحال[3] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستُّون بعد الستِّمائة ، وهو من شواهد س[4] :

(١) تمامه فى الخزانة ٥ : ٣٦ ، وهو الشاهد ٣٣٩ :

* طليق ومكتوف اليدين ومرهف *

(٢) تمامه فى الخزانة ٥ : ١٤٤ ، وهو الشاهد ٣٥٧ :

* من المال إلا مسحتاً أو مجلف *

(٣) الخزانة ٣ : ٢٠٦ - ٢٠٩ .

(٤) فى كتابه ١ : ٤٢٧ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٨ والجمل ١٩٧ والخصائص ١ : ٢٣٦ وابن يعيش ٧ : ٢٢ ، ٢٣ والأشمونى ٣ : ٢٩٥ وديوان امرئ القيس ٦٦ .

٦٦٧ (نُحاوِلُ مُلْكاً أَو نَمُوتُ)

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(فقلتُ له لا تبك عَيْنُكَ إنَّما نُحاوِلُ مُلكاً أَو نَمُوتُ فنُعْذَرا)

على أَنَّ سيبويه جوّز الرفع فى قوله (نموت) إمَّا بالعطف على نحاول ، أَو على القطع ، أَى نحن نموت .

وهـذا نصُّ سيبويه : واعلم أَنَّ معنى ما انتصب بعد (أَو) على إلاَّ أَنْ ، كما كان معنى ما انتصب بعد الفاء . تقول : لأَلزمنَّك أَو تقضيَنى حَقِّى ، ولأَضربنَّك أَو تسبقَنى . فالمعنى لأَلزمنَّك إلاَّ أَنْ تقضينى ، ولأَضربنَّك إلاَّ أَن تسبقنى . هذا معنى النصب . قال امرؤ القيس :

فقلتُ له لا تبك عينك . . . . البيت

والقوافى منصوبة ، فالتمثيل على ماذكرت لك ، والمعنى على إلّا أَن نموتَ فنُعذرا . ولو رفعتَ لكان عربيًّا جيداً[1] على وجهين : على أَن تشرك بين الأَوَّل والآخِر ، وعلى أَن يكون مبتدأً مقطوعاً من الأَوّل ، يعنى أَو نحن ممّن يموت . وقال تعالى :﴿ سَتُدْعَوْنَ إلى قومٍ أُولِى بـأْس شديدٍ تُقاتلونَهم أَو يُسلمُون[2]﴾، إنْ شئت كان على الإشراك، وإن شئتَ كان على : أَو وَهم يسلمون . انتهى كلامه.

وقال صاحب التكميل : ويحتمل أَن يكون أَو هنا للغاية ، أَى نحاول الملك إلى أَن نموت . وأَمَّا نصب قوله فنُعذراً فبالعطف على نموت على

(١) فى كتاب سيبويه : « جائزاً » .

(٢) الآية ١٦ من سورة الفتح .

رواية النصب ، وأمّا على رواية الرفع فخفيٌّ . ولهذا حذفه الشارح المحقّق من المصراع .

ووجَّه نصبَه الكرمانىُّ (فى شرح أبيات الموشّح) بأنَّ الفاءَ للسببيَّة ، وبعدها أن مضمرة فى جواب النفى الضِّمنى ، بتأْويل « نموت » بلا نبقى . فتأَمَّل .

و (نعذرا) بالبناء للمفعول ، وروى « نُعذِر » من أعذر الرجل إذا أتى بعذر .

وقال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : وروى : فنَعذِر ، بكسر الذال ، أى نبلغ العذر .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لامرئ القيس مشتملةٍ على جملٍ من يواقيت الفصاحة ، وجواهر البلاغة ، قالها لمَّا دخل بلاد الروم مستجيراً بقيصر ، لأنَّ أباه كان قد وَلِىَ بنى أسد فظلمهُم ، فتعاونوا على قتله ، كما تقدَّم فى ترجمته ، فخرج امرؤ القيس إلى قيصر يستمدُّه .

قال أبو القاسم السَّعدىُّ (فى كتاب مساوى الخمر) : وممَّن بلغ به إفشاءُ سرِّه حتفَه امرؤ القيس بن حُجْر الكِندىّ . وذلك أنَّ المنذر بن ماء السماءِ عند ما ملَكَ على الحيرة عندما ولاَّه أنو شِروان ذلك بعد مقتل حجر ، وزوالِ مُلك بنى آكل المُرار ، أرسلَ جيشاً من بكر وتغلبٍ فى طلب بنى آكل المُرار ، فجىءَ إليه منهمْ بستَّة عشر رجلاً ، فضرب أعناقهم فى بيوتِ بنى مَرِينا . وفى ذلك يقول امرؤ القيس :

ألا ياعَيْنِ بكِّى لى شَنينَــا وبكِّى لى الملوكَ الذَّاهبينا[1]

(١) فى النسختين : « شبيباً » ، صوابه من الديوان ٢٠٠ . وفى شرحه : « وهو فعيل من الشن ، وهو الصب » .

ملوكاً من بنى حُجر بن عمرو يُساقُونَ العشيَّـةَ يُقتَلونا

٦١٠ فلو فى يومِ معركة أُصيبُـوا ولكنْ فى بيوت بنى مَرينـا

وفى ذلك أيضاً يقول عمرو بن كلثوم فى معلَّقته :

فآبُوا بالنِّهاب مع السَّبايا وأبناء الملوكِ مصفَّـدينا[١]

فهرب منه امرؤ القيس ، قيل : كان معهم فأفلتَ ، وقيل سمِع بخبرهم فذهبَ على وجهه يستجيرُ بالعرب ، فبعضٌ يقبلُه وبعضٌ يردُّه . فخرج إلى الحارث بن أبى شَمِر الغسَّانى ، المعروف بابن ماريَة ، وحالُ الحارثِ يومئذٍ بالشَّام كحالِ المنذر بن ماءِ السماءِ بالعراق ، فسأله الجوارَ والنُّصرة ، وتوسَّل إليه بالْخُئُولة . وذلك أنَّ ماريَةَ ذات القُرطين اللذين يَضرِب العربُ بهما المثلَ هى أُخت هندٍ امرأةِ حُجر والد امرئ القيس . فأكرمَه ، وسأله النُّصرة على المنذر فاعتذر إليهِ ، وقال له : إنِّى لست أقدر على المسير إلى العراق فى هذا الوقت ، ولكنِّى أسيرُ معك إلى الملك قيصر فهو أقوى منِّى على ما سألت . وكانت للحارث وِفادةٌ على الملك ، فأوفده معه . وهذا قبل أن يغزوَ المنذرُ بنُ ماءِ السماءِ إلى الحارث بن أبى شَمِر وقبل أن يقتله .

وقيل إنَّ سبب ما هيَّج ما بين المنذر والحارث هذا الحربَ[٢] إنَّما هو إجارة الحارث لامرئِ القيس ، فتوجَّه معه امرؤ القيس إلى بلد الرُّوم . وفى ذلك قال هذه القصيدة ، ذكر فيها استجارته وخُلوصَه إلى التوجُّه إلى بلد الروم :

---

(١) هذه الرواية الغريبة اتفقت فيها النسختان ، ولم أجدها فى روايات المعلقات عند كل من ابن الأنبارى ، وابن النحاس ، والزوزنى ، والتبريزى ، وكذلك جمهرة أشعار العرب والرواية المعروفة : « وأبنا بالملوك مصفدينا » .

(٢) الحرب تذكر وتؤنث . ووردت فى النسختين مذكرة . وفى ش : « هكذا بخط المؤلف ».

سَما لكَ شوقٌ بعدما كان أَقصَرا وحلَّتْ سُليمى بطَن ظبيٍ فعَرعرا[١]
فدَعْها وسلِّ الهمَّ عنها بَجْسرةٍ ذَمولٍ إذا صامَ النَّهارُ وهجَّرا[٢]
عليها فتىً لم تحمل الأَرضُ مثله أَبرَّ بميثاقٍ وأَوفَى وأَصبـرا
إذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رضيتُه وقَرَّت به العينانِ بُدِّلتُ آخَرا
كذلك جَدِّى لا أَصاحبُ صاحباً من النَّاس إلاَّ خانني وتغيَّـرا
تذكَّرتُ أَهلي الصالحينَ وقد أَتت على جَمَلٍ بنا الرِّكاب وأَعفَرا[٣]
ولمَّا بدتْ حَوْرانُ والآلُ دونها نَظرتَ فلم تَنظُربعينيكَ منظرًا[٤]
تَقطَّعَ أَسبابُ اللُّبانات والهَوَى عشيَّةَ جاوزْنا حَماة وشَيزَرا
بكى صاحبي لمَّا رأَى الدَّربَ دُونَه وأَيقَنَ أَنَّا لاحقِان بقَيْصرا
فقلت له : لا تبكِ عينُك إنَّما نُحاوِل ملكاً أَو نموتَ فنُعذَرَا

---

(١) فى ديوانه ٥٦ : « بطن قو » . وبين هذا البيت وتاليه فى الديوان ٢٣ بيتاً .

(٢) فى الديوان ٦٣ : « فدع ذا » . وبين هذا البيت وتاليه فى الديوان خمسة أبيات . وهكذا نجد الأبيات هنا مختزلة من قصيدة الديوان ، مع الخلاف فى الرواية والترتيب أيضاً .

(٣) فى الديوان ٦١ : « على خملى خوص الركاب وأوجرا » . وفى الشرح : « حملى وأوجر : موضعان قبل الشام » . ولم يرسم ياقوت لهذين الموضعين، لكن ذكرهما البكرى فى رسم (أعفر) استطراداً ، كما أفرد رسماً خاصاً للموضع (أوجر) وقال : « موضع بأرض بلقين من الشام قد تقدم ذكره فى رسم أعفر » . وكلاهما لم يرسم لحملى ، وانفرد البكرى فى (أعفر) بذكر (خملى) قال : « وروى الأصمعى :

* على خملى خوص الركاب فأوجرا *

بالخاء المعجمة على وزن فعلى » .

أما رواية « جمل » بالجيم المعجمة فقد ذكرها ياقوت فى رسم (جمل) عرضاً ، إذ قال : « العمرانى : جمل بالشام فى شعر امرئ القيس . ورواه السكرى عن الكلبى بالجيم » . كما ذكر البكرى « حمل » بالحاء المهملة فى رسم (أعفر) عرضاً ولم يفردها برسم ، وسكت عن رواية « جمل » بالجيم .

(٤) أى لم أر شيئاً أسر به ، فكأن كل ما أراه غير مرئى ، لحقارته وقبحه فى عينى .

وبعد هذا سبعةُ أبيات فى وصف فرسه وفى بعض ما مرَّ لَهُ فى بعض المنازل .

وصاحبُه الذى بكى هو عَمرو بن قميئة الضُّبَعى الشاعر المشهور، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابعَ عشرَ بعد الثلثمائة[1] . كان صحب امرأَ القيس لمَّا مر ببكر بن وائل يطلبُ منهم النُّصرة ، فسأَلهم عن شاعرٍ محسن فيهم، فأَتَوْه به وقد أَسنَّ ، فاستنشده فأَعجبه ، ثم شكا إليه حالَه فقال له : اصحبْنى . فصحبَه وكان معه حتَّى سلك الطريق إلى بلد الروم ، فلمَّا توسَّط الدَّربَ بكى عمرو بن قميئة وقال : غرَّرْت بنا .

– والدَّرب : كلُّ مدخَل إلى الروم ، أَو النافذ منه ، وباب السكة الواسع ، والباب الأَكبر . كذا فى القاموس –

٦١١ ثم إنَّ عمرًا مات فى الطَّريق فكان يسمَّى عَمْرًا الضائعَ . فلمّا وصل امرؤ القيس إلى بلد الروم أَمرَ ملكُ الروم بإدخاله عليه ، وكان لا يدخل على قيصرٍ أَحدٌ إلاَّ سَجد له . فقيل له إنَّ امرأَ القيس لا يسجدُ لك . وكان لقيصر بابان أَحدهما صغير والآخر كبير ، فقال أَدخِلوه من الباب الصغير ليضَع رأْسَه لى . فلمَّا رأَى امرؤ القيس صِغَر الباب ولَّى ظهره فدخل مُوَلِّياً حتَّى قام بين يديه . قالوا : فنظر إليه قيصر فأَعجبه ، وكان وسيماً جميلاً ، وأعلمَه أَنَّه جاءَه يستمدُّه على العرب . فرحَّب به وأَلطَفه وقال له : أَيُّما أَحبُّ إليك : ستُّمائةٍ من أَولاد الملوك أَو ستَّة آلاف من الجند ؟ فاختار ستَّمائة من أَبناءِ الملوك . وخَفَّ على قلب قيصر حتَّى نادمه ، ففى ذلك يقول :

(١) الخزانة ٤ : ٤١١ - ٤١٢ .

ونادمتُ قيصـرَ فى مُلكه فـأَوجهنى ورَكِبتُ البريدا[1]
إذا ما ازدحَمْنا عـلى سـكَّةٍ سَبقْتُ الفُـرانقَ سبْقاً بعيدا

ــ والفُرانق بضم الفاءِ وكسر النون : الذى يدلُّ صاحبَ البريد على الطريق . والبَريد : دابَّةُ الرسولِ المستعجِل ــ

ثم إنَّ امرأَ القيس لطُف محلُّه من قيصر ، فأَدخله الحمّامَ معه ، فرأى غُلْفة قيصر فقال :

لقد حلفتُ يميناً غير كاذبةٍ إنَّكَ أَغلفُ إلّا ما جَنَى القمرُ[2]

ــ وخِتانة القَمَر مثلٌ تضربُه العرب للأَغلف ، لأَنَّ القمر لا يَختِن أَحدًا ــ

وفى مدَّة منادمته لقيصر رأَته ابنةُ قيصر فعشِقَتْه وراسلته ، وصار إليها ، وفيها يقول من قصيدة :

سموتُ إليها بعد ما نامَ أَهلُها سُموَّ حَبابِ الماءِ حالاً على حالِ[3]
فقالتْ سَباك اللهُ إنَّك فاضِحِى أَلستَ تَرى السُّمَّارَ والنَّاسَ أَحوالِى
فقلت لها باللهِ أَبـرحُ قاعداً ولو قطَعُوا رأْسى لديكِ وأَوصالى

وسيأْتى شرح هذا إن شاءَ الله فى حروف القسم وغيرها .

قالوا : ولم يزل يصير إليها ، ثم أَخبَرَ بذلك أَصحابَه ، وفيهم الطمَّاح بن قيسٍ الأُسدى ، فقال له : ائتنا بأَمَارةٍ . فأَتاه بقارورة من

(١) ديوان امرئ القيس ٢٥٢ . أوجهه : جعل له وجهاً عند الناس فكان وجيهاً .
(٢) البيت مع قرين له فى الديوان ٢٨٠ .
(٣) الديوان ٣١ - ٣٢ .

طِيب الملك ، وذلك كان عند سُكره . وكان أبو امرئ القيس قد قَتل قيساً أبا الطمّاح أيام أوقع ببنِى أسد ، فتحيَّل الطمَّاح حتَّى أخذَها فأنفذها إلى قيصر وأخبرَه بالحديث ، فعرَفه وعلم صحَّته . فى ذلك يقول من قصيدة :

لقد طمَح الطمّاحُ من بُعد أرضِه ليُلبسنى من دائه ما تلبَّسا[1]

وقال أيضاً من قصيدة :

إذا المرءُ لم يُخْزن عليه لسانَهُ فليس على شىءٍ سِوَاه بخزّانِ[2]

فلما نَفَذَ امرؤ القيس بالجيش[3] ، أتى الطمّاحُ ملكَ الروم فقال له : أيُّها الملك أهلكتَ جيشاً بعثتَه مع المطرود الذى قُتل أبوه وأهلُ بيته ، وما تريد من نصره ، وكلَّما قتَلَ بعضُ العرب بعضاً كان خيراً لك ! قال : فما الرأى ؟ قال : أن تتداركَ جيشَك وتردَّه ، وتبعثَ إلى امرئ القيس بِحُلَّةٍ مسمومة . ففعل وعزَم على امرئ القيس أن يلبَسها ، فدخل امرؤ القيس الحمَّام فاطَّلَى ولبسَها وقد رقَّ جلدُه لقروح كانت به ، فتساقط لحمُه . وردَّ قيصرُ جيشَه . وقدِم امرؤ القيس أنقِرَة[4] ، وهى التى يقال لها الآن أنكورية ، فأقام بها مُدْنَفاً يعالج قروحَه ، ونزل إلى جنب جبلٍ يقال له عَسِيب ، وإلى جنبه قبرٌ لابنة بعضِ الرُّوم ، فسأل عن القبر فأُخْبِر به فقال :

٦١٢

(١) الديوان ١٠٨ .

(٢) الديوان ٩٠ . وكنى باللسان عن السر الذى يحفظه ويذيعه .

(٣) نفد ، بفتح الفاء وآخره دال مهملة ، أى جاز .

(٤) أنقرة ، بكسر القاف ، كما فى اللسان والقاموس ومعجم البلدان . وفى اللسان : « وهو أيضاً : جمع نقير ، مثل رغيف وأرغفة ، وهو حفرة فى الأرض » .

أَجارتَنا إنَّ الخُطوبَ تنوبُ وإنِّى مقيمٌ ما أَقَام عسيبُ[١]
أَجارتنا إنَّا غريبانِ ههنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ

فلما أيقنَ بالموت قال :

كمْ طعنةٍ مُثْعَنْجِرَه وخُطبةٍ مُسحَنْفِره[٢]
وجَفْنةٍ مُدعثَره قد غُودرت بأَنْقِرَه

وكان هذا آخرُ ما تكلَّم به ومات .

هذا ما نقلته من كتاب مساوى الخمر[٣] .

والمثعنجرة : السَّائلة . والمسحنفرة : الواسعة ، فى الصحاح يقال اسحنفَر فى خطبته ، إذا مضَى واتَّسعَ فى كلامه . والجَفنَة بفتح الجيم : القَصْعة . والمُدَعثَرة : المتثلِّمة والمُتَكَسِّرة[٤] .

وقوله : « بطن ظبي وعرعرا » هما موضعان .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين[٥] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الستِّمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٦] :

---

(١) فى الديوان ٣٥٧ : « إن المزار قريب » . وعسيب : جبل بعالية نجد معروف .
(٢) ديوانه ٢٤٩ .
(٣) وكذا ورد ذكره فى الجزء الأول من الخزانة ١ : ٢١ . وفى ٥ : ٣٣٠ : « مساوى الخمرة » . وذكر أن مؤلفه هو أبو القاسم عبد الرحمن السعدى الأندلسى المتوفى بمصر سنة ٥٥٥ . وقال : « وهو كتاب ضخم ، وهو عندى فى جلدين » .
(٤) ط : « والمنكسرة » بالنون .
(٥) الخزانة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .
(٦) سيبويه ١ : ٤٢٩ . وانظر المحتسب ١ : ١٩٥ وابن الشجرى ٢ : ٣٠ والمغنى ٦٩٣ ، والهمع ٢ : ٦٠ وديوان الأعشى ٤٨ .

٦٦٨ (إن ترْكبُوا فركوبُ الخيلِ عادَتُنا
أَو تنزلـون فـإِنَّا معشـرٌ نُـزُلُ)

على أَنَّ (تنزلون) عند الخليل معطوفٌ على إنْ تركبوا على المعنى ، وهو المسمَّى عطف التوهُّم . وقال يونس : هو على القطع ، أى بل أَنتم نازلون ، وأَوْ بمعنى بل .

وكلٌّ من الخليل ويونس شيخ سيبويه ، وهذا نصُّه فى الكتاب :

وسأَلت الخليل رحمه الله عن قول الأَعشى :

إن تركبوا فركوبُ الخيل عادتُنا . . . . البيت

فقال : الكلام ههنا على قوله يكون كذا أَو يكون كذا ، لمّا كان موضعه ما لو قال فيه أَتركبون لم ينقص المعنى ، صار بمنزلة ولا سابق شيئاً[١] . وأَمَّا يونس فقال : أَرفعه على الابتداءِ ، كأَنَّه قال : أَو أَنتم نازلون . وقول يونس أَسهل . وأَمَّا قول الخليل فجعله بمنزلة قول زُهير :

بدا لِيَ أَنّى لستُ مدركَ ما مضَى ولا سابقٍ شيئاً إذا كانَ جائيا

والإِشراك على هذا التوهم بعيدٌ كبعد : ولا سابق شَيئاً . انتهى .

قال الأَعلم : الشاهد فى رفع تنزلون حملاً على معنى إن تركبوا ، لأَنَّ معناه ومعنى أَتركبون متقارب . وكأَنَّه قال أَتركبون فذلك عادتنا ، أَو تنزلون فى مُعظَم الحرب فنحن معرُوفون بذلك . هذا مذهب الخليل وسيبويه . وحمله يونس على القطع ، والتقدير عنده : أَو أَنتم تنزلون . وهذا أَسهلُ فى اللفظ ، والأَوّل أَصحُّ فى المعنى والنظم ، والخليل ممَّن يأْخذ بصحَّة المعانى ولا يبالى باختلال الأَلفاظ . انتهى .

(١) إشارة إلى الشاهد التالى لزهير .

وكذا نقل ابن هشام (فى المغنى) .

فأنت ترى أنَّهم حملوه على إضمار المبتدأ بالنقل عن يونس ، ولم يقل أحدٌ منهم إنَّ أَوْ بمعنى الإضراب كما قال الشارح المحقق . ولا ضرورة تُلجئه إليه .

واقتصر ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) على مذهب الخليل ، وخصَّه بالضرورة ، قال : ألا ترى أنَّ تنزلون حكمه أن يحذف منه النون للجزم ، لأنَّه معطوف على الفعل المجزوم بأداة الشرط وهو تركبوا لكنَّه اضطُرّ إلى رفعه بالنون فاستعمل الرفعَ بدلَ الجزم ، حملاً على أتركبون المضمَّن معنى إن تركبوا ، لأنَّ الفعل المستفهم عنه جائز فيه أن يضمَّن معنى الشرط إلاَّ أنَّ ما حَمَل عليه رفع تنزلون لا يُحوِج إلى اللفظ . انتهى .

٦١٣

والبيت من قصيدةِ الأعشى ميمون ، التى أوَّلها :

وَدِّعْ هُريرة إنَّ الركبَ مُرتحِلُ   وهل تطيق وَداعاً أيُّها الرجلُ

وتقدَّم شرح أبيات منها . وهذه القصيدة ملحقة بالمعلَّقات السبع .

ورُوى البيت كذا أيضاً :

قالوا الطِّرادُ فقلنا تلك عادتُنا   أَو تنزلون فإنا معشرٌ نُزلُ

وعليه لا شاهد فيه .

ولم يذكر الخطيب التبريزى فى شرح القصيدة غيرَ هذه الرواية ، وقال فى شرحه : يقول : إن طاردتم بالرِّماح فتلك عادتنا ، وإن نزلتم تُجالدون بالسُّيوف نزلنا . انتهى .

ونُزُل بضمتين : جمع نازل . ونزولهم عن الخيل يكون عند ضِيق المعركة ، ينزلون فيقاتلون على أقدامهم ، وفى ذلك الوقت يتداعَوْن : نزال .

وقد تقدّم الكلام على شرح النزول مفصلا فى الشاهد الواحد والأربعين بعد الأربعمائة[1] .

والأعشى شاعر جاهلى تقدّمت ترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب[2] .

* * *

وأنشد بعده :

(ولا ناعبٍ إلّا ببينٍ غُرابُها)

وهذا عجزٌ وصدره :

(مشائيمُ ليسوا مُصلِحينَ عشيرةً)

على أنّ ناعب عطف بالجرّ على مصلحين الواقع خبرًا لليس على توهّم الباءِ فيه ، فإنّها يجوز زيادتها فى خبر ليس .

ومشائيم : جمع مشئوم كمنصور ، وهو من به الشُّؤم ، نسَبهم إلى الشُّؤم وقلّة الصّلاح والخير . يقـول : لا يُصلحون أمر العشيرة إذا فسَدَ ما بينهم ولا يأْتمرون بخير ، فغُرابُهم لا ينعِبُ إلا بالتشتيت والفراق . وهذا مثلٌ للتطيُّر منهم والتشؤُّم بهم . والعرب تتشاءَم بصوت الغراب .

---

(١) كذا فى النسختين . والصواب أنه الحادى والأربعون بعد الثلثمائة . الخزانة ٥ : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ - ١٧٨ .

وقد تقدَّم شرحُه مفصَّلا فى الشاهد الثامن والسبعين بعد المائتين [١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الستمائة ، وهو من من شواهد سيبويه [٢] :

٦٦٩ (عَلَى الحَكَمِ المأْتِىِّ يوماً إذا قضى قضيَّتَه أن لا يجورَ ويَقْصِدُ)

على أنَّ القطع قد يجىءُ بعد الواو غير الجمعية . وقد شرحه الشارح المحقق .

قال سيبويه : وممَّا جاءَ منقطعاً قولُ الشاعر :

على الحكم المأْتِىِّ . . . . البيت

كأَنَّه قال : عليه غير الجور ، ولكنَّه يقصد أَو هو يقصد أَو هو قاصد ، فابتدأ ولم يحمل الكلام على أَنْ ، كما تقول : عليه أَنْ لا يجور وينبغى له كذا وكذا . فالابتداء فى هذا أَسبق وأَعرف . فمن ثَمَّ لا يكادون يحملونها [٣] على أَن . انتهى .

وقال النحاس (فى شرح شواهدِه) : سأَلت عنه أَبا الحسن فقال : ويقصد مقطوع من الأَوّل ، وهو فى معنى الأَمر وإن كان مضارعاً ، كما تقول : يقوم زيد ، فهو خَبَرٌ وفيه معنى الأَمر . انتهى

ومثله للأَعلم قال : قطعَه لأَنَّ المعنى وينبغى له أَن يقصد . ولم يحملْه على أَوّل الكلام لأَنَّ فيه معنى الأَمر ، فكأَنه قال : وليقصد فى حكمه .

---

(١) الخزانة ٤ : ١٥٨ - ١٦٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٣١ . وانظر المحتسب ١ : ٢/١٤٩ : ٢١ ، وابن يعيش ٧ : ٣٨ ، ٣٩ والمغنى ٣٥٩ واللسان (قصد) .

(٣) ط : « يحملون » ، وأثبت ما فى ش وسيبويه .

ونظيره ممَّا جاءَ على لفظ الخبر ومعناه أَمرٌ قولُه تعالى : ﴿ والوالداتُ يُرضِعْنَ أَولادَهُنَّ[١] ﴾ أَى ليرضعن أَولادهنَّ ، وينبغى لهن أَن يرضعنَهم . انتهى . ٦١٤

ونقله الجوهرى فى الصحاح وقال : قال الأَخفش : أَراد : وينبغى أَن يقصد ، فلما حذفه وأَوقع يقصد موضع ينبغى رفعَه ، لوقوعه موقع المرفوع .

وإليه ذهب ابن جنى (فى المحتسب) . وهذا توجيهٌ لانقطاعه واستئنافه ، وليس المراد أَنَّ « يقصد » كان منصوباً بأَنْ فارتفع لمَّا حُذفت ، كما ذهب إليه الدمامينىّ (فى الحاشية الهندية) وقال : ويحتمل أَن يكون يقصد منصوباً فى الأَصل بإضمار أَنْ ، والمعنى : عليه أَن لا يجورَ وعليه أَن يقصد ، ثم حذفت أَنْ وارتفع الفعل كما فى : « تسمعُ بالمُعَيْدىِّ خيرٌ من أَن تراهُ » . انتهى .

وهذا المعنى وإنْ كان جيّدًا إِلّا أَنَّه لا يحسنُ التخريج على حذف أَنْ ، فإِنَّه غير مَقيس . فالصحيح الاستئناف .

قال ابن الحاجب (فى الإيضاح) : العطف على يجور غير مستقيم لأَنَّ غرضه[٢] أَن ينفى الجور ويُثبت القصدَ ليحصل المدح ، وإذا أَشركَ بينه وبين الجور دخَل فى النفى ، فيصير نافياً للجور ونافياً للقصد ، فلا يحصل مدح ، بَلْ يتناقض . فوجب أَن يُحمل على أَنَّه مستأْنف ليكون مثبتاً فيكون الجورُ منفيًّا والقصد مثبتاً ، فيحصل المقصود ، ويرتفع التناقض . انتهى .

(١) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .
(٢) ش : « لأنه غرضه » .

وقوله (على الحَكم) ظرف وقع فى موقع الخبر المقدَّم . وروى :

* على الحكم المأْتِىّ حقٌّ إذا قضى[١] *

فيكون حقٌّ هو الخبر ، وعلى متعلقة به .

وقوله : (أن لا يجور) فى تأْويل مبتدأ مؤخَّر ، والمعنى واجبٌ على كلِّ حكَم بين الناس يؤتى لفصل الخصومات أن لا يجور فى حُكمه إذا قضَى قضيَّته وحَكَم حُكْمَه ، وهو يقصد ويعدل فى قضاياه . وهذا منه إرشادٌ للحاكم إلى العدل فى الحُكم ، وحثٌّ على النَّصَفة . والحَكَم بفتحتين : وصفٌ من حكمت بين القوم : فصَلْت بينهم ، فأَنا حاكم وحَكَم بفتحتين . والحُكْم بالضم : القضاءُ ، وأَصله المنع ، يقال حكمت عليه إذا منعتَه من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك .

و (المأْتِىّ) : اسم مفعول من أَتيته ، يكون متعدِّياً بنفسه ويجىءُ لازماً يتعدَّى بإلى . وعلى[٢] الأَول يكون اسم المفعول منه بدون إلى بلا حاجة إلى قول ابن الملا (فى شرح المغنى) : المأْتىّ معناه المأْتىّ إليه ، فهو على الحذف والإيصال ، كقولهم المشتَرك . وقَضَى : حكم . وَقضيّة فعيلة بمعنى مفعولة . وجار فى حكمه ، أَى ظلم . والقصد : العدل ، يقال قصد فى الأَمر من باب ضرب ، إذا توسَّط وطلب الأَسَدَّ ، ولم يجاوز الحدَّ .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ عدَّتها تسعة عشر بيتاً لأَبى اللحَّام التغلبى[٣]

---

(١) هذه رواية غير التى صدر بها الشاهد ، فإنها فى الشاهد : « يوماً إذا قضى » وكذا فى جميع المراجع المذكورة فى تخريجه . ويبدو أنها رواية أبى تمام فى مختار أشعار القبائل كما سيأتى .

(٢) ط : « وقال » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : « الحام » بالجيم ، صوابه فى ش .

أوردها أبو عمرو الشيبانى (فى أشعار تغلب له) ، وانتخبها أبو تمام فأورد منها خمسة أبيات (فى مختار أشعار القبائل) وهذا أوّلُها :

(عَمِرتُ وأَطْوَلتُ التفكُّر خالياً وساءلت حتَّى كاد عُمرِىَ يَنفَدُ

فأَضحت أُمورُ الناس يَغْشَين عالِماً بما يُتَّقَى منها وما يُتَعَمَّدُ

جديرٌ بأَن لا أَستكينَ ولا أُرَى إذا الأَمر وَلَّى مُدْبراً أَتبلَّدُ

عَلَى الحكمِ المأْتى حقٌّ إذا قَضَى . . . .) البيت

عمِرت ، أى عشت عمراً طويلا ، من باب فرح ، والمصدر العَمْر بفتح العين وضمها مع سكون الميم فيهما . وساءلت : فاعلت من السؤال أى أكثرت السؤال . وينفَد : يفنى .

ويَغْشَين : يأْتين . والغِشيان : الإتيان . وأراد بالعلم نفسَه . والفعلانِ بعده يجوز أن يكونا بالبناء للمعلوم وبالبناءِ للمجهول . ويُتعَمَّد بمعنى يُقصَد . ٦١٥

وجديرٌ خبر مبتدإٍ محذوف ، أى أنا جدير بأَن لا أَستكينَ ، أى لا أَخضع ولا أذلَّ . وأُرَى بالبناءِ للمفعول . ورُوى المصراع الثانى هكذا :

* إذا حلَّ أمرٌ ساءَنى أَتبلَّدُ *

أى أَتحيَّر[1] كالبليد .

ومن هذه القصيدة :

(وليس الفتَى كما يقولُ لسانُه إذا لم يكن فعلٌ مع القول يُوجَدُ

(١) فى النسختين : « أتخير » ، صوابه ما أثبت .

عسى سائلٌ ذو حاجة إنْ منعتَه   من اليوم سُؤْلا أن يـكون له غدُ
وإنّك لا تدرى بإعطاءِ سائلٍ   أأنت بمـا تُعطيه أم هو أسعدُ)

أبو اللحام التغلبي

وأبو اللحَّام شاعرٌ جاهلى ، اسمهُ حُرَيْثٌ مصغر حارث[١] . واللحَّام بفتح اللام وتشديد الحاء المهملة .

وهذا شئٌ من أخباره ، أورده أبو عمرو الشيبانى قال :

كان أبو اللحَّام خرج فى ناس من بنى تغلِب ، فأغار على قُرًى من قرى السَّوادِ وأقام يَجْبيهم[٢] ويأْخذ منهم ، فبعث إليهم كِسرى النَّخِيرجان[٣] فى خيلٍ من الأَساورة ، فهزم ذلك الجيش وأخذ أبا اللَّحَّام فحمله على بعير ، وعَدَله بفِراشٍ وهو مغلولٌ ، فقال : انظروا إلى هذا الخبيث الذى جاءَ يُغير على الملك وهو عِدلُ فراشٍ فى الخفَّة ! ثم إنَّه نزل فى ناحية الفرات على شاطئه الغربى فبعث خيلَه إلى العرب فلم يُصِبْ أحداً إلَّا قتله . وجَعَل مع أَبى اللحَّام رجلاً من أَهل الحيرة عربيًّا كان من أَعوانه يقال له بَرِيم ، فى سلسلةٍ ، شِمالُ أَبى اللحَّام بيمينه ، وهو يريد أَن يَقدَم الحِيرة ليصلبَه بها فيراه مَن يقدَم الحِيرةَ من العرب . فلقىَ رجُلا نبطيًّا كان يعرفه فى بعض السَّواد إلى جنب أَجَمة ، فأَخذ

(١) ط : « حرث » ، وكلاهما صحيح . فإن تصغير حارث على حريث ، هو تصغير ترخيم كما يقال فى حامد وحمدان وحماد ومحمود : حميد . انظر الأشمونى ٤ : ١٦٩ . وحمله على المألوف فى التسمية وهو « حارث » أولى من حمله على غير المألوف ، فإنهم لم يسموا حرثاً .

(٢) ط : « بجيهم » ، صوابه فى ش . وجباية الخراج : جمعه وتحصيله .

(٣) النخيرجان كان عاملا على الحيرة هو وإياس بن قبيصة الطائى ، أمضيا فى العمالة تسع سنين فى زمن كسرى بن هرمز . ولسنة وثمانية أشهر من ولاية إياس بن قبيصة بعث النبى صلى الله عليه وسلم . الطبرى ٢ : ٢١٣ . وقد استمر النخيرجان عاملا من قبل الفرس إلى سنة ١٥ من الهجرة حيث هزم بعد يوم القادسية . الطبرى : ٣ : ٦١٩ . ثم كان على بيت مال كسرى . ونجد بعد وقعة نهاوند خبراً عنه فى كنوز آل كسرى التى كان قيما عليها . الطبرى ٤ : ١١٦ .

منه دراهم ، فجعل إذا مشى ينطلق ببريم فيَسقيه ويُدهنه[(١)] ويُطعمه من تلك الدراهم . فلما كان ذاتَ ليلة أظلمت السماءُ بغيمٍ ومطر ، وجعَل يُلحُّ عليه بالشَّراب ، ثم جعلا يمشيان فى الأَجمَة فتناول سيفَ بريمٍ فاستلَّه ثم ضرب السلسلة فقطعها ، ثم خرج إلى البرِّيَّةِ فأَتى رجلاً من الأَعراب من بكر بن وائل فأَخبره الخبر ، وأَخذ منه نجيبةً فلحق بالشَّام .

* * *

وأَنشد بعده :

(فنرجِّى ونكثرُ التَّأْميلا)

على أَن نرجِّى مقطوع بعد الفاءِ . وهذا عجزٌ ،وصدره :

(غير أَنَّا لم يأْتِنَا بيقينٍ)

وتقدم شرحه قريباً[(٢)] . والفاءُ استئنافية لا سببية ، بدليل القطع . وجَوَّز هناك أَن تكون سببية . وإنَّما لم ينصب نُرجِّى لعدم اللَّبس .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[(٣)] :

٦٧٠ (وما هُوَ إلاَّ أَن أَراها فُجاءَةً فأَبهَتَ حتَّى ما أَكادُ أُجيبُ)

على أَنَّه يروى بنصب (أَبهَت) ورفعه على القطع ، أَى فأَنا أُبهت.

(١) يريد : يطعمه الدهن ، نظير قولهم : ألحمه : أطعمه اللحم ، وأشحمه : أطعمه الشحم . لكنى لم أجد يدهن بهذا المعنى فى المعاجم المتداولة .

(٢) هو الشاهد ٦٦٥ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٠ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٣٨ وديوان عروة بن حزام مخطوطة الشنقيطى الورقة ٥ .

قال سيبويه : وسألت الخليل رحمه الله عن قول الشاعر :

* وما هو إِلَّا أن أَراها فجاءَةً * . . . . البيت

فقال : أَنت فى أَبهت بالخيار ، إن شئت حملتهَا على أَنْ ، وإن شئت لم تحملْها عليه فرفعتَ ، كأَنك قلت : ما هو إِلَّا الرأْى[1] فأَبهت. انتهى .

وقوله (هو) ضمير يفسِّره خبره ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ هِىَ إِلاَّ حياتُنا الدُّنيا[2] ﴾ . قال الزمخشرى : هذا ضميرٌ لا يُعلم ما يُعنى به إلاَّ بما يتلوه . وأَصله : إن الحياةُ إِلَّا حياتنا الدنيا ، ثم وضع هىَ موضع الحياة ، لأَنَّ الخبرَ يدلُّ عليها ويبيِّنها . انتهى .

٦١٦

وليس هو فى البيت ضميرَ الشأْن والحديثِ كما زعمه شارح أَبيات المفصل ، لأَنَّ ضمير الشأْن لا بدَّ أَن يفسَّر بجملة ، ولا جملة هنا ، وأَمَّا أَن أَراها فى تأْويل المفرد كما صرَّح به سيبويه ، لأَنَّ أَنْ هى الناصبة للمضارع، وليست مخفَّفة من الثقيلة لأَنَّها تقع بعد فعل اليقين أَو ما نزِّل منزلته ، وحينئذ يكون اسمها ضميرًا وخبرها جملة مفصولة عنها بقد ، أَوْلوْ ، أَو السِّين[3] ، أَو النفى ، على ما فُصِّل فى محله . وقد غَلط [فى[4]] ذلك الشارحُ فزعم أَنَّها المخفَّفة ، قال : والتقدير إِلَّا أَنَّه أَراها أَى إِنَّ الشأْن . وهذه غفلةٌ منه ، فإِنَّها لو كانت المخفَّفة ما كان وجهٌ لنصب أَبهت بالعطف على مدخولها .

(١) الرأى هنا بمعنى الرؤية ، يقال رأى رأيا ورؤية وراءة مثل راعة أيضاً . وفى الكتاب العزيز : « يرونهم مثليهم رأى العين » .

(٢) الآية ٢٩ من الأنعام و٣٨ من المؤمنون .

(٣) ط : « بقد والواو والسين » ، صوابه فى ش .

(٤) تكملة يفتقر إليها القول .

و (أَراها) بفتح الهمزة من رُؤية العين تتعدَّى إلى مفعول واحد ، وهو ضمير الحبيبة . ورأيته فى بعض النسخ بضم الهمزة على أَنَّه من أَرى المتعدِّى بالهمزة إلى مفعول ثان ، فيكون المفعول الأَوّل نائب الفاعل وهو ضمير المتكلم ، والثانى ضمير الحبيبة .

و (الفجاءَة) بالضم والمدِّ : البغتة ، يقال فَجِئت الرجلَ أَفجؤه ، مهموز ، من باب تعب ، وفى لغة بفتحتين ، إذا جئتَه بغتة . والاسم الفَجأَة . وفجاءَةً : مفعول مطلق ، أَى رؤيةً فجأَة . وقال ذلك الشارحُ : هو مصدرٌ فى موضع الحال من الفاعل أَو المفعول ، أَى مفاجئاً أَو مفاجأَة.

وقوله : (فأَبهت) إن[1] روى بالنصب فالفاءُ عاطفة ، عطفت أَبهت على أَراها ، وهو عطف مفرد على مفرد ، وهو فى تأْويل مصدر ، أَى إلاَّ الرأْى فالبَهْت . وإن روى بالرفع فالفاءُ استئنافية ، وجملة البهت خبر مبتدإٍ محذوف ، أَى فأَنا أَبهت بفتح الهمزة وضم الهاءِ وفتحها ، لأَنَّه جاءَ من بابى قرُب وتعب ، بمعنى أَدهشُ وأَتحيَّر . وأَما أُبهت بالبناءِ للمفعول فغير مرادٍ هنا . يقال بهته يَبْهَته بفتحتين ، فبُهِتَ بالبناءِ للمفعول ، فهذا متعدٍّ وذاك لازم .

و (حتى) هنا ابتدائية ، ومعناها الغاية ، و (ما) نافية . و (أَكاد) بمعنى أَقرُب . وجملة (أُجيب) فى محل نصب خبرها ، ومفعول أُجيب محذوف أَى أُجيبها إنْ كلَّمتنى . ومثله قولُ الآخر :

عَلامةُ مَن كان الهوى فى فؤاده ... إذا لقِىَ المحبوبَ أَن يتحيَّرا

---

(١) ط : « أى » ، صوابه فى ش .

والبيت من قصيدة لعروةَ بنِ حِزامٍ العُذرىّ ، تقدَّمت مع ترجمته صاحب الشاهد فى الشاهد السادس والتسعين بعد المائة[١] . وقبله وهو مطلع القصيدة :

(وإنِّى لتعرُونى لذكراكِ رَوْعةٌ   لها بينَ جِلدِى والعِظَامِ دَبِيبُ)

وقد وقع البيت الشاهد مع بيتين آخرين من القصيدة فى قصيدةٍ لكثيِّر عزة ، أَورد ستة أَبيات منها (فى حماسته) الشريفُ ضياءُ الدين هبةُ الله على بن محمد بن حمزة الحسينى ، وهى[٢] :

(أَبَى القلبُ إِلّا أُمَّ عمرو وبَغَّضت   إلىَّ نساءً مالهنَّ ذُنُوبُ

وليس على شَحْط النوى أُكثر البكا   لقد كنت أَبكى والمزارُ قريبُ

لعَمْرُ أَبيها إنَّ دهراً يردُّها   إلىَّ عَلى شَحْط النوى لَطَلُوبُ

وما هو إِلّا أَن أَراها . . . . البيت)

وقد وقع البيت الشاهد بقافيةٍ رائيةٍ فى قصيدةٍ لأَبى صخرٍ الهُذَلىِّ منها :

وإنِّى لآتيها أُريدُ عتابَها   وأُوعِدُها بالهَجْرِ ما برقَ الفجرُ[٣]   ٦١٧

فما هو إِلّا أَن أَراها فجاءَة   فأَبهَتَ لا عرفٌ لدىّ ولانُكْرُ[٤]

---

(١) الخزانة ٣ : ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) حماسة ابن الشجرى ١٥٣ .

(٣) لم ترد الأبيات ولا قصيدتها فى ديوان الهذليين ، ووردت فى شرح السكرى ٩٥٦ - ٩٥٩ وأمالى القالى ١ : ١٤٨ - ١٥٠ . وأبيات من القصيدة فى الأغانى ٥ : ١٥ - ١٦ والحماسة ١٢٣٠ - ١٢٣٢ بشرح المرزوقى

(٣) بدله فى شرح السكرى ٩٥٨ :

وإنى لآتيها لكيما تثيبنى   أو اوذنها بالصرم ما وضح الفجر

وفى الأمالى :

لقد كنت آتيها وفى النفس هجرها   بتاتاً لأخرى الدهر ما طلع الفجر

(٤) فى شرح السكرى : « أن أراها بخلوة » .

وأنسى الذى فيه أكونُ هجرتُها كما قد تنسِّى لبَّ شاربِها الخمرُ[1]

وعلى هذا فضمير هو عائد على العِتاب .

وأبو صخرٍ الهذلى تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الخامس بعد المائتين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٦٧١ (لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتـأْتىَ مِثلَه عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ)

على أنَّ (تـأْتىَ) منصوب بـأَنْ مضمرة بعد واو الجمعيّة[4] الواقعة بعد النهى .

قال سيبويه : واعلم أَنَّ الواو وإن جرت هذا المجرى فإنَّ معناها ومعنى الفاءِ مختلفان . أَلا ترى الأَخطل قال :

لا تنهَ عن خُلقٍ وتـأْتى مثله . . . . . البيت

فلو دخلت الفاءُ ههنا لأَفسدت المعنى . وإنَّما أَراد: لا تجمعنَّ النهى والإِتيان ، فصار تـأْتى على إضمار أن . انتهى .

---

(١) السكرى :
وأنسى الذى قد جئت كيما أقولـه كما تتناسى لب شاربهـا الخمـر

(٢) الخزانة ٣ : ٢٦١ - ٢٦٣ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٢٤ . وانظر المقتضب ٢ : ١٦ والجمل ١٩٨ وحماسة البحترى ١٧٤ والمؤتلف ١٧٩ ومعجم الشعراء للمرزبانى ٤١٠ وابن يعيش ٧ : ٢٤ والمغنى ٣٦١ والشذور ٢٣٨ ، ٣١٢ وأدب الدنيا والدين ٢٨ والعينى ٤ : ٣٩٣ والتصريح ٢ : ٢٣٨ والأشمونى ٢ : ٢٠٧ وملحقات ديوان أبى الأسود ١٣٠ .

(٤) هذا تعبير الرضى فى شرح الكافية ٢ : ٢٣٠ ، ٢٣١ . والمألوف فى اصطلاح النحاة ، هو واو المعية ، وتعبيره أدق ، وذلك للفصل بين واو المعية الخاصة بالمفعول معه ، والواو التى تضمر بعدها أن .

ويجوز رفعه على أنَّه خبر مبتدإ محذوف ، أى وأنت تأْتى .
ولا يجوز جزمُه ، لفساد المعنى . وعار خبر مبتدإ محذوف، أى هو عارٌ.
وعظيم صفته . وهذه الجملة دليلُ جوابِ إذا . ومعنى البيتِ من قوله
تعالى : ﴿ أَتأْمُرونَ النَّاس بالبِرِّ وتنسَوْنَ أَنفُسَكُم [١] ﴾. وقال الحاتمى : هذا
أَشْرَدُ بيتٍ قيلَ فى تجنُّب إتيان ما نُهِىَ عنه [٢] . والبيت وُجد فى عدة
قصائد . ومنه اختُلف فى قائله ، فنسبه الإمام أبو عبد الله القاسم بن
سَلّام (فى أمثاله) إلى المتوكِّل الكِنانى . وأورده فى باب تعيير الإنسان
صاحبَه بعيب هو فيه .

والمتوكِّل من شعراء الإسلام ، وهو من أهل الكوفة ، وكان فى عصر
معاوية ويزيد ، ومدحَهما .

المتوكل الليثى

ونسبه إليه أيضاً الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) ، وقال فيمن يقال
له المتوكِّل : منهم المتوكِّل الليثى ، وهو المتوكِّل بن عبد الله بنَ نَهشَل
ابن وهب بن عمرو بن لَقيط بن يَعْمَرَ الشدَّاخ بن عوف بن كعب
ابن عامر بن ليث بن بَكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ، الشاعر
المشهور ، القائل :

* لا تنهَ عن خُلق * . . . . . البيت

ونسبه إليه أيضاً أبو الفرج الأَصبهانى (فى الأَغانى) [٣] وذكر بإسنادٍ

---

(١) الآية ٤٤ من سورة البقرة .
(٢) الشرود هنا بمعنى الشهرة والذيوع ، من قولهم : قافية شرود ، أى عائرة سائرة فى البلاد ، تشرد كما يشرد البعير . قال الشاعر :
شرود إذا الراءون حلوا عقالها محجلة فيها كلام محجل
(٣) الأغانى ١١ : ٣٧ .

أنَّ الأخطل قدم الكوفة فنزل على قَبيصة بن ذالق[١] ، فقال المتوكِّل الليثى لرجلٍ من قومه : انطلقْ بنا إلى الأخطل نستنشده ونسمعُ مِن شعره . فأتياه فقالا له : أنشدنا يا أبا مالك . فقال : إنِّى لخاثرٌ يومى هذا . فقال له المتوكل : أنشدنا أيُّها الرجل ، فوالله لا تُنشدنى قصيدةً إلَّا أنشدتُك مثلَها أو أشعرَ منها[٢] . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا المتوكِّل . قال : ويحك ، أنشِدْنى من شعرك . فأنشده :

للغانيات بذى المَجَاز رُسوم ... فببطن مَكَّة عهدُهنَّ قَديمُ
فبِمَنْحَر البُدْن المقلَّدِ من منًى ... حِلَل تلوحُ كأنَّهنَّ نجومُ[٣]
لا تنَه عن خُلُــق وتأْتِىَ مِثله ... . البيت
والهمُّ إن لم تُمْضِهِ لسبيله ... داءٌ تضمَّنه الضُّلوعُ قديمُ[٤]

٦١٨ وكذلك نسبه إليه الزمخشرى (فى المستقصى) قال : هو من قول المتوكِّل الكنانى :

ابدأْ بنفسِك فَانْهَهَا عن غيِّها ... فإذا انتهَتْ عنه فأَنتَ حكيمُ
فهناك تَعْدِل إنْ وَعَظتَ ويُقتَدى ... بالقولِ منك ويُقبل التعليمُ
لا تنه عَن خلق[٥] . . . . البيت

ونسبه سيبويه للأخطل . ونسبه الحاتمى لسابق البربرى . ونقل السُّيوطى (عن تاريخ ابن عساكر) أنَّه للطرماح .

---

(١) فى الأغانى : «بن والق» بالواو .
(٢) فى الأغانى : « أو أشعر منها ، من شعرى » .
(٣) الحلل هنا : جمع حلة بالكسر ، جمع قياسى وإن لم تنص المعاجم على هذا الجمع ، وذكرت أن الحلة تجمع على حلال وأحلة . والحلة : جماعة بيوت الناس ، لأنها تحل . وقال كراع : هى مائة بيت .
(٤) فى الأغانى : « مقيم » .
(٥) أورده فى باب « لا » من المستقصى ٢ : ٢٦٠ .

والمشهور أنَّه من قصيدة لأَبى الأَسود الدؤلى . قال اللخمى (فى شرح أَبيات الجمل) : الصَّحيح أَنَّه لأَبى الأَسود . فإن صحَّ ما ذكر عن المتوكِّل فإنَّما أَخذ البيت من شعر أَبى الأَسود . والشعراءُ كثيراً ما تفعل ذلك . وهذه هى قصيدة أَبى الأَسود ، سُقناها برُمَّتها لجودتها :

(حسَدُوا الفتى إذْ لم ينالوا سَعْيَه | فالقومُ أَعداءٌ له وخصوم
كضرائر الحسناءِ قُلْنَ لوجهها | حسدًا وبَغْياً إنَّه لدميم[1]
والوجهُ يشرق فى الظَّلام كأَنَّه | بدرٌ منيرٌ والنساءُ نجومُ[2]
وترى اللبيبَ محسَّداً لم يَجْترِمْ | شتْمَ الرجالِ وعرضُه مشتومُ
وكذاك مَن عظُمت عليه نعمةٌ | حُسَّادُه سيفٌ عليه صَرومُ
فاترك مُحاورةَ السَّفيه فإنَّها | ندمٌ وغبٌّ بعد ذاك وخيمُ
وإذا جريت مع السفيه كماجَرى | فكلاكما فى جريه مذمومُ
وإذا عتبتَ على السَّفيه ولمتَه | فى مثلِ ما تأْتى فأَنتَ ظلومُ[3]
لا تنهَ عن خُلق وتأْتىَ مثله | عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ
ابدأْ بنفسِك وانهها عن غَيِّها | فإذا انتهتْ عنه فأَنت حكيمُ[4]
فهناك يُقبل ما وَعظتَ ويُقتدى | بالعلم منك وينفع التعليمُ
ويلَ الخلىّ من الشجىِّ فإنَّه | نَصِبُ الفؤاد بشجْوه مَغمومُ[5]

(١) ط : « قلنا لوجهها » ، صوابه فى ش والديوان . وفى الديوان : « حسداً وبغضاً » .
(٢) فى الديوان : « والعيون نجوم » .
(٣) فى سمط اللآلى ٦٠٦ :
وإذا عتبت على اللئيم ولمته | فى بعض ما يأتى فأنت ملوم
(٤) فى حماسة البحترى ١٧٤ : « فأنت عليم » .
(٥) فى ش مع تصحيح الشنقيطى بقلمه : « ويل الشجى من الخلى » ، وهو الوجه . وهو نص المثل المشهور ، وقائله أكثم بن صيفى . الفاخر ٢٤٨ وجمهرة العسكرى ٢ : ٣٣٨ والميدانى ٢ : ٢٩١ - ٢٩٢ . وقالوا أيضاً : « ما يلقى الشجى من الخلى » . الميدانى ٢ : ٢٠٣ .

وترى الخلىَّ قريرَ عينٍ لاهياً ... وعلى الشجىِّ كآبةٌ وهمومُ
ويقول : مالَكَ لا تقولُ مقالتى ... ولسانُ ذا طلقٌ وذا مكظومُ
لا تَكلِمَنْ عِرضَ ابنِ عمِّك ظالماً ... فإذا فعلتَ فعرضُك المكلومُ
وحريمُه أيضاً حريمُك فاحمِه ... كى لا يُباعَ لديكَ منه حريمُ
وإذا اقتصصتَ من ابنِ عمِّك كَلمةً
فكلومه لك إن عَقلت كلومُ[1]
وإذا طلبت إلى كريم حاجةً ... فلقاؤه يكفيكَ والتسليمُ
فإذا رآك مسلِّما ذكر الذى ... كلَّمته فكأنَّه ملزومُ
ورأى عواقب حمدِ ذاك وذمِّه ... للمرء تبقَى والعظامُ رميمُ
فارجُ الكريمَ وإن رأيتَ جفاءَه ... فالعتبُ منه والكرام كريمُ[2]
إن كنت مضطرًّا وإلاَّ فاتَّخذْ ... نفقاً كأنَّك خائفٌ مهزومُ
واتركْه واحذر أن تمرَّ ببابه ... دهراً وعرضُك إن فعلتَ سليمُ
٦١٩ فالناسُ قد صاروا بهائمَ كلُّهم ... ومن البهائم قائلٌ وزعيمُ[3]
عُمىٌ وبُكم ليس يُرجَى نفعُهم ... وزعيمُهم فى النائبات مُليمُ[4]
وإذا طلبتَ إلى لئيمٍ حاجة ... فألحَّ فى رفقٍ وأنتَ مُديمُ
والزمْ قُبالة بيتهِ وفِناءَه ... بأشدِّ مالزم الغريمَ غريمُ[5]
وعجبتُ للدُّنيا ورغبة أهلها ... والرزقُ فيما بينهم مقسومُ
والأحمقُ المرزوق أعجبُ مَنْ أرى ... مِن أهلها والعاقلُ المحرومُ

---

(١) الكلمة ، بالفتح : المرة من الكلم بالفتح أيضاً ، وهو الجرح ، كلمه يكلمه ، من بابى ضرب وقتل .
(٢) كذا فى النسختين . وفى الديوان : « والكريم كريم » .
(٣) ش : « قابل وزعيم » . والقابل : الكفيل ، وفى الديوان : « قائد وزعيم » .
(٤) ألام : فعل ما يلام عليه . وفى الديوان : « كليم » .
(٥) فى الديوان : « واسكن قبالة بيته وفنائه » ، والوجه ما هنا .

ثم انقضَى عجبى لعلمى أنَّه   رزقٌ موافٍ وقتُه معلومُ)

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد الستِّمائة ، وهو من شواهد س[١] :

٦٧٢ (وما أَنَا للشَّىْءِ الذى ليس نافِعِى   ويَغْضَب منه صاحبى بِقؤولِ)

على أن سيبويه جوَّز فى (يغضب) النصب والرفع .

وهذا نصُّ سيبويه : وسمعنا من يُنشد هذا البيت من العرب ، وهو لكعبٍ الغَنَوى ، بالنصب . والرفعُ أَيضاً جائزٌ حسن . ويغضب معطوف على الشىءِ ، ويجوز رفعه على أن يكون داخلاً فى صلة الذى . انتهى .

قال النحاس : قال محمد بن يزيد : الرفع الوجه ، لأَنَّ يغضبَ فى صلة الذى؛ لأَنَّ معناه الذى يغضبُ منه صاحبى . قال : وكان سيبويه يقدِّم النصب ويثنِّى بالرفع ، وليس القول عندى كما قال ، لأَنَّ المعنى الذى يصحُّ عليه الكلام إنَّما يكون بأَن يقع يغضب[٢] فى الصِّلة كما ذكرتُ لك . وَمن أَجاز النصب فإِنَّما يجعل يغضب معطوفاً على الشىءِ ، وذلك جائزٌ ولكنه بعيد . وإِنَّما جاز لأَنَّ الشىءِ منعوتٌ ، فكأَنَّ تقديره : وما أنا للشىءِ الذى هذه حالُه ولأَن يغضب صاحبى . وهو كلامٌ محمول على معناه ، لأَنَّه ليس يقول الغضب . ومثل هذا تجوُّز . تقول : إنَّما جاءَ بك طعامُ زيد . والمعنى إنَّما جئتَ من أَجله . قال أَبو إسحاق : النصب بمعنى وغَضَب ، أَى دون غضب صاحبى . والرفع على أَن يكون

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٢٦ . وانظر المقتضب ٢ : ١٩ والمنصف ٣ : ٥٢ والقالى ٢ : ٢٠٤ وحماسة ابن الشجرى ١٣٧ وابن يعيش ٧ : ٣٦ والأصمعيات ٧٦ .

(٢) ش : « بأن يغضب » .

داخلاً فى صلة الذى ، كأنَّه قال : والذى يغضب منه صاحبى . وسألت عنه أبا الحسَن فقال : يجوز عندى أن يكون جواباً لمَا . انتهى .

أى يكون يغضب منصوباً بعد الواو فى جواب النفى الأوَّل الذى هو : وما أنا ، دون الثانى الذى هو : ليس نافعى . وهو المسمَّى فى الشرح بالصَّرْف[1] . وهو مختار الشَّارح ، تبعاً لصاحب اللباب .

وفيه ردٌّ على ابن الحاجب (فى أماليه على المفصَّل) من وجهين :

أحدهما : أنَّه زعم أنَّ الواو فى ويغضب ليست واوَ الجمع ، وإنَّما هى واو العطف . وذكرها الزمخشرىُّ وإن لم يَكن بابَها[2] لموافقتها لواو الجمع من وجهين ، الرفع والنصب . وكذلك فعل فى الفاء .

ثانيهما : فى اتِّباعه لسيبويه فى زعمه أنَّ يغضب معطوف على قوله للشىء .

بقى احتمالٌ آخر لعطف يغضب المنصوب ، قال ابن الحاجب : ولا يستقيم أن يكون معطوفاً على نافعى لأمرٍ معنوىّ ، وهو أنَّه يصير المعنى : لا ينفعنى ولا يُغضِب صاحبى . وليس الغرض كذلك ، بل الغرض نفى النفع عنه وإثبات الغضب للصاحب . وأورد على مختار الشارح بأنَّه يلزم منه تقدُّم المعطوف وهو يغضب ، على المعطوف عليه وهو قؤول . وأجاب بأنَّ قوله ويغضب فى نية التأخير ، إذ التقدير : وما أنا بقؤول للشىء الذى لا ينفعنى ويغضبَ صاحبى بالنصب ، أى مع

٦٢٠

(١) فى شرح الرضى على الكافية ٢ : ٢٣٢ : « وإذا نصبته فهو على الصرف » . وتسمية هـــذه الواو بواو الصرف اصطلاح كوفى ، كما فى المغنى ٣٦١ عند الكلام على الواو المفردة . وانظر الصبان ٣ : ٣٠٦ .

(٢) ط : « تكن بابها » .

غضب صاحبى . فيغضب وإن كان مقدَّماً لفظاً على قَؤول فهو متأَخِّر معنىً ، لأَنَّ بقؤول خبر ما ، فهو مقدَّم فى التقدير . ونظيره تقدُّم الفاء فى قولك : متى فأُكرمك تكرمُنى . والتقدير متى تكرمُنى فأُكرمك .

وقول الشارح المحقق : « وقال أَبو على فى كتاب الشعر : بل هو عطف على نافعى » ، أَراد بكتاب الشعر كتابَه المسمى بإِيضاح الشِّعر وإِعراب الشعر .

وهذه عبارته فيه : فى قولك يغضب ضربان[1] : إن جعلتها داخلةً فى الصلة كانت مرفوعة ، لأَنَّه لا شئ يحمل عليه فينصب ، فإِذا عَطف لم يخرجْها من الصِّلة وحَملَ الكلام على المعنى ، كأَنه قال : وما أَنا للذى لا ينفعنى ويغضب منه صاحبى بقؤول . فإِذا دخل يغضب فى الصِّلة عطف المضارع على اسم الفاعل ، وكلٌّ واحد من المضارع واسم الفاعل يُعطَف على الآخر لتشابهها . وموضع المضارع الذىهو يغضب نصبٌ للعطف على خبر ليس ، والضمير الذى هو منه ، يعود على اسم ليس ، والمقول حينئذٍ هو الشئُ ، والقول يقع عليه لعمومه[2] ، واحتماله أَن يكون القولَ وغيرَه . وليس كالغضب . فإِذا أُخرِج يَغضب من الصلة أَضمر أَنْ بِعطفه إِياها على الشىء ، كأَنه قال : وما أَنا للشىء الذى ليس نافعى ويُغضِب[3] صاحبى بقؤول . فالغضب لا يقال ، ولكنَّ التقدير ولقولِ غضبِ صاحبى . فتضيف القول الحادثَ عنه الغضبُ

(١) ط : « ضرباب » ، صوابه فى ش .

(٢) يعنى عموم الشىء .

(٣) ط : « ولغضب » ، صوابه فى ش .

إلى الغضب، كما تقول: ضرب التلفِ، فتضيف الضَّرب إلى ما يحدُث عنه. هذا كلامه.

ونظرَ صاحبُ اللباب فى تقدير القول المضاف، وبيَّنه شارحه الفالىُّ[1] بأنَّ القَول المقدر إمَّا من باب إضافة المصدر إلى المفعول، أو من باب إضافة الشىء للشىء للملابسة. وهما فاسدان.

أمَّا الأوَّل فلأنَّه يلزم منه وقوعُه على ما هرب منه، إذ يلزم أنْ يكون الغضب مقولا.

وأما الثانى فلأنَّ لفظة منه تدفعه[2]، إذْ إضافة الملابسة مغنيَة عن ذكر منه، إذْ قولك قول غضَب صاحبى بمعنى الملابسة، معناه قولٌ يصدر ويتولَّد عنه غضبُ صاحبى. فلا حاجة إلى ذكرِ منه، كما تقول: رأيتك يومَ خرجت، فإنَّ الإضافة مصحِّحة لكون الخروج فى اليوم، فلا حاجة إلى أن تقول يومَ خرجت فيه.

صاحب الشهد

والبيت من قصيدة لكعب بن سَعدٍ الغنوى، أوردها أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) وأورد بعضها القالىُّ (فى أماليه)، والشريف (فى حماسته)، وهى:

(لقد أنصبَتْنى أُمُّ عمرٍو تلومنى وما لـوْم مثلى باطـلاً بجميـلِ
ألم تَعلمى أنْ لا يراخى منيَّتى قُعودِى، ولا يُدنِى الحمامَ رَحيلى[3]

(١) فى النسختين: «القالى». بالقاف، صوابه بالفاء كما سبق التنبيه فى أكثر من مرة. نسبة إلى مدينة «فاله» قريبة من أيذج من بلاد خوزستان، وذكر الميمنى أن من هذا الشرح نسخة بحيدرآباد كتبت سنة ٧٧٥ وأنه يوجد كثير من نسخه بالهند.

(٢) ش: «يدفعه».

(٣) الأصمعيات ٧٤: «ولا يدنى الوفاة». والأبيات كلها فى الأصمعيات.

فإنَّكِ واللومَ الذى تَرجِعِينه ... علىَّ ، وما لوَّامةٌ بعَقول[١]

كداعى هديلٍ لا يُجاب إذا دعا ... ولا هو يَسلُو عن دُعاءِ هَدِيلِ

وذى نَدَبٍ دامِى الأَظَلِّ قسَمتُه ... محافظةً ، بينى وبينَ زَميلِى[٢]

وزادٍ رفعتُ الكفَّ عنه عَفافةً ... لأُوثِرَ فى زادى علىَّ أَكيلى[٣]

ومَن لا ينل حتَّى يسدَّ خِلالَه ... يجدْ شهواتِ النَّفس غيرَ قليلِ

وعوراءَ قد قِيلتْ فلم أَلتفِتْ لها ... وما الكَلِمُ العوراءُ لِى بقَبولِ[٤]

وما أَنا للشىءِ الذى ليسَ نافعى ... . . . البيت ٦٢١

ولن يلبثَ الجُهَّال أن يتهضَّموا ... أخا الحلم مالم يَستعِنْ بجهولِ[٥])

وهذا ما أَورده أَبو تمام .

وأَنصبه : أَوقَعه فى النَّصَب بفتحتين ، وهو التعب . والحِمام بالكسر : الموت . والهَديل : فرخ كان على عهد نوحٍ عليه السلام ، فصاده جارحٌ من جوارح الطير . قالوا : فليس من حمامةٍ إلاَّ وتبكى عليه . قال الكميت :

وما مَنْ تَهتِفينَ به لنصرٍ ... بأَقربَ جابةً لكِ من هَديلِ[٦]

---

(١) فى الأصمعيات :
فإنــك والمــوت الــذى ترهبينــه ... على وما عذالــة بغفـــول

(٢) هذا البيت مع تاليه والبيت التاسع ثلاثة فى أمالى القالى .

(٣) فى أمالى القالى : « عنه تجملا » . وهذا البيت مع التاسع والعاشر ثلاثة فقط فى حماسة ابن الشجرى .

(٤) فى الأصمعيات : « فلم أستمع لها » .

(٥) حماسة ابن الشجرى : « أخا الحكم » .

(٦) الجابة : الجواب ، ومنه المثل : « أساء سمعاً فأساء جابة » . وفى ط : « جامة » ، صوابه فى ش وديوان الكميت ٢ : ٥٨ واللسان (هدل) وجمهرة العسكرى ١ : ٢٥ .

والنَّدَب بفتحتين ، قال القالى : هو الأَثر ، وجمعه نُدوب وأَنداب . والأَظلُّ بالمعجمة قال القالى : هو باطنُ خفِّ البعير . والزَّميل : الرفيق . يريد أَنَّه قسَم ظهرَ بعيره بينه وبين رفيقه فى الرُّكوب ولم يتركه ماشياً . والعَفافة : العِفَّة . والأَكيل : المؤاكِل . والخلال بالكسر : جمع خَلَّة بالفتح : الحاجة والفقر . والعوراءُ : الكلمة القبيحة . وتهضَّمه وهَضَمه ، إذا دَفَعَه[1] عن موضعه .

كعب بن سعد الغنوى

وكعب بن سعد الغَنَوىُّ هو شاعرٌ إسلامى ، وهو أَحد بنى سالم بن عُبيد بن سَعد بن عوف بن كعب بن جِلَّان ، بكسر الجيم وتشديد اللام ، ابن غَنْم بسكون النون ، ابن غنى بن أَعصُر . كذا قال أَبو عبيد البكرى (فى شرح أَمالى القالى) فى موضعين منه .

وقد راجعتُ كتب الصحابة وكتابَ الشعراء لابن قتيبة ، وكتابَ الأَغانى وغيرها ، فلم أَجد ترجمته فى أَحدها إِلَّا ما قاله أَبو عبيدٍ المذكور . والظاهر أَنَّه تابعى .

* * *

وأَنشد بعده :

(ولُبْسُ عَباءَةٍ وتقرَّ عينى أَحبُّ إِلىَّ من لُبس الشُّفوفِ[2])

على أَن (تقرَّ) منصوب بـأَنْ بعد واو العطف .

قال سيبويه : لمَّا لم يستقم أَن تحمل وتقر وهو فعل ، على لُبس

(١) ط : « رفعه » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « لما لم يستقم له أن يحمل » ، صوابه ما أثبت من كتاب سيبويه ١ : ٤٢٧ و ٣ : ٤٦ من نسختى . والكلام كله على الخطاب عند سيبويه .

وهو اسم ، ولمَّا ضممتَه إلى الاسم وجعلتَ أَحبُّ لهما ، ولم ترد قَطعَه[١] لم يكن بدٌّ من إضمار أَن .

قال النحاس : قال أَبو الحسن : أَى لم ترد[٢] لُبس عباءَة أَحبُّ إلىَّ وأَن تقرّ عينى ، لأَنَّ هذا يبطل المعنى ، لأَنَّه لم يرد أَنَّ لبس عباءَة أَحبُّ إليه . هذا سخف ، إنَّما أَراد قُرَّة العين[٣] ، فلهذا نصب .

وقال الأَعلم : نصب تقرّ بإضمار أَن ليعطف على اللُّبس ، لأَنه اسم وتقرّ فعل ، فلم يمكن عطفه عليه فحمل على إضمار أَنْ لأَنَّ أَن وما بعدها اسم ، فعطف اسماً على اسم ،وجعلَ الخبر عنهما واحداً ، وهو أَحَبُّ . والمعنى : لبس عباءَةٍ مع قُرَّة العين وصَفَاءِ العيش أَحبُّ إلىَّ من لُبس الشفوف مع سُخنة العينِ ونكد العيش . والعباءَة : جبَّة الصوف . والشُّفوف : ثيابٌ رقاقٌ تصف البدن ، واحدها شِفٌّ . انتهى .

فإن قلت : ما الفرق بين واو الجمع وواو العطف ، وهل هما إلا شيءٌ واحد؟ قلت: وَاوُ الجمع فى الأَصل للعطف ، لكنَّه خصّ ببعض أَحواله ،وذلك أَنَّ المعطوف قد يكون قَبلَ المعطوف عليه فى الوجود، وقد يكون بعدَهُ ، وقد يكون معَه ، نحو : جاءَ زيد [وعمرٌو[٤]] قبله أَو بعده أَو معه. فخصَّ واو الجمع بما يكون بمعنى مع ، فهو باعتبار أَصل معنى العطف احتاج إلى تقدير مصدَرٍ منتزع من الأَوّل . وباعتبار اختصاصه العارض بحال المعيَّة صار كأَنه قسمٌ للعطف المطلق الذى لا يتقيَّد . فواو الجمع عطفٌ مقيَّد بالمعيَّة ، وواو العطف غير مقيَّد بها . فهذا هو الفرق . ٦٢٢

---

(١) ط : « لفظه » ، صوابه فى سيبويه و ش مع أثر تصحيح .

(٢) كذا بالتاء هنا ، وبالياء فيما سيأتى : « لم يرد » .

(٣) فى النسختين : « قرت العين » ، والوجه ما أثبت ، لأنه يريد المصدر . وانظر ما سيأتى من كلام الشنتمرى .

(٤) تكملة يستقيم بها الكلام .

وقال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : ولو رفعت وتقرّ لجاز ، على أن ينزَّل الفعل منزلة المصدر ، ونحو قولهم : « تسمع بالمعيدىّ » ، فتسمَع منزَّل منزلةَ سماعك . وكقول جريرٍ يعنى الفرزدق :

نفاك الأغرُّ بنُ عبد العزيز وحَقُّكَ تُنفَى من المسجدِ[١]

وقولِ امرئ القيس :

فدمعُهما سحٌّ وسكبٌ وديمة ورشٌّ وتَوكافٌ وتَنْهملانِ[٢]

قال : يريد وحقُّك النَّفْىُ وانهمالٌ .

واستشهد صاحب الكشَّاف بالبيت على قراءة :﴿ أو آوِىَ[٣] ﴾ بالنصب على إضمار أنْ ، كأنَّه قيل : لو أنَّ لى بكم قوّةً أو أُوِيًّا ، كما فى : لبس عباءة وقرَّة عينى .

صاحب الشاهد والبيت من أبياتٍ لمِيْسونَ بنت بحدلٍ الكلبيَّة ، وتقدَّمت مشروحة فى الشاهد الثامن والخمسين بعد الستِّمائة[٤] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الستِّمائة[٥] :

٦٧٣ (أو أنْ يلُومَ بحاجةٍ لُوَّامُها)

على أنَّ (أن) قد ظهرت بعد (أو) فى الشِّعر .

(١) الخصائص ٢ : ٤٣٤ والأغانى ١٩ : ٢١ ، ٥٢ وديوان جرير ١٢٨ .
(٢) ديوان امرئ القيس ٨٨ .
(٣) الآية ٨٠ من سورة هود . ونصها : « قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » . وهذه قراءة شيبة وأبى جعفر كما فى تفسير أبى حيان ٥ : ٢٤٧ .
(٤) ش : « الثانى والخمسين بعد الستمائة » ، صوابه ما أثبت من ط . وانظر ما سبق فى هذا الجزء من الخزانة ص ٥٠٣ — ٥٠٦ .
(٥) الشاهد من معلقة لبيد ، ولم أجد مستشهداً به لهذا غير الرضى .

وهذا عجزٌ ، وصدره :

(أَقضِى اللُّبانةَ لا أُفرِّطُ رِيبةً)

صاحب الشاهد

والبيت من معلَّقة لبيدِ الصحابى رضى الله عنه . قال شارح المعلقات القاضى أبو الحسين الزَّوْزَنى : يقول : أَقضى وطرى ولا أُفرِّط فى طلبِ بُغيتى ، ولا أَدع ريبةً إِلَّا أَن يلومَنى لائم . وتحرير المعنى أَنَّه لا يقصِّر ، لكنَّه لا يمكنه الاحتراز عن لوم اللوَّام . وأَوْ فى قوله : « أَو أَنْ يلوم » بمعنى إلاَّ أَنْ يلوم . ومثله قولهم : لأَلزمنَّه أَو يُعطِيَنى دَينِى ، معناه إِلَّا أَنْ يعطيَنى حقِّى . انتهى كلامه .

يقال قضيت وطَرى ، أَى بلغته ونِلتُه . واللُّبانة بضم اللام : الحاجة . ويقال فرَّطته ، أَى تركته وتقدَّمته . كذا فى الصحاح . وفرَّط فى الأَمر تفريطاً : قصَّر فيه وضيَّعه . والرِّيبة : الحاجة ، ومثله الرَّيب . قال الشَّاعر[1] :

* قضينا من تِهامةَ كلَّ رَيْبٍ *

هذا المناسب ، وهو المفهوم من كلام الزوزنى السابق .

وقال أَبو جعفر النحوى ، والخطيب التبريزى ، وأَبو الحسن الطوسى (فى شروحهم) : الرَّيب : الشك . ورووا :

* أَقضِى اللُّبانة ، أَن أُفرِّطَ رِيبةً *

بنصب ريبة ورفعها . قالوا : فمن رفع جعله خبر ابتداءٍ ، والمعنى تفريطى رِيبةٌ . ومن نصب فالمعنى مخافة أَن أُفرِّط ، ثم حذف مخافة .

(١) لكعب بن مالك فى السيرة ٨٧٠ واللسان (ريب ٤٢٧) . وعجزه :

* وخيبر ثم أجممنا السيوفا *

هذا قول البصريِّين . وقال الكوفيُّون : لئلا مضمرة ، والمعنى لئلاَّ أُفرِّط ريبة . يريد إنِّى أتقدَّمُ فى قضاءِ حاجتى لئلاَّ أشكَّ وأقولَ إذا فاتَتْنى : ليتنى تقدَّمت ، أو يلومَنى لائمٌ على تقصيرى . والمعنى إنِّى لا أَدع ريبةً تَنفُذُنِى[١] حتَّى أحكمها . والتفريط : الإنفاذ والتقديم .

هذا كلامهم ، وفى حلِّهم المعنى قلاقة وعقادة[٢]. وليست « أو » على كلامهم بمعنى إلاَّ . ومعنى البيت على شرح الزَّورنى واضحٌ لا خفاءَ فيه . واللوَّام : مبالغة لائم ، فاعل يلوم .

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[٣].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد السمّائة[٤] :

٦٧٤ (لقد عَذَلَتْنى أُمُّ عمرٍو ولم أَكُنْ مَقالتَها ما كنتُ حيًّا لأَسمَعا)

٦٢٣ علىأَنَّ مقالتها مفعولٌ مقدَّملأَسمع عند الكوفيين كما نقله الشارح المحقِّق وغيرُه . وعند البصريِّين منصوب بِفعلٍ[٥] محذوفٍ يفسِّره المذكور ، والتقدير : ما كنت أسمع مقالتها . ثم بيَّن ما أَضمر بقوله لأَسمعا .

وهذا البيت قد أَورده ابن الأَنبارى (فى مسائل الخلاف) ، وابن يعيش (فى شرح المفصَّل) ، ولم أَقف على تتمته ولا على قائله . والله أَعلم بذلك .

---

(١) فى النسختين : « تنقذنى » بالقاف ، صوابه بالفاء كما أثبت من الشروح .

(٢) يريد التعقيد . ولم أجد هذا المصدر فى المعاجم المتداولة .

(٣) الخزانة ٢ : ٢٤٦ - ٢٥١ .

(٤) ابن يعيش ٧ : ٢٩ والإنصاف ٥٩٣ والتصريح ٢ : ٢٣٦ .

(٥) ط : « لفعل » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

وما مصدريَّة ظرفيَّة ، وحيًّا خبر كنت ، أى مدَّة كونى حيًّا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الستمائة[(١)] :

٦٧٥ (وحُقَّ لمثلى يا بُثَينةُ يجزعُ)

على أنَّ أصله :أن يجزع ، فحذفت أن وارتفع الفعل ، وهو نائب فاعلُ حقّ.

قال ابن جنى (فى سر الصِّناعة) : وقد حملهم كثرةُ حذف أنْ مع غير الفاعل على أن استجازوا ذلك مع اسم مالم يُسمَّ فاعله وإن كان جاريًا مجرى الفاعل وقائماً مقامه ، وذلك قول جميل :

(جزِعتُ حِذارَ البينِ يومَ تحمَّلوا وحُقَّ لمثلى يابثينه يَجْـزَعُ)

أراد: أن يجزع . على أنَّ هذا قليل . والمفعول قد يكون غير اسمٍ صريح نحو : ظننت زيداً يقوم ، والفاعل لا يكون إلَّا اسماً صريحاً محضاً ، وهم على إمحاضه اسماً أشدُّ محافظة من جميع الأسماء . ألا ترى أنَّ المبتدأ قد يقع غير اسم محضٍ ، وهو قولهم : « تسمعُ بالمُعَيْدِىِّ خيرٌ من أن تراه» ، فتسمع كما ترى فعل ، وتقديره أن تسمع ، فحذفُهم أنْ ورفعُهم تسمع يَدلُّ على أنَّ المبتدأ قد يمكن أن يكون عندهم غَير اسمٍ صريح. فإذا جاز هذا فى المبتدإ على قوَّة شبهه بالفاعل فهو فى المفعول الذى يبعُد عنهما أجْوَز . فمن أجل ذلك ارتفع الفعلُ فى قول طَرَفة :

* ألا أيُّهذا الزاجرى أحضُرُ الوغى *

---

(١) الخصائص ٢ : ٣٤٥ وسر الصناعة ١ : ٢٨٦ ، ٢٨٩ وابن يعيش ٤ : ٨/٢٧ : ٤٣ وضرائر ابن عصفور ٢٦٤ وديوان جميل ١١٨ .

عند كثير من الناس ، لأَنَّه أَراد أَن أَحضُر . وأَجازَ س فى قولهم : «مُرْه يَحفِرُها» أَن يكون الرفع على قوله مره أَن يحفرَها،فلمَّا حذفت أَنْ ارتفع الفعل بعدها . انتهى كلامه .

وقال (فى الخصائص) عندما أَنشد هذا البيت : أَى وحُقَّ لمثلى أَن يجزع . وأَجاز هشامٌ: يسرّنى تقومُ . وينبغى أَن يكون ذلك جائزاً عنده فى الشعر لا فى النثر . انتهى .

وقد عدَّ ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) جميعَ هذا من الضَّرورة . قال : ومنه وضع الفعلِ موضعَ المصدر على تقدير حذف أَنْ وإرادة معناها من غير إبقاء عملها ، نحو قوله :

وما راعَنى إلاَّ يَسيرُ بشُرطةٍ وعَهدِى به قَيناً يفُشُّ بكِير[1]

يريد : وما راعنى إِلّا أَن يسير بشرطة . فحذف أَنْ وأَبطل عملَها وهو يريد معناها . والدَّليل على أَنَّ الفعل المضارعَ يُحكم له بحكمِ ماهو منصوبٌ بأَنْ وإنْ كان مرفوعاً قولُه :

أَلا أَيُّهذا الزَّاجرِى أَحضرُ الوغى وأَنْ أَشهدَ اللذاتِ هل أَنتَ مُخْلِدِى[2]

فى رواية من رفع أَحضرُ . أَلا ترى أَنَّه عَطَف أَن أَشهد على أَحضر ، فدَّل ذلك على أَنَّ المراد أَن أَحضر . ومثله قولُ أَسماءَ بنِ خارجة :

أَوَليس من عجبٍ أُسائلُكم ما خَطْبُ عاذلتى وما خَطْبِى[3]

---

(١) سيأتى الكلام على هذا الشاهد فى التتمة الملحقة بالشاهد ٦٧٥ .

(٢) من معلقة طرفة . وانظر سر الصناعة ١ : ٢٨٦ والمقتضب ٢ : ٨٥ ، ١٣٦ والمحتسب ٢ : ٣٣٨ والشذور ١٥٣ .

(٣) من الأصمعية ١١ . انظر الأصمعيات ٤٩ .

يريد ، أن أسائلكم . وقول عليّ بن الطُّفيل السعدى :

وأهلكنى لكم فى كلِّ يوم تعوُّجكمْ علىَّ وأستقيمُ[(١)]

يريد : وأنْ أستقيم ، أى واستقامتى لكم . وقولُه :

جزِعتُ حِذارَ البين يومَ تحمَّلوا وحُقَّ لمثلى يا بثينة يَجزعُ[(٢)]

يريد : أن يجزع . وقولُه :

نفاك الأغَرُّ بنُ عبد العزيز وحقُّك تُنفَى عن المسجدِ[(٣)]

يريد : وحقُّك أن تنفى عن المسجد . وقولُ الآخر ، أنشدهُ يعقوب :

* لولا يرائى النَّـاسَ لم يصلِّ[(٤)] *

يريد : لولا أن يرائىَ النَّاسَ .

وقد يجىءُ مثلُ هذا فى الكلام ، نحو قولهم : « تسمع بالمُعَيْدى خيرٌ من أن تراه » ، إلّا أنّ ذلك يقلُّ فى الكلام ، ويكثُر فى الشعر . انتهى .

وجزِع الرجل جَزَعاً ، من باب تعب ، فهو جزِعٌ وَجَزوعٌ مبالغة ، إذا ضَعُفت مُنَّته عن حَملِ ما نزَل به ولم يجِدْ صبرًا . وأجزَعه غيرُه ، والغَداة : الضَّحوة . والبَيْن :الفراق ، مصدر بانَ يبين ، إذا فارقَ وانفصل . ولمَّا ظرفٌ بمعنى حين ، بدلٌ من غداة[(٥)] . والواو فى ترحَّلوا ضمير أهل

---

(١) نوادر أبى زيد ١٦١ والمحتسب ٢ : ٣٢ .

(٢) هو الشاهد المعقود له هذا الفصل .

(٣) لجرير فى ديوانه ١٢٨ من نقائضه مع الفرزدق . وانظر النقائض ٧٩٧ والخصائص ٢ : ٣٤٢ والأغانى ١٩ : ٢١ ، ٥٢ .

(٤) الضرائر لابن عصفور ٢٦٥ وتهذيب الألفاظ ١٣٢ .

(٥) لم يرد نص البيت هنا على هذه الرواية : « جزعت غداة البين لما تحملوا » ، وإنما هى رواية ديوان جميل ١١٨ كما أنها رواية الأغانى فى نسخة البغدادى ، تبناها فانطلق فى تفسيرها سهواً منه .

بثينة . وكان الظاهر أن يقول ترحَّلت بالتأْنيث ، لأَنَّ جزعَه إنَّما كان لرحيلها ، لكن لمَّا كان رَحيلُ أَهلها مُوجباً لرحيلها جَمَعَ .

وقوله : (وحُقَّ لمثلى) إلخ ، وهو بالبناءِ للمفعول . فى الصحاح : قال الكسائى : يقال حُقَّ لك أَن تفعل كذا وهو حقيق به ومحقوق ، أَى خليق لَه . وقال الفراءُ : حُقَّ لك أَن تفعل كذا وحَقَّ عليك أَن تفعل كذا . فإذا قلت حُقَّ بالضم قلت : لك ، وإذا قلت حَقَّ بالفتح قلت :عليك. وهذا من باب قولهم : مثلُك لا يبخل ، وهو أَنَّه استعمله كنايةً من غير تعريض ، ممَّا لا يراد بلفظ (مثل) غيرُ ما أُضيف إليه ، لكن أُريد أَنَّ من كان على هذه الصفة التى هو عليها كان مقتضى العُرف أَن يفعل ما ذكر . فعلى هذا ليس المراد فى البيت أَنَّ مثله حقيقٌ بالجزع ، بل المراد بالمثل نفسُه . لكنْ كلُّ من كان على هذه الصِّفة من فراق الأَحبَّة ينبغى أَن يكون حالُه مثلَ حالِه فى الجزَع .

وجملة « حُقَّ لمثلى» إلخ ، إمَّا حال من التاءِ فى جزعتُ بإضمار قد ، وإمَّا معطوفة على جزعت .

وروى الأَصبهانى (فى الأَغانى) :

* وما كان مثلى يا بثينةُ يجزعُ[1] *

فعلى هذا لا شاهد فيه .

وبثينة : محبوبة جميل قائل الشعر . وقد نَسَبَ بعض الشعراءِ بنساءٍ مخصوصة ، واشتهر كلُّ واحدٍ منهم بمن تغزَّل بها ، منهم جميل اشتهر ببثينة ، ومنهم كثيِّر اشتهر بعزَّة ، ومنهم عُروة بن حزام اشتهر

---

(١) لم أجد هذا البيت فى نسخة الساسى من الأغانى .

بعفراء ، ومنهم مجنونُ بنى عامر اشتهر بليلى ، ومنهم قيس بن ذَريح اشتهر بلُبنى ، ومنهم المرقِّش اشتهر بفاطمة ، ومنهم ذو الرمة اشتهر بميَّة وهى الخَرقاءُ كما تقدَّم ، ومنهم العباس بن الأحنف نَسَب بفَوْز . وبعض الشُّعراءِ لا يلتزم التغزُّلَ بامرأةٍ مخصوصة كامرئ القيس .

و (بثينة) مصغَر بثْنة . قال صاحب الصحاح : البَثْنة بالتسكين : الأرض الليِّنة ، وبتصغيرها سمِّيت بثنة .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة لجميل بنَ مَعْمرٍ العُذرى .

روى صاحب الأغانى بسنده[1] قال : اجتمع جميل مع جماعةٍ من رهطه يتحدَّثون فقال بعضهم : بالله حدِّثنا أعجَبَ يومٍ لك مع بثينة . قال : نعم ، مُنعَتْ من لقائى مُدَّةً ، وتعرَّضتُ لها جَهدى فلم أصلْ إليها . فبينا أنا ذاتَ ليلةٍ جالسٌ بين شجَرات بالقُرب من حَيِّها ، وقد أَقمتُ فيها ثلاثاً أنتظرُها ، إذا شخصٌ قد أقبلَ إلىّ ، فجلستُ وانتضيتُ سيفى فلم أَلبثْ أن غشِيَنى الشخصُ ، فإذا هى بُثينةُ قد أَكبَّتْ علىَّ ، فأَدْهشَنى ذلك وبقيتُ متحيِّراً لا أُحِيرُ جوابًا ولا أُراجعُها ، حتَّى بَرَق الصبحُ وما استطعتُ أن أُكلِّمَها . قالوا : فهل قلتَ فى ذلك شيئاً ؟ فأنشدهم قصيدةً طويلةً . وهذه أبياتٌ من أوّلها : ٦٢٥

أهاجَك أَم لا بالتَّناضِبِ مربَعُ ورسمٌ بأجراعِ الغَديرينِ بلقعُ[2]
ديارٌ لليلى إذ نحلُّ بها معاً وإذْ نحن منها فى المودَّة نطمعُ[3]

(١) هذا الخبر لم يرد فى نسخة الساسى من الأغانى .

(٢) التناضب بكسر الضاد : موضع . وفى الديوان : « بالمداخل مربع ودار » وهو موضع كذلك .

(٣) فى حواشى المطبوعة : « قوله لليلى ، لا يخفى أن جميلا ينسب ببثينة ، كما تقدم قريباً . وسيأتى فى هذه الأبيات يقول : يابثينة بجزع . إلا أن يقال إنه قد يعبر عن محبوبته تارة ببثينة وتارة بليلى . فليحرر » .

فياربِّ حبِّبْنى إليها وأَعطنى الـ ـ ودَّة منها أنت تُعطى وتمنعُ
وإلَّا فصبِّرنى وإن كنتُ كارهاً فإنِّى بها ياذا المعارج مُولَعُ[١]
فإن يك قد شطَّت نواها وقد نأَت فإنَّ النوى مما تُشِتُّ وتجمعُ[٢]
جزِعتُ غداةَ البين لمَّا تحمَّلُوا وما كان مثلى يا بثينةُ يجزعُ
تمتَّعتُ منها يومَ بانُوا بنظرةٍ وهل عاشقٌ من نظرةٍ يتمتَّعُ

وتقدمت ترجمة جميلٍ العُذرىّ فى الشاهد الثانى والستين من أوائل الكتاب[٣] .

تتمَّة

قد وقع (فى مغنى اللبيب) و (فى بعض شروح الأَلفية) الاستشهادُ بقوله :

وما راعنى إلاَّ يَسيرُ بشُرطةٍ وعَهدِى به قَيْناً يفُشُّ بِكيرِ

ولم يقف على قائله ولا على تتمته السيوطىُّ ولا العينىُّ ، وهومذكورٌ (فى نوادر ابن الأَعرابىِّ) قال : أَنشدَنى الدُّبيرىُّ لرجلٍ من بنى أَسدٍ يقال له معاوية بن خليل النَّصرى[٤] ، فى إبراهيم ذى الشَّقر . وكان إبراهيم أَطردَه عَن بلاده ، فأَقام فى رمل بنى حِسْل ، فقال يهجو إبراهيم

(١) المعارج : جمع معرج ، وهو الدرجة والسلم ، واستعير للرتب والفواضل والصفات الحميدة والنعم ، كما جاء فى تفسير قتادة وابن عباس . وقال ابن عباس أيضاً : المعارج : السموات تعرج فيها الملائكة من سماء إلى سماء . وقال الحسن : هى المراقى والمصاعد إلى السماء . وقال الفراء : ذى المعارج من نعت الله ، لأن الملائكة تعرج إلى الله ، فوصف نفسه بذلك . تفسير أبى حيان ٨ : ٣٣٣ واللسان (عرج) ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٢ : ٢٠٥ فى تفسير الآية ٣ من سورة المعارج .

(٢) فى الديوان : « وإن تلك قد شطت نواها ودارها » .

(٣) الخزانة ١ : ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٤) نسبة إلى بنى نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد . وانظر جمهرة ابن حزم ١٩٤ ، ٤٦٦ .

يلقب « فرُّوخاً » وربَّما قالوا »[١] فرُّوجاً » . وهو إبراهيم بن حَوْران :

يَعْرِض فرُّوخُ بن حَوْران بنتَه كَمَا عُرِضَتْ للمشترين جَزُورُ[٢]

فأَمَّا قريشٌ فهى تُعرِض رغبةً وأَمَّا الموالى حولها فتدورُ[٣]

وما راعَنا إِلّا يسيرُ بشُرطةٍ وعَهْدى به قيناً يفُشُّ بكيرِ

لحا اللهُ فَرُّوخاً وخرَّب دارَه وأخزى بنى حَوْرانَ خِزىَ حميرِ

* * *

وأنشد بعده :

(أَلا أَيُّهذا الزاجِرِى أَحضرُ الوغَى)

هو صدرٌ ، وعجزه :

(وأَن أَشهدَ اللَّذَّاتِ هل أَنت مُخلدى)

على أَنَّه رُوى : (أَحضرُ) بالرفع ، وأَصله أَن أَحضرَ ، فلما حُذفت (أَنْ) ارتفع الفعل . وروى أَيضاً بالنصب بإبقاء عملها بعد الحذف .

وقد تقدَّم الكلامُ على هذا البيتِ مستوفًى فيما بعد الشاهد الثامن والخمسين بعد السبعمائة[٤] ، وفى الشاهد العاشر من أوائل الكتاب[٥] .

نهاية الجزء الثامن من تقسيم محققه

---

(١) ش : « قال » .

(٢) فى البيت خرم ، بإسقاط حرف فى أوله . و « فروخ » كتبت فى ش بنقطة للجيم فى وسطها وأخرى فوقها لتقرأ بالوجهين .

(٣) أى رغبة عنها وزهداً فيها .

(٤) انظر هذا الجزء الثامن ص ٥٠٧ — ٥٠٨ .

(٥) الخزانة ١ : ١١٩ - ١٢١ .

فهرس التراجم

فهرس الشواهد

باب المجموع

الشاهد		صفحة
٥٧٨	لنا جاملٌ لا يَهدأُ الّليلَ سامِرُه	٣
٥٧٩	عَرَفْنا جعفرًا وبنى أبيهِ وأنكرْنا زعانفَ آخرِينِ	٦
٥٨٠	نَضَّرَ اللهُ أعظُماً دَفَنوها بسجستانَ طلحةَ الطَّلَحاتِ	١٠
٥٨١	إِنَّك إن يُصرَعْ أخوكَ تُصرَعُ	٢٠
٥٨٢	زَعمَت تُماضِرُ أنَّنى إمّا أَمُتْ يسدُدْ أُبَيْنُوها الأَصاغرُ خَلَّتى	٣٠
٥٨٣	قد شَرِبتْ إلاَّ الدُّهيدِهينا قُليِّصاتٍ وأُبيكرِينا	٥٠
٥٨٤	ولى دُونَكم أهلُونَ سِيدٌ عَملَّسٌ وأَرقطُ زُهلولٌ وعرفاءُ جيألُ	٥٥
٥٨٥	ذَرانِيَ مِن نجدٍ فإنَّ سِنِينَهُ لعِبْنَ بنا شِيباً وشَيَّبْننا مُردَا	٥٨
٥٨٦	وماذا يدَّرِى الشُّعراءِ منِّى وقد جاوزتُ حَدَّ الأَربعينِ	٦٥
٥٨٧	غِراث الوُشْحِ صامِتَةُ البُرِينِ	٧٠
٥٨٨	وأنَّ لنا أبا حسَنٍ عليًّا أَبٌ بَرٌّ ونحن له بنينُ	٧٥
٥٨٩	إِذَا ما بنُو نَعْشٍ دَنَوْا فتصوَّبُوا	٨٢

جمع المؤنث السالم

الشاهد		صفحة
٥٩٠	أَتَتْ ذِكَرٌ عَوَّدنَ أَحشاءَ قلبِه خُفوقاً ورَفْضاتُ الهوَى فى المفاصلِ	٨٧
٥٩١	وأَهْلَةِ وُدٍّ قد تبرَّيتُ ودَّهم وأَبليتُهم فى الحمدِ جَهدى ونائلى	٩١
٥٩٢	وهُمْ أَهَلاتٌ حولَ قيسِ بنِ عاصمٍ إِذَا أدلَجُوا يدْعُون بالَّليلِ كَوثَرا	٩٦
٥٩٣	أَخُو بَيَضَاتٍ رائحٌ متأَوِّبٌ	١٠٢

جمع التكسير

الشاهد		صفحة
٥٩٤	لنا الجفَناتُ الغُرُّ يَلمَعْنَ فى الضُّحى وأَسيافُنا يقطُرن من نجدةٍ دَما	١٠٦

المصـــدر

اسم الفاعـل

اسم المفعول

الصفة المشبهة

أفعل التفضيل

الفعل الماضى

الفعل المضارع

النواصب

رقم الإيداع ١٩٧٧/٥٠٨٣

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
تليفون : ٨٢٦٢٨٠ القاهرة